



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



ارشد
علیه
اصحاب
السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحُ مَنَاجِجِ الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِينِ

الْعَلَّامِ الْمُحَرَّرِ الرَّحِيمِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ

الْكُوفِيِّ عَمْرِيًّا

الجزء السابع

من منشورات

الكتاب الإسلامي

طرابلس - ليبيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

آيت الله العظمى سيد ابوالقاسم خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست	۵
منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ۷	۱۵
مشخصات كتاب	۱۵
تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره	۱۶
اشاره	۱۶
تتمه خطبه نودم	۱۷
الفصل السادس	۱۷
اشاره	۱۷
اللغه	۱۹
الاعراب	۲۳
المعنى	۲۴
الهدايه الاولى	۳۱
الثانيه	۳۴
الثالثه	۳۶
الرابعه	۳۷
الخامسه	۴۲
الترجمه	۴۴
الفصل السابع	۴۶
اشاره	۴۶
اللغه	۴۷
الاعراب	۴۸
المعنى	۴۹
الترجمه	۶۰
الفصل الثامن	۶۱

٦١		اشاره
٦٣		اللغه
٦٥		الاعراب
٦٦		المعنى
٧٣		الترجمه
٧٥		و من كلام له عليه السلام لما اريد على البيعه و هو الواحد
٧٥		اشاره
٧٦		اللغه
٧٦		الاعراب
٧٧		المعنى
٧٧		اشاره
٨١		تنبيه
٨٣		الترجمه
٨٤		و من خطبه له عليه السلام و هى الثانيه و التسعون من المختار
٨٤		اشاره
٨٤		الفصل الاول
٨٤		اشاره
٨٥		اللغه
٨٦		الاعراب
٨٦		المعنى
٨٦		اشاره
٩٣		تنبيهان الاول
٩٧		الثانى
١٠٠		الترجمه
١٠١		الفصل الثانى
١٠١		اشاره

١٠١ اللغة

١٠٢ الاعراب

١٠٣ المعنى

١٠٣ اشاره

١٠٧ تكمله

١١٠ بيان

١١٠ الترجمة

١١١ و من خطبه له عليه السلام و هي الثالثة و التسعون من المختار

١١١ اشاره

١١٢ اللغة

١١٣ الاعراب

١١٥ المعنى

١٢٧ الترجمة

١٢٨ و من خطبه له عليه السلام و هي الرابعة و التسعون من المختار

١٢٨ اشاره

١٢٨ اللغة

١٢٩ الاعراب

١٢٩ المعنى

١٣٠ الترجمة

١٣١ و من اخرى و هي الخامسة و التسعون من المختار فى

١٣١ اشاره

١٣٢ اللغة

١٣٢ الاعراب

١٣٢ المعنى

١٣٤ الترجمة

١٣٥ و من كلام له عليه السلام و هو السادس و التسعون من المختار

١٣٥ اشارة

١٣٧ اللغة

١٣٩ الاعراب

١٤٠ المعنى

١٤٦ تكمله

١٤٧ الترجمة

١٤٩ و من كلام له عليه السلام و هو السابع و التسعون من المختار

١٤٩ اشارة

١٤٩ اللغة

١٥٠ الاعراب

١٥٠ المعنى

١٥٢ تنبيه

١٥٩ الترجمة

١٦٠ و من خطبه له عليه السلام و هي الثامنة و التسعون من المختار

١٦٠ اشارة

١٦١ اللغة

١٦١ الاعراب

١٦٢ المعنى

١٧١ الترجمة

١٧٢ و من اخرى و هي التاسعة و التسعون من المختار فى

١٧٢ اشارة

١٧٣ اللغة

١٧٣ الاعراب

١٧٤ المعنى

١٧٨ الترجمة

١٨٠ و من اخرى و هي المأه من المختار فى باب الخطب

١٨٠ اشارة

١٨١ اللغة

١٨٢ الاعراب

١٨٣ المعنى

١٨٩ الترجمة

١٩٠ و من خطبه له عليه السلام يجرى هذا المجرى و هى المأه

١٩٠ اشارة

١٩١ اللغة

١٩١ الاعراب

١٩١ المعنى

١٩٥ تنبيه

١٩٥ الترجمة

١٩٦ و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الثانيه من المختار

١٩٦ اشارة

١٩٦ الفصل الاول

١٩٦ اشارة

١٩٧ اللغة

١٩٨ الاعراب

١٩٨ المعنى

٢٠٤ الترجمة

٢٠٥ الفصل الثاني

٢٠٥ اشارة

٢٠٦ اللغة

٢٠٧ الاعراب

٢٠٧ المعنى

٢٠٧ اشارة

و ينبغي التنبيه على امور: ----- ٢٠٨

الاول ----- ٢٠٨

الفائده الاولى ----- ٢٠٩

الفائده الثانيه ----- ٢١١

الفائده الثالثه ----- ٢١٤

الفائده الرابعه الخلاص من شر الناس ----- ٢١٦

الفائده الخامسه ----- ٢١٧

الفائده السادسه ----- ٢١٨

الثاني ----- ٢١٩

بقي الكلام في السعايه ----- ٢٢٢

الثالث ----- ٢٢٣

الترجمه ----- ٢٢٥

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثالثه من المختار ----- ٢٢٦

اشاره ----- ٢٢٦

اللغه ----- ٢٢٦

الاعراب ----- ٢٢٧

المعنى ----- ٢٢٧

اشاره ----- ٢٢٧

تكمله ----- ٢٢٩

الترجمه ----- ٢٣١

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الرابعه من المختار ----- ٢٣٢

اشاره ----- ٢٣٢

الفصل الاول ----- ٢٣٢

اشاره ----- ٢٣٢

اللغه ----- ٢٣٣

الاعراب ----- ٢٣٣

المعنى ٢٣٤

الترجمه ٢٤٢

الفصل الثانى ٢٤٣

اشاره ٢٤٣

اللغه ٢٤٤

الاعراب ٢٤٤

المعنى ٢٤٥

الترجمه ٢٧١

و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الخمسه من المختار ٢٧٢

اشاره ٢٧٢

الفصل الاول ٢٧٢

اشاره ٢٧٢

اللغه ٢٧٣

الاعراب ٢٧٤

المعنى ٢٧٤

اشاره ٢٧٤

أما الفصل الاول ٢٧٥

و أما الفصل الثانى ٢٧٨

و هنا لطيفه يعجبني ايرادها فى المقام ٢٨٠

تكمله ٢٨٥

الترجمه ٢٨٦

الفصل الثانى ٢٨٨

اشاره ٢٨٨

اللغه ٢٨٨

الاعراب ٢٨٩

المعنى ٢٨٩

الترجمه ----- ٢٩١

و من خطبه له عليه السلام فى بعض ايام صفين و هى المأه ----- ٢٩٢

اشاره ----- ٢٩٢

اللغه ----- ٢٩٣

الاعراب ----- ٢٩٣

المعنى ----- ٢٩٣

الترجمه ----- ٢٩٥

و من خطبه له عليه السلام و هى من خطب الملاحم و المأه ----- ٢٩٥

اشاره ----- ٢٩٥

الفصل الاول ----- ٢٩٥

اشاره ----- ٢٩٥

اللغه ----- ٢٩٧

الاعراب ----- ٢٩٨

المعنى ----- ٢٩٩

اشاره ----- ٢٩٩

اما الاول ----- ٢٩٩

و أما الثانى منها ----- ٣٠٠

و أما الثالث منها ----- ٣٠٢

الترجمه ----- ٣١٢

الفصل الثانى ----- ٣١٣

اشاره ----- ٣١٣

اللغه ----- ٣١٥

الاعراب ----- ٣١٦

المعنى ----- ٣١٦

الترجمه ----- ٣٢٢

و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الثامن من المختار ----- ٣٢٤

٣٢٤ اشارة

٣٢٤ الفصل الاول

٣٢٤ اشارة

٣٢٥ اللغة

٣٢٦ الاعراب

٣٢٩ المعنى

٣٤١ الترجمة

٣٤٣ الفصل الثاني

٣٤٣ اشارة

٣٤٥ اللغة

٣٤٥ الاعراب

٣٤٧ المعنى

٣٤٧ اشارة

٣٥٩ ايقاظ

٣٦٣ تنبيه

٣٧٢ الترجمة

٣٧٥ الفصل الثالث

٣٧٥ اشارة

٣٧٦ اللغة

٣٧٧ الاعراب

٣٧٨ المعنى

٣٨٩ الترجمة

٣٩٠ الفصل الرابع

٣٩٠ اشارة

٣٩٠ اللغة

٣٩١ الاعراب

المعنى ٣٩١

اشاره ٣٩١

اما الامر الاول ٣٩١

و أما الامر الثانى ٣٩٣

الترجمه ٣٩٨

و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و التاسعه من المختار ٣٩٨

اشاره ٣٩٨

اللغه ٤٠٠

الاعراب ٤٠٠

المعنى ٤٠٢

اشاره ٤٠٢

أسباب الزلفى و التقرب ٤٠٢

اشاره ٤٠٢

و محضل شروط الكمال أن لا يكون يوم صومه كيوم فطره، و مداره ٤٤٨

منها غصّ السمع و البصر عن محارم الله ٤٤٩

و منها حفظ اللسان عن الهذيان و الكذب و الغيبه و التميمه و الفحش و الخصومه ٤٤٩

و منها ترك شمّ الزياحين ٤٥٠

و منها الكفّ عن الافطار على الشبهات ٤٥٠

و منها أن لا يكثر من الحلال وقت الافطار ٤٥٠

و منها أن يكون قلبه بعد الافطار مضطربا بين الخوف و الرجاء ٤٥١

درباره مرکز ٤٥٨

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

اشاره

منها في صفه الارض و دحوها على الماء كبس الأرض على مور أمواج مستفحله، و لجج بحار زاخره، تلتطم أو اذى أمواجهها، و تصطفق متقاذفات أثباجها، و ترغو زبدا كالفحول عند هياجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها، و سكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها، و ذلّ مستخذئا إذ تمعكت عليه بكواهلها، فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيا مقهورا، و في حكمه الذلّ منقادا أسيرا، و سكنت الأرض مدحوه في لجه تياره، و ردّت من نخوه بأوه و اعتلائه، و شموخ أنفه و سموّ غلوائه، و كعتمته على

كُظِّلَ جريته، فهدم بعد نزقاته، و لبد بعد زيفان و ثباته، فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها، و حمل شواحق الجبال البذخ على أكتافها، فجر ينابيع العيون من عرائن أنوفها، و فرقها في سهوب بيدها و أخاديدها، و عدل حركاتها بالتراسيات من جلاميدها، و ذوات الشناخيب الشم من صيا خيدها، فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها و تغلغلها، متسرّبه في جوبات خياشيمها و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها، و فسح بين الجوّ و بينها، و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها، و أخرج إليها أهلها على تمام مرافقها، ثم لم يدع جرز الأرض التي تقصر مياه العيون عن روايها، و لا تجد جداول الأنهار ذريعه إلى بلوغها، حتّى أنشأ لها ناشئه سحب تحيي مواتها، و تستخرج نباتها، ألف غمامها بعد افتراق لمعه، و تباين قزعه، حتّى إذا تمخضت لجه المزن فيه، و التمع برقه في كففه، و لم ينم و ميضه في كنهور ربابه، و متراكم سحب، أرسله سحّا متداركا قد أسف هيدبه، تمر به الجنوب درر أهاضييه، و دفع شئابييه، فلما ألقت السحاب برك بوانيتها، و بعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها، أخرج به من هو امد الأرض النبات، و من زعر الجبال

الأعشاب فهي تبهج بزينة رياضها، و تزد هي بما ألبسته من ريط أزاهيرها، و حليه ما سمّطت به من ناضر أنوارها، و جعل ذلك بلاغا للأنام، و رزقا للأنعام، و خرق الفجاج في آفاقها، و أقام المنار للسالكين في جواد طرقها.

اللغة

(دحا) الله الأرض يدحوها دحوا بسطها و دحيا لغه و (كبس) الرجل رأسه في قميصه اذا أدخله فيه و كبس البئر و النهر اذا طنّها بالتراب و في شرح المعتزلي كبس الأرض أى أدخلها الماء بقوة و اعتماد شديد و (استفحل) الأمر تفاقم و اشتدّ و (اللّجج) جمع اللّجه و هي معظم الماء قال سبحانه:

«فِي بَحْرِ لُجْجٍ يَغْشَاءُ مَوْجٌ» و (الأواذى) جمع الآذى بالمدّ و التشديد و هو الموج الشديد و (الصفق) الضرب يسمع له صوت و الصرف و الرّد و (الشبج) بتقديم الثاء المثلثة على الباء الموحّده معظم البحر و الجمع أثباج كسبب و أسباب و في شرح المعتزلي أصل الشبج ما بين الكاهل الى الظهر و المراد أعالي الأمواج و (ترغو زبدا) من الرغا و هو صوت الابل و قيل من الرغوه مثلثه و هي الزبد يعلو الشىء عند غليانه يقال: رغا اللبن أى صارت له رغوه ففيه تجريد و (جماح) الماء غليانه من جمح الفرس اذا غلب فارسه و لم يملكه و (هيج) الماء ثورانه و فورته و (الارتماء) الترامى و التقاذف و أصل (الوطى) الدّوس بالقدم و (الكلكل) بالتخفيف الصدر قال امرء القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه و أردف اعجازا و ناء بكلكل

و ربما جاء فى ضروره الشّعر بتشديد اللام الثانيه و (ذلّ) أى صار ذليلا أو ذلوا ضدّ الصّعب و فى بعض النسخ كلّ أى عرض له الكلال من كلّ السيف اذا لم يقطع و (المستخذى) بغير همز كما فى النسخ الخاضع و المنقاد و قد يهمز على الأصل

و (تمعكت) الدابة تمرغت فى التراب و (الكاهل) ما بين الكتفين و (الاصطخاب) افتعال من الصخب و هو كثره الصياح و اضطراب الأصوات و (الحكمه) محرّكه وزان قصبه حديده فى اللجام تكون على حنك الفرس تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح و نحوه مأخوذه من الحكم و هو المنع يقال: حكمت عليه بكذا اذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج منه و (التيار) الموج و قيل أعظم الموج، و لجّته أعمقه و (النخوه) الافتخار و التعظم و الانفخ و الحميه و (البأو) الكبر و الفخر يقال بأى كسعى و كدعا قليل بأوا و بأواء فخر و تكبر و نفسه رفعها و فخر بها و (شمخ) الجبل شموخا علا و طال و الرّجل بأنفه تكبر و (الغلواء) بضم الغين المعجمه و فتح اللّام و قد تسكن الغلو و أوّل الشّباب و سرعته و مثله الغلوان بالضمّ و (كعمت) البعير من باب منع شددت فاه بالكعام و هو على وزن كتاب شىء يجعل فى فيه اذا هاج لثلا يعصّ أويأ كل و (الكظه) شىء يعترى الممتلى من الطعام يقول: كظه الطعام ملأه حتى لا يطيق التنفس و اكتظّ المسيل بالماء ضاق به لكثرتة أو هو من الكظاظ وزان كتاب و هو الشّدّه و التّعب و طول الملازمه و (الجريه) بكسر الجيم مصدر جرى الماء أو حاله الجريان و (همدت) الريح سكنت و همود النار خمودها و (نرق) الفرس من باب نصر و ضرب و سمع نرقا و نزوقا نزي و وثب و التزقات دفعاته و (لبد) بالأرض من باب نصر لبودا لزما و أقام بها و منها اللبد وزان صرد و كتف لمن لا يبرح منزله و لا يطلب معاشا و (زاف) البعير يزيّف زيفا و زيفانا تبختر فى مشيته و فى بعض النسخ بعد زفيان و ثباته بتقديم الفاء على الياء و هو شدّه هبوب الريح يقال: زفت الريح السحاب اذا طردته و (الوثبه) الطفره و (الأكناف) بالنون جمع الكنف محرّكه كالأسباب و السبب و هو الجانب و الناحيه و (شواحق) الجبال عواليها و (البذخ) جمع الباذخ و هو العالى و (الينبوع) ما انفجر من الأرض من الماء و قيل الجدول الكثير الماء و (عرنين الانف) أوّله تحت مجتمع الحاجيين و (السّهب) الفلاه البعيده الأكناف و الأطراف و (البيد) بالكسر جمع بيداء و هى الفلاه التى تبيد

سالكها

أى ينقطع و يهلك و (الأخاديد) جمع الأخدود و هو الشقّ فى الأرض قال تعالى:
«قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ».

و (الراسيات) جمع الراسيه من رسى السفينه وقفت على البحر و ارسيته قال تعالى:
«بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا».

و (الجلاميد) جمع جلمدوزان جعفر و هو الصخر كالجلمود بضّم و (الشناخيـب) جمع شـنخوب بالضّم أيضا و هو أعلى الجبل و (الشم) جمع الشميم أى المرتفع و (الصياخيد) جمع الصّيخود و هى الصخره الصلبه (فى قطع) اديمها فى بعض النسخ وزان عنـب جمع قطعه بالكسر و هى الطائفه من الشىء تقطع و الطائفه من الأرض اذا كانت مفروزه و فى بعضها بسكون الطاء وزان حبر و هى نفسه (١) يجعلها الراكب تحته و يغطى كتفى البعير و جمعه قـطوع و أقـطاع و (أديم) الأرض وجهها و الأديم أيضا الجلد المدبوغ و (التغلغل) الدخول و (السّـرب) محرکه بيت فى الأرض لا منفذله يقال: تسرب الوحش و انسرب فى جحره أى دخل و (الجوبه) الحفره و الفرجه و (الخيـشوم) أقصى الانف و (جرثومه) الشىء أصله و قيل التراب المجتمع فى اصول الشجره و هو الأنسب و (فسح) له من باب منع أى وسّع و (المتنـسّم) موضع التنسّم و التّنفس من تنسّم اذ اطلب النسيم و استنشقه و (مرافق) الدّار ما يستعين به أهلها و يحتاج اليه فى التعيش و فى القاموس مرافق الدار مصاب الماء و نحوها و (الجرز) بضمـتين الأرض التى لانبات بها و لا ماء و قال تعالى:

«أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ» و (الرابيه) ما ارتفع من الأرض و كذلك الربوه بالضّم و (الجدول) وزان جعفر النهر الصغير و (ناشئه) السّحاب أوّل ما ينشأ منه أى يبتدئ ظهوره، و يقال: نشأت

ص:٦

السَّحاب إذا ارتفعت و (الغمام) جمع غمامه بالفتح فيهما و هي السحابه البيضاء و (اللمع) على وزن صرد جمع لمعه و هي في الأصل قطعه من النبت إذا اخذت في اليبس كأنها تلمع و تضيء من بين ساير البقاع و (القزع) جمع قزعه بالتحريك فيهما و هي القطعه من الغيم و في الحديث كأنهم قزع الخريف و (تمخضت) أى تحركت بقوة من المخض و هو تحريك السقاء الذى فيه اللبن ليخرج زبده و (المزن) بضم الميم جمع مزنه و هي السحابه و (كففه) حواشيه و جوانبه و طرف كل شىء كفه بالضم و عن الاصمعى كل ما استطال كحاشيه الثوب و الرمل فهو كفه بالضم و كل ما استدار ككفه الميزان فهو كفه بالكسر و يجوز فيه الفتح و (و ميض) البرق لمعانه و (الكنهور) وزان سفرجل قطع من السحاب كالجبال أو المتراكم منه و (الرباب) السحاب الأبيض جمع ربابه و فى شرح المعتزلى يقال: أنه السحاب الذى تراه كأنه دون السحاب و قد يكون أسود و قد يكون أبيض و (المتراكم) و المرتكم المجتمع و (السح) الصب و السيلان من فوق و (تدارك) القوم إذا لحق آخرهم أولهم و (اسف) الطائر دنا من الأرض و (الهيدب) السحاب المتدلى أو ذيله من هدبت العين طال هدبها و تدلى أشفارها و (تمريه) الجنوب من مرى الناقه يمرىها أى مسح ضرعها فامرت هى أى درّ لبنها و عدى ههنا إلى مفعولين و فى بعض النسخ تمرى بدون الضمير هكذا قال فى البحار و الأنسب عندى أن يجعل تمرى على تقدير وجود الضمير كما فى اكثر النسخ بمعنى تستخرج يقال:

مرى الشىء إذا استخرجه و هو احد معانيه كما فى القاموس و (الدرر) كعنب جمع درّه بالكسر و هو الصبّ و الاندقاق و (الأهاضيّب) جمع هضاب و هو جمع هضب و هو المطر و (دفع) جمع دفعه بضم الدال فيهما و هى المره من المطر و (الشآيب) جمع شؤبوب و هو ما ينزل من المطر دفعه بشدّه و قوّه و (البرك) الصدر و (البوانى) قوائم الناقه و فى شرح المعتزلى بوانىها بفتح النون تشبه بوان على فعال بكسر الفاء و هو عمود الخيمه و الجمع بون، قال فى البحار فى النسخ القديمه المصححه على صيغه الجمع و فى النهايه فسّر البوانى بأركان البنيه و فى القاموس بقوائم الناقه قال:

والبوانى أضلاع الزور(١) و قوائم الناقه(٢) و القى بوانيه أقام و ثبت (و البعاع) كالسحاب ثقله من المطر و (استقلت) أى نهضت و ارتفعت و استقلت به حملته و رفعته و (العب) بالكسر وزان حبر الحمل و الثقل و (الهوامد) من الأرض التى لانبات بها و (زعر) الجبال بالضمّ جمع أزعر كحمر و أحمر و هى القليله النبات و أصله من الزعر بالتحريك و هو قله الشعر فى الرأس يقال رجل أزعر و (الأعشاب) جمع عشب كقفل و هو الرطب من الكلاء و (بهج) يبهج من باب منع سرّ و فرح و فى بعض النسخ بضمّ الهاء من باب شرف أى حسن و (تردهى) افتعال من الزهو و هو الكبر و الفخر و (البسته) فى بعض النسخ بالبناء على الفاعل و فى بعضها بالبناء على المفعول و (الريط) جمع ريطه بالفتح فيها و هى كلّ ملاء غير ذات لفقين اى قطعتين كلها نسج واحد و قطعه واحده، أو كلّ ثوب رقيق لثين و (الأزاهير) جمع أزهار جمع زهره بالفتح و هى النبات أو نورها و قيل الأصفر منه و أصل الزهره الحسن و البهجه و (الحليه) ما يتزّين به من مصوغ الذهب و الفضة و المعدنيات و (سمّطت) بالسین المهمله على البناء للمفعول من باب التفعيل أى علّقت و فى بعض النسخ الصحيحه بالشين المعجمه من الشمط محرّكه و هو بياض الرأس يخالط سواده فمن النبات ما يخالط سواده النور الأبيض و فى القاموس شمطه يشمطه خلطه و الاناء ملاء و النخله انتشر بسرّها و الشجر انتشر ورقه و الشميط من النبات ما بعضه هائج و بعضه أخضر و (البلاغ) ما يتبلغ به و يتوسل إلى الشىء المطلوب و (الفج) الطريق الواسع بين الجبلين و الفجاج جمعه و (الجاده) وسط الطريق و معظمه

الاعراب

على فى قوله عليه السّلام على مور بمعنى فى كما فى قوله تعالى: دخل المدينه على حين غفله، و جمله تلتطم منصوبه المحلّ على الحالیه، و او اذى بالرفع فاعله، و ترغو زبدا إن كان ترغو من الرغا فزبدا منصوب بمقدّر أى ترغو قاذفه زبدا، و إن كان من

ص:٨

١- (١) الزور وسط الصدر، ق

٢- (٢) و فى القاموس فى باب النون البوان بالضم و الكسر عمود للخباء جمعه ابونه و بون بالضم كصرد، منه

الرَّغْوَهُ فانتصابه به على التجريد أى ترمى زبدا و يشعر بتضمّنه معنى ترمى قوله عليه السّلام فى الخطبه الاولى: فرمى بالزّبد ركامه، فافهم و مدحوّه منصوبه على الحال، و فى لجه إما للظرفه أو بمعنى على و الأوّل أولى إذ الأصل الحقيقه و قوله: ردّت فاعله ضمير مستكن عايد إلى الأرض و مفعوله محذوف و هو الضمير الراجع إلى جماع الماء و الباء فى قوله، بالراسيات تحتل الصله و السّيبه كما سنشير اليه، و ذوات الشناخيب بالكسر عطف على جلا ميدها، و تغلغلها و ركوبها بالجرّ معطوفان على الرسوب، و قوله: متسربه حال مؤكده من ضمير تغلغلها على حدّ قوله تعالى: و لى مدبرا، و على فى قوله على تمام مرافقها للاستعلاء متعلّق بمحذوف أى مستقرّين و متمكّنين على تمام مرافقها، و أرسله جواب إذا تمخضت، و سّحا حال من مفعول أرسل و المصدر بمعنى الفاعل و قوله: تمرية الجنوب در رءاها ضييه، الضمير فى تمرية مفعول بالواسطه و الجنوب فاعله و الدّرر مفعول به أى تمرى الجنوب منه درر أهاضييه، و الاضافه فى برك بوانيهما لأدنى ملابسه

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق للإشاره إلى قدرته سبحانه و تدبيره فى كيفيه ايجاد الأرض و دحوها على الماء و خلقه الغمام و المطر و البرق و النبات و الأنهار و الأزهار و متضمّن لما أعدّ الله للناس فيها من المنافع العظيمه و الفوايد الجسيمه، و الرّفد الروافغ، و النعم السوابغ و هو قوله عليه السّلام:

(كبس الأرض على مور أمواج مستفحله) استعار لفظ الكبس لخلقها لها غائضا معظمها فى الماء كما يغوص و يكبس بعض الزقّ المنفوخ و نحوه فى الماء بالاعتماد عليه، و وصف الأمواج بالاستفحال لشدّتها أو لكونها كالفحول فى الصّوله (و لجج بحار زاخره) أى كثيره مائها مرتفعه أمواجها حال كونها (تلتطم أو اذى أمواجها) أى تضرب شدايد أمواجها بعضها بعضا (و تصطفق متقاذفات أثباجها) أى تردّ متراميات أمواجها العاليه المعظمه (و ترغو زبدا كالفحول عند هياجها) أى تصوت قاذفه زبدا

أو ترمى زبدا عند اضطرابه و غليانه كالفحول الهايجه (فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها) استعار لفظ الجماع لغليان الماء و اضطرابه و جريانه على غير نسق كما يجمع الفرس الجموح بحيث لا- يتمكن من ردّه و منعه يقول عليه السّلام: ذلّ اضطراب الماء لثقل حمل الأرض عليه (و سكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلّكها) أى سكن ثوران تراميه و تقاذفه حين و طئته الأرض و داسته بصدرها تشبيها لها بالنّاقه و تخصيص الصدر بالذكر لقوته (و ذلّ مستخدّيا إذ تمعّكت عليه بكواهلها) أى صار ذليلا منقادا حين تمرغت عليه الأرض كالدّابه المتمرغه و تخصيص الكواهل بالذكر للقوّه أيضا (فأصبح بعد اصطخاب أمواجه) و اضطرابها (ساجيا مقهورا) أى ساكنا مغلوبا (و فى حكمه الذلّ منقادا اسيرا) كالدّابه المذلّه بالحكمه المنقاداه لصاحبها، هذا و محصل كلامه عليه السّلام من قوله: فخضع إلى هنا أنّ هيجان الماء و غليانه و موجه سكن بوضع الأرض عليه و استشكال فيه بأنّ ذلك خلاف ما نشاهده و خلاف ما يقتضيه العقل لأنّ الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقیل اضطرب و تموّج و صعد علوّا فكيف الماء المتموّج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه و اجيب بأنّ الماء إذا كان تموّجه من قبل ريح هايجه جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلك الرّيح، و لذلك إذا جعلنا فى الاناء ماء، و روّحناه بمروحه يموّجه فانه يتحرّك، فان جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الاناء و روّحناه بالمروحه فانّ الماء لا يتحرّك لأنّ ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحه و بين سطح الماء، فمن الجائز أن يكون الماء الأوّل هائجا لاجل ريح محرّكه له فاذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الرّيح و قد مرّ فى كلامه عليه السّلام فى الفصل الثامن من فصول الخطبه الأولى ذكر هذه الرّيح و هو قوله عليه السّلام: ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها و أدام مربها إلى أن قال:

أمرها بتصفيق الماء الزخار واثاره موج البحار فمخضه مخض السقاء و عصفت به عصفها بالفضاء، إلى آخر ما مرّ قال المحدث العلامة المجلسي ره في البحار بعد ذكر هذا الاشكال و الجواب:

و الأولى أن يقال: إنّ غرضه عليه السلام ليس نفى التمّوج مطلقا بل نفى الشديد الذي كان للماء اذ حمله سبحانه على متن الريح العاصفه و الزعزع القاصفه بقدرته الكامله و أنشأ ريحا تمخضه مخض السقاء فكانت كره الماء تدفق من جميع الجوانب و ترد الريح أوله على آخره و ساجيه على مائره كما مرّ في كلامه عليه السلام أى في الفصل المذكور من الخطبه الأولى، ثمّ لما كبس الأرض بحيث لم يحط الماء بجميعها فلا ريب في انقطاع الهبوب و التمويج من ذلك الجانب المماسّ للأرض من الماء و أيضا لمّا منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذ ليست الأرض كالهواء المنفتق المتحرّك الذي كان ينتهي اليه ذلك الحدّ من الماء كان ذلك أيضا من أسباب ضعف التمّوج و قلّه التلاطم و أيضا لمّا تفرقت كره الماء في أطراف الأرض و مال الماء بطبعه الى المواضع المنخفضه من الأرض و صار البحر الواحد المجتمع بحارا متعدّده و ان اتّصل بعضها ببعض و احاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلّا من جهة السطح الظاهر سكنت الفوره الشديده بذلك التفرّق و قلّه التعمّق و انقطاع الهبوب، و كلّ ذلك من أسباب السكون الذي أشار اليه عليه السلام و أقول: و ممّا يبيّن ذلك أنه إذا فرضنا حوضا يكون فرسخا في فرسخ و قدّرنا بناء عماره عظيمه في وسطه فلا ريب في أنّه يقلّ بذلك أمواجه، و كلّما وصل موج من جانب من الجوانب اليه يرتدع و يرجع ثمّ إنّ هذه الوجوه إنما تبدى جريا على قواعد الطبيعيتين و خيالاتهم الواهيه و إلّا فبعد ما ذكره عليه السلام لا حاجه لنا الى إبداء وجهه، بل يمكن أن يكون لخلق الأرض و كبسها في الماء نوع آخر من التأثير في سكونه لا تحيط به عقولنا الضعيفه كما قال عليه السلام: (و سكنت الأرض) حال كونها (مدحوّه) مبسوطه (في لجه تياره)

أى أعمق موجه و معظمه (و ردّت الماء من نخوه بأوه و اعتلائه) أى فخره و ترفعه (و شموخ انفه و سَمَو غلوائه) أى تكبّره و علوّ غلّوه و هذه كلّها استعارات للماء فى هيجانه و اضطرابه بملاحظه مشابهته بالانسان المتجبر المتكبر التياه فى حركاته و أفعاله و الغرض بيان سكون الأرض فى الماء المتلاطم و منعها إياه من تمّوجه و هيجانه (و كعمته على كظّه جريته) و المراد بكظّه الجريه ما يشاهد من الماء الكثير فى جريانه من الثقل نحو ما يعترى المملّى من الطعام، أو أراد به شدّه جريانه و طول ملازمته له، أو التعب العارض له من الجريان على سبيل الاستعاره تشبيها له بالانسان المتعب من كثره المزاوله لفعل (فهمد بعد نزقاته) أراد به سكونه بعد وثباته و (لبد بعد زيفان وثباته) أى أقام بعد تبختره فى طفراته (فلما سكن هيج الماء من تحت أكتافها) يعنى أطراف الأرض و جوانبها (و حمل شواهد الجبال البذخ على اكتافها) استعار عليه السّلام لفظ الاكتاف للأرض لكونها محلا لحمل ما يثقل من الجبال كما أنّ كتف الانسان و غيره من الحيوان محلّ، لحمل الأثقال (فجر ينابيع العيون) لعله عليه السّلام اعتبر فى ينبوع الجريان بالفعل فيكون من قبيل اضافه الخاص الى العام، أو التكرير للمبالغه، و إن كان ينبوع بمعنى الجدول الكثير الماء على ما مرّ فهو مستغن عن التكلّف و قوله:

(من عرانيين انوفها) من باب الاستعاره تشبيها للجبال بالانسان و لأعاليها و رؤوسها بعرينيه و أنفه، و انما خصّ الجبال بتفجّر العيون فيها لأنّ العيون أكثر ما يتفجّر من الجبال و الأماكن المرتفعه و أثر القدره فيها أظهر و نفعها أتمّ (و فرقها) أى الينابيع (فى سهوب بيدها و أخاديدها) المراد بالأخاديد مجارى الأنهار (و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها) قال المحدث المجلسى «قد» لعلّ تعديل الحركات بالراسيات أى الجبال الثابتات جعلها عذिला للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركه فيستفاد سكونها فالباء صلّه

لا سببيه، أو المعنى سوى الحركات فى الجهات أى جعل الميول متساويه بالجبال فسكنت لعدم المَرَجِّح فالباء سببيه، و يحتمل أن يكون المراد أنه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرَّك بالزلازل و قد لا تتحرَّك و لم يجعل الحركه غالبه على السكون مع احتمال كونها دائما متحرَّكه بحركه ضعيفه غير محسوسه، و من ذهب الى استناد الحركه السريعه الى الأرض لا يحتاج إلى تكلف و كيف كان فالمعنى أنه سبحانه عدل حركات الأرض بالجبال الثابته من صخورها و ب (ذوات الشناخيب الشم من صياخيدها) أى بصاحبات الرؤوس المرتفعه من صخورها الصلبه (فسكنت) الأرض (من الميدان) و الاضطراب (برسوب الجبال فى قطع اديمها) أى دخولها فى قطعات وجه الأرض و أعماقها (و تغلغلها متسربه فى جوبات خياشيمها) أى دخولها حال كونها نافذه فى حفرات انوف الأرض و فرجاتها (و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها) استعار لفظ الركوب للجبال و الأعناق للأرضين كناية عن الحاقهما بالقاهر و المقهور و ذكر السهول ترشيح، و لعل المراد بجراثيمها المواضع المرتفعه منها و مفاد هذه الفقرات أن الأرض كانت متحرَّكه مضطربه قبل خلق الجبال فسكنت بها، و ظاهره أن لنفوذ الجبال فى أعماق الأرض و ظهورها و ارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلا فى سكنونها و قد مرّ الكلام فى ذلك فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه الاولى فتذكر (و فسح بين الجوّ و بينها) لعل فى الكلام تقدير مضاف أى وسّع بين منتهى الجوّ و بينها، أو المراد بالجوّ منتهاه إى السطح المقعر للسماء (و أعدّ الهواء متنسما لساكنها) أى جعل الهواء محلاً لطلب النسيم و استنشاقه و فائدته ترويح القلب حتّى لا يتأذى بغلبه الحراره (و أخرج اليها أهلها على تمام مرافقها) و المراد به ايجادهم و إسكانهم فيها بعد تهيئه ما يصلحهم لمعاشهم و التزوّد لمعادهم (ثم لم يدع) سبحانه و تعالى (جرز الأرض التى) لا نبات بها و لا ماء من حيث إنها (تقصر مياه العيون عن) سقى (روابيها) و مرتفعاتها (و لا تجدجد اول الأنهار ذريعه)

و وسيله (الى بلوغها) و الوصول إليها(حتى أنشأها ناشئه سحب تحيى مواتها) من باب المجاز فى الاسناد(و) كذلك(تستخرج نباتها)لأن المحيى و المخرج هو الله سبحانه و السحاب سبب قال الله تعالى:

«وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ».

و قال:«وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ».

(الف) تعالى (غمامها) الضمير راجع إلى الأرض كساير الضمائر و الاضافه لأدنى ملابسه و المراد أنه سبحانه ركب السحاب المعدّه لسقيها (بعد افتراق لمعه و تباين قزعه) أى بعد ما كانت أجزائها اللامعه متفرقه و قطعاتها متباينه متباعده (حتى اذا تمخضت لحيه المزن فيه) الضمير راجع الى المزن أى حتى اذا تحرّكت اللّجه أى معظم الماء المستودع فى الغيم و استعدّت للنزول (و التمع برقه فى كفه) أى أضاء البرق فى جوانبه و حواشيه (و لم ينم و ميضه) أى لم ينقطع لمعان البرق (فى كنهور ربابه) أى فى القطع العظيمه من سحابه البيض (و متراكم سحابه) أى المجتمع الذى ركب بعضه بعضا (أرسله) الله سبحانه (سحّا متداركا) أى حالكونه يصبّ الماء صبّا متلاحقا (قد أسفّ هيدبه) و دنا من الأرض ما تدلّى منه حالكونه (تمريه الجنوب درر أهاضيبه) أى تستخرج منه الجنوب أمطاره المنصبّه، و الجنوب ريح مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، و هى أدرّ للمطر و لذا خصّيه بالذكر و قوله عليه السّلام (و دفع شآيبه) أراد به الدّفعات من المطر المنزل به شدّه و قوّه (فلما ألقت السحاب برك بوانيه)استعار عليه السّلام لفظ البرك و البوان للسحاب و اسند إليه الالتقاء تشبيها لها بالجمل الذى أثقله الحمل فرمى بصدرة الأرض، أو بالخيمه التى جرّ عمودها على اختلاف التفسيرين المتقدمين (و بعاع ما استقلّت به من العبء

المحمول عليها) أى ثقل ما ارتفعت به من الحمل المحمول عليها يعنى المطر (أخرج) سبحانه (به) أى بذلك العبء (من هوامد الأرض) التى لا حياه بها ولا عود (النبات) كما قال تعالى:

«وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ».

(و من زعر الجبال) أى المواضع القليله النّبات منها (الأعشاب) و الرّطب من الكلاله (فهى) أى الأرض (تبهج) و تفرح (بزينه رياضها) و مستنقع مياهها (و تزدهى) و تفتخر (بما البسته من ريط أزاهيرها) أى بأشجار البست الأرض إياها لباس انوارها و على ما فى بعض النسخ من كون البسته بصيغه المجهول فالمعنى أنّ الأرض تفتخر بما اكتسبت به من النّبات و الأزهار و الأنوار فيكون لفظه من على هذا بيانا لما كما أنها على الأوّل صله لألبسته، و الثانى أظهر (و) تتكبر ب (حليه ما سمّطت) و علّقت (به من ناضر أنوارها) أى أنوارها المتصفه بالنضره و الحسن و الطراوه (و جعل) الله سبحانه (ذلك) أى ما انبت من الأرض (بلاغا للأنام) يبتلعون به و يتوسلون إلى مقاصدهم و مطالبهم (و رزقا للأنعام) تأكل منه و ترعى عند جوعها و حاجتها قال تعالى:

«وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ».

(و خرق الفجاج فى آفاقها) أى خلق الطرق على الهيئه المخصوصه بين الجبال فى نواحي الأرض و أطرافها قال سبحانه:

«الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» و قال: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسِيلُوا فِيهَا سُبُلًا فِجَاجًا».

(و أقام المنار للسالكين فى جواد طرقها) و المراد بالمنار العلامات التى يهتدى بها السالكون من الجبال و التلال أو النجوم، و الأول أظهر بملاحظه المقام و اعلم أنّ هذا الفصل لما كان متضمّناً لبعض ما فى عالم العناصر من دلائل القدره و بدائع الحكمة و عجائب الصنعه و ما أودع الله سبحانه فيه من المنافع العامه و الفوائد الثامه لا جرم أحببت تذييل المقام بهدايات فيها درايه على مقتضى الترتيب الذّكرى الذى جرى عليه هذا الفصل فأقول: و بالله التكلان و هو المستعان

الهدايه الاولى

فى دلائل القدره فى الأرض

و المنافع المعدّه فيها للخلق و هى كثيره لا- تحصى لكنّا نقتصر على البعض بما ورد فى الكتاب و أفاده أولو الأبواب فمنها أنه سبحانه جعلها مدحوّه على الماء و بارزه منه مع اقتضاء طبعها الغوص فيه و إحاطه البحار بها، و ذلك لحكمه الافتراش و أن يكون بساطا للنّاس كما قال تعالى:

«الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» و قال: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا» و قال: «اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا».

فلو كانت غائصه فى الماء لبطل تلك الحكمه فأخرج سبحانه بعض جوانبها من الماء كالجزيره البارزه حتى صلحت لأن تكون فراشا و مهادا و منها - كونها ساكنه فى حيزها الطبيعى و هو وسط الأفلاك لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق، و الفوق من جميع الجوانب مايلى السماء و التّحت مايلى المركز، فكما أنه يستبعد حرّكه الارض فيما بيننا إلى جهه السماء فكذلك يستبعد هبوطها فى مقابله ذلك لأنّ ذلك الهبوط صعود أيضا إلى السماء فاذن لاحتاجه فى سكّون الأرض و قرارها إلى علاقه من فوقها

ولا- دعامه من تحتها، بل يكفى فى ذلك ما أعطاها فالحقها، و ركز فيها من الميل الطبيعى إلى الوسط الحقيقى بقدرته «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ».

و منها - توسّطها فى الصلابه و اللين:

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا».

اذ لو كانت فى غايه الصلابه كالحجر لكان المشى و النوم عليها ممّا يولم البدن و لتعذرت الزراعه عليها و لا متنع إجراء الأنهار و حفر الآبار فيها و لم يمكن اتخاذ الأبنيه و الآنيه منها لتعذّر تركيبها، و لو كانت فى غايه اللين بحيث تغوص فيه الرّجل كالماء لا متنع الاستقرار و الافتراش و النوم و المشى و استحال الزرع و الحرث و منها أنه جعل لونها الغبراء لتكون قابله للأناره و الضياء إذ ما كان فى غايه اللطافه و الشفّافيه لا يستقرّ النور عليه، و ما كان كذلك فانه لا يتسخّن بالشمس فكان يبرد جدّا و لا يمكن جواره، هكذا قال الرازى و صدر المتألّهين. و الأولى ما فى شرح البحرانى «قد» من أنها لو كانت مخلوقه فى غايه الشفّافيه و اللطافه فأمّا أن تكون مع ذلك جسما سيّالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار عليه، أو يكون جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان و ما عليها بسبب انعكاس أشعه الشمس عليها كما يحرق القطن إذا قرب من المرايا المحاذيه للشمس و البلور، لكنها خلقها غبراء ليستقرّ النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونه، و خلقها كثيفه لئلا تنعكس الأشعه منها على ما فيها فتحرقه، فصارت معتدله فى الحرّ و البرد تصلح أن تكون فراشا و مسكنا للحيوان و منها كونها يتولّد منها النبات و الحيوان و المعادن «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ».

و منها أن يتخمر الرطب بها فيحصل التماسك في أبدان المركبات و منها اختلاف بقاعها فمنها أرض رخوه و صلبه و رمله و سبخه و عذبه و حزنه و سهله، و قال تعالى «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ».

و منها اختلاف ألوانها فأحمر و أبيض و أسود و رمادي اللون و أغبر، قال سبحانه «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَ حُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ» و منها انصداعها بالنبات «وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ» و منها كونها خازنه للماء المنزل من السماء «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ».

و منها إجراء العيون و الأنهار فيها «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ» «أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا».

و منها أن لها طبع السماحة و الجود تدفع إليها حبه واحده و هي تردّها عليك سبعمائه «كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ».

و منها موتها في الشتاء و حياتها في الربيع «فَسَقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ».

و منها انبثات الدّواب المختلفه فيها «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» «فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

و منها كونها مبدء الخلاق و منشأها «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى».

و جعل ظهرها مقرّ الأحياء و بطنها موطن الأموات «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا».

و منها ما فيها من النباتات المختلفه الألوان و الأنواع و المنافع «وَ أَتَيْتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ».

فبعضها للانسان و بعضها للحيوان «كُلُوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ».

و ما للانسان بعضها طعام و بعضها إدام و بعضها فواكه و بعضها دواء و بعضها لباس كالقطن و الكتان و منها ما فيها من الأحجار المختلفه، فبعضها للزينة كالذّرّ و الياقوت و العقيق و نحوها، و بعضها للحاجه كما تستخرج منه النّار، فانظر الى قلّه الأوّل و كثره الثانى، ثمّ انظر إلى قلّه المنفعه بذلك الخطير و كثره المنفعه بذلك الحقيق إلى غير ذلك من آثار القدره و دلائل الصنع و العظمه و العجائب و الغرائب التى يعجز عن إدراك معشارها عقول البشر، و يحتار فى البلوغ إليها الأذهان و الفكر

الثانيه

فى انفجار ينباع و العيون من الأرض

المشار إليه بقوله عليه السّلام: فجر

ينابيع الأرض من عرانب انوفها، فأقول: ظاهر قوله سبحانه:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَلَكَهٗ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» وقوله: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ».

هو كون ماء العيون والأنهار هو الماء المنزل من السحاب، و به صرح جمع من الأصحاب في باب طهوريه الماء بقول مطلق بعد الاستدلال عليها بقوله سبحانه:

«وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا».

و يدلّ عليه ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره قال في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى:

«وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ».

فهى الأنهار و العيون و الآبار، و محصل ذلك أنّ القادر المختار أنزل بقدرته الكامله و حكمته البالغه من السماء ماء فأسكنه في الأرض و أخرج منه في العيون و الآبار و القنى و الأنهار ما اقتضاه الحكمه و التدبير في بقاء نوع الانسان و الحيوان و إصلاح النباتات و الزراعات و غير ذلك من وجوه الحاجات، و إليه ذهب أبو البركات البغدادى حيث قال: إنّ هذه المياه متولّده من أجزاء مائه متولّده من أجزاء متفرّقه في ثقب أعماق الأرض و منافذها إذا اجتمعت، و يدلّ عليه أنّ مياه العيون و الأنهار تزيد بزياده الثلوج و الأمطار و قالت الحكماء: إنّ البخار إذا احتبس في داخل من الأرض لما فيها من ثقب و فرج يميل إلى جهه فيبرد بها فينقلب مياهها مختلطه بأجزاء بخاريه، فاذا كثر لوصول مدد متدافع إليه بحيث لا- تسعه الأرض أوجب انشقاق الأرض و انفجرت منه العيون.

أما الجارية على الولاء فهي إما لدفع تاليها سابقها أولا نجذابه إليه لضروره عدم الخلاء بأن يكون البخار الذي انقلب ماء و فاض إلى وجه الأرض ينجذب إلى مكانه ما يقوم مقامه لئلا يكون خلاء فينقلب هو أيضا ماء و يفيض، و هكذا استتبع كل جزء منه جزء آخر و أما العيون الراكده فهي حادثه من أبخره لم تبلغ من قوتها و كثرة موادها أن يحصل منها معاونه شديده أو يدفع اللاحق السابق و أما مياه القنى و الآبار فهي متولّده من أبخره ناقصه القوه عن أن يشقّ الأرض، فاذا ازيل ثقل الأرض عن وجهها صادفت منفذا تندفع إليه بأدنى حركه فان لم يجعل هناك مسيل فهو البئر، و إن جعل فهو القناه، و نسبه القنا إلى الآبار كنسبه العيون السياله إلى الراكده، و إنما كثر تفجّر العيون فى الجبال و الأماكن المرتفعه لشده احتقان الأبخرة تحتها بالنسبه إلى سائر الأماكن الهابطه الرخوه، فإنّ الأرض إذا كانت رخوه نفضت «نفذت خ ل» فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتدّ به و قال الشيخ: هذه الأبخرة إذا انبعث عيوناً أمّدت البحار بصبّ الأنهار إليها ثم ارتفع من البحار و البطائح و الأنهار و بطون الجبال خاصه أبخره اخرى، ثم قطرت ثانيا إليها فقامت بدل ما يتحلّل منها على الدّور دائما

الثالث

فى حكمه خلق الهواء المشار إليها بقوله: و أعدّا لهواء متنسما لساكنها،

فأقول: فيه نفع عظيم للإنسان و الحيوان، لأنّه من ضروريّات العيش لأنها مادّة النفس الذى لو انقطع ساعه عن الحيوان لمات، و قيل هنا: إنّ كلّ ما كانت الحاجه إليه أشدّ كان وجدانه أسهل و لمّا كان احتياج الإنسان إلى الهواء أعظم الحاجات حتّى لو انقطع عنه لحظه لمات لا جرم كان وجدانه أسهل من وجدان كلّ شىء، و بعد الهواء الماء، فإنّ الحاجه إليه أيضا شديده فلا جرم سهل أيضا وجدان الماء، و لكن وجدان الهواء أسهل لأنّ الماء لا بدّ فيه من تكلف الاعتراف بخلاف الهواء

فإن الآلات المهيّاه لجذبه حاضره أبدا ثم بعد الماء الحاجه إلى الطعام شديده و لكن دون الحاجه إلى الماء فلا جرم كان تحصيل الطعام أصعب من تحصيل الماء و بعد الطعام الحاجه إلى تحصيل المعاجين و الادويه النادره قليله فلا جرم عزّت هذه الأشياء، و بعد المعاجين الحاجه إلى أنواع الجواهر من الياقوت و الزبرجد نادره جدّا فلا جرم كانت فى نهايه العزّه، فثبت أنّ كلّ ما كان الاحتياج إليه أشدّ كان وجدانه أسهل و كلّ ما كان الحاجه إليه أقلّ كان وجدانه أصعب، و ما ذاك إلاّ رحمه منه سبحانه على العباد قال الشاعر:

سبحان من خصّ القليل بعزّه و الناس مستغنون عن أجناسه

و أذلّ أنفاس الهواء و كلّ ذى نفس لمحتاج الى انفاسه

الرابعه

فى دلائل قدره و براهين الجلال و الجبروت

فى خلق السحاب و المطر و البرد و الثلج و الرّعد و البرق و الصّواعق قال تعالى:

«هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيَسْلُجُ الرِّعْدَ بِحَمِيدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ».

قال الرازى: فى كونها خوفا و طمعا وجوه الاول عند لمعان البرق يخاف وقوع الصّواعق و يطمع فى نزول الغيث الثانى أنه يخاف من المطر من له فيه ضرر كالمسافر و كمن فى خزينته التمر و الزبيب و يطمع فيه من له نفع الثالث أنّ كلّ شىء يحصل فى الدنيا فهو خير بالنسبه إلى قوم و شرّ بالنسبه إلى آخر فكذلك المطر خير فى حقّ من يحتاج فى أوانه و شرّ فى حقّ من يضرّه ذلك إما بحسب المكان أو بحسب الزّمان ثم اعلم أنّ حدوث البرق دليل عجيب على قدره الله سبحانه و بيانه أنّ السحاب

لا- شك أنه جسم مركب من أجزاء مائية و أجزاء هوائية «ناريه ظ» و لا- شك أن الغالب عليه الاجزاء المائيه و الماء جسم بارد رطب و النار جسم حارّ يابس، فظهور الضد من الضدّ التام على خلاف العقل فلا بدّ من صانع مختار يظهر الضدّ من الضدّ فان قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنّ الرّيح احتقن في داخل جرم السحاب و استولى البرد على ظاهره فانجمد السطح الظاهر منه، ثمّ إنّ ذلك الرّيح يمزقه تمزيقا عنيفا فيتولّد من ذلك التمزيق الشّديد حركه عنيفه و الحركه العنيفه موجهه للسّخونه و هي البرق فالجواب أنّ كلّ ما ذكرتموه خلاف المعقول من وجوه:

الأوّل أنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال أينما حصل البرق فلا بدّ و أن يحصل الرعد و هو الصوت الحاصل من تمزّق السحاب و معلوم أنه ليس الأمر كذلك فانه كثيرا ما يحدث البرق القوى من غير حدوث الرعد الثّاني أنّ السخونه الحاصله بسبب قوّه الحركه مقابله بالطبيعاه المائيه الموجهه للبرد، و عند حصول هذا المعارض القوى كيف تحدث النّاريه بل نقول:

النيران العظيمه ينتفى لصبّ الماء عليها و السّحاب كلّ ماء فكيف يمكن أن يحدث فيه شعله ضعيفه ناريه الثّالث من مذهبكم أنّ النار صرفه لا لون لها البتّه فهب أنه حصلت الناريه بسبب قوّه المحاكه الحاصله في أجزاء السحاب، لكن من أين حدث ذلك اللون الأحمر، فثبت أنّ السبب الذي ذكره ضعيف و أنّ حدوث النّار الحاصله في جرم السحاب مع كونه ماء خالصا لا يمكن إلّا بقدره القادر الحكيم و قال في قوله: و ينشأ السحاب الثقال: السحاب اسم الجنس و الواحده سحابه، و الثقال جمع ثقيله أى الثقال بالماء و اعلم أنّ هذا أيضا من دلائل القدره و العظمه، و ذلك لأنّ هذه الأجزاء المائيه إمّا يقال إنّها حدثت في جوّ الهواء أو يقال إنّها تصاعدت من وجه الأرض فان كان الأول و جب أن يكون حدوثها باحداث محدث حكيم قادر و هو المطلوب

وإن كان الثاني وهو أن يقال إنّ تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض فلما وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت و رجعت إلى الأرض فنقول: هذا باطل، وذلك لأنّ الأمطار مختلفه، فتاره تكون القطرات كبيره، و تاره صغيره، و تاره تكون متقاربه، و اخرى تكون متباعده، و تاره تدوم مدّه نزول المطر زمانا طويلا، و تاره قليلا، فاختلف الأمطار في هذه الصفات مع أنّ طبيعه الأرض واحده و طبيعه الأشعّه المسخنه للبخارات واحده لا بدّ و أن يكون بتخصيص الفاعل المختار و أيضا فالتجربه دلّت على أنّ للدّعاء و التضرّع في نزول الغيث أثرا عظيما و لذلك شرعت صلاه الاستسقاء فعلمنا أنّ المؤثر فيه قدره الفاعل لا الطبيعه الخاصه و في الصافي في قوله: «وَيَسِيحُ الرِّيحُ بِحَمْدِهِ»، روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلّم أنه سئل عن الرعد فقال: ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من النار يسوق بها السحاب و في الفقيه روى أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب و أصغر من الزنبور و فيه عن الصادق عليه السّلام أنّه بمنزله الرجل يكون في الابل فيزجرها هاى هاى كهيهه ذلك و قوله «وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» من خوفه و اجلاله «وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ» من عباده فيهلكه «وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ».

حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فيما يصفه تعالى من التفرد بالالوهيه «وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ».

أى المماحله و المكايده لأعدائه و قيل: من المحل أى شديد القوّه و قال على بن إبراهيم القمى أى شديد الغضب هذا و قال الرّازى فى تفسير قوله سبحانه:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ»

قال أهل الطبائع: إِنَّ تَكُونُ السحاب و المطر و الثلج و البرد و الطلّ و الصقيع في أكثر الأمر يكون من تكاثف البخار، و في الأقلّ من تكاثف الهواء، أمّا الأول فالبخار الصّاعد أن كان قليلا و كان في الهواء، من الحرارة ما يحلّل ذلك البخار فحينئذ ينحلّ و ينقلب هواء، و أمّا إن كان البخار كثيرا و لم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلّله فتلك الأبخرة المتصاعدة إمّا أن يبلغ في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء أولا- تبلغ، فان بلغت فامّا أن يكون البرد قويّا أو لا- يكون، فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد و اجتمع و تقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب، و المتقاطر هو المطر و الديمه، و الوابل إنما يكون من أمثال هذه الغيوم و أمّا إن كان البرد شديدا فلا يخلو إمّا أن يصل البرد إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها و انحلالها حبّات كبارا، أو بعد صيرورتها كذلك، فان كان على الوجه الأوّل نزل ثلجا، و إن كان على الوجه الثاني نزل بردا و أمّا إذا لم تبلغ الأبخرة إلى الطبقة فهي إمّا أن تكون قليلة أو تكون كثيرة، فان كانت كثيرة فهي تنعقد سحبا ماطرا و قد لا تنعقد، أمّا الأوّل فذاك لأحد أسباب خمسه أولها إذا منع هبوب الرّيح عن تصاعد تلك الأبخرة و ثانيها أن تكون الرّيح ضاغطة لها إلى اجتماع بسبب وقوف جبال قدام الرّيح و ثالثها أن تكون هناك رياح متقابلة متضادّة فتمتنع صعود الأبخرة حينئذ و رابعها أن يعرض للجزء المتقدم وقوف لثقله و بطوء حركته ثمّ تلتصق به سائر الأجزاء الكثيره المدد و خامسها لشده برد الهواء القريب من الأرض فقد يشاهد البخار يصعد في بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كأنّه مكبه موضوعه على و هذه و يكون الناظر إليها فوق تلك الغمامه و الذين يكونون تحت الغمامه يمطرون و الذين يكونون فوقها يكونون في الشمس أمّا إذا كانت الأبخرة القليله الارتفاع قليله لطيفه فاذا ضربها برد الليل

كثفها و عقدھا ماء يكون محسوسا و نزل نزولا متفرقا لا يحسّ به إلا عند اجتماع شيء يعتدّ به، فان لم يجمد كان طلاء، و إن جمد كان صقيعا و نسبه الصقيع إلى الطلّ نسبه الثلج إلى المطر و اما أن تكون السحاب من انقباض الهواء و ذلك عند ما يبرد الهواء و ينقبض و حينئذ تحصل منه الأقسام المذكوره و الجواب أنّا لما دللنا على حدوث الأجسام و توسّلنا بذلك إلى كونه قادرا مختارا يمكنه ايجاد الاجسام لم يمكننا القطع بما ذكرتموه، لاحتمال أنّه سبحانه خلق أجزاء السحاب دفعه لا بالطريق الذى ذكرتموه، و أيضا فهب أنّ الأمر كما ذكرتم و لكن الأجسام بالاتفاق ممكنه فى ذواتها فلا بدّ لها من مؤثر، ثمّ إنّها متماثلة فاخصاص كلّ واحد منها بصفه معيّنه من الصعود و الهبوط و اللطافه و الكثافه و الحراره و البروده لا بدّ له من مخصّص، فاذا كان هو سبحانه خالقا لتلك الطبايع و تلك الطبايع مؤثره فى هذه الأحوال و خالق السّيب و خالق المسبّب فكان سبحانه: هو الذى يزجى سحابا، لأنّه هو الذى خلق تلك الطبايع المحركه لتلك الأبخره من باطن الأرض إلى جوّ الهواء، ثمّ إنّ تلك الأبخره إذا ترادفت فى صعودها و التصق بعضها ببعض فهو سبحانه هو الذى: جعلها ركاما، فثبت على جميع التقريرات أنّ وجه الاستدلال بهذه الأشياء على قدره و الحكمه ظاهر يبيّن انتهى و تحقيق المقام هو ما ذكره بما لا مزيد عليه و أقول: دلائل قدره فى خلق السحاب مضافا إلى ما ذكره هو أنّ الماء بطبعه ثقيل يقتضى النزول فبقاؤه فى الجوّ خلاف الطبع، و لذلك إذا انفصل منه قطره نزلت دفعه فلا بدّ من قادر قاهر يمسكه فى الجوّ على ثقله بظهره و قدرته و أيضا، لو دام السحاب لعظم ضرره حيث يسترضو الشمس و تكثر الأمطار و تبتلّ المركبات ففسد، و لو انقطع لعظم ضرره لافضائه الى القحط فيهلك المواشى و الانسان، فكان تقديره بالمقدار المعلوم مقتضى الحكمه و المصلحه

و أيضا ترى السحاب يرشى الماء على الأرض و يرسله قطرات متفاضله لا يدرك قطره منها قطره و لا يعلم عددها إلا الذى أوجدها، ثم إن كل قطره منها عيّنت لجزء من الأرض و لحيوان معيّن فيها من طيرو وحش و دود مكتوب عليها بخط غيبى غير محسوس أنه رزق الحيوان الفلانى فى الموضع الفلانى فى الوقت الفلانى هذا، مع ما فى انعقاد البرد الصّلب من الماء اللطيف و فى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى، كل ذلك عنايه من الله سبحانه و رحمه منه على العباد، و فيها هدايه لمن استهدى و درايه لمن ابتغى الرشاد

الخامسه

فى دلائل قدره و العظمه فى إنبات النبات و الأشجار

قال سبحانه:

«وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» و قال «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَخَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِتًّا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ».

و دلائل قدره فى ذلك من وجوه:

الأول أنّ الماء ثقيل بطبعه كما قلنا سابقا إنّه إذا انفصل قطره منه من المزن تنزل إلى الأرض و لا تبقى فى الجو بمقتضى طبعه فانظر الى قدرته تعالى كيف رقا الماء المصبوب فى أسفل الأشجار مع هذا الطبع و الثقل إلى أعالي أغصانها، فهو الى سفلى ثم ارتفع إلى فوق فى داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث ينتشر فى جميع الأوراق فغذاء كل جزء من كل ورقه تجرى إليه فى تجاويف العروق، ففى كل ورقه عرق ممتد طولا و ينشعب منه عروق صغار كثيره عرضا و طولا، فكان الكبير نهل و ما انشعب عنها جداول، ثم ينشعب من الجداول سواقي أصغر منها ثم ينتشر منها

خيوط عنكبوت دقيقه خارجه عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورق فيصل الماء فى أجوافها إلى ساير أجزاء الورق لتسقيها و تغذيها بمنزله العروق المبتوثة فى بدن الانسان و الحيوان لتوصل الغذاء إلى كل جزء منه و كذلك إلى ساير أجزاء الفواكه، فإنّ الماء المتحرّك بطبعه إلى سفلى كيف انجذب الى فوق من غير حامل أو قاسر، فعلم أنّ له جاذبا آخر و مجرّكا خارجا عن الحسّ ليسخّره و يدبّره و ينتهى بالأخره إلى مدبّر السماوات و الأرض جلّت عظمته و تعالى شأنه.

الثانى أنّ أصناف النبات و الأشجار لما كانت محتاجه إلى الغذاء الدائم فى بقاء نضرتة و طراوته كحاجه الحيوان إلى الغذاء و لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان جعل لها أصول مركوزه فى الأرض لتتزع منها الغذاء فتؤدّيه إليها فصارت الأرض كالأمّ المربيه و صارت اصولها كالأفواه الملتقمه للأرض، و أيضا لو لا تلك الأصول لما انتصب تلك الأشجار الطوال العظام و لم يكن لها ثبات و دوام فى الريح العاصف، فهى لها بمنزله عمد الفساطيط و الخيم تمدّ بالأطناب من كلّ جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط و لا تميل، ثمّ انظر إلى هذه العروق الصغار المنشعبه من الأصول المركوزه و أنها على دقّتها و ضعفها كيف تجرى فى أعماق الأرض و تسير فيها على صلبها عرضا و طولاً- الثالث إخراج أنواع مختلفه من الثّبات و أصناف متشتّه من الأشجار من حبّ و عنب و قصب و زيتون و نخل و رمان و فواكه كثيره مختلفه الأشكال و الألوان و الطعوم و الروايح يفضل بعضها على بعض فى الاكل مع أنّها جميعا يسقى بماء واحد و يخرج من أرض واحده فان قلت: سبب اختلافها بذورها و حبوبها قلنا: هل يكفى ذلك فى ترتّب هذه الآثار؟ فإنّ الحبوب على اختلافها متشابهه فى الصوره و الجوهر فكيف يصير بهذا الاختلاف موجه لهذه الأنواع المتباعده المتباينه فى الصور الجوهرية و الكيفيات و الخاصّيّه، فهل كان فى النواه نخله مطوّقه بعنا قيد الرطب؟

سَلَّمْنَا أَنَّ اختلافها من المرجّحات لكن نسوق الكلام إلى موجد هذه الاختلافات و فاعلها، فانظر إلى اختلاف طبائع النبات و خواصها و منافعها فهذا يغذى و هذا يقوى، و هذا يقتل و هذا يحيى و هذا داء و هذا دواء و هذا يسخن و هذا يبرّد، و هذا يسهل الصّيفرا و هذا يولد السّوداء، و هذا يجمع البلغم و هذا يولده، و هذا يستحيل دما و هذا يطفئه، و هذا يسكر و هذا ينوم، و هذا يفرّح و هذا يضعف، إلى غير هذا ممّا لو أردنا استقصاء العجائب المودعه فيها انقضت الأيام و مع ذلك فالحكم الباطنه و المصالح الكامنه فيها أكثر جدّا مما وصلت اليه عقولنا القاصره، فهذه هي دلائل القدره و علامات العظمه و آثار الصنع و الحكمة فى الأشياء المذكوره تَبْهِنَا عَلَيْهَا عَلَى وجه الاختصار إذ الاستقصاء فيها خارج عن الطّوع و الاختيار، فسبحان من أقام الحَجّه على مخلوقاته بما أراهم من بدايع آياته و جعلها تذكرة لاولى الألباب، و هو أعلم بالصواب

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه در صفت زمین و گسترانیدن او است بر روی آب می فرماید:

فرو برد حضرت بارى تعالى زمین را بر بالای موجهای با شدّت و صولت و بر روی لَجّه های دریاهاى پر شدّت بر آمده در حالتى که می زدند موجهای با شدّت آنها بعضى بعضى را و ردّ می کردند یکدیگر را دفع کننده های موجهای بزرگ و بلند آنها، و می انداختند کف را مانند شتران نر در وقت هیجان آنها، پس فروتنى نمود سرکشی آب موج زننده و ردّ کننده یکدیگر بجهه سنگینی باران زمین و ساکن گردید هیجان مدافعه آن وقتى که در نور دید زمین آن آب را بسینه خود، و خوار شد آب در حالتى که خاضع و فروتن بود وقتى که غلطید زمین بر او بدوشهای خود مانند غلطیدن حیوان در خاک پس گردید آب بعد از اضطراب و شدّه موجهای او ساکن و ذلیل و در حلقه

آهنین لجام ذلت گردن نهاده و گرفتار، و ساکن شد زمین در حالتی که گسترانیده شده بود در میان موج عمیق آن آب، و باز گردانید آبرا از نخوت فخر و بلندی آن و از پر بادی دماغ آن و بلندی از اندازه گذشتن آن، و بیست آبرا بر پری روان شدن آن، پس ساکن شد آب بعد از سبکی و جهیدنهای خود، و ایستاد بعد از تبختر کردن در جستنهای خود، پس چون ساکن گردید هیجان آب از زیر اطراف زمین و بار فرمود حق تعالی کوههای بلند بالا را بر دوشهای زمین، روان گردانید چشمهای آبرا از بالای بینهای زمین، و پراکنده ساخت آن چشمها را در بیابانهای گشاده آن و مجاری نهرهای آن، و تعدیل فرمود حرکتهای زمین را بکوههای ثابت شونده از سنگهای آن، و بکوههایی که صاحب سرهای بلندند از سختیهای سنگهای آن پس ساکن شد زمین از اضطراب بجهه فرو رفتن کوهها در قطعهای سطح آن، و بسبب در آمدن کوهها در عمق زمین در حالتی که در آمده اند در خانهای اندرون بینهای زمین بواسطه سوار شدن کوهها بر گردنهای زمینهای هموار و بر بلندیهای آن، و فراخ کرد حق تعالی میان هوا و میان زمین را و مهیا فرمود هوا را محل تنفس کشیدن از برای ساکنین آن، و بیرون آورد بسوی زمین اهل آنرا بر تمامیت منافع و مصالح آن پس از آن ترک نکرد زمین بی گیاه را که قاصر باشد آبهای چشمه ها از سیراب نمودن بلندیهای آن زمین، و نمی یابد رودخانه ها وسیله رسیدن بدان زمین، تا این که ایجاد فرمود از برای آن ابری ظاهر شده که زنده میکند مردهای آنرا و بیرون می آورد گیاه آنرا، جمع و ترکیب فرمود ابرهای سفید آنرا بعد از تفرق قطعهای درخشان آن ابر و مبایت پارههای آن تا این که چون متحرک شد معظم ابرهای سفید در آن ابر، و درخشان گشت برق آن در جوانب و اطراف آن، و خواب نکرد یعنی ساکن نشد لمعان آن در

میان پاره‌های ابر سفید آن، و میان متراکم ابر کشیده آن فرستاد حق تعالی آن ابر را در حالتی که ریزاننده آبست و دریابنده بعضی بعضی را بتحقیق که نزدیک شد بزمین ابریکه بواسطه ثقل مایل است بزمین که بیرون می آورد باد جنوب از ابر بارانهای بهم ریخته او را، و دفعه دفعه های بارانهای با شدت او را پس چون افکند ابر سینه که قریب باضلاع او است چون شتر گران بار که سینه خود بر زمین نهد، و انداخت گرانی چیزی را که بلند شده بود با او از باد گرانی که بار شده بود بر آن، بیرون آورد بآن آب از موضع بی گیاه زمین گیاه روئیده را و از کوههای کم گیاه گیاههای تر و تازه را.

پس آن زمین بهجت می نماید بزینت مرغزارهای خود، و تفاخر میکند به آن چه که پوشانیده شده باو از چادرهای شکوفهای نور دهنده خوش شکل خوش بوی خود، و تکبر می نماید بزیور آنچه که معلق شده بآن از شکوفهای با نصرت و طراوت آن، و گردانیده است حق سبحانه و تعالی آنرا که بیرون آورده از زمین مایه وصول عالمیان بمقصود خودشان، و روزی از برای چهارپایان، و شکافت حضرت باری راههای گشاده را در اطراف زمین، و بر پا نمود نشانه ها از برای سالکین بر میانهای راههای زمین

الفصل السابع

اشاره

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلَتِهِ، وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَ أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ، وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَا عَنْهُ، وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَ الْمَخَاطِرَ بِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْدَمَ عَلَيَّ مَا نَهَا عَنْهُ مُوَافَاهُ لِسَابِقِ عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمَرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَ لِيَقِيمَ الْحَجَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَ لَمْ يَخْلُهِمْ

بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّجه ربوبيّته، و يصل بينهم و بين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن خيريه من أنبيائه، و متحمّلى و دائع رسالاته، قرنا فقرنا، حتّى تَمّت بنبيّنا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم حجّته، و بلغ المقطع عذره و نذره، و قدّر الأرزاق، فكثّرها و قلّلتها، و قسّمها على الضيق و السّعة، فعدل فيها، ليتلى من أراد بميسورها و معسورها، و ليختبر بذلك الشّكر و الصّبر من غنيّها و فقيرها، ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاققتها، و بسلامتها طوارق آفاتنها، و بفرج أفراجها غصص أتراحها، و خلق الآجال، فأطالها و قصّرها، و قدّمها و أخّرها، و وصل بالموت أسبابها، و جعله خالجا لأشطانها، و قاطعا لمرائر أقرانها.

اللغة

(الخيره) على وزن العنبة المختار، و قد يسكن الياء و فى القاموس خار الرجل على غيره خيره و خيرا و خيره، فضّله على غيره كخيريه، و فى شرح المعتزلى الخيره اسم من اختاره الله يقال: محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم خيره الله و (الجبلة) بكسر الجيم و الباء و تشديد اللّام الخلقه و الطبيعه و قيل فى قوله تعالى:

«خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّ الْأُولَيْنِ».

أى ذوى الجبله، و يحتمل أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق، و قيل الجبله الجماعه من الناس و (الاكل) بضمّتين الرزق و الحظّ قال تعالى:

«أَكُلْهَا دائِمٌ وَ ظُلُّهَا».

و (أوعزت) الى فلان فى فعل أو ترك أى تقدّمت و امرت و (خاطر) بنفسه و ماله أشفاهما على خطر و ألقاهما فى المهلكه قال فى المغرب: (تعهد) الصيغه و تعاهدا أتاها و أصلحها و حقيقته جدّد العهد بها و (القرن) أهل كلّ زمان مأخوذ من الاقتران فكأنّه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم و أحوالهم فقليل:

أربعون سنه و قيل ثمانون سنه و قيل: مأث و (مقطع) الشىء منتهاه كأنه قطع من هناك و (العذر و النذر) إما مصدران بمعنى الاعذار و الانذار أو ما بيّن للمكلّفين من الأعذار فى عقوبته لهم إن عصوه، و ما أنذرهم به من الحوادث و قوله:

(فعدل) بالتخفيف و فى بعض النسخ بالتشديد و (الميسور و المعسور) مصدران بمعنى اليسر و العسر كالمفتون بمعنى الفتنة، و يمتنع عند سيبويه مجىء المصدر على وزن مفعول قال: الميسور الزمان الذى يوسر فيه و (العقابيل) جمع عقبول و عقبوله و هى قروح صغار تخرج غبّ الحمى بالشفه و (الفرج) جمع فرجه و هى التفصّى من الهمّ و (الغصص) جمع غصّه و هى ما اعترض فى الحلق و (الأتراح) جمع الترح محرّكه كأسباب و سبب الهمّ و الهلاك و الانقطاع و (خلجه) يخلجه من باب نصر جذبه و (الأشطان) جمع الشطن بالتحريك و هو الحبل أو الطويل منه و (المرائر) جمع مرير و مريره و هى الحبال المفتولة على أكثر من طاق و قيل: الحبال الشديده الفتل و قيل: الطوال الدّقاق منها و (الأقران) جمع قرن بالتحريك و هو حبل يجمع به البعيران.

الاعراب

قوله: خير من منصوب إمّا على المصدر أو على كونه اسما منه كما حكيناه عن القاموس و عن شرح المعتزلى، فيكون المعنى اختاره اختياراً أى فضّله تفضيلاً و اختاره خياراً، و انتصاب اسم المصدر بالفعل أيضاً غير عزيز يقال: توفّأ وضوء و تطيّر طيره و افتدى فديه، و على كونه بمعنى المختار فهو منصوب على الحال، و موافاه منصوب على الحدث بحذف العامل أى فوا فى المعصيه موافاه و طابق بها سابق العلم مطابقه، و لا يجوز جعله مفعولاً له حتى يكون عله للفعل لاستلزامه

كون علمه السابق علّه لاقدامه على المعصيه و هو لا يستقيم على اصول العدليه

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمن لتمجيد الله سبحانه باعتبار خلقه آدم عليه السّلام و تفضيله على غيره و اتمام نعمته عليه و مقابله بالعصيان و مقابله عصيانه بقبول توبته و اهباطه إلى الأرض و إكرام ذريته بعده ببعث الأنبياء فيهم و قسمته بينهم معيشتهم و آجالهم بالقلّة و الكثرة و الضيق و السعه و ابتلائه لهم بذلك فقله عليه السّلام (فلما مهّد أرضه) أى سوّاها و أصلحها أو بسطها على الماء و لعلّ المراد هنا إتمام خلق الأرض على ما تقتضيه المصلحه فى نظام امور ساكنيها و فى شرح البحرانى أى جعلها مهّادا كقوله تعالى:

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا».

أو جعلها مهّدا كقوله تعالى:

«جَعَلْ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا».

و على التقدير الأوّل أراد أنه خلقها بحيث يسهل على العباد أن يتصرّفوا فيها بالقعود و القيام و الزراعة و سائر جهات المنفعه، و على التقدير الثانى يكون لفظ المهد استعاره لها بملاحظه تشبيهها بمهد الصبىّ فى كونها محلّ الراحة و النوم (و انفذ أمره) أى أمضى أمره التكوينيّ فى ايجاد المخلوقات و إتمامها و كان من تمامها خلقه نوع الانسان و ترجيحه على الأشباه و الأقران كما أشار إليه بقوله (اختار) أبا البشر (آدم) على نبينا و آله و عليه السّلام (خير من خلقه) و فضّله سبحانه و ذريته على سائر مخلوقاته كما قال عزّ من قائل:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

و قد اشير إلى بعض جهات التفضيل و الاصطفاء فى الآيات الشريفه

فمنها أنه سبحانه شرفه بالاستخلاف كما قال:

«إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً».

و منها اضافته روحه إليه كما قال:

«وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي».

و منها اضافته خلقته إلى يديه كما قال:

«مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ».

و منها أمر الملائكة بالسجود له كما قال:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ».

و منها تعليمه الأسماء و إثارة بذلك على ملائكة السماء كما قال:

«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا».

و منها تكمته و ذريته بما اشير إليه بقوله:

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا».

و منها جعلهم قابلاً لآتيان الطاعات و حمل الأمانات كما قال:

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» و منها تصويره لهم بالصور الحسنه كما قال:

«صَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ».

و منها تعليمهم البيان كما قال:

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ».

و منها تعديل الأعضاء و استقامه القامه كما قال:

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ».

و منها التعلیم بالقلم كما قال:

«إِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».

و منها كونه نسخه جامعه لما فى الملك و الملكوت و كتابا ميينا لاسرار القدره و الجبروت، و لذلك عقب بيان خلقته بقوله:

«فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام فيما نسب إليه:

دوائك فيك فلا تبصر و دائك منك فلا تشعر

و أنت الكتاب المبين الذى بأحرفه تظهر المضمّر

أ تزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر

فقد ظهر بذلك كلّ أنه سبحانه اختاره على غيره (و جعله أوّل جبلته) أى أوّل شخص من نوع الانسان و أوّل خليفه خلقت فى الأرض. و فيه ردّ على من قال بقدّم الأنواع المتوالده (و أسكنه جنّته) و أبا جهاله بقوله:

«أُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ».

(و أرغد فيها اكله) أى جعله واسعا طيبا و قال له و لزوجته:

«كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا».

(و أوعز إليه فيما نهاه عنه) أى تقدّم إليه فى الأكل من الشجره و نهاه عن ذلك و عاهده فى ذلك كما قال:

«وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا».

(و أعلمه أنّ فى الاقدام عليه) أى على ما نهاه عنه (التعرض لمعصيته) كما قال:

«وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ».

(و المخاطره بمنزلته) أى اشراف منزلته على خطر و انحطاط درجته كما قال:

«فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى».

فالضمير فى منزلته راجع إلى آدم، و يحتمل رجوعه إليه سبحانه كضمير معصيته على الظاهر (فأقدم على ما نهاه عنه) «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى».

و قد مرّ تأويل تلك المعصيه و أضرابها فى شرح الفصل الثانى عشر و الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الأولى و لا حاجة إلى الاعداده و قوله: (موافاه لسابق علمه) أراد أنه وافى بالمعصيه و طابق بها سابق العلم فأقدم على المنهى عنه بما قدر عليه و كتب فى حقّه فى القضاء الالهى السابق على وجوده يدلّ عليه ما ورد فى بعض الأخبار أنّ آدم عليه السلام حجّ لموسى عليه السلام فقال موسى: أنت خلقتك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أسكنك جنته فلم عصيته؟ قال آدم عليه السلام له: أنت موسى الذى اتّخذك الله كليما و أنزل عليك التوراه؟ قال له: نعم قال له: كم من سنه وجدت الذنب قدّر علىّ قبل فعله؟

قال: كتب عليك قبل أن تفعله بخمسين ألف عام، قال: يا موسى أتلومني على أمر قد كتب عليّ فعله قبل أن أفعله بخمسين ألف سنه؟ فان قلت: إذا كانت المعصيه مكتوبه عليه مقدّره في حقه ثابتة في العلم الالهي قبل وجوده، فلا بدّ أن يكون مجبورا فيها غير متمكن من تركها قلت: العلم ليس علّه للمعلوم بل حكاية له و كونها مقدّره في حقه لا يستلزم اضطراره إذا لم يكن ذلك قدرا حتما و قضاء لازما، وإلا لما استحقّ اللوم و العتاب بقوله:

«أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقَلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ».

و لم ينسبا العصيان إلى أنفسهما و لم يقولوا:

«رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

فان قلت: كيف لم يكن قدرا حتما و المستفاد من بعض الأخبار أنّ أكلهما منها كانا بمشيئه حتم و إرادته ملزمه، و هو ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن عليّ بن معبد عن واصل بن سليمان عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

سمعتة يقول: أمر الله و لم يشأ و لم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم عليه السلام و شاء أن لا يسجد و لو شاء لسجد، و نهى آدم عليه السلام من أكل الشجره و شاء أن يأكل منها و لو لم يشأ لم يأكل و عن عليّ بن إبراهيم أيضا عن المختار بن محمد الهمداني و محمّد بن الحسن عن عبد الله بن الحسن العلويّ جميعا عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ لله إرادتين و مشيئتين: إرادته حتم، و إرادته عزم، ينهى و هو يشاء و يأمر و هو لا يشاء، أو ما رأيت أنّه نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجره و شاء ذلك، و لو لم

يشأ أن يأكلا لما غلبت شهوتهما مشيه الله تعالى، و أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح إسحاق و لم يشأ أن يذبحه و لو شاء لما غلبت مشيّه إبراهيم عليه السلام مشيّه الله (١) قلت: ظاهر الخبرين و إن كان يفيد أنّ صدور الأكل منهما إنّما كان عن مشيته الملزمه و أنّه لو لم يشأ الأكل أى شاء عدم الأكل لما امكن لهما الاقدام عليه و إلّا لزم غلبه مشيتهما مشيته سبحانه فيلزم منه العجز تعالى عن ذلك علواً كبيراً، إلّا أنّه يمكن توجيههما على وجه يطابق الأصول العدليّه و لا ينافيها.

فنقول: أمّا الروايه الأولى فقد وجّهت بوجوه:

الأول حملها على التقيّه لكونها موافقه لأصول الجبريّة (٢)

ص: ٣٩

١- (١) قال بعض شراح الكافي فى شرح الروايه الاولى: أنّ مشيّه تعالى من صفات ذاته فلا يمكن تخلف مقتضاه، و أمّا أمره فهو ليس من صفاته بل هو من قبيل أفعاله لكنه على قسمين: أمر تكوين، و أمر تشريع فالاول كما فى قوله تعالى: انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون و الثانى كقوله: ففعلوا له ساجدين: و كقوله: و لا تقربا هذه الشجره، فالأمر الذى هو من القسم الاول لكونه بارتفاع الوسائط لا بدّ فيه من وقوع المأمور به لا سبيل إلا الطاعه خاصه من غير احتمال تمرّد، و الذى هو من القسم الثانى لكونه بالواسطه و على ألسنه الرسل و الملائكه فيمكن فيه العصيان و التجاوز عن الامر فمنهم من اطاع و منهم من عصى اذا تقرر هذا فنقول: من الجائز أن يأمر تعالى عبده بشىء أمراً تكليفياً و لم يشأ وقوع المأمور به، أو نهى و شاء وقوع المنهى عنه لعلمه بالمصلحه العظيمه فى ذلك كما أمر ابليس أن يسجد لآدم و لم يشأ، بل شاء أن لا يسجد و نهى آدم عن أكل الشجره و شاء أن يأكل منها و لا- يقع فى الوجود إلا ما شاء الله، فلو شاء أن يسجد ابليس لآدم لسجد لا محاله، و لو شأ أن لا يأكل آدم منها شيئاً لم يأكل البتّه كما فى قوله تعالى و ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن انتهى و قال بعضهم فى شرح الروايه الثانيه أنّ اراده الحتم هى الاراده الحتميه و المشيه القطعيه التى لا يجوز تخلف المراد عنها كما هو شأن ارادته و مشيته تعالى بالنسبه الى أفعاله، و اراده العزم هى الاراده العزميه الغير الحتميه و المشيه التخيريّه الغير القطعيه التى يجوز تخلف المراد عنها كما هو شأن ارادته و منسيته بالنسبه الى أفعال العباد، منه

٢- (٢) هذه الكلمات غير موجوده فى القرآن نعم هى المذكوره فى بعض الأدعيه، و لعلّ الشبهه من الناسخ «المصحح»

الثاني أن يقال المراد بالمشيّه العلم فالمقصود أنه أمر بشيء و لم يعلم وقوع ذلك الشيء لعدم وقوعه فلا يتعلّق علمه بوقوعه، و شاء يعنى علم وقوع شيء و لم يأمر به لكونه غير مرضى له الثالث أن يقال: المراد بمشيّه الطاعه هداياته و ألطافه الخاصه التي ليست من ضروريات التكليف، و بمشيّه المعصيه خذلانه و عدم فعل تلك الألطاف بالنسبه إليه و شيء منهما لا يوجب جبره على الفعل و الترك و لا ينافى استحقاق الثواب و العقاب الرابع ما قيل: إنّ المراد تهيّه أسباب فعل العبد بعد إرادته العبد ذلك الفعل الخامس أنه اسناد للفعل إلى العلّه البعيده، فإنّ العبد و قدرته و إرادته لما كانت مخلوقه لله تعالى فهو جلّ و علا علّه بعيده لجميع أفعاله السادس أن يقال: إنّ المراد بمشيّته عدم جبره على فعل الطاعه أو ترك المعصيه، و بعبارة اخرى سَمى عدم المشيه مشيه العدم، فمعنى الحديث أنه أمر الله بشيء على وجه الاختيار و إرادته على وجه التفويض و الاختيار، و لم يشأ ذلك الشيء مشيّه جبر و لم يرد إرادته قسر، و شاء و لم يأمر يعنى شاء شيئاً مشيه تكليفيّه و أرادته إرادته تخيريّه و لم يأمر به على وجه القسر و لم يرده على وجه الجبر ثمّ أوضح ذلك بقوله: أمر إبليس أن يسجد لآدم عليه السّلام على سبيل الاختيار و أراد منه السجود من غير القسر و الاجبار، و شاء أن لا يسجد بالجبر و القسر و لو شاء لسجد أى لو شاء سجوده لآدم على الجبر و القسر لسجد له، لأنّ الأفعال القسريه لا تخلف عن الفاعل و حيث لم يسجد علم انتفاء المشيه القسريه و الاراده الجبريه، و نهى آدم عليه السّلام عن أكل الشجره على وجه الاختيار و كره منه أكل ثمرتها من غير الاجبار و شاء أن يأكل منها أى شاء أن يكون الأكل أمراً اختياريّاً و أراد أن لا يكون مجبوراً فى تركه و فى قبول النهى عنه، و لو لم يشأ لم يأكل أى لو لم يشأ أن يكون له اختيار فى أكله و كان مجبوراً على تركه لم يأكل، لأنّ المجبور على ترك الشيء و مسلوب الاختيار عن فعله لا يقدر على الاتيان به، و حيث أكل علم أنه صاحب القدره و الاختيار فيه و أنّه تعالى أراد أن يكون فعل العبد

و تركه بقدرته و اختياره حفظا لنظام التكليف و تحقيقا لمعنى الثواب و العقاب و أمّا الرواية الثانية فقد وجهها الصدوق «ره» بمثل التوجيه السادس فى الرواية السابقة قال ره فى محكيّ كلامه عن كتاب التوحيد بعد ايراد الرواية:

إنّ الله تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا- من الشجرة و قد علم انهما يأكلان منها لكنه عزّ و جلّ شاء أن لا يحول بينهما و بين الأكل بالجبر و القدره كما منعهما من الأكل منها بالنهى و الزجر، فهذا معنى مشيته فيهما، و لو شاء عزّ و جلّ منعهما عن الأكل بالجبر ثم أكلا منها لكان مشيتهما قد غلبت مشيّه الله كما قال العالم عليه السلام، تعالى الله عن العجز علوا كبيرا انتهى.

أقول: و سائر الوجوه السّابقة جاريه هنا أيضا كما لا- يخفى، و لعلنا نشبع الكلام على هذا المرام عند تحقيق مسأله الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين فى مقام مناسب لذلك إنشاء الله، هذا.

و قوله عليه السّلام: (فأهبطه بعد التوبه) نصّ صريح فى كون التوبه قبل الالهباط و هو المطابق للترتيب المذكور فى آيه طه قال تعالى:

«وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً».

إلا- أنا استظهرنا فى التنبيه الأوّل من تنبيهات الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الاولى أنّ الالهباط كان قبل التوبه لدلاله الأخبار الكثيره على ذلك، و يمكن الجمع بين الأدله بحمل ما دلّ على تقدم التوبه على الهبوط على نفس التوبه، و ما دلّ على تأخرها عنها على قبولها و يقال: بتأخره عن التوبه، أو حمل ما دلّ على تأخرها على التوبه الكامله، و الله العالم و كيف كان فانما أهبطه سبحانه (ليعمر أرضه بنسله و ليقيم الحجه به على عباده) قد مرّ كيفيه ابتداء النسل فى شرح الفصل الرابع عشر من الخطبه الاولى و أمّا إقامه الحجه به على عباده فالمراد به كونه خليفه لله سبحانه فى أرضه

و حَجَّتْهُ عَلَى خَلْقِهِ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَ مِنْ أَتَى بَعْدَهُ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى شَرِّهِ وَ قَالَ الشَّارِحُ الْمُعْتَرِظُ: الْمُرَادُ بِأَقَامِهِ الْحُجَّةُ بِهِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَبُوهُمْ أَخْرَجَ مِنَ الْحُجَّةِ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَخْلَقَ بِهَا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا ذُو خَطَايَا جَمَّةٍ، وَ الْأُظْهَرُ مَا قُلْنَا (و لَمْ يَخْلُصُوا بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ) اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ (مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّتَهُ رَبُّوبِيَّتَهُ وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ) أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُصُوا بَعْدَ قَبْضِ آدَمَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُجَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ لِأَدَلِّهِ رَبُّوبِيَّتَهُ وَ الْمَوْصِلَةِ لِلْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَ فِي الْإِتْيَانِ بِلَفْظِ التَّكْثِيرِ إِنْشَارُهُ إِلَى أَنَّ أَدَلَّهُ رَبُّوبِيَّتَهُ وَ آيَاتِ الْقُدْرَةِ وَ بَرَاهِينَ التَّوْحِيدِ وَ شَوَاهِدَ التَّفْرِيدِ لِلْخَالِقِ تَعَالَى سَاطِعُهُ قَائِمَةٌ، وَ آثَارُ الْجَلَالِ وَ الْجَبَرُوتِ فِي الْأَنْفُسِ وَ الْآفَاقِ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ تَبَيَّرَ وَاضِحًا، وَ إِنَّمَا الْغَرَضُ مِنْ بَعَثِ الرِّسْلِ وَ إِنْزَالِ الْكِتَابِ مُحَضُّ التَّكْثِيرِ وَ التَّأْيِيدِ، وَ إِلَّا فَلَا أَدَلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ فِي مَقَامِ الْحُجَّةِ كَافِيَةٍ وَافِيَةٍ.

و قَوْلُهُ: (بَلْ تَعَاهَدُهُمْ بِالْحُجَّةِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ مَتَحَمَّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنَا فِقْرَنَا) أَيْ أَصْلَحَهُمْ وَ جَدَّدَ الْعَهْدَ بِهِمْ فِي كُلِّ قَرْنٍ قَرْنًا بِالْحُجَّةِ الْجَارِيَةِ عَلَى أَلْسِنِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرِّسْلِ، وَ الْمَوْدَعَةُ فِي الصُّحُفِ وَ الْكِتَابِ حَسْبَمَا مَرَّ تَوْضِيحُهُ فِي شَرْحِ الْفَصْلِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْخُطْبَةِ الْأُولَى فِي الرَّوَايَةِ الطَّوِيلَةِ لِأَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (حَتَّى تَمَّتْ بِنَيْتِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حُجَّتَهُ) وَ أَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَ خَتَمَ بِهِ أَنْبِيَائَهُ وَ رَسَلَهُ (و بَلَغَ الْمَقْطَعُ عِذْرَهُ وَ نَذَرَهُ) أَيْ بَلَغَ الْغَايَةَ وَ النِّهَايَةَ اعْذَارَهُ وَ انْذَارَهُ، وَ قِيلَ الْمُرَادُ بِالْعِذْرِ مَا يَبَيِّنُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْذَارِ فِي عَقُوبَتِهِ لَهُمْ إِنْ عَصَوْهُ، وَ بِالنَّذْرِ مَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَ خَوْفِهِمْ بِهِ، وَ قَدْ مَرَّ (و قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ) فِي حَقِّ الْخَلَائِقِ وَ كَتَبَهَا فِي أَمِّ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

«وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ».

قِيلَ: أَيْ فِي السَّمَاءِ تَقْدِيرُ رِزْقِكُمْ أَيْ مَا قَسَمَ لَكُمْ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ (فَكثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا) أَيْ كَثَّرَهَا فِي حَقِّ طَائِفَةٍ وَ قَلَّلَهَا فِي حَقِّ

طائفه اخرى على ما يقتضيه الحكمه، أو كثّرْها وقلّلْها بالنسبه إلى شخص واحد بحسب اختلاف الأزمان و الحالات (و قسِّْهما على الضّيق و السّعه) لما كان المتبادر من القسمه البسط على التساوى بيّن ما أراده بذكر الضيق و السّعه، و لمّا كان ذلك موهما للجور أردفه بذكر العدل و قال:(فعدل فيها) أى فى تلك القسمه ثمّ أشار إلى نكته العدل و حكمته بقوله (ليبتلى من أراد بميسورها و معسورها و ليختبر بذلك الشكر و الصبر من غيّها و فقيرها)نشر على ترتيب اللّف على الظاهر و الضمير فيهما راجع إلى الأرزاق و فى الاضافه توسّع، و يحتمل عوده إلى الأشخاص المفهوم من المقام أو إلى الدّنيا أو إلى الأرض و لعلّ احدهما أنسب ببعض الضمائر الآتية، و قد مرّ تحقيق معنى اختبار الله سبحانه و ابتلائه فى شرح الخطبه الثانيه و الستين.

و محصّل المراد أنّه سبحانه يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده و يقدر له و يجعل بعضهم غنيا و بعضهم فقيرا و يختبر بذلك الشكر من الأغنياء و الصبر من الفقراء، لاعظام مثوباتهم و إعلاء درجاتهم إن شكروا و قنعوا، و تشديد عقوباتهم و احتطاط مقاماتهم إن كفروا و جزعوا، و يجىء لذلك إنشاء الله مزيد توضيح فى شرح الخطبه القاصعه (ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها)لا يخفى ما فى تشبيه الفاقه و هى الفقر و الحاجه أو آثارها بالعقابيل من اللّطف، لكونها مما يقبح فى المنظر و تخرج فى العضو الذى لا يتيسّر ستره عن النّاس و تشتمل على فوائد خفيّه، و كذلك الفقر و ما يتبعه، و أيضا تكون غالبا بعد التلذّذ و التّنعّم (و بسلامتها طوارق آفاتها) أراد بها متجدّدات المصائب و ما يأتى بغته من الطروق و هو الاتيان بالليل (و بفرج أفراجها غصص أتراحها) أراد أنّ التفصّى من همومها مقارن لغصصها، و نشاطها معقّب لهلاكها قال الأعشى:

و لكن أرى الدّهر الذى هو خائن اذا صلحت كفاى عاد فأفسدا

شباب و شيب و افتقار و ثروه فلله هذا الدّهر كيف تردّدا

و قال الحريرى:

وقع الشوائب شيب و الدهر بالناس قلب

إن دان يوما لشخص ففى غد يتغلب

فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب

و قال آخر:

استقدر الله خيرا و ارضين به فينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء فى الأحياء مغتبط إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصير

(و خلق الآجال فأطالها و قصّرها و قدّمها و أخرها) قال فى البحار: الأجل محرّكه مدّه الشئ و غايه الوقت فى الموت(1) و حلول الدّين، و تعليق الاطاله و التقصير على الأوّل واضح، و أما التقديم و التأخير فيمكن أن يكون باعتبار أنّ لكلّ مدّه غايه و حينئذ يرجع التقديم إلى التقصير و الاطاله إلى التأخير، و يكون العطف للتفسير تأكيدا، و يحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقا على بعض و تقديم بعض الامم على بعض مثلا، فيكون تاسيسا، و يمكن أن يراد بتقديم الآجال قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرحم مثلا- كما ورد فى الأخبار و بتأخيرها مدّها لبعض الاسباب فيعود الضمير فى قدّمها و أخرها إلى الأجل بالمعنى الثانى على وجه الاستخدام أو نوع من التجوّز فى التعليق كما مرّ (و وصل بالموت أسبابها) الضمير راجع إلى الآجال، و المراد باتّصال أسبابها به على كون الأجل بمعنى مدّه العمر هو اتصال أسباب انقضاء الآجال به، و على المعنى الثانى هو اتصال أسباب نفس الآجال به، و المراد بالأسباب على ذلك هى بعض الأمراض المفضيه إلى الموت و نحوها من الأسباب المؤدّيه إليه.

(و جعله خالجا لأشطانها) أى جعل الموت جاذبا لحبائل الآجال إليه و أراد بها الأعمار تشبيها لها بالأشطان فى الطول و الامتداد، و استعار لفظ الخلق للموت

ص: ٤٤

١- (١) و بعبارة اخرى هو زمان حلول الموت، منه.

باعتبار استلزام الموت لقرب الأجل كما أنّ الجاذب يقرب المجذوب إلى نفسه (و قاطعا لمرائر أقرانها) قال المجلسي و لعلّ المراد بمرائر أقران الآجال الأعمار التي يرجى امتدادها لقوّه المزاج أو البنيه و نحوها، و الله العالم

الترجمه

پس چون بسط فرمود و گسترانید حقّ سبحانه و تعالی زمین خود را، و اجراء کرد امر خود را اختیار نمود جانب آدم علیه السلام را اختیار کردنی، یا این که برگزید او را برگزیده شده از میان خلقتان و گردانید او را اَوّل طبیعتی از نوع انسان و ساکن فرمود او را در بهشت خود و وسعت داد در آنجا رزق او را و مقدّم داشت بسوی وی در آنچه نهی کرد او را از آن یعنی اَکل از شجره، و اعلام کرد او را که در اقدام نمودن بر آن فعل متعرّض شدنست بمعصیت او و در خطر افکندن و ضایع ساختن است منزلت و مرتبت او، پس اقدام کرد جناب آدم بر آنچه که نهی فرموده بود خدا از آن، و موافقت کرد این موافقت نمودنی با علم سابق حضرت باری پس فرود آورد او را بزمین بعد از توبه و انابت تا این که آباد نماید زمین خود را با نسل او، و تا این که اقامه حجت نماید با او به بندگان خود، و خالی نگذاشت بندگان خود را بعد از قبض فرمودن روح آدم علیه السلام از چیزی که مؤکّد شود حجت پروردگاری او را و وصل کند میان ایشان و میان معرفت او بلکه تجدید عهد فرمود با ایشان بحجتها و دلایلی بر زبان برگزیدگان از پیغمبران خود و متحملان امانتهای پیغامهای خود در قرنی بعد از قرنی. تا این که تمام شد پیغمبر ما که محمّد بن عبد الله صلوات الله علیه و آله است حجّه بالغه او، و بنهایت رسید عذر او در عذاب عاصیان و ترساندن او از آتش سوزان و مقدر فرمود روزیها را پس بسیار گردانید آنها بر بعضی و کم گردانید آنها بر بعضی آخر، و قسمت کرد آنها را بر تنگی و وسعت، پس عدالت کرد در آن قسمت تا این که امتحان نماید هر که را بخواهد با آسانی روزی و دشواری آن و تا این که اختیار نماید با این شکر و صبر را از توانگر و درویش آن

پس از آن مقارن ساخت بفراخی روزیها تبخالهای فقر و فاقه آن، و بسلامتیهای آن مصیبتیهای ناگهان آنرا، و بگشادگیهای شادیهای آن غصّهای هلاکتیهای آنرا و خلق کرد اجلها را پس دراز نمود آنرا و کوتاه گردانید و مقدّم فرمود بعض آنرا و تأخیر انداخت بعض دیگر را و چشانیید بمرگ اسباب اجلها را، و گردانید مرگ را کشنده ریسمانیهای اجلها و برنده ریسمانیهای محکم پرتاب آنها

الفصل الثامن

اشاره

عالم السَّيَر من ضمائر المضمّرين، و نجوى المتخافتين، و خواطر رجم الظنون، و عقد عزیّمات الیقین، و مسارق إیماض الجفون، و ما ضمّنته أکنان القلوب، و غیابات الغیوب، و ما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع، و مصائف الذّرّ، و مشاتی الهوامّ، و رجع الحنین من المولّهات و همس الأقدام، و منفسح الثمره من و لائج غلف الأكمام، و منقمع الوحوش من غیران الجبال و أودیتها، و مختبئ البعوض بین سوق الأشجار و ألحیتها، و مغرز الأوراق من الأفنان، و محطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب، و ناشئه الغیوم و متلاحمها، و درور قطر السحاب فی متراکمها، و ما تسفی الأعاصیر بذیولها، و تعفو الأمطار بسیولها، و عوم نبات الأرض فی کثبان الرّمال، و مستقرّ ذوات الأجنحه بذری شناخیب الجبال، و تغرید ذوات المنطق فی دیاجیر الأوکار، و ما أوعته الأصداف و حضنت علیه أمواج البحار،

و ما غشيته سدفه ليل أو ذرّ عليه شارق نهار، و ما اعتقبت عليه أطباق الدّياجير و سبّحات النّور، و أثر كلّ خطوه، و حسّ كلّ حركه، و رجع كلّ كلمه، و تحريك كلّ شفّه، و مستقرّ كلّ نسمه، و مثقال كلّ ذرّه، و هماهم كلّ نفس هامّه، و ما عليها من ثمر شجره، أو ساقط ورقه، أو قراره نطفه، أو نقاعه دم و مضغه، أو ناشئه خلق و سلاله، لم يلحقه في ذلك كلفه، و لا اعترضته في حفظ ما ابتدعه من خلقه عارضه، و لا- اعتورته في تنفيذ الأمور و تدابير المخلوقين ملاله و لا فتره، بل نفذ فيهم علمه، و أحصاهم عدّه، و وسعهم عدله، و غمرهم فضله، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله. أللّهم أنت أهل الوصف الجميل، و التّعداد الكثير، إن تؤمل فخير مأمول، و إن ترج فأكرم مرجو، أللّهم و قد بسطت لى فيما لا- أمدح به غيرك، و لا أثنى به على أحد سواك، و لا أوجّهه إلى معادن الخيبه، و مواضع الرّيبه، و عدلت بلسانى عن مدائح الادميين، و الثّناء على المربوبين المخلوقين، أللّهم و لكلّ مثن على من أثنى عليه مشوبه من جزاء، أو عارفه من عطاء، و قد رجوتك دليلا- على ذخائر الرّحمه، و كنوز المغفره.

اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَ لَمْ يَرِ مُسْتَحَقًّا لِهَذِهِ الْمُحَامِدِ وَ الْمُحَادِدِ غَيْرُكَ، وَ بِي فَاقِهِ إِلَيْكَ، لَا يُجْبِرُ
مُسْكَنْتَهَا إِلَّا- فَضْلُكَ، وَ لَا- يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا- مَنَّكَ وَ جُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَ أَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى
سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللغة

(السر) هو ما يكتُم و هو خلاف الاعلان و (ضمير) الانسان قلبه و باطنه و الجمع ضمائر على التشبيه بسريره و سرائر لأنَّ باب فعيل
إذا كان اسما لمذكر يجمع كجمع رغيِف و أرغفه و رغفان قاله الفيومي، و فى القاموس الضمير السِّر و داخل الخاطر و
(النجوى) اسم مصدر بمعنى المساره من انتجى القوم و تناجوا تسارَّوا و (التخافت) كالاخفات خلاف الجهر قال الشَّاعر:

أَخَاطِبُ جَهْرًا إِذْ لَهَنَ تَخَافَتَ وَ شَتَّانَ بَيْنَ الْجَهْرِ وَ الْمُنْطَقِ الْخَفَتِ

و (الخطر) ما يخطر فى القلب من تدبير أمر و نحوه و (العقد) جمع عقده بالضمّ و عقده كلّ شَيْءٍ الْمَوْضِعُ الَّذِي عَقَدَ مِنْهُ وَ
احكم و (أومضت) المرأه إذا سارقت النظر و أومض البرق إذا لمع لمعا خفيفا و أومض فلان أشار اشاره خفيه و (الاكنان) و
الاكْنَه جمع الكَنّ و هو اسم لكلّ ما يستتر فيه الانسان لدفع الحرّ و البرد من الأبنيه و نحوها و ستر كلّ شَيْءٍ وَ وَقَائِهِ قَالَ تَعَالَى:

«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا».

قال الشَّارِحُ الْمُعْتَرِلى: وَ يَرُوى أَنَّهُ الْقُلُوبُ وَ هِيَ غَلَقُهَا وَ أَغْطَيْتُهَا قَالَ تَعَالَى «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ».

و (غِيَابَهُ) البئر قعره قال تعالى:

«وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ».

و غِيَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ مَا يَسْتَرِكُ مِنْهُ وَ (اسْتَرَقَ) السَّمْعَ الاستماع فِي خَفْيِهِ قَالَ تَعَالَى:

«إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ».

و (الذَّر) جمع ذَرَّة وَ هِيَ صَغَارُ التَّمَلِّ وَ (الهَوَام) جمع الهَامَّة وَ هُوَ كُلُّ ذَاتِ سَمٍّ يَقْتُلُ كَبْعُضَ الْحَيَّاتِ وَ مَا لَا يَقْتُلُ فَهُوَ السَّامَةُ كَالزَّنْبُورِ وَ قَدْ يُطْلَقُ الْهَوَامُ عَلَى مَا يَدْبُ مِنَ الْحَيَوَانِ كَالْحَشَرَاتِ وَ (مَنْفَسَح) الثَّمَرَةُ بِالنُّونِ وَ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ مِنْ بَابِ الْإِنْفَعَالِ مَوْضِعُ انْفِسَاحِهَا، وَ يَرُودُ مَتَفَسِّخُ الثَّمَرَةِ بِالتَّاءِ وَ السِّينِ الْمَشْدَدَةِ وَ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ بَابِ التَّفْعَلِ يُقَالُ: تَفَسَّخَ الشَّعْرُ عَنِ الْجِلْدِ زَالَ وَ (الْوَلَايَج) الْمَوَاضِعُ السَّاتِرَةُ جَمْعٌ وَ لِيَجْهَ وَ هِيَ كَالْكَهْفِ يَسْتَرُّ فِيهِ الْمَارَّةُ مِنْ مَطَرٍ أَوْ غَيْرِهِ وَ يُقَالُ:

أَيْضًا فِي جَمْعِهِ وَ لَجَ وَ أَوَلَجَ وَ (الْغُلْف) بَضْمُهُ أَوْ ضَمَّتَيْنِ جَمْعُ غُلَافٍ كَكِتَابٍ وَ يَوْجَدُ فِي النَّسْخِ عَلَى الْوَجْهِينِ وَ (الْأَكْمَام) جَمْعُ الْكَمِّ بِالْكَسْرِ وَ هُوَ وَعَاءُ الطَّلَعِ وَ غَطَاءُ الثَّوْرِ وَ يَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى الْأَكْمَةِ وَ كَمَامٍ.

و (مَنْقَمَع) الْوَحُوشُ مِنْ بَابِ الْإِنْفَعَالِ مَحَلُّ الْإِنْقِمَاعِ وَ الْإِخْتِفَاءِ، وَ فِي بَعْضِ النَّسَخِ مِنْ بَابِ التَّفْعَلِ بِمَعْنَاهُ وَ (الْغَيْرَان) جَمْعُ غَارٍ وَ هُوَ مَا يَنْحِتُ فِي الْجَبَلِ شَبَهُ الْمَغَارَةِ فَإِذَا اتَّسَعَ قِيلَ كَهْفٌ، وَ قِيلَ: الْغَارُ الْجَحْرُ يَأْوِي إِلَيْهِ الْوَحْشُ أَوْ كُلُّ مَطْمَئِنٍّ فِي الْأَرْضِ أَوْ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْجَبَلِ وَ (الْأَلْحِيَةِ) جَمْعُ اللَّحَاءِ كَكَسَاءٍ وَ هِيَ قَشْرُ الشَّجَرِ وَ (الْأَمَشَاج) قِيلَ: مُفْرَدٌ وَ قِيلَ جَمْعٌ مَشْجٌ بِالْفَتْحِ أَوْ بِالتَّحْرِيكِ أَوْ مَشِيحٌ وَ زَانٌ يَتِيمٌ وَ أَيْتَامُ أَيْ الْمَخْتَلَطُ وَ (الْمَسَارِب) الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَتَسَرَّبُ فِيهَا الْمَنَى أَيْ يَسِيلُ أَوْ يَخْتَفِي مِنْ قَوْلِهِمْ تَسَرَّبَ الْوَحْشُ إِذَا دَخَلَ فِي سَرَبِهِ أَيْ جَحْرِهِ وَ اخْتَفَى أَوْ مَجَارَى الْمَنَى مِنَ السَّرْبِ بِمَعْنَى الطَّرِيقِ، وَ تَفْسِيرُهَا بِالْإِخْلَاطِ الَّتِي بَتَوَلَّدَ مِنْهَا الْمَنَى كَمَا احْتَمَلَهُ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ بَعِيدٌ (فِي مَتَرَاكِمِهَا) فِي بَعْضِ النَّسَخِ وَ مَتَرَاكِمُهَا بِالْوَاوِ

و (الأعاصير) جمع الأعصار و هو بالكسر الريح التى تهب صاعداً من الأرض نحو السّماء كالعمود و قيل: التى فيها نار و قيل: التى فيها العصار و هو الغبار الشديد و (العوام) السباحه و سير السّفينه و (بنات الأرض) بتقديم الباء على النون على ما فى أكثر النسخ و فى بعضها بالعكس و (ذرى) جمع ذروه بالكسر و الضّم (و غرد) الطائر كفرح و غرّد تغريداً رفع صوته و طرب به و (الحضن) بالكسر ما دون الابط إلى الكشح أو الصدر و العضدان و ما بينهما، و حضن الصبى من باب نصر جعله فى حضنه.

و (ذرت) الشمس تذر و ذروا أى طلعت و شرقت و (شرقت) الشمس و أشرقت أى أضاءت و (التعداد) بالفتح مصدر للمبالغه و التكثير و قال الكوفيون أصله التفعيل الذى يفيد المبالغه قلبت ياءه الفا و بالكسر شاذّ و (المحامد) جمع المحمده بفتح العين و كسرهما يقال: حمده كسمعه حمداً و محمداً و محمداً و محمده و محمده أثنا عليه

الاعراب

عالم السّر خبر لمبتدأ محذوف بدلاله المقام، و كلمه من فى قوله: من ضمائر المضميرين بيانيه إن كان الضمير بمعنى السّر و هو الأظهر و بمعنى فى على حدّ قوله تعالى:

«إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

ان كان بمعنى القلب، و نجوى المتخافتين على كون من بيانيه عطف على الصّماير، و على كونها بمعنى فى يكون عطفاً على السّر و الأوّل أظهر لأنّ نجوى المتخافتين و ما يتلوه من المعطوفات كلّها من قبيل الاسرار، و قوله: من ولايج غلف الاكمام حرف من بيانيه أو تبغيضيه على روايه منفسح بالنون و الحاء المهمله وصله أو بيانيه على روايته بالتاء و الخاء المعجمه، و إضافه الغلف إلى الاكمام من قبيل إضافه العام إلى الخاص لإفاده الاختصاص إذ كلّ كمّ غلاف دون العكس، و جملة لم يلحقه إما حال من فأعل عالم السّر المصدر به الفصل أو استيناف بياني و الثّانى أظهر

و قوله: فخير مأمول خبر لمبتدأ محذوف، و قوله: بسطت لى فيما لا- أمدح كلمه فى إما زائده أو للظرفيه المجازيه، و مفعول بسطت محذوف أى بسطت لى القدره أو اللسان أو الكلام فيما لا أمدح، و الباء فى قوله: عدلت بلسانى للتعديه، و دليلا منصوب إمّا على الحال من مفعول رجوتك أو مفعول له، و من فى قوله:

من خلّتها زائده، و الفاء فى قوله: فهب لنا فصيحته

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لما ذكر فى الفصول السّابقه عجائب قدرته تعالى و بدايع صنعته و دلائل حكمته و براهين عظمتة أردفها بهذا الفصل للتنبيه على عموم علمه سبحانه بجزئيات الامور و خفايا الأسرار، و قد مضى بعض الكلام فى هذا المعنى فى الخطبه الخامسه و الثمانين و الخطبه التاسعه و الأربعين، و مرّ تحقيق عموم علمه بجميع الأشياء فى تنبيه الفصل السابع من فصول الخطبه الاولى، إلّا أنّ هذا الفصل قد تضمن ما لم يتضمنه الخطب السابقه، فإنّ فيه مع جزاله اللفظ و عظم خطر المعنى و فصاحه العبارة و غزاره (١) الفحوى الاشاره إلى أصناف خلقه و أنواع برّيته و عجائب ربوبيته، و قد أحصا عليه السّلام فيه من خفّيات المخلوقات و خبيّات الموجودات و مكنونات المصنوعات مالا يوجد فى كلام غيره بل لا يقدر عليه (٢) سواه، تنبيهها بذلك على برهان علمه تعالى بها، لأنّ خلقه لها و حفظه و تربيته لكلّ منها و إظهار بدايع الحكمه فى كلّ صفه من أوصافها و حال من أحوالها لا يتعقّل إلّا ممّن هو عالم بها مدرك لحقايقها، كما قال عزّ من قائل:

«أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

قال الشّارح المعتزلى و لنعم ما قال: لو سمع أرسطاطالس القائل بأنّه تعالى لا يعلم الجزئيات هذا الكلام له عليه السّلام لخشع قلبه وقفّ شعره و اضطرب فكره، ألا ترى ما عليه من الرّوا و المهابه و العظمه و الفخامه و المتانهِ و الجزاله مع ما قد اشرب

ص: ٥١

١- (١) الغزيره الكثيره الدر من الآبار و ينباع الكثيره الماء، ق

٢- (٢) أى على ذلك الاحصاء، منه

من الحلاوه و الطلاوه و اللطف و السلاسه، لا أرى كلاما يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإن هذا الكلام نبعه من تلك الشجره، و جدول من ذلك البحر، و جذوه من تلك النار كأنه شرح قوله تعالى:

«وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام لعجز اللسان و قصور البيان عن احصاء فضائله و استقصاء خصائصه فأقول قوله:(عالم السر من ضمائر المضميرين) أراد به أنه خبير بمكتوبات السرائر و محيط بمكنونات الضمائر، لا يعزب عن علمه شيء منها كما قال عز من قائل:

«وَ إِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى».

(و نجوى المتخافتين) أى مساره الذين يسرون المنطق كما قال تعالى:

«مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ».

(و خواطر رجم الظنون) يعنى ما يخطر بالقلب مما يسبق إليه الظنون من غير برهان (و عقد عزيماات اليقين) أى محكمات العقائد الناشئه عن اليقين التى عقد عليها القلب و اطمأن إليها النفس (و مسارق ايماض الجفون) يعنى خفيات(1) إشاره الجفون، أو المراد بالجفون العيون مجازا و بالمسارق النظرات الخفيه التى للعيون كأنها تسرق النظر لاخفائها فيكون المقصود علمه بالنظرات الخفيه للعيون حين تومض أى تلمع لمعا خفيفا يبرز لمعانها تاره و يختفى اخرى عند فتح

ص:٥٢

١- (١) هذا على كون المسارق من سرق كفرح بمعنى خفى و الايماض بمعنى الاشاره منه،

الجفون و طبقها كوميض البرق (و ما ضمنته اكنان القلوب) أى أستارها و أغطيتها (و غيايات الغيوب) أى ستراتھا و حجاباتها المانعه من ادراك ما فيها (و ما أصغت لاستراقه مصائخ الاسماع) يعنى تسمعت و مالت إلى استماعه خفيه مخارق الاسماع التى تسمع و تصاخ بها (و مصائخ الذرّ و مشاتى الهوام) يعنى المواضع التى يصيف فيها أى يقيم بالصيف صغار النمل و المواضع التى تشتو فيها أى تأوى بالشتاء حشرات الأرض (و رجح الحنين من المولهاات) أراد به ترجيع الصوت و ترديد شدة البكاء من النوق و كلّ انثى حيل بينها و بين أولادها (و همس الأقدام) أخفى ما يكون من صوتها (و منفسح الثمره من ولايج غلف الأكمام) أى موضع نموّها أو محلّ انقطاعها من بطانه الأكمام و المواضع المستتره منها (و منقمع الوحوش) محلّ اختفائها (من غير ان الجبال) و أغوارها أى جحراتها التى تأوى إليها الوحش (و أوديتها) الضمير راجع إلى الجبال و فى الاضافه توسع (و مختبئى البعوض) موضع اختفاء البق (بين سوق الأشجار و ألحيثها) أى بين جذعها و قشرها (و مغرز الأوراق من الأفنان) محلّ و صلها من الاغصان (و محط الامشاج من مسارب الأصلاب) أى انحدار الاخلاط أو محلّ انحدارها(1) من مجارى الأصلاب و مسيلها أو مخفاها قيل فى قوله تعالى:

«إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ».

أى أخلاط من الطبايع من الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه، و قيل:

من الأجزاء المختلفه فى الاستعداد، و قيل: أمشاج أى أطوار طوراً نطفه و طوراً علقه و هكذا، و قيل: أى أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأة و كلّ منهما مختلفه الاجزاء فى الرقه و القوام و الخواص و لذلك يصير كلّ جزء منهما مادّة عضو و قيل:

ألوان فإنّ ماء الرّجل أبيض و ماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا، و كلامه عليه السّلام

ص: ٥٣

١- (١) و الاول مبنى على كون المحط مصدرا و الثانى على كونه اسم مكان، منه

يؤيد بعض الوجوه كما لا- يخفى فيكون محطّ الأمشاج مقرّ النطفه من الرّحم أو من الأصلاب على بعض الوجوه فى المسارب فافهم (و ناشئه الغيوم و متلاحمها) أراد أوّل ما ينشأ منها و لم يتكامل اجتماعها و ما يلتصق بعضها ببعض و يلتحم (و درور قطر السحاب فى متراكمها) أى سيلان المطر فى متكاثف السّحاب و مجتمعها (و ما تسفى الأعاصير) أى تذروه و تثيره من التراب و نحوه (بذبولها) بأطرافها التى تجرّها على الأرض و لطف الاستعاره ظاهر (و تعفو الأمطار بسيولها) أى تمحوه و تدرسه من الآثار بمائها الكثير السائل (و عوم بنات الأرض فى كثران الرّمال) أراد عليه السّلام مبيّنات الأرض الحشرات و الهوام التى تكون فى تلال الرّمال و تنشأ فيها، استعار لحركتها فيها لفظ العوم الذى هو السّباحه فى الماء بمشابهه عدم استقرارها أو غوصها فيها، و على ما فى بعض النسخ من تقديم النون فلفظ العوم استعاره لحركه عروق النباتات فيها كأرجل السّابحين و أيديهم فى الماء (و مستقرّ ذوات الأجنحه من الطيور بذرى شناخيب الجبال) و أعالي رؤوسها (و تغريد ذوات المنطق) أى تطريب صاحبات النطق من الأطيّار و رفع أصواتها بالغناء (فى دياجير الأوكار) و ظلماتها (و ما أوعته الأصداف) أى حفظته و جمعته من اللّثالى (و حضنت عليه أمواج البحار) من السمك و العنبر و غيرهما، استعار لفظ الحضن للأمواج فى انطباقها بملاحظه شبهها و بالحواضن فى ضمّ فرخها و بيضها إلى حضنها (و ما غشيته) و غطته (سدفه ليل) و ظلمتها (أو ذرّ عليه شارق نهار) أى طلع عليه الشّمس المضيئه بالنهار (و ما اعتقبت) و تعاقبت (عليه أطباق الدياجير) و أغطيه الظلم (و سبحات النور) أى ما يجرى و يسبح عليه النور من سبح الفرس و هو جريه، و المراد بما تعاقب عليه النور و الظلمه ما تغطيه ظلمه بعد نور و نور بعد ظلمه، و يحتمل أن يراد تعاقب أفراد كلّ منهما (و أثر كلّ خطوه) أى علامه كلّ مشيه تبقى فى الأرض (و حسّ كلّ حرّكه) و صوتها الخفى (و رجع كلّ كلمه) أراد به ما ترجع به من

الكلام إلى نفسك و تردده في فكرك، أو جواب الكلمة أو ترديد الصوت و ترجيعه عند التلفظ بالكلمه أو إرجاع النفس للتلفظ بكلمه بعد الوقف على كلمه.

(و تحريك كل شفه و مستقر كل نسمه) أى كل انسان أو كل دابه فيها روح، و مستقرها إما الصلب أو الرّحم أو القبر أو مكانه فى الدنيا أو فى الآخرة أو الأعم (و مثقال كل ذره) يعنى وزنها لا المثقال المعروف كما قال تعالى:

«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ».

(و هماهم كل نفس هامه) أراد عليه السّلام ترديدات الصّوت فى الحلق أو تردّداته فى الصدر من الهم و الحزن من كل نفس ذات همه تعزم على أمر (و ما عليها) أى على الأرض المفهومه بقرينه المقام و إن لم يسبق لها ذكر فى الكلام على حدّ قوله تعالى: كلّ من عليها فان (من ثمره شجره أو ساقط ورقه أو قراره نطفه) مستقرها (أو نقاعه دم) أى نقره يجتمع فيها الدّم (و مضغه) قطعه لحم بقدر ما يمضغ (أو ناشئه خلق) أى الصّوره ينشئها سبحانه فى البدن أو الرّوح التى ينفخها فيه (و سلاله) و هى فى الأصل ما استلّ و استخرج من شىء و سمى الولد و نطفه الانسان سلاله باعتبار أنّهما استلا منه، و فى هذه الفقرات إشارة إلى قوله تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

ثمّ إنّ بعد بيان عموم علمه بالمخلوقات على اختلاف أنواعها و أصنافها تبّه على تنزّهه سبحانه فى ذلك عن صفات البشر فقال (لم يلحقه فى ذلك) أى فى علمه بالجزئيات المذكوره أو فى خلقه لها على اختلاف موادّها و ماهيّاتها و خواصّها و حالاتها (كلفه) و مشقّه (و لا اعترضته) و منعه (فى حفظ ما ابتدع من خلقه

عارضه) أى حاله أو خصله مانعه عن الحفظ (و لا اعتورته) قيل أحاطت به (فى تنفيذ الامور) و إمضائها (و تدابير المخلوقين) و إجراء امورهم على وفق المصلحه و العلم بالعواقب (ملاله) و ضجر (و لا فتره) أى كسر بعد حدّه و لين بعد شدّه (بل نفذ فيهم علمه) و أحاط بطواهرهم و بواطنهم لا- يعزب عنه شىء منهم (و أحصاهم عدّه) و فى بعض النسخ عدوه (و وسعهم عدله و غمرهم) أى غطاهم و شملهم و سترهم (فضله) و نواله (مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله) و حقيقه ما هو مستحقه من الثناء الجميل و الوصف على جهه التعظيم و التبجيل، و أن يعبد حقّ العباد، و يعرف حقّ المعرفة و فيه تنبيه على حقاره ثنائهم و عبادتهم فى جنب جلاله و عظمته و استحقاقه لما هو أهله ليدوم شكرهم و ثنائهم و لا يستكثروا شيئاً من طاعاتهم و عباداتهم، ثمّ إنه لما حمد الله و أثنا عليه و وصفه بأوصاف الكمال و نعوت الكبرياء و الجلال أردفه بالدعاء و السؤال و التضرّع و الابتهاال فقال:

(اللهم أنت أهل الوصف الجميل) دون غيرك لا تصافك بالصّفات الحسنى و الأمثال العليا (و التعداد الكثير) من النعم و الآلاء و المنن و العطايا (إن تؤمل) للكرم و الامتنان (ف) أنت (خير مأمول و إن ترج) للرحمه و الغفران (ف) أنت (أكرم مرجو) لأنّ كرمك لا يضيق عن سؤال أحد و يدك بالعطاء أعلى من كلّ يد (اللهم و قد بسطت لى) القدره (فيما) كنايه عن بلاغه الكلام و فصاحه البيان و عذوبه اللسان (لا- أمدح به غيرك و لا اثنى به على أحد سواك) لاختصاصك بالفضل و الكمال و تفرّدك بالعظمه و الجلال (و لا اوجّهه) أى لا أصرف ما أعطيتنى من الفصاحه و البلاغه فى الحمد و المدح (إلى معادن الخيبه و مواضع الريبه) يعنى أنى أقصر حمدي و ثنائى عليك و لا أصرفه إلى أحد غيرك من المخلوقين علماً منى بأنهم معادن الخيبه و مظانّ الحرمان، لأنّ عطاياهم قليله فانيه، مع أنّهم لا يعطون غالباً فان اعطوا قلّوا و إن لم يعطوا ملّوا، و عرفانا منى بأنهم مواضع الريبه و التهمه لعدم الاعتماد على إعطائهم و عدم الوثوق بمواعيدهم، لكونهم عاجزين

محتاجين مفتقرين مثل السائلين عنهم، فمن توجه بحاجه إليهم و أناخ مطايا الرجاء فى بابهم فقد تعرّض للحرمان و استحقّ فوت الاحسان اللهم (و) قد (عدلت بلسانى عن مدايح الآدميين) إلى مدائحك (و الثناء على المربيين المخلوقين) إلى الثناء عليك (اللهم و لكلّ مثن) و مادح (على من) مدحه و (أثنا عليه مثوبه من جزاء) مكافاه على ثنائه (أو عارفه من عطاء) مقابله لمدحه (و قد رجوتك) و قصرت رجائى عليك لكونك (دليلا على ذخائر الرحمة) موصلا إلى أسبابها بالتوفيق و التأيد و العناية و المراد بها عطايا المذخوره ليوم الحاجه و المعدّه لحال الفاقه (و) أملتك هاديا إلى (كنوز المغفره) أراد بها خزائن الغفران و معادن الاحسان و كونه سبحانه هاديا و دليلا- عليهما باعتبار أنه بيده مفاتيح الكرم و الجود و هو وليّ الرّحمه و المغفره لكلّ موجد موجود (اللهم و هذا) المقام الذى أنا فيه مشغول بتعظيمك و توحيدك و خطيب بمحاسن محامدك (مقام من أفردك بالتوحيد الذى هو لك) و التمجيد الذى هو مختصّ بك (و لم ير مستحقّا لهذه المحامد و الممادح غيرك) لانهصار أوصاف الجمال و نعوت الكمال التى بها يستحقّ الحمد و الثناء فيك (و بى) فقر و (فاقه إليك) و هى الحاجه إلى كرمه و إحسانه و رحمته و غفرانه و مرضاته و رضوانه مما لا ينجحها أحد من المخلوقين و لا يقدر على رفعها إلّا ربّ العالمين و لذلك قصره عليه و قال:

(لا يجبر مسكنتها إلّا فضلك و لا ينعش من خلّتها إلّا منك وجودك) أى لا يصلح ذلّ تلك الفاقه و سوء حالها إلّا فضلك و لا يرفع خصائصها إلّا- منك (فهب لنا فى هذا المقام رضاك، و أغننا عن مدّ الأيذى إلى سواك، إنك على كلّ شىء قدير) و بالاجابه حقيق جدير.

قال الشارح المسكين: و أنا أتأسّى فى هذا المقام بجدى أمير المؤمنين و سيد الوصيّين، و أتوسّل به إلى حضره ذى الجلال، و اناديه بلسان التضرّع و الابتهاال، و أقول:

یا ربّی و ربّ کلّ شیء قد کثرت ذنوبی، و جمّت خطیئتی، و أوقرت الخطایا ظهري، و أنت الغفور الرّحیم، العزیز الکریم، و کثیر ما أسألك یسیر فی وجدک و خطیر ما أستوهبک حقیر فی وسعک، فاجعل ما أوضحته فی شرح هذه الخطبه الشریفه من دلائل توحیدک، و براهین تفریدک، و کشف الغطاء عنه من شواهد ربویّتک، و أدلّه قدرتک، و أسرار تدبیرک و حکمتک، ذخیره مأموله لیوم فقری و فاقتی، و عدّه مرجّوه لحال مسکنتی و حاجتی، و ممحاه لکبایر سیّاتی، و وسیله لارتفاع درجتی، و لا تقطع رجائی منك، و لا- تبت سببی عنک، و تفضّل علیّ باتمام شرح الکتاب بمحمّد و آلّه الأطیاب، إنّک أنت المفضّل الوهاب.

الترجمه

خداوند تعالی عالم راز و سرّ است از ضمیرهای صاحبان ضمیر، و از نجوای راز گویندگان، و از خاطرهای انداخته شده ظن و گمان، یعنی خاطرهایی که سبقت نماید بسوی آن ظنّها، و از آنچه منعقد می شود در قلب از عزیمتهای یقین، و از نظرهای خفیه چشمها در وقت نگریستن، و از آنچه که در بر گرفته است او را پردهای قلبها و حجابهای غیبها، و از آنچه که گوش داده است از برای نهان شنیدن آن مواضع سوراخ گوشها، و از جایهای تابستانی موران و از جای های زمستانی جنبندگان، و از باز گردانیدن آواز آه و ناله از مادران جدا شده از فرزندان و از صوت نهان قدمها و از جای روئیدن میوه از مداخل و بواطن غلافهایی که در آن میوه مخلوق می شود، و از محل اختفاء وحشها از غارهای کوهها، و از رودخانههای آنها، و از موضع پنهان شدن پشهها در میان ساقهای درختان و پوست های آنها، و از مکان رستن برگ ها از شاخها و از محلّ فرود آمدن اخلاط نطفه از مجاری صلبها، و از تازه بر آمده ابرها و بهم پیوسته آنها، و از ریزان شدن قطرها از ابرها و بهم بر نشسته آنها، و از آنچه که می پاشد آنها گردبادها بدامنهای خود، و محو می کند آنها بارانها بسیل های خود، و از فرو رفتن و سیر نمودن حشرات الأرض در تلّهای ریگها، و از محل استقرار صاحبان بال ها ببلندی های سرهای کوه ها،

و از آواز گردانیدن بنغمات و سرود صاحبان نطق از مرغان در تاریکی های آشیان ها و از آنچه که حفظ نموده است آنرا صدف ها، یعنی از لؤلؤ و مروارید، و دایگی نموده است آنرا موج های دریاها یعنی از عنبر و ماهی، و از آنچه که پوشیده آنرا تاریکی شب یا طلوع نموده بر آن روشنی دهنده روز، و از آنچه که پی در پی می آید بر او طبق های ظلمت ها و مجاری نور، و از علامت هر کام، و از حس و حرکت هر جسمی از اجسام، و از باز گردانیدن جواب هر کلمه، و از حرکت دادن هر لب، و از قرارگاه هر آفریده، و از مقدار هر ذره، و از آوازهای پنهان هر نفس صاحب همت، و از آنچه که بر زمین است از میوه درختی یا از افتاده برگی یا از آرام گرفتن نطفه یا نقاعه که محل اجتماع خونت و مضغه، یا صورتی که آفریده شده در بدن و نطفه که بیرون کشیده شده از پشت حیوان.

نرسیده است بذات باری تعالی در این چیزها که آفریده مشقتی، و عارض نشده است او را در حفظ آنچه که ایجاد فرموده از مخلوقات عارضه، و احاطه نکرده او را در اجراء امورات و تدبیر مخلوقات ملالت و کدورتی، و نه ضعف و فتوری، بلکه نافذ شده در ایشان علم او، و بشماره در آورده ایشان را شمردن او، و فرا گرفته است ایشان را عدالت او، و پوشیده گناهان ایشان را فضل او با وجود تقصیر کردن ایشان از پایان رسانیدن آنچه که خداوند سبحانه سزاوار او است از مراتب معرفت و عبادت.

بار پروردگارا توئی سزاوار اوصاف حسنه بی شمار و اهل شمار نمودن شماره های بسیار اگر امید گرفته شوی تو، پس تو بهترین امید داشته شدهائی، و اگر رجا بتو باشد پس تو گرامی ترین رجا داشته شدگانی بار خدایا و بتحقیق که گسترانیدی از برای من قدرت را در آنچه که مدح نمیکنم با او غیر تو را، و ثنا نمیکنم با او بر احدی غیر از تو، و متوجه نمیکنم مدح و ثناء خود را بسوی مخلوقین که معدن های نومیدی و محل های تهمت می باشند و باز داشته زبان مرا از مدحهای آدمیان و ثنا گفتن بر مخلوقان که تربیت یافته

نعمت تو اند.

بار خدایا هر ثنا کننده را بر کسی که در حقّ او ثنا گفته ثوابی هست از پاداش آن یا خوبی از عطا کردن، و بتحقیق که امید گرفتم بتو از جهت این که تو رهنمائی بر ذخیره‌های بخشش، و خزانهای مغفرت و آمرزش بار خدایا این مقامی که مشغول هستم بذکر حمد و ثنای تو مقام کسیست که منحصر دانست تو را بیگانگی که اختصاص دارد بتو، و ندید کسی را که مستحق باشد مر این ستایشها و ثناها را غیر از ذات تو، و مراست حاجتی بسوی تو که جبر و اصلاح نمی کند ذلّت آنرا مگر فضل تو، و بر نمی دارد فقر وفاق آنرا مگر عطا وجود تو پس ببخش ما را در این مقام رضا و خشنودی خود را، و مستغنی کن ما را از دراز نمودن دستها بسوی غیر تو، بدرستی که تو بر آن چه می خواهی صاحب قدرت می باشی.

و من کلام له علیه السّلام لما ارید علی البیعه و هو الواحد

اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و قد رواه غیر واحد من العامه و الخاصه حسبما نشیر إلیه دعونی و التمسوا غیری، فَإِنَّا مستقبلون أَمْرًا لَهُ وَجْهٌ وَ أَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَ إِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَ الْمَحَجَّهَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَ اَعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكْبَتَ بَكْمَ مَا أَعْلَمُ، وَ لَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ، وَ عَتَبَ الْعَاتِبُ، وَ إِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ، وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَ لِيَتَمَوْهَ أَمْرُكُمْ، وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرَ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا.

ص: ۶۰

(غامت) الآفاق و أغامت و اغيمت و غيمت تغيمما و تغيمت غطاها الغيم، و غيم الليل جاء كالغيم و (المحجّه) الطريق الواضح و (التنكر) التغير عن حال تسرّك إلى حال تكرهها و الاسم التّكير و (العتب) كالعتاب الملامه و (الوزير) حباء الملك أى جلسه الذى يحمل ثقله و يعينه برأيه

الاعراب

قوله عليه السّلام: و أنا لكم آه الواو للحال، و الجمله بعدها منصوبه المحلّ على الحالّيه، و أنا مبتدأ و خير خبره و الظرفان متعلّقان به، و وزيرا و أميراً منصوبان على الحال، و اختلف علماء الأديبه فى عامل الحال إذا وقع فى مثل هذا المثال، فمنهم من جعله أفعل التفضيل، و منهم من جعله كان محذوفه تامه صله لاذا و التقدير أنا إذا كنت لكم وزيرا خير منى لكم إذا كنت أميراً و تحقيق ذلك أنّهم بعد حكمهم على عدم جواز تقديم الحال على عامله إذا كان اسم تفضيل من حيث ضعفه فى العمل لأجل شباهته بالفعل الجامد فى عدم قبوله علامه التانيث و التثنيه و الجمع كما يقبلها أسماء الفاعلين و المفعولين و الصفه المشبهه فلا يتصرّف (١) فى معموله بالتقديم كما لا يتصرّف فى الفعل الجامد، استثنوا من ذلك ما إذا كان اسم التفضيل عاملاً فى حالين احدهما مفضله على الاخرى فانه يجب حينئذ تقديم الحال الفاضله لخوف اللبس، و مثلوا له بقولهم هذا بسرا أطيب منه رطباً، قال سيبويه فى المحكّي عنه: انتصب بسرا على الحال من الضمير فى أطيب و انتصب رطباً على الحال أيضاً من الضمير المجرور بمن، و العامل فيهما أطيب بما فيه من معنى المفاضله بين شيئين، كأنه قال: هذا فى حال كونه بسرا أطيب من نفسه

ص: ٦١

١- (١) - يعنى أنّ الفعل الجامد لا- يتصرّف فيه فلا يتصرّف فى معموله و كذلك ما أشبهه فيجب تأخير الحال فيهما يقال ما أحسنه مقبلاً و هذا أفصح الناس خطيباً. منه

فى حالكونه رطبا، تريد أن تفضل البسر على الرطب، قال: فأطيب ناب مناب عاملين، لأنّ التقدير يزيد طيبه فى حالكونه بسرا على طيبه فى حالكونه رطبا و أشار بذلك(١) إلى التمر، و المعنى بسرّه أطيّب من رطبه انتهى و به قال غير واحد من النحاه كالمازنى و الفارسى و ابن كيسان و ابن جنى و ابن هشام فى التوضيح، و ذهب المبرّد و الرّجاج و ابن السّراج و السّيرافى إلى أنّ الثّياصب فى المشال كان محذوفه تامه صله لإذا و إذا فان قلت ذلك و هو بلح فالمقدر اذا و ان قلته و هو تمر فالمقدر إذ، و الصاحبان المضميران فى كان لا- المضمّر فى أطيّب، و المجرور بمن و قدم الظرف يعنى إذا و إذا على أطيّب لاتساعهم فى الظروف و لهذا جاز كلّ يوم لك ثوب و لم يجز زيد جالسا فى الدّار و كيف كان فقد اتفق الفريقان بعد اختلافهم فى عامل الحال على وجوب تقديم أحد الحالين على اسم التفضيل و تأخير الآخر ليظهر الفضل بين المفضّل و المفضّل عليه إذ لو أخرا جميعا حصل الالتباس.

فان قيل: إن جعل أحدهما تاليا لأفعل لا يحصل الالتباس، قلنا يؤدّى إلى الفصل بين أفعل و بين من و مجرورها و هو غير جازى لكونهما بمنزله الصّيله و الموصول فان قلت: فكيف فصل بالظرف فى كلام الامام عليه السّلام؟ قلت: ذلك فصل جازى للاتّساع فى الظروف بما لا يتّسع فى غيره

المعنى

إشارة

اعلم أنّ المستفاد من الروايات الآتية و غيرها فى سبب هذا الكلام هو أنّ خلفاء الجور بعد ما غيّرُوا سنّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و سيرته التى كان يسيرها من العدل بالقسمه و المواساه بين الرّعيه، ففضّلوا العرب على العجم، و الموالى على العبيد، و الرؤساء على السفله، و آثر عثمان أقاربه من بنى اميه على ساير الناس و جرى على ذلك ديدنهم سنين عديده، و اعتاد الناس ذلك أزمنه متطاولة حتّى نسوا

ص: ٦٢

سيره الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم، و كان غرض الطالبين لبيعته عليه السَّلام أن يسير عليه السَّلام فيهم مثل سيره من سبق عليه من المتخلفين من تفضيل الشريف على الوضع، و كان عليه السَّلام تفرَّس ذلك منهم و عرفه من و جنات حالهم.

خاطبهم بهذا الكلام إتماماً للحجَّة و إعلاماً لهم بأنَّه عليه السَّلام إن قام فيهم بالأمر لا يجيبهم إلى ما طمعوا فيه من الترجيح و التفضيل فقال عليه السَّلام (دعوني و التمسوا غيري) للبيعه (فأنَّا مستقبلون أمراً له و جوه و ألوان) و هو إنذار لهم بالحرب و إخبار عن ظهور الفتنة و اختلاف الكلمات و تشتت الآراء و تفرَّق الأهواء، يعنى أنَّى إن أجبت إلى ملتصكم فلا بدَّ من ابتلاء أمر له أحكام صعبه و تكاليف شاقه من محاربه الناكثين و القاسطين و المارقين و التسويه فى القسمة و العدل بين الرعيه الى غير ذلك و هو مما (لا- تقوم له القلوب) أى لا- تصبر عليه (و لا- تثبت عليه العقول) بل تنكره (و انَّ الآفاق قد أغامت) أى أظلمت بظهور البدع و خفاء شمس الحقّ تحت سحاب شبه أهل الباطل (و المحجَّه قد تنكرت) أراد به تغيّر الحنيفيه البيضاء و المله الغراء و جهاله جادّه الحقّ (و اعلموا أنَّى إن إن أجبتكم) إلى ما تلتمسونه منى (ركبت بكم ما أعلم) أى جعلتكم راكبين على محض الحقّ و أسير فيكم بسيره رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم (و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب) أى لم يأخذنى فى الله لومه لا-ثم (و إن تركتمونى فأننا كأحدكم) يعنى إن تركتمونى فهو أنفع لكم و أرفه لحالككم لأننى حينئذ أكون مثل واحد منكم و المراد بتركهم إيّاه عدم طاعتهم له و اختيار غيره للبيعه حتى لا- تتم شرايط الخلافه لعدم الناصر كما قال فى الخطبه الشقشقيّه: لو لا حضور الحاضر و قيام الحجَّه بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها، و ليس الغرض ردعهم عن البيعه الواجبه بل إتمام للحججه و توطئه لابطال ما علم عليه السَّلام منهم من ادعاء الاكراه بعد البيعه كما فعل طلحه و الزبير بعد التَّكث و قوله (و لعلّى أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم) لعلّه عليه السَّلام أراد أنه إذا تولى الغير أمر الامامه و لم تتم الشرائط فى خلافته عليه السَّلام لم يكن ليعدل عن

مقتضى التقية فيكون أكثر الناس إطاعه لوالى الأمر بخلاف سائر الناس فإنه يجوز عليهم الخطاء (و أنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا) يعنى وزارتى خير لكم من امارتى، لأن فيه موافقه الغرض أو سهوله الحال فى الدنيا، فإنه على تقدير الاماره و بسط اليد يجب عليه القيام بمحض الحق و هو صعب على النفوس و لا- يحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيرا فإن تكليف الوزير هو الاشاره بالرأى مع تجويز التأثير فى الأمير و عدم الخوف و نحوه من شرايط الأمر بالمعروف، و لعل الأمير الذى يولونه الأمر يرى فى كثير من الامور ما يوافق آمال القوم و يطابق أطماعهم و لا يعمل بما يشير الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم فالحاصل أن ما قصد تموه و طمعتم فيه من بيعتى لا يتم لكم، و وزارتى أوفق لغرضكم، و المقصود إتمام الحجة و إفهام حقيقه الأمر كيلا يعترضوا عليه بعد البيعه إذا لم يحصل غرضهم منه عليه السلام و لا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين، هذا.

و اعلم أن ما ذكرته فى شرح هذا الكلام له عليه السلام هو الذى ينبغى أن يحمل الكلام عليه و هو أقرب و أظهر ممّا قاله الشّارح البحرانى «قد» من أن مراده عليه السلام بكلامه ذلك هو التمنّع عليهم لتقوى رغبتهم إليه، فإنه لا بدّ لكلّ مطلوب على أمر من تعزّز فيه و تمنّع، و الحكمه فى ذلك أن الطالب له يكون بذلك أرغب فيما يطلب فإنّ الطبع حريص على ما منع، سريع النفرة عمّا سورع إلى اجابته فيه.

و أمّا الشّارح المعتزلى فقد تمشّى فيه على مذهبه و قال: هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون: إنّه عليه السلام لم يكن منصوصا عليه بالامامه من جهة الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و إن كان أولى الناس بها و أحقّهم بمنزلتها، لأنه لو كان منصوصا عليه بالامامه من جهة الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم لما جاز له أن يقول: دعونى و التمسوا غيرى، و لا أن يقول: و لعلّى أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه أمركم، و لا أن يقول:

و أنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا.

ثم ذكر تأويل الاماميه بأن الخطاب للطالبيين منه أن يسير فيهم مثل سيره الخلفاء بتفضيل بعضهم على بعض في القسمة و العطاء، فاستغفاهم و سألهم أن يطلبوا غيره ممن يسير بسيرتهما إلى أن قال: و قد حمل بعضهم كلامه عليه السلام على محمل آخر فقال: هذا كلام مستزید شاك من أصحابه يقول عليه السلام لهم: دعوني و التمسوا غيري، على طريق التضجر منهم و التسخط لأفعالهم، لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل و اختاروا غيره عليه فلما طلبوه بعد أجابهم جواب العاتب المتسخط ثم قال: و حمل قوم منهم الكلام على وجه آخر فقالوا: إنه أخرجه مخرج التهكم و السخرية، أي أنا لكم وزيرا خير مني لكم أميرا فيما تعتقدونه كما قال سبحانه:

«ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ».

أي بزعمك و اعتقادك ثم قال: و اعلم أن ما ذكره ليس ببعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دلّ على ذلك، فأما إذا لم يدلّ عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره. و نحن نتمسك بالظاهر إلى أن يقوم دلاله على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ على ظاهره، و لو جاز أن يصرف الألفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصد عنها لم يبق وثوق بكلام الله عزّ و جلّ و بكلام رسوله، انتهى كلامه هبط مقامه.

و أورد عليه المحدث العلامة المجلسي طاب رسمه في المجلد الثامن من البحار بعد نقل كلامه بقوله: و لا يخفى على اللبيب بعد الغماض عن الأدلة القاهرة و النصوص المتواتره لا فرق بين المذهبيين في وجوب التأويل و لا يستقيم الحمل على ظاهره إلا على القول بأن إمامته عليه السلام كان مرجوحا و أن كونه وزيرا كان أولى من كونه أميرا، و هو ينافي القول بالتفضيل الذي قال به، فإنه عليه السلام إذا كان أحق بالامامه و بطل تفضيل المفضل على ما هو الحقّ و اختاره أيضا كيف يجوز للناس أن يعدلوا عنه إلى غيره و كيف يجوز له عليه السلام أن يأمر الناس بتركه و العدول عنه

إلى غيره مع عدم ضروره تدعو إلى ترك الامامه؟ و مع وجود الضروره كما جاز ترك الامامه الواجب بالدليل جاز ترك الامامه المنصوص عليها، فالتأويل واجب على التقديرين و لا- نعلم أحدا قال بتفضيل غيره عليه و رجحان العدول إلى أحد سواه في ذلك الزمان، على أنّ الظاهر للمتأمل في أجزاء الكلام حيث علّل الأمر بالتماس الغير باستقبال أمر لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول و يتنكر المحجه و أنّه إن أجابهم حملهم على محض الحقّ، هو أنّ السبب في ذلك وجود المانع دون عدم النصّ و أنّه لم يكن متعيّنا للامامه أو لم يكن أحقّ و أولى به و نحو ذلك

تنبيه

متضمّن لبعض الأخبار المناسبه للمقام، قال ابن الأثير في المحكّي عنه في كتاب الكامل: لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم من المهاجرين و الأنصار و فيهم طلحه و الزبير فأتوا عليّا عليه السّلام فقالوا له لا بدّ للناس من إمام، قال: لا حاجه لى فى أمركم فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك و تردّدوا إليه مرارا و قالوا فى آخر ذلك: إنّنا لا نعلم أحدا أحقّ به منك و لا أقدم سابقه و لا أقرب قرابه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، فقال عليه السّلام: لا تفعلوا فانى أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا، فقالوا، و الله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك.

قال عليه السّلام: ففى المسجد فإنّ بيعتى لا يكون خفيا و لا يكون إلاّ فى المسجد و كان عليه السّلام فى بيته، و قيل: فى حائط لبنى عمرو بن منذر، فخرج إلى المسجد و عليه ازار و قميص و عمامه خز و نعلاه فى يده متوكّئا على قوسه، فبايعه الناس فكان أوّل من بايعه طلحه بن عبيد الله، فنظر إليه حبيب بن ذويب فقال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، أوّل من بدأ بالبيعه يد شلاء لا يتمّ هذا الأمر، و بايعه الزبير و قالوا بعد ذلك: إنّما صنعنا ذلك خشيه على أنفسنا، و هربا إلى مكّه بعد قتل عثمان بأربعه أشهر و بايعه الناس و جاءوا بسعد بن أبى وقاص فقال علىّ عليه السّلام: بايع، قال: لا حتّى يبايع الناس و الله ما عليك منى بأس، فقال عليه السّلام: خلّوا سبيله، و جاءوا بابن عمر فقالوا: بايع

فقال: لا حتى يبايع الناس، قال: ائتنى بكفيل قال، لا أرى كفيلا، قال الأشر:

دعنى أضرب عنقه قال عليه السلام: دعوه أنا كفيله.

و بايعت الأنصار إلّا نفرا يسيرا منهم حسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و مسلمه بن مخلد، و أبو سعيد الخدرى، و محمد بن مسلمه، و النعمان بن بشير، و زيد ابن ثابت، و كعب بن مالك، و رافع خديج، و فضاله بن عبيد، و كعب بن عجره كانوا عثمانيه فأما النعمان بن بشير فانه أخذ أصابع نائله امرئه عثمان التى قطعت و قميص عثمان الذى قتل فيه، فلحق بالشام فكان معاويه يعلق قميص عثمان و فيه الأصابع فاذا رأوا ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدّوا فى أمرهم قال: و روى أنهم لما أتوا عليّا عليه السلام ليبايعوه قال: دعونى و التمسوا غيرى فأنا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول، فقالوا ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الاسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم و اعلموا أنى إن أجبتكم أركب بكم ما أعلم فان تركتمونى فانما أنا كأحدكم إلّا أنى من أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه و روى الشارح المعتزلى عن الطبرى و غيره أنّ الناس غشوه و تكاثروا عليه يطلبون مبايعته و هو عليه السلام يأبى ذلك و يقول: دعونى و التمسوا غيرى فأنا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تثبت عليه العقول و لا تقوم له القلوب، قالوا: ننشدك الله ألا ترى الفتنة؟ ألا ترى إلى ما حدث فى الاسلام؟ ألا تخاف الله؟ فقال عليه السلام: قد أجبتكم لما أرى منكم و اعلموا أنى إن أجبتكم ركب بكم ما أعلم و إن تركتمونى فانما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه أمركم، فقالوا:

ما نحن بتاركيك.

قال عليه السلام: إن كان لا بدّ من ذلك ففى المسجد إنّ بيعتى لا يكون خفيا و لا يكون إلّا عن رضاء المسلمين و فى ملاء و جماعه، فقام و الناس حوله فدخل المسجد و انثال عليه المسلمون فبايعوه و فيهم طلحه و الزبير و فى البحار من المناقب فى جمل أنساب الأشراف أنه قال الشعبى فى خبر:

لما قتل عثمان أقبل الناس إلى عليّ عليه السّلام ليبايعوه و مالوا إليه فمدّوا يده فكفّوها، و بسطوها فقبضها حتّى بايعوه و فى سائر التواريخ أنّ أوّل من بايعه طلحه بن عبد الله و كانت أصبعه اصيبت يوم أحد فشلت، فبصر بها أعرابى حين بايع فقال: ابتداء هذا الأمر يد شلاء لا يتمّ، ثمّ بايعه الناس فى المسجد، و يروى أنّ الرّجل كان عبيد بن ذؤيب فقال: يد شلاء و بيعه لا يتمّ و فى البحار و بويج يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجّه سنه خمس و ثلاثين من الهجره، و عن المعلّى بن خنيس عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّ اليوم الذى بويج فيه أمير المؤمنين ثانيه كان يوم النيروز، هذا و لمّا بويج عليه السّلام انشأ عطيه هذه الأبيات:

رأيت عليّا خير من وطىء الحصا و أكرم خلق الله من بعد أحمد

وصى رسول المرتضى و ابن عمّه و فارسه المشهور فى كلّ مشهد

تخيّره الرّحمن من خير اسره لأطهر مولود و أطيّب مولد

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبنا ببيعته بعد النّبىّ محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم

و أنشأ خزيمه بن ثابت

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبنا أبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولى النّاس بالنّاس انهاء طّب قريش بالكتاب و بالسّنن

و أنّ قريشا لا تشقّ غبارها إذا ما جرى يوما على ضمير البدن

ففيه الذى فيهم من الخير كلّهم ما فيهم مثل الذى فيه من حسن

وصى رسول الله من دون أهلوه فارسه قد كان فى سالف الزّمن

و أوّل من صلى من النّاس كلّهم سوى خيره النسوان و الله ذى المنن

و صاحب كبش القوم فى كلّ وقعهيكون لها نفس الشجاع لدى الذقن

فداك الذى تشنى الخناصر باسمها مامهم حتّى اغيب فى الكفن

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالیمقام است وقتی که اراده شد بر بیعت

بعد از کشته شدن عثمان بی ایمان می فرماید:

ترک نمائید مرا از این کار و معاف بدارید و طلب کنید غیر مرا پس بدرستی که ما استقبال نمایندگانیم کاری را که مرا و را است وجهها و رنگهای گوناگون که نمی ایستد و صبر نمی نماید آن کار را قلبها، و ثابت نمی شود بر آن عقلها، و بدرستی که آفاق و اطراف عالم را ظلمت گرفته و راه روشن شریعت تغییر یافته، و بدانید این که بدرستی من اگر اجابت نمایم و قبول کنم حرف شما را سوار گردانم شما را به آن چه که خودم می دانم و گوش نمی دهم بگفتار گوینده و ملامت ملامت کننده، و اگر بگذارید مرا بحال خود و معذور بدارید پس من می باشم مثل یکی از شماها، و شاید این که گوش دادن و اطاعت نمودن من بیشتر از شماها باشد بکسی که والی امر خود قرار بدهید، و من از برای شما در حالتی که وزیر باشم بهترم از برای شما از من در حالتی که امیر باشم زیرا که در حالت امارت و بسط ید تکلیف من قیام نمودنست بمحض حق و آن صعب است در حق اکثر مردم، و اما در حالت وزارت تکلیف من نصیحت است و مشاورت و بس خواه و الی امر قبول نماید و خواه قبول ننماید

و من خطبه له علیه السلام و هی الثانیة و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان، و هی من خطبه المشهورة رواها غیر واحد حسبما تطلع علیه و شرحها فی ضمن فصلین:

الفصل الاول

اشاره

أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، و لم يكن لي جترئ عليها

ص: ۶۹

أحد غيرى بعد أن ماج غيـهـبها، و اشتد كـلـبها، فاسئلونى قبل أن تفقدونى فوالذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين السـيـاعه، و لا- عن فـتـه تهـدى مائه و تضلّ مائه، إلّا أنبأتكم بناعقها، و قائدها، و سائقها و مناخ ركبها، و محطّ رحالها، و من يقتل من أهلها قتلا- و يموت منهم موتا، و لو قد فقد تمونى و نزلت بكم كرائه الأمور، و حواذب الخطوب، لأطرق كثير من السائلين، و فشل كثير من المسئولين، و ذلك إذا قلصت حربكم، و شمّرت عن ساق، و ضاقت الدّنيا عليكم ضيقا، تستطيّلون أيام البلاء عليكم، حتّى يفتح الله لبقية الأبرار منكم، إنّ الفتن إذا أقبلت شـبـهت، و إذا أدبرت تـبـهت، ينكرن مقبلا-، و يعرفن مدبرات، يحمن حوم الرّياح، يصبـن بلدا، و يخطين بلدا.

اللغة

(فقأت) عين الفتنة من باب منع قلعتها و شققـتها و (الغيـهـب) الظلمه و (كلب) الكلب كلبا فهو كلب من باب تعب و هوداء يشبه الجنون يأخذه فيعقر الناس و فى القاموس الكلب بالتحريك صياح من عضّه الكلب الكلب و جنون الكلاب المعترى من أكل لحوم الانسان و شبه جنونها المعترى للانسان من عضّها و (نعق) بغنمه من باب منع و ضرب صاح بها لتعود إليه و زجرها و نعق الغراب صاح و (مناخ) الابل بضّم الميم موضع اناختها أى مبركها، و فى شرح المعتزلى يجوز جعله مصدرا كالمقام بالضّم بمعنى الاقامه و (الركاب) بالكسر المطى اى الابل التى يسار عليها و احدثها راحله من غير لفظها و الجمع الرّكب ككتب

و (المحطّ) بفتح الميم قال الشارح المعتزلي يجوز كونه مصدرا كالمرد في قوله تعالى: و إنّ مردّنا إلى الله، و كونه موضعا كالمقتل و (الرّحال) كأرحل جمع الرّحل و هو مركب للبعير و يقال له را حول أيضا و (الحوازب) جمع الحازب من حزبه الأمر إذا اشتدّ عليه أو ضغطه و (الخطوب) جمع الخطب و هو معظم الأمر و (الاطراق) السّكوت و الاقبال بالبصر إلى الصّدر و (فشل) فشلا فهو فشل من باب تعب و هو الجبان الضّعيف القلب (إذا قلصت حربكم) بتخفيف اللّام من باب ضرب أى كثرت و تزايدت، و فى المصباح قلصت شفته انزوت و قلص الثوب انزوى بعد غسله، و فى بعض النسخ عن حربكم، و فى بعض النسخ بالتشديد أى انضمت و اجتمعت و (شبهت) بالبناء على المعلوم اى جعلت أنفسها شبيهه بالحقّ أو على المجهول أى أشكل أمرها و التبس على الناس و (نبهته) من النوم أيقظته و (حام) الطائر حول الماء إذا دار و طاف لينزل عليه و (يخطين) من الخطو و هو المشى

الاعراب

جملة و لو قد فقد تمونى إمّا استينافيه أو قسميه بحذف المقسم به بدلاله السّياق، و لو الشرطيه بمعنى ان مفيده للتعليل فى الاستقبال إلّا- أنه جىء، بالشرط و الجزاء بصيغه الماضى تنبيها على تحقّق وقوعهما لا- محاله، و هو من المحسنات البيانیه، و الحرب مؤنث سماعى و لذا انث الفعل المسند إليه، و مفعول شمّرت محذوف أيضا، و ضاقت عطف على شمّرت، و جملة تستطيلون حال من المجرور فى عليكم، و جملة ينكرون مقبلاّت و يعرفن مدبرات بدل كلّ من جملة إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت نبهت كما فى قوله تعالى:

«وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ».

و جملة يحمن منصوب المحلّ على الحال

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق لظهار مناقبه الجّمه و فضائله

الدثرة، و التنبيه على علو مقامه و رفعه مكانه و الغرض به التعريض على المخاطبين بغفلتهم عن سمو شأنه و جهالتهم بقدره و عدم معرفتهم به حق المعرفة ليرقدوا بذلك عن نوم الغفلة و الجهالة و يعرفوه حق المعرفة، و يعظموا قدره و منزلته و يقيموا بوظايف طاعته على ما يليق به سلام الله عليه و آله و أشار عليه السلام أولاً إلى فضيلته و شجاعته و كمال مهابته بقوله (أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة) أى شققته و قلعتها بشحمها أو أدخلت الاصبع فيها، و هو استعاره لكسر ثورانها و إسكان هيجانها، و المراد بالفتنة إما خصوص فتنة أهل البصرة و النهروان كما وقع الاشارة إليه منه عليه السلام فى روايه إبراهيم الثقفى و سليم ابن قيس الهلالى الآتية فى ذيل شرح الفصل الثانى، أو عموم فتن المنافقين و الكافرين و المصدر المحلى باللام و إن لم يكن مفيداً للعموم بحسب الوضع اللغوى حسبما قرّر فى الاصول، إلا أنه لا ينافى إفادته له بقرينه الحال.

فقد ظهر و اتضح لنا ظهور الشمس فى رابعه النهار أنه عليه السلام ردّ نخوه بأو الكفار و اعتلائهم يوم بدر، و شموخ انفهم و سموّ غلوائهم يوم أحد، و كسر صولتهم يوم خيبر و فقاً أعينهم بقتل ابن عبدود يوم الأحزاب، و هكذا ساير الحروب و الخطوب فقد علمنا علماً يقيناً أنه لو لا سيفه عليه السلام لما قام للاسلام عمود، و لا اخضرّ للايمان عود و لذلك قدّم المسند إليه على المسند ليفيد التخصيص، و جعل المسند جملة للتقوى كما قرّر فى علم المعان، و أكدّه بقوله (و لم يكن ليجتري عليها أحد غيرى) و تصديق ذلك أمّا فى وقعه الجمل و النهروان فلاّئ الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال أهل القبله و يخافون من ذلك الاثم و العصيان، و كانوا حسن الظنّ بطلحه و الزبير مع كون زوجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فيهم و أهل النهروان كانوا أهل قرآن و صلاه و اجتهاد و عبادته، و كان الناس يهابون قتالهم و يقولون كيف نقاتل من يصلّى كصلاتنا و يؤذّن كأذاننا و يصوم كصومنا على ما عرفت فى شرح الخطبه السادسه و الثلاثين و كذا التبس الأمر فى وقعه صفين و لذلك أمسك مثل خزيمة بن ثابت الانصارى

عن القتال حتّى قتل عمار فتيقن ضلاله القاسطين و قاتل حتّى قتل كما مرّ مشروحا فى تذييل الكلام الخامس و الستين و أمّا فى ساير الوقايع و الحروب التى كانت فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم فقد «زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» و ظَنُّوا بِاللّهِ الظُّنُونَا و اضطرب المؤمنون «و زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا» و دارت أعين المنافقين «كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» و قالوا:

«مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» ف «وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» بوجوده عليه السّلام «وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا» و انزل فى حقه عليه السّلام و فى عمّه حمزه و أخيه جعفر «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا».

و إلى شدّه تلك الفتن و ظلمتها أشار بقوله (بعد أن ماج غيبتها) و كنى بتموّج، ظلمتها عن شمول ظلّ لها لأنّ الظلمه إذا تموجت شملت أماكن كثيرة غير الأماكن التى تشمّلها لو كانت ساكنه و إلى غلبه شرّها و أذاها بقوله (و اشتدّ كلبها) ثمّ أشار إلى فضيله علمه بقول ما زال يقوله و هو قوله: (فاسألونى قبل أن تفقدونى) قال الشارح المعتزلى روى صاحب كتاب الاستيعاب و هو أبو عمر محمّد بن عبد البر عن جماعة من الرّواة و المحدثين قالوا لم يقل أحد من الصحابه عنهم سلونى إلّا على ابن أبى طالب، و روى شيخنا أبو جعفر الاسكافى فى كتاب نقض العثمانية عن على بن الجعد عن ابن شبرمه قال: ليس لأحد من النّاس أن يقول على المنبر سلونى إلّا على بن أبى طالب عليه السّلام.

أقول: و ذلك لأنّ الأنواع السّؤالات غير محصوره و لا محصاه، و أصناف الطلبات غير معدوده و لا مستقصاه، فبعضها يتعلّق بالمعقول و بعضها بالمنقول، و بعضها بعالم الشهود و بعضها بعالم الغيب، و بعضها بما كان و بعضها بما يكون و بعضها بما هو كائن، و هكذا فلا يمكن الجواب عن هذا كلّ و لا يقدر على مثل ذلك إلّا من تأيّد بقوّه ربانيّه، و اقتدر بقدره الهيه، و نفث في روعه الرّوح الأمين، و تعلّم علوم الأولين و الآخرين، و صار منبع العلم و الحكمة، و ينبوع الكمال و المعرفه، و هو أمير المؤمنين و يعسوب الدين، و وارث علم النبيين و بغيه الطّالبيين، و حلال مشكلات السائلين فلا ينصب نفسه في هذا المنصب إلّا جاهل، و لا يدّعي لنفسه هذا المقام إلّا تائه غافل، و في هذا المقام قال الشاعر:

و من ذا يساميه بمجد و لم يزل يقول سلوني ما يحلّ و يحرم

سلوني ففى جنبى علم ورثته عن المصطفى ما فات منى به الفم

سلوني عن طرق السموات إننى بها عن سلوكك الطرق فى الارض أعلم

و لو كشف الله الغطا لم أزد به يقينا على ما كنت أدرى و أفهم

و قد رويانا فى التذييل الثانى من شرح الكلام الثالث و الأربعين أنّ ابن الجوزى قال يوما على منبره: سلونى قبل أن تفقدونى، فسألته امرئه عمّا روى أنّ عليّا سار فى ليله إلى سلمان فجّهزه و رجع، فقال: روى ذلك، قالت: فعثمان ثمّ ثلاثه أيّام منبوذا فى المزابل و علىّ عليه السّلام حاضر، قال: نعم، فقالت: فقد لزم الخطاء لأحدهما، فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير اذن زوجك فعليك لعنه الله و إلّا فعليه، فقالت: خرجت عايشه إلى حرب علىّ باذن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أولا؟ فانقطع و لم يحر جوابا و رويوا أيضا أنّ قتاده دخل الكوفه فالتفت إليه الناس فقال: اسألونى عما شئتم و كان أبو حنيفه حاضرا و هو إذا غلام حدث السنّ، فقال: اسألوه عن نمله سليمان أ كان ذكرا أم أنثى، فسألوه فانقطع، فقال أبو حنيفه كانت انثى فقليل له: بم عرفت ذلك؟ قال من كتاب الله و هو قوله تعالى قالت نمله و لو كان ذكرا لقال: قال نمله

و ذلك لأنَّ لفظ النملة يقع على الذكر والانثى كلفظ الحمامه و الشاه(١) و إنما يميّز بينهما بعلامه التأنيث.

فانظر إلى هذين المغرورين المعجبين كيف عيبا عن جواب أدنى مسأله فكيف بهما إذا سئلا عن حجب الأسرار، و سرادقات الأنوار، و الغيب المكنون، و السرّ المكتوم، و عجائب الملكوت، و بدايع الجبروت، فاشهد أنّ عريف ذلك و الخير بكلّ ذلك لم يكن إلّا أمير المؤمنين، و وصيّ رسول ربّ العالمين، و عنده علم الكتاب كلّه، و فيه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة كما قال عزّ من قائل:

«وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ».

أى فى إمام مبین و قد سئل عليه السّلام فى مقامات شتى عن مسائل مشكله متفرّقه فأجاب عنها بأجوبه شافيه تاهت فيها العقول و دهشت بها القلوب حسبما نشير إلى بعضها بعد الفراغ عن شرح الفصل ثمّ اقسم عليه السّلام بالقسم البارّ انه عالم بما هو كائن إلى يوم القيامة و قال:(فو الذى نفسى بيده لا- تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعه) إلّا أنبئتكم به، و نحوه ما رواه فى البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

سئل علىّ عليه السّلام عن علم النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقال: علم النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم علم جميع النّبیین و علم و ما كان و علم ما هو كائن إلى قيام السّاعه، ثمّ قال عليه السّلام: و الذى نفسى بيده إنّى لأعلم علم النّبىّ و علم ما كان و علم ما هو كائن فيما بينى و بين قيام السّاعه (و لا- عن فئه تهدى مأثّه و تضلّ مأثّه) تخصيص هذا العدد بالبيان ليس لقصد الاختصاص و إنما هو جار على

ص: ٧٥

١- (١) قال ابن الحاجب فى بعض تصانيفه أنّ مثل الشاه و النملة و الحمامه من الحيوانات فيها تأنيث لفظى، و لذا كان قول من قال أنّ النملة فى قوله تعالى قالت نملة انثى لورود تاء التأنيث فى قالت و هما، لجواز أن يكون ذكرا فى الحقيقة و ورود تاء التأنيث فى الفعل نظرا الى التأنيث اللفظى، و لذا قيل افحام قتاده خير من جواب أبى حنيفه، و هذا هو الحق و قدار تضاه الرضى،

منه

سبيل المثل و إشاره إلى الكثره إذا مادون مأه حقير لا يعتد به قال الأعشى:

الواهب المأه الهجان و عبدها عودا يزجى خلفها أطفالها

و قال أيضا:

هو الواهب المأه المصطفاه إمّا مخاضا و إمّا عشارا

و قد كثر فى الأخبار ذكر السبعين على سبيل المثل، و قيل فى قوله سبحانه «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ».

إِنَّ المقصود به نفي الغفران جملة و إنما جاء السبعون مجرى المثل للتكثير و كيف كان فمفهوم العدد ليس بحجبه كما قرّر فى الاصول، و الغرض أنّه لا تسألونى عن جماعه هاديه لطايفه كثيره و مضلّه لطائفه كثيره اخرى (إلا أنبأتكم بناعقها) أى الداعى اليها و زاجرها(و قائدها و سائقها و مناخ ركابها و محط رحالها)قال الشارح البحرانى: استعار عليه السلام أوصاف الابل و رعائها و أصحابها من الناعق و القائد و السائق و المناخ و الركاب و الرّحال للفئه المهديه و الضالّه و من يهديهم و يضلّهم ملاحظه لشبههم بالابل فى الاجتماع و الانقياد لقائد و راع (و من يقتل من أهلها) أى أهل الفئه المذكوره (قتلا و يموت منهم موتا)ثم نبّه عليه السلام على أنّه أعظم نعمه أنعم الله سبحانه بوجوده عليهم و أنّ قدره مجهول عندهم و هم غافلون عن فوائد مقامه بين أظهرهم و أنهم سوف يعلمون إذا نزلت بهم الدّواهى و حلّت بهم الرزايا فقال:

(و لو قد فقدتمونى و نزلت بكم كرائه الامور) أى المصائب التى تكرهها النفوس (و حوازب الخطوب) أى شدايد الأحوال (لأطرق كثير من السائلين) أى أرخوا أعينهم ينظرون إلى الأرض، و ذلك لصعوبه الأمر و شدّته حتى أنه يبهته عن السؤال و يتحير كيف يسأل (و فشل كثير من المسؤولين) أى جنبوا عن ردّ الجواب لجهلهم بعواقب تلك الخطوب و ما يسألون عنه منها (و ذلك إذا قلصت حربكم) أى إطراق السائلين و فشل المسؤولين إذا تزايدت حربكم و كثرت أو

انضمت و اجتمعت، و هو كناية عن شدتها و صعوبتها، لأنّ الجيوش إذا اجتمعت كلها و اصطدم الفيلقان كان الأمر أصعب و أشدّ من أن تتفرّق و يحارب كلّ كتية كتية اخرى في بلاد متباعدة، و من روى قلصت عن حربكم فالمراد إذا انكشفت كرائه الامور و حوازب الخطوب عن حربكم.

(و شمّرت عن ساق) أى شمّرت الحرب و رفعت السّاتر عن ساقها و هو كناية عن اشتدادها و التحامها على سبيل الاستعاره، و الغرض تشبيه الحرب بالمجد فى أمر الساعى فيه، فإنّ الانسان اذا جدّ فى السّعى شمّر عن ساقه و دفع ثوبه لئلا يعوقه و يمنعه، و ربما قيل بأنه جار على الحقيقة، و معنى السّاق الشّدّه، أى كشفت عن شدّه و مشقّه و به فسر قوله سبحانه:

«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

(و ضاقت الدّنيا عليكم ضيقا) بطروق الخطوب و ابتلاء المصائب حال كونكم (تستطيّلون أيام البلاء عليكم) و ذلك لأنّ أيام البلاء تكون فى نظر الانسان طويله و أيام السعه و الرّخاء قصيره قال الشاعر:

فأيّام الهموم مقصّصات و أيّام السّرور تطير طيرا

(حتّى يفتح الله لبقية الأبرار منكم) يحتمل أن يكون المراد ببقية الأبرار أولادهم و إن لم يكونوا أبرارا فى أنفسهم إن كان إشاره إلى ظهور دوله بنى العباس إلّا أنّ الأظهر أنّ المراد هو ظهور الدّولة الحقّه القائميّه عيّّل الله له الفرج و أقرّ الله عيون مواليه بظهوره عليه السّلام.

(إنّ الفتن إذا أقبلت شبت) أى جعلت نفسها أى الامور الباطنه شبيهه بالحقّ، أو أشكل أمرها و التبس على الناس (و إذا أدبرت نبهت) أى أيقظت القوم من نوم الجهاله و ظهرت بطلانها عليهم، ألا ترى أنّ الناس كانوا فى بدو فتنه الجمل و النهروان فى حيره و اشتباه لا يدرون أنّ الحقّ فى أىّ الجانبين، فلمّا انقضت الحرب و وضعت أوزارها ارتفع الاشتباه و تميّز الحقّ من الباطل و انتبه القوم من جهالتهم.

و أكد عليه السَّلام هذا المعنى بقوله (ينكرن مقبلات) أى لا يعرف حالهنَّ فى حاله اقبالها (و يعرفن مدبرات) ثم وصفها بأنَّها (يحملن حوم الرِّيح) أى يطفن مثل طواف الرِّيح (يصبن بلدا و يخطين بلدا).

تنبيهان الاول

قد قلنا إنَّ قوله عليه السَّلام: سلونى قبل أن تفقدونى كلام ما زال عليه السَّلام يقول حتى أنه عليه السَّلام كان يقوله بعد ما ضربه ابن ملجم لعنه الله و قبل وفاته بيوم كما مرَّ فى شرح الكلام التاسع و الستين، و نكتة ذلك أنَّ اللازم على امام الزَّمان أن يبذل فيوضاته للمواد القابلة بقدر الامكان.

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ».

روى الصدوق فى التَّوحيد قال: حدَّثنا أحمد بن الحسن القطان و على بن أحمد بن محمَّد بن عمران الدَّقَّاق قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى بن زكريَّا القطان قال:

حدَّثنا محمد بن العباس قال: حدَّثنى محمد بن أبى السَّرى قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن سعد الكنانى عن الأصْبَغ بن نباته قال: لما جلس على عليه السَّلام على الخلافة و بايعه النَّاس خرج إلى المسجد متعمِّما بعمامه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم لا- بسا برده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم متعلِّعا نعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم متقلِّدا سيف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم فصعد إلى المنبر فجلس عليه متمكنا ثمَّ شبَّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه.

ثمَّ قال: يا معشر النَّاس سلونى قبل أن تفقدونى هذا سَفَط (١) العلم هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم، هذا ما زفَّنى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم زفًّا زفًّا، سلونى فإنَّ عندى علم الأوَّلين و الآخرين، أم و الله لو ثنيت لى الوساده فجلست عليها لأفتيت أهل التَّوراه بتوراتهم حتَّى تنطق التَّوراه فتقول: صدق على ما كذب لقد أفْتاكم بما أنزل الله فى، و أفتيت أهل الانجيل بإنجيلهم حتَّى ينطق الانجيل فيقول: صدق

ص: ٧٨

علَيَّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، و أفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول: صدق علَيَّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، و أنتم تتلون القرآن ليلا- و نهارا فهل فيكم أحد يعلم ما انزل فيه، و لو لا آيه فى كتاب الله لأخبرتكم بما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة و هى هذه الآية:

«يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ».

ثمّ قال: سلونى قبل أن تفقدونى فوالله لفلق الحبه، و براء النسمه لو سألتمونى عن آيه آيه فى ليل نزلت أو فى نهار أنزلت مكيها، و مدنيها، سفيها، و حضريها، ناسخها، و منسوخها، محكمها، و متشابها، و تأويلها، و تنزيلها، لأخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له: ذعلب و كان ذرب(1) اللسان بليغا فى الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرقاه صعبه لأخجلته اليوم لكم فى مسألتى إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ قال: و يلك يا ذعلب لم أكن بالذى أعبد ربّا لم أره، قال: كيف رأيته صفه لنا، قال عليه السلام: و يلك لم تره العيون بمشاهده الأبصار و لكن رأته القلوب بحقايق الايمان، و يلك يا ذعلب إنّ ربّى لا- يوصف بالبعد و لا- بالحركه و لا بالسكون و لا بقيام قيام انتصاب و لا بمجىء و لا بذهاب، لطيف اللطافه لا يوصف باللطف، عظيم العظمه لا- يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا- يوصف بالكبر، جليل الجلاله لا- يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمه لا يوصف بالرقه، مؤمن لا بعباده، مدرك لا بمحسّه، قائل لا بلفظ، هو فى الأشياء على غير ممازجه، خارج منها على غير مباينه، فوق كلّ شىء فلا يقال شىء فوقه، و امام كلّ شىء فلا يقال له امام، داخل فى الأشياء لا كشيء فى شىء داخل، و خارج منها لا كشيء من شىء خارج، فخرّ ذعلب مغشيا عليه ثمّ قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب و الله لا عدت إلى مثلها.

ص: ٧٩

ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه الأشعث بن قيس فقال:

يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزية و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث إليهم نبي؟ قال عليه السلام: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتابا و بعث إليهم رسولا حتى كان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا: أيها الملك دنت علينا ديننا و أهلكته فاخرج نطهرّك و نقيم عليك الحدّ، و قال لهم: اجتمعوا و اسمعوا كلامي فان يكن لي مخرج ممّا ارتكبت و إلّا فشأنكم، فاجتمعوا فقال لهم: هل علمتم أنّ الله لم يخلق خلقا أكرم عليه من أبينا آدم و أمنا حوّا؟ قالوا: صدقت أيها الملك، قال:

أفليس قد زوج بنيه بناته و بناته من بنيه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدّين فتعاقدوا على ذلك فمحا الله تعالى ما في صدورهم من العلم و رفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النّار بلا حساب، و المنافقون أشدّ حالا منهم قال الأشعث: و الله ما سمعت بمثل هذا الجواب و الله لا عدت إلى مثلها أبدا.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني: فقام رجل من أقصى المسجد متوكّئا على عصاه فلم يزل يتخطأ النّاس حتى دنا منه فقال: يا أمير المؤمنين دلّني على عمل إذا أنا عملت نجانى الله من النّار.

قال له: اسمع يا هذا ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدّنيا بثلاثه: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، و بغنى لا يبخل بما له على أهل دين الله، و بفقر صابر، فاذا كتم العالم علمه و بخل الغنى بما له و لم يصبر الفقير فعندها الويل و الثبور، و عندها يعرف العارفون أنّ الدّار قد رجعت إلى بديّها أى الكفر بعد الإيمان.

أيها السائل فلا تغترن بكثرة المساجد و جماعه أقوام أجسادهم مجتمعهم و قلوبهم شتى إنّما النّاس ثلاثة: زاهد، و راغب، و صابر، فاما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدّنيا أتاه و لا يحزن منها على شيء فاته فاما الصابر فيتمناها بقلبه فان

أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها و أما الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرام، قال له يا أمير المؤمنين فما علامه المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حقّ فيتولاه و ينظر إلى ما خالفه فيتبرّء منه و إن كان حميماً قريباً قال: صدقت و الله يا أمير المؤمنين، ثم غاب الرجل فلم نره فطلبه الناس فلم يجدوه فتبسم على عليه السّلام على المنبر ثم قال: مالكم هذا أخى الخضر عليه السّلام.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فلم يقم إليه أحد فحمد الله و أثنا عليه و صلّى على نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم.

ثم قال عليه السّلام للحسن: يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلّم بكلام لا يجهلك قريش من بعدى فيقولون إنّ الحسن بن عليّ لا يحسن شيئاً، قال الحسن عليه السّلام: يا أبة كيف أصدع و أتكلّم و أنت فى الناس تسمع و ترى؟ قال له: بأبى و أمى اوارى نفسى عنك و اسمع و أرى و لا ترانى، فصعد الحسن عليه السّلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغه شريفه و صلّى على النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم صلاه موجزه ثم قال: أيّها الناس سمعت جدّى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: أنا مدينه العلم و على بابها و هل تدخل المدينه إلّا من بابها ثم نزل، فوثب إليه على عليه السّلام فحمله و ضمّه إلى صدره ثم قال للحسين: يا بنى قم فاصعد المنبر و تكلم بكلام لا يجهلك قريش من بعدى فيقولون إنّ الحسين بن عليّ لا يبصر شيئاً و ليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك فصعد الحسين عليه السّلام المنبر فحمد الله و أثنا عليه و صلّى على نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم صلاه موجزه ثم قال: معاشر الناس سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو يقول: إنّ عليّاً هو مدينه هدى فمن دخلها نجى و من تخلف عنها هلك، فوثب إليه على عليه السّلام فضمّه إلى صدره و قبله ثم قال: معاشر الناس اشهدوا أنهما فرخا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و وديعته التى استودعنيها و أنا أستودعكموها، معاشر الناس و رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم سائلكم عنهما.

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن للتنبيه على علمه بالأخبار الغيبية و الوقائع الآتية و ما يكون بعده إلى يوم القيامة و قد تقدّم في شرح الكلام السادس و الخمسين شطر من تلك الوقائع و الأخبار.

و قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الفصل: اعلم أنّه قد أقسم في هذا الفصل باللّٰه الذي نفسه بيده أنّهم لا يسألون عن أمر يحدث بينهم و بين القيامة إلّا- أخبرهم به و أنّه ما من طائفة من الناس تهتدى بها مأث و تضلّ بها مأث إلّا و هو مخبر لهم إن سألوه برعاتها و قائديها و سائقيها و مواضع نزول ركابها و خيولها و من يقتل منها قتلا و من يموت منها موتا، و هذه الدّعوى منه عليه السّلام ليست ادّعاء الرّبوبيه و لا ادّعاء النبوه و لكنه كان يقول إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أخبره بذلك.

و لقد امتحنّا اخباره فوجدناه موافقا فاستدللنا بذلك على صدق الدّعوى المذكوره.

كإخباره عن الضربه التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته، و إخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السّلام و ما قاله في كربلا حيث مرّ بها، و إخباره بملك معاويه الأمر من بعده، و إخباره عن الحجاج و عن يوسف بن عمر، و ما أخبره من أمر الخوارج بالنهروان، و ما قدّمه إلى أصحابه من اخباره بقتل من يقتل منهم و صلب من يصلب و إخباره بقتال النّاكثين و القاسطين و المارقين، و إخباره بعدّه الجيش الوارد إليه من الكوفة لئما شخص عليه السّلام إلى البصرة لحرب أهلها، و إخباره عن عبد الله بن الزّبير و قوله عليه السّلام فيه: **خَبِّ ضَبِّ (١)** يروم أمراو لا يدركه ينصب حباله الدّين لاصطياد الدّنيا **(٢)** و هو بعد مصلوب قريش.

ص: ٨٢

١- (١) خَبِّ الرجل منع ما عنده و نزل المنهبط من الأرض ليجهل موضعه بخلائق

٢- (٢) أى الخلافه

و كإخباره عن هلاك البصره بالغرق و هلاكها تاره اخرى بالزنج و هو الذى صحفه قوم فقالوا بالريح، و كإخباره عن الأئمه الذين ظهوروا من ولده بطبرستان كالناصر(١) و الداعى و غيرهما فى قوله عليه السلام: و إِنَّ لآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِالطَّالِقَانِ لَكُنْزًا سَيُظْهِرُهُ اللَّهُ إِذَا شَاءَ دَعَا حَتَّى تَقُومَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَتَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ.

و كإخباره عن ظهور الزيات السود من خراسان و تنصيبه على قوم من أهلها يعرفون ببنى رزيق بتقديم المهمله و هم آل مصعب منهم طاهر بن الحسين و إسحاق ابن إبراهيم و كانوا هم و سلفهم دعاه الدولة العباسيه، و كإخباره عن مقتل النفس الزكية(٢) بالمدينه و قوله عليه السلام: انه يقتل عنده احجار الزيت، و كقوله عن أخيه إبراهيم المقتول يقتل بعد أن يظهر و يقهر بعد أن يقهر، و قوله عليه السلام فيه أيضا يأتيه سهم عزب(٣) يكون فيه منيته فيا يؤس للرامى شلت يده و وهن عضده.

و كإخباره عن قتلى فخ و قوله عليه السلام فيهم: هم خير أهل الأرض، أو من خير أهل الأرض و كإخباره عن المملكه العلويه(٤) بالغرب و تصريحه بذكر كتائته(٥) و هم الذين نصرُوا أبا عبد الله الداعى المعلم، و كقوله يشير إلى عبيد الله المهدي، و هو أولهم: ثم يظهر صاحب القيروان(٦) الغضّ البضّ(٧) ذو النسب المحض المنتجب من سلاله ذى البداء المسجى بالردا، و كان عبيد الله المهدي مترفا مشربا رخص البدن تار الأطراف(٨)

ص: ٨٣

-
- ١- (١) هو حسن بن على الملقب بالناصر الكبير و ناصر الحق و حسن بن زيد الملقب بالداعى الكبير و محمد بن زيد الملقب بالداعى الصغير و كان ابتداء امارتهم فى طبرستان فى سنه مأتين و خمسين.
 - ٢- (٢) هو محمد بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن (عليه السلام) منه.
 - ٣- (٣) اى لا يدري رامي.
 - ٤- (٤) هم ادريس بن عبد الله المحض و عشره من ولده
 - ٥- (٥) الكتائت فى نسخه الشارح المعتزلى بالتائين و الظاهر انه من الكتيه و هو كما فى القاموس صوت فى صدر الرجل كصوت البكر فى شدة الغيظ و البخيل و يحتمل التحريف فى نسخه و يكون الاصل كتائته بدله و هى جمع الكتيه، منه
 - ٦- (٦) امراء مصر و قيروان من الاسماعيليه.
 - ٧- (٧) الطرى القوى.
 - ٨- (٨) التار المسترخى.

و ذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمّد عليهما السّلام لأنّ أباه أبا عبد الله جعفرًا عليه السّلام سجّاه برداه لَمّا مات و ادخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته و تزول عنهم الشبهة (١) في أمره.

و كإخباره عن بنى بويه و قوله عليه السّلام فيهم: و يخرج من ديلمان بنو الصياد، و كقوله فيهم: ثمّ يستشري أمرهم حتّى يملكوا الزوراء و يخلعوا الخلفاء إشارة إليهم و كان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو و عياله بثمنه فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكًا ثلاثة (٢) و نشر ذريتهم حتّى ضربت الأمثال بملكهم و كقوله عليه السّلام فيهم: و المترف بن الأجذم تقتله ابن عمه على دجله، و هو إشارة إلى عزّ الدّولة بختيار بن معزّ الدّولة أبى الحسين و كان معزّ الدّولة أقطع اليد قطعت يده فى الحرب و كان ابنه عزّ الدّولة بختيار مترفا صاحب لهو و شرب، قتله عضد الدّولة فَنّا خسرو ابن عمه بقصر الجصّ على دجله فى الحرب و سلبه ملكه، فأما خلعتهم للخلفاء فإنّ معزّ الدّولة خلع المستكفى و رتب عوضه المطيع، و بهاء الدّولة أبا نصر بن عضد الدّولة خلع الطائع و رتب عوضه القادر و كانت مدّة ملكهم كما أخبر به عليه السّلام.

و كإخباره لعبد الله بن العباس (ره) عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإن على بن عبد الله لَمّا ولد أخرجه أبوه عبد الله إلى علىّ عليه السّلام فأخذه و تفل فى فيه و حنّكه بتمره قد لأكها و دفعه إليه و قال: خذ إليك أبا الأملاك هكذا الرواية الصحيحة و هى التى ذكرها أبو العباس المبرّد فى الكامل و ليست الرواية التى يذكر فيها العدد بصحيحه و لا منقوله من كتاب معتمد عليه.

و كم له عليه السّلام من الاخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى ممّا لو أردنا استقصائه لكسرنا له كراريس كثيرة و كتب السّير يشتمل عليها مشروحه

ص: ٨٤

١- (١) اى شبهه الامامه

٢- (٢) و هم عماد الدولة على بن بويه، و ركن الدولة حسن بن بويه، و معز الدولة أحمد بن بويه و ولدهم منه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین است که اشاره فرموده در آن بکمالات نفسانیه و مقامات معنویه خود و بعضی از اخبار غیبیه باین نحو که فرموده:

أما بعد از حمد و ثناء الهی و درود نامعدود بر حضرت رسالت پناهی ای گروه خلایق پس من بر کندم چشم فتنه را و حال آنکه نبود هیچ کس که جرأت نماید بر دفع آن فتنه غیر از من بعد از آنکه مضطرب شد ظلمت آن فتنه و سخت گردید شرّ و اذیت آن، پس سؤال نمائید از من از مسائل مشکله و مطالب معضله پیش از آنکه نیابید مرا، پس قسم بخداوندی که نفس من در قبضه اقتدار او است سؤال نمی نمائید از من از چیزی که در میان شما است و در میان روز قیامت و نه از گروهی که هدایت نمایند صد کس را و گمراه سازند صد کس دیگر را مگر این که خبر دهم شما را بخواننده آن و کشنده آن و راننده آن و محل فرود آمدن شتران بارگیر ایشان و جای فرود آوردن بارها با پالانهای ایشان و به آن که کشته می شود از ایشان کشته شدنی و آنکه می میرد از ایشان مردنی و اگر مفقود کنید مرا و نازل بشود بر شما امورات مکروهه و حالات شدیده هر آینه سر در پیش اندازند بسیاری از سائلان و می ترسند بسیاری از مسئولان، و این آن زمانی است که درهم کشیده شود و جمع شود حرب شما و بردارد رخت را از ساق خود و تنگ باشد دنیا بشما تنگ شدنی در حالتی که دراز شمارید ایام بلا را برخودتان تا آنکه فتح کند خداوند از برای بقیه نیکوکاران از شما بدرستی که فتنه ها زمانی که رو آورند شبهه می اندازند مردمان را و زمانی که پشت برگردانند آگاه می نمایند ایشان را، شناخته نمی شوند آن فتنه ها در حالتی که اقبال میکنند و شناخته می شوند در حالتی که ادبار می نمایند، دوران میکنند و بر می گردند آنها مثل گردیدن بادهای، می رسند بشهری و تخطی میکنند و دور می گذرند از شهری دیگر.

إشاره

ألا- إنَّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنه بنى أميّه، فإنّها فتنه عمياء مظلّمه، عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، و أصاب البلاء من أبصر فيها، و أخطأ البلاء من عمى عنها، و أيم الله لتجدنّ بنى أميّه لكم أرباب سوء بعدى كالنّاب الضّروس، تعذبم بفيها، و تخبط بيدها، و تزبن برجلها، و تمنع درّها، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم، و لا يزال بلائهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا- مثل انتصار العبد من ربّه، و الصّاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنّتهم شوهاً مخشيه، و قطعاً جاهليّه، ليس فيها منار هدى، و لا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاه، و لسنا فيها بدعاه، ثم يفرّج الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً، و يسوقهم عنفاً، و يسقيهم بكأس مصبّره، و لا يعطيهم إلّا السيف، و لا يحلسهم إلّا الخوف، فعند ذلك تودّ قريش بالدّنيا و ما فيها لو يرونى مقاما واحداً و لو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه، فلا يعطوننى.

اللغة

(الخطّه) بالضمّ الأمر و الجهل و الخصله و الحاله و شبه القصّه و (النّاب)

الانثى المسنه من النوق و جمعها نيب و أنياب و (الضروس) الناقه السيئه الخلق تعضّ حالبها و (عدم) الفرس يعذم من باب ضرب عضّ أو أكل بجفاء و (خبط) البعير الأرض ضربها بيده و (زبت) النّاقه حالبها زبنا من باب ضرب دفعته برجلها فهى زبون بالفتح فعول بمعنى فاعل و (الدرّ) اللبن.

و (الصاحب من مستصحبه) قال فى المصباح: صحبتته أصبحبه صحبه فأنا صاحب و الأصل فى هذا الاطلاق لمن حصل له رؤيه و مجالسه و كلّ شىء لازم شيئا فقد استصحبه قاله ابن الفارس و غيره و (الشوه) قبح الخلقه و هو مصدر شوء من باب تعب و رجل أشوه قبيح المنظر و امرأه شوها، و الجمع شوه مثل أحمر و حمراء و حمر و شاهت الوجوه تشوه قبحت و (القطعه) الطائفه من الشىء و القطع جمعها مثل سدره و سدر و (المنجاه) مصدر بمعنى النجاه و اسم مكان و (سام) فلانا الأمر كلّفه إياه أو أولاه إياه كسّومه و أكثر ما يستعمل فى العذاب و الشرّ و (الخسف) الذّهاب فى الأرض و الغيبه فيها و فى القاموس سامه خسفا إذا أولاه ذلاً و (العنف) مثله ضدّ الرفق.

و (المصبره) الممزوجه بالصّبر و هو وزان كتف عصاره شجر مرّ و يجوز أن يكون المصبره بمعنى المملوه إلى اصبارها، قال فى القاموس ملأ الكاس إلى اصبارها أى رأسه و أخذه باصباره بجميعه و (حلس) البعير يحلسه غشاه بحلس و هو كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله و الجمع أحلاس كحمل و أحمال و (الجزور) الناقه التى تجزر أى تنحر.

الاعراب

كلمه ايمن اسم استعمل فى القسم و التزم رفعه كما التزم رفع لعمر الله، و همزته عند البصريين وصل و اشتقاقه عندهم من اليمن و هو البركه قالوا و لم يأت فى الأسماء همزه وصل مفتوحه غيرها و عند الكوفيين قطع لأنّه جمع يمين عندهم و قد يختصر عنه فيقال: و أيم الله بحذف النون، و يختصر ثانيا فيقال أم الله بضم الميم و كسرهما و قد يدخل عليها اللّام لتأكيد الابتداء قال الشاعر:

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق ليمن الله ما ندري

و رفعه بالابتداء و خبره محذوف وجوبا أى أيمن الله قسمي و إذا خاطبت به أحدا تقول: ليمنك كما تقول لعمرك، و قوله: لا يزالون بكم، الظرف متعلق بمحذوف معلوم بقرينه المقام خبر لزال أى لا- يزالون قائمين بكم أو موزين بكم أو نحو ذلك، و شوهاء منصوبه على الحاليه من فاعل ترد و هو العامل فيها، و جاهليّه صفة لقطعا، و جمله ليس فيها آه إمّا استينافيه بيانيه أو مرفوعه المحلّ على كونها صفة لفتنتهم أو منصوبه على كونها صفة لقطعا و الباء فى قوله بالدنيا للبدل على حدّ قول الحماسي:

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شدّوا الاغاره فرسانا و ركبانا

و ما فيها عطف على الدّنيا، و ما موصوله و لفظه لو فى قوله: لو يروني، حرف مصدر بمعنى ان إلاّ أنها لا تنصب كما تنصب ان قال سبحانه:

«وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ».

و فى قوله و لو قدر جزر جزور بمعنى إن الوصلية و حذف بعده كان كما هو الغالب و قوله: لأقبل متعلق بتودّ و قوله: فلا يعطوننى، فاعل يعطون ضمير قریش و ضمير المتكلم مفعوله الأوّل و حذف مفعوله الثانى و فى بعض النسخ فلا يعطوننيه باثبات المفعولين كليهما

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن للاخبار عن فتن بنى اميه لعنهم الله قاطبه و ما يرد على الناس فيها من الشدائد و المكاره و عن انقراض دولتهم بعد سلطنتهم و استيلائهم كما قال عليه السّلام (ألا إنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنه بنى اميه) و إنّما كانت أخوف الفتن لشدّتها و كثره بلوى أهل الدّين بها و عظم رزء المسلمين فيها و يكفى فى عظمها هتكهم حرمة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قتلهم سبطيه و هدمهم البيت الحرام و إسائتهم الأدب بالنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام على رءوس منابر الاسلام ثمانين سنه حتى

راب عليه الصغير و هرم عليه الكبير و أمرهم للناس بالتبى منه عليه السلام و قتلهم كل من امتنع من ذلك و استيصالهم و تخريب دورهم و تشريدهم من البلاد و جعلهم البدعه سنّه و السنّه بدعه.

كما يشير إلى ذلك كله قوله: (فانها فتنة عمياء مظلمه) أى فتنة موجه للعمى و الظلام لا- يهتدى فيها إلى سبيل الحق كما لا يهتدى الأعمى و السالك فى الظلمه إلى النهج المطلوب.

و محصل المراد انها فتنة موجه للضلّال و العدول عن منهج الحق، و يحتمل أن يكون من باب التشبيه المحذوف الأداه مبالغه أى فتنة بمنزله العصياء فى كون جريانها على غير استقامه و هى فتنة (عمّت خطّتها) لكونها رياسه كليّه و سلطنه عامّه (و خصّت بليتها) بأئمّه الدّين و مواليهم المؤمنين و شيعتهم المخلصين من أهل التقوى و اليقين (و أصاب البلاء من أبصر فيها) أى من كان ذا بصيره فيها و هو مصاب بأنواع البلاء لحزنه فى نفسه بما يشاهد من أفعالهم السّوئى و قصدهم له بأصناف العقوبه و الأذى (و أخطأ البلاء من عمى عنها) أى من كان ذا عمى و جهاله عن تلك الفتنة فهو فى أمن و سلامه من اصابه البليه لكونه منقادا لدعوتهم منساقا تحت رايتهم، مطيعا لأوامرهم ممثلا لنواهيهم (و أيم الله لتجدنّ بنى اميه لكم أرباب سوء بعدى) يطلق الرّب على المالك و المنعم و السيّد و المتّم و المدبّر و المربّى و يصحّ اراده كلّ منها فى المقام و لا يطلق على الاطلاق إلّا على الله سبحانه و بين جهه الشّوء بقوله: (كالتّاب الضّروس تعذب بفيها و تخط بيدها و تزين برجلها و تمنع درّها) شبّههم عليه السلام بالنّاقه السّيئه الخلق المتّصفه بالأوصاف الرّديه المذكوره أراد عليه السلام أنها كما تعضّ بفيها و تضرب بيدها و تدفع حالبها برجلها و تمنع الناس من لبنها فكذلك هؤلاء فى أفعالهم الرّديه و حركاتهم الموزيه من قصد الناس بالقتل و الضرب و الأذيه و منعهم ما يستحقّونه من بيت المال (لا يزالون) قائمين (بكم) مسلّطين عليكم قاصدين لكم (حتى لا يتركوا منكم) فى الأرض و لا يبقوا (إلّا نافعا لهم) سالكا مسلكهم ينفعهم فى

مقاصدهم (أو غير ضائر بهم) بانكار المنكرات عليهم أى من لا- يكون مضرا لهم فى امور دولتهم (و لا- يزال بلائهم) عليكم (حتى لا- يكون انتصار أحدكم) أى انتقامه (منهم إلا- مثل انتصار العبد من ربّه) و انتقامه من مولاه (و) كانتصار (الصاحب) الملازم التابع (من مستصحبه) أى ممن اتبعه و لزمه.

و الغرض بذلك إمّا نفي إمكان الانتقام رأسا فيكون المقصود بالاثبات هو النفي أى كما لا يمكن للعبد الانتقام من مولاه و للمستصحب الذى من شأنه الضّعف و عدم الاستقلال الانتصار من مستصحبه، فكذلك هؤلاء الموجودون فى تلك الزمان الناجون من سيف البغى و العدوان لا يمكنهم الانتصار من بنى اميه و مروان، لكونهم أذلاء مقهورين بمنزله العبيد المملوكين، و إمّا إثبات الانتصار فى الجملة عند الغيبه بمثل الغيبه و السّب و الدّم و نحوها مع الأمن من الوصول إلى المغتاب و المسلوب و المذموم مع إظهار الطّاعه و الانقياد عند الحضور، و يؤيد ذلك ما يأتى فى روايه الثقفى من الزّيادة و هو قوله عليه السّلام: حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه إذا رآه أطاعه و إذا توارى عنه شتمه.

(ترد عليكم فتنّتهم شواء مخشّيه) أى حال كونها قبيحه عقلا و شرعا مخوّفه للنفوس مرعّبه للقلوب (و قطعاً جاهليّه) أى طوائف و دفعات منسوبه إلى الجهاله متصفه بالضلاله لكونها على غير قانون عدل، و ما يظهر من كلام الشراح من كون المراد بالجاهليه الحاله التى كانت العرب عليها قبل الاسلام من الجهل بالله و رسوله و شرايع الدّين و المفآخره بالأنساب و الكبر و التجبر و التعصّب و الأخلاق الدّميمه، فيه أنّ معنى الجاهليه و إنّ كان ذلك إلاّ أنّ ظاهر التركيب لا يساعد حملة على ذلك المعنى فى المقام و لو كان مراده عليه السّلام ذلك لقال: و قطع الجاهليّه أى قطعاً مثل قطع الجاهليه فافهم.

و قوله عليه السّلام: (ليس فيها منار هدى و لا علم يرى) بيان لوجه الجهاله أى ليس فيها إمام هدى يهتدى به و يستضاء بنوره، و لا قانون عدل يسلك به سبيل الحقّ.

ثم أشار عليه السّلام إلى برائه ساحتهم من تلك الفتنة بقوله (نحن أهل البيت منها بمنجاء ولسنا فيها بدعاه) أراد نجاتهم من الدخول فيها و من لحوق آثامها و تبعاتها و عدم كونهم من الداعين إليها و إلى مثلها، و ليس المراد نجاتهم من أذيتها و خلاصهم من بليتها لكونهم عليهم السّلام أعظم الناس بليّة و أشدهم أذية فيها، و كفى بذلك شاهداً شهادة الحسين عليه السّلام و أولاده و أصحابه و هتك حريمه و نهب أمواله و ما أصاب ساير أئمة الدّين من الطغاة الظالمين لعنهم الله أجمعين.

ثم بشر بظهور الفرج بقوله: (ثم يفرّج الله) و يكشف عنكم (كتفريج الأديم) قيل أى ككشف الجلد عن اللحم حتى يظهر ما تحته.

و قال فى البحار: يحتمل أن يكون المراد بالأديم الجلد الذى يلفّ الانسان فيه للتّعذيب لأنّه يضغطة شديدا إذا جفّ، و فى تفريجه راحه، و كيف كان فالمقصود انفتاح باب الفرج لهم (بمن يسومهم خسفا) أى يكلفهم و يوليهم ذلّا و هوانا أو خسفا فى الأرض (و يسوقهم عنفا) أى بعنف و شدّه (و يسقيهم بكأس مصبره) ممزوج بالصّبر أو المراد مملوه إلى اصبارها (و لا يعطيهم إلّا السّيف و لا يحلسهم إلّا الخوف) استعار لفظ الاحلاس بمشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم غير منفكّ عنهم كالحلس الملازم للبعير الذى يكسى على ظهره و يلاصق جسده.

قال الشراح: و هذه الفقرات إشارة إلى انقراض دوله بنى اميّة بظهور بنى العباس و أنّ بنى العباس أولاهم ذلّا و هوانا و أذاقوهم كأس العذاب طعوما مختلفة و أروهم عيان الموت ألوانا شتى كما هو مذكور فى كتب السير و التواريخ.

أقول: و الأظهر بملاحظه الزيادات الآتية فى روايه سليم بن قيس الهلالي و إبراهيم الثقفى أنها إشارة إلى ظهور السلطنة الالهيه و الدوله القائميّه، و على هذا يكون قوله: يسومهم خسفا إشارة إلى خسف الأرض بجيش السفينى فى البيداء كما هو مروى فى أخبار الرجعه.

ثم أشار الى مآل حال الفرقة المنقلبه من قريش و منتهى ذلّتهم و ضعفهم بقوله:

(فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا و ما فيها لو يروني مقاما واحدا و لو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني) أي حينئذ يتمنى قريش بدل الدنيا و ما فيها أن يروني مقاما قصيرا بمقدار جزر جزور فيطيعوني اطاعه كامله و قد رضيت منهم اليوم بأن يطيعوني إطاعه ناقصه فلم يقبلوا و يصدّق هذا ما روى في السير أنّ مروان بن محمد و هو آخر ملوك بني اميه قال يوم الزاب (١) لَمَّا شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بازائه في صفّ خراسان: لوددت إنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الزايه بدلا من هذا الفتى، و على ما استظهرناه فيكون الاشارة بذلك إلى التمني عند قيام القائم عليه السلام

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه ملتقطه من خطبه طويله أوردها في البحار بزياده و اختلاف كثير لما أورده السيّد (ره) في الكتاب أحببت أن اورد تمامها توضيحا للمرام و غيره على ما أسقطه السيد (ره) اختصارا أو اقتصارا من عقايل الكلام فأقول:

روى المحدث العلامة المجلسي (ره) من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد

ص: ٩٢

١- (١) الزاب نهر بالموصل روى في شرح المعتزلى في شرح الخطبه الماء و الرابعه أنه لما نزل مروان بالزاب جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام و الجزيره و غيرها مائه ألف فارس على مائه ألف فارح ثم نظر اليهم و قال: انها لعدّه و لا تنفع العدّه اذا انقضت المده و لما أشرف عبد الله بن علي يوم الزاب في المسوده و في أوائلهم البنود السود تحملها الرجال على الجمال البخت، أقبل مروان على رجل بجنبه و قال ألا- تعرفني من صاحب جيشهم؟ فقال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قال: و يحكك من ولد العباس هو؟ قال: نعم، قال: و الله لو ددت أن عليّ بن أبي طالب مكانه في هذا الصف، قال: يا أمير المؤمنين تقول هذا لعلي مع شجاعته التي ملأ الدنيا ذكرها قال: ويحك ان عليا (عليه السلام) مع شجاعته صاحب دين و الدّين غير الملك و انا لنروى عن قديمنا أنه لا شيء لعلي و لا لولده في هذا انتهى ما أهمنا نقله منه.

الثقفى، عن إسماعيل بن أبان عن عبد الغفار بن القسم عن المنصور بن عمر عن زر بن حبيش، و عن أحمد بن عمران بن محمد بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى عن المنهال ابن عمرو عن زر بن حبيش قال خطب على عليه السلام بالنهروان فحمد الله و أثنا عليه ثم قال:

أيها الناس أما بعد أنا فقأت عين الفتنة لم يكن احد ليجتري عليها غيرى، و فى حديث ابن أبي ليلى لم يكن ليقفها أحد غيرى و لو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل و لا أهل صفين و لا أهل النهروان، و أيم الله لو لا ان تتكلموا او تدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا للهدى الذى نحن عليه ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى سلونى عما شئتم سلونى قبل أن تفقدونى إني ميت أو مقتول بلى (بل خ ل) قتل ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، و ضرب يده إلى لحيته، و الذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعة و لا عن فئه تضل مأته أو تهدى مأته إلا نبأتكم بناعقها و سائقها فقام إليه رجل فقال: حدثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء، قال عليه السلام: إنكم فى زمان إذا سأل سائل فليقل و إذا سئل مسؤل فليثبت، ألا- و إن من ورائكم امورا أتتكم جللا- مزوجا و بلاء مكلحا، و الذى فلق الحبة و برء النسمه أن لو فقدتمونى و نزلت بكم كرايه الأمور و حقايق البلاء لقد أطرق كثير من السائلين و فشل كثير من المسئولين، و ذلك إذا قلصت حربكم و شمّرت عن ساق و كانت الدنيا بلاء عليكم و على أهل بيتى حتى يفتح الله لبقية الأبرار فانصروا أقواما كانوا أصحاب رايات يوم بدر و يوم حنين تنصروا و توجروا، و لا تسبقوهم فتصرعكم البليه.

فقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا عن الفتن قال: إن الفتنة إذا اقبلت شبّهت و إذا أدبرت أسفرت يشبهن مقبلات و يعرفن مدبرات، إن الفتن تحوم كالرياح يصبن بلدا و يخطين اخرى، ألا- إن أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى امية إنها فتنة عمياء مظلّمة مطينه عمّت فتنتها و خصّت بليتها و أصاب البلاء من أبصر فيها

و أخطا البلاء من عمى عنها، يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى يملأ الأرض عدوانا و بدعا، و إنّ أوّل من يضع جيروتها و يكسر عمدتها و ينزع أوتادها الله ربّ العالمين.

و أيم الله لتجدنّ بنى امية أرباب سوء لكم بعدى كالناب الضروس تعضّ بفيها و تخطب بيديها و تضرب برجليها و تمنع درّها لا يزالون بكم حتّى لا- يتركوا فى مصركم إلّا- تابعا لهم أو غير ضارّ، و لا يزال بلائهم بكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا مثل انتصار العبد من ربّه إذا رآه أطاعه، و إذا توارى عنه شتمه و أيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله شرّ يوم لهم ألا إنّ من بعدى جماع شتى، ألا إنّ قبلتكم واحده و حجّكم واحد و عمرتكم واحده و القلوب مختلفه ثمّ أدخل أصابعه بعضها فى بعض فقام رجل فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا هكذا يقتل هذا هذا و يقتل هذا هذا قطعا جاهليه ليس فيها هدى و لا علم يرى، نحن أهل البيت منها بنجاه و لسنا فيها بدعاه.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما نصنع فى ذلك الزّمان؟ قال عليه السّلام: انظروا أهل بيت نبيكم فان لبّدوا فالبدوا، و إن استصرخوكم فانصروهم توجروا، و لا تسبقوهم فتصرعكم البليّه.

فقام رجل آخر فقال: ثمّ ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السّلام:

ثمّ إنّ الله يفرج الفتن برجل ممّا أهل البيت كتفريج الأديم، بأبى ابن خيره الاماء يسومهم خسفا و يسقيهم بكأس مصبره، و لا يعطيهم إلّا- السّيف هرجا هرجا، يضع السّيف على عاتقه ثمانيه أشهر، ودّت قريش عند ذلك بالدّنيا و ما فيها لو يرونى مقاما واحدا قد رحلب شاه أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الذى يرد عليهم حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمه لرحمنا، فيغريه الله بنى اميه فجعلهم:

«مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا سَنَّهَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا».

و رواه فی البحار أيضا من کتاب سلیم بن قیس الہلالی نحو ما رواه من کتاب الغارات مع زیادات کثیره فی آخره و لا حاجه لنا إلى ایرادها و إنما المهمّ تفسیر بعض الالفاظ الغریبه فی تلك الروایه فأقول «الجلل» بالضم جمع جلیّ وزان ربّی و هو الأمر العظیم و «مزوجا» فی النسخه بالزّاء المعجمه و الظاهر انه تصحیف و الصحیح مزوجا بالمهمله من راج الريح اختلطت و لا یدری من أين تجيء و یمکن تصحیحه بجعله من زاج بینهم یزوج زوجا إذا أفسد بینهم و حرش و «کلح» کلوحا تکثر فی عبوس کتلح و دهر کالح شدید و «طان» الرجل البیت و السطح یطینه من باب باع طلاه بالطین و طینه بالثقیل مبالغه و تکثیر و المطینه فاعل منه، و فی روایه سلیم بن قیس بدلها مطبقه و «جمّاع» النَّاس کرمان اخلاطهم من قبائل شتّى و من کلّ شیء مجتمع اصله و کلّ ما تجمع و انضمّ بعضه إلى بعض و «لبد» بالمکان من باب نصر و فرح لبدا و لبودا أقام و لزق.

و قوله: «بابی ابن خیره الاماء» اشاره إلى امام الزمان الغایب المنتظر عجل الله فرجه و سهّل مخرجه و «هرجا هرجا» منصوبان علی المصدر قال فی القاموس هرج الناس یهرجون وقعوا فی فتنه و اختلاط و قتل، و فی روایه سلیم بن قیس حتّی یقولوا ما هذا من قریش لو کان هذا من قریش و من ولد فاطمه لرحمنا و «غری» بالشیء غری من باب تعب أولع به من حیث لا یحمله علیه حامل و أغریته به إغراء.

الترجمه

آگاه باشید و بدرستی که ترسناک ترین فتنه ها نزد من بر شما فتنه بنی امیه است پس بدرستی که آن فتنه فتنه ایست که باعث کوری و ظلمت است که عامست حاله آن بجهه احاطه او بجمیع مسلمانان و خاص است بلیه آن بر خواص اهل ایمان و یقین، و رسید بلاء آن بکسی که صاحب بصیرتست در او و خطا نمود بلاء از کسی که کور و بی بصیرت گشت از آن، و قسم بخدا هر اینه البته می یابید بنی امیه را از برای خود صاحبان بد بعد از من مثل ناقه بد خلق گزنده در وقت دوشیدن

که دندان می گیرد با دهان خود و می زند با دستهای خود و لگد می زند با پاهای خود و منع می نماید از شیر خود.

همیشه باشند اذیت کننده بشما تا این که نگذارند از شما احدی را مگر این که فایده دهنده بایشان یا ضرر نرساننده بایشان و همیشه باشد با شما بلاء ایشان تا این که نباشد انتقام یکی از شما از ایشان مگر مثل انتقام کشیدن غلام از آقای خود و مثل انتقام کشیدن تابع از متبوع خود، وارد می شود بر شما فتنه ایشان در حالتی که قبیح است و ترسیده شده و طایفه بطایفه که منسوبست بجهاله که نباشد در میان آن فتنه ها مناره هدایت و نه علامت دیده شده ما اهل بیت از آن فتنه در نجات هستیم و نیستیم در آن دعوت کننده بمثل آن، پس از آن بگشاید خداوند آن فتنه را از شما مثل شکافتن و جدا نمودن پوست از گوشت بدست آن کسی که بنماید بایشان ذلت را، و براند ایشان را بدرشتی، و سیراب می نماید ایشان را با کاسه که تلخ شده باشد، و ندهد بایشان مگر شمشیر خون آشام، و نمی پوشاند بایشان مگر لباس خوف را پس نزد آن واقعه دوست می دارد قریش عوض دنیا و ما فیها این که ببیند مرا در یک مکانی اگر چه بوده باشد آن زمان دیدن بقدر کشتن شتر قربانی تا این که قبول نمایم از ایشان آنچه را که می خواهم از ایشان امروز بعض آنرا پس نمی دهند آنرا بمن

و من خطبه له علیه السلام و هی الثالثه و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

فتبارک الله العذی لا- یبلغه بعد الهمم، و لا- یناله حسن الفطن، الأول العذی لا- غایه له فینتهی، و لا- آخر له فینقضی. منها:
فاستودعهم فی أفضل مستودع، و أقرهم فی خیر مستقر،

ص: ۹۶

تناسختهم كرائم الأصلاب، إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامه الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا، وأعز الأرومات مغرسا، من الشجره التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرتة خير الأسر، وشجرتة خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمره لا تنال، فهو إمام من اتقى، وبصيره من اهتدى، سراج لمع ضوئه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فتره من الرسل، وهفوه عن العمل، وغباوه من الالام، اعملوا رحمكم الله على اعلام بينه، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام، وأنتم في دار مستعتب، على مهل و فراغ، و الصّحف منشوره، و الأقلام جاريه، و الأبدان صحيحه، و الألسن مطلقه، و التّوبه مسموعه، و الأعمال مقبوله.

اللغة

(تبارك الله) من البركه و هو كثره الخير و زيادته يقال: بارك الله لك و فيك و عليك و باركك بالتعديده بنفسه و (النسخ) الازاله و النقل يقال: نسخت الشمس الظل أى أزالته و نسخت الكتاب و انتسخته و استنسخته أى نقلت ما فيه و المنقول

منه النسخه بالضمّ و (السلف) كلّ من تقدّمك من آبائك أو قرابتك و الجمع سلاف و أسلاف و (الخلف) بالتحريك الولد الصّالح و يقال: على من حضر من الحيّ و إذا كان الولد فاسدا يقال خلف بسكون اللّام و ربما استعمل كلّ منهما مكان الآخر و (الافضاء) إلى الشىء الوصول و الانتهاء إليه و (المعدن) و زان مجلس منبت الجواهر من ذهب و نحوه و (الارومات) جمع الأرومه بفتح الهمزه و ضمّها أصل الشىء و الجمع أيضا على الاروم و (غرس) الشجر يغرسه من باب ضرب اثبتة فى الأرض كأغرسه و (الصّدع) الشقّ فى شىء صلب و نبات الأرض قال سبحانه:

و الأرض ذات الصّدع.

و (العترة) نسل الرجل و رهطه و عشيرته الأدنون من مضى و غير كذا فى القاموس و سيأتى تحقيق الكلام فيه و (اسره) الرجل و زان غرفه رهطه و عشيرته الأدنون و أهل بيته و الجمع اسر كغرب و (بسق) النخل بسوقا من باب قعد طال قال سبحانه: «و النَّخْلَ بِاسِيقَاتٍ» و (الطوال) بالكسر جمع الطويل و الطوال بالضمّ و (الشهاب) كلّ شىء مضىء و (الزند) بالفتح فالسكون العود الذى يقدح به النّار و هو الأعلى و السفلى الزنده و (برقت) السماء بروقا و برقانا لمعت أو جاء ببرق و برق الشىء برقا و بريقا و برقانا لمع و (الفترة) ما بين كلّ نبيّين و رسولين و (الغباوه) الجهل و قلّه الفطنه و (نهج) الطريق الواضح منه و (المستعتب) يجوز كونه مصدرا و مكانا من استعته أى استرضاء و طلب إليه العتبي أى الرضا

الاعراب

يجوز فى محلّ الموصول أعنى قوله عليه السّلام: الذى لا يبلغه، الرفع على كونه تابعا لله بكونه بدلا منه أو نعتا له، و النصب على تقدير المدح أى أعنى الذى او امدح الذى، و اضافته البعد إلى الهمم و الحسّ الى الفطن لاميّه و الأوّل إمّا خبر لمبتدأ محذوف أو تابع لله.

و استشكل الشارح المعتزلى فى الفاء العاطفه فى قوله عليه السّلام: فينتهى فينقضى، بأنّ الفاء إنّما تدخل فيما إذا كان الثانى غير الأوّل كقولهم ما تأتينا فتحدّثنا و ليس

الثانى ههنا غير الأول لأنّ الانقضاء هو الآخر به بعينها فكأنه قال: لا آخر له فيكون له آخر و كذلك القول فى اللفظه الاولى و أجاب بأنّ المراد لا آخر له بالامكان و القوّه فينقضى بالفعل فيما لا يزال، و لا هو أيضا ممكن الوجود فيما مضى فيلزم أن يكون وجوده مسبوقا بالعدم و هو معنى قوله فينتهى، بل هو واجب الوجود فى الحالين فيما مضى و فى المستقبل و هذان مفهومان متغايران و هما العدم و إمكان العدم فاندفع الاشكال انتهى كلامه أقول: و فيه نظر إذ الغالب فى الفاء العاطفه لجمله على جملة على ما صرح به علماء الأدب أن يكون مضمون الجملة الثانيه عقيب مضمون الجملة الاولى تقول قام زيد فقعد عمرو، و أمّا اشتراط التغاير بين الجملتين فممنوع، و قد تفيد الفاء كون المذكور بعدها كلاما مرتبا فى الذكر على ما قبلها لا أنّ مضمونه عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان كقوله تعالى:

«أَدْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ» و قوله: «وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ».

فإنّ ذكر ذمّ الشئ و مدحه يصحّ بعد جرى ذكره و من هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل لأنّ موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال قال سبحانه:

«وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي».

و تقول أحبته فقلت لبيك، و من هذا علم أنّ شرطيه التغاير غير معتبره فلا- حاجه إلى ما تكلفه فى الجواب و إنّما مساق كلام الامام عليه السلام مساق هذه الآيه الشريفه و مساق قوله:

«وَكَمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا يَبَاتًا».

فإنّ ذكر نفى الانتهاء للشيء إنّما يصحّ بعد ذكر نفى النهايه والغايه عنه، وكذا ذكر نفى الانقضاء يحسن بعد ذكر نفى الآخر عنه و سيأتى له مزيد توضيح فى بيان المعنى، و جمله نبتت فى حرم استينافيه بيانيه، وكذا جمله لها فروع طوال، و الفاء فى قوله: فهو امام فصيح، و الواو فى قوله و أنتم فى دار مستعتب حالیه و دار فى أكثر ما رأيناه من النسخ بالتنونين فلا بدّ من جعل مستعتب اسم مكان بدلا منه أو عطف بيان على ما هو الحقّ الذى ذهب إليه الكوفيون من جواز البيان فى النكرات إلاّ أنه يبعده و يبعد الوصفیه أنّ الدار من المؤنثات السّماعیه، فكان اللازم أن يقال: مستعتب بالتاء للزوم المطابقه بين الصفه و الموصوف و البيان و المبين فى التذكير و التأنيث و إن امكن التصحيح بالتأويل فى الموصوف أو عدم لزوم المطابقه فى الصفه إذا كانت من أسماء المكان فليتأمل.

و فى نسخه الشارح المعتزلى بلا تنوين على الاضافه و هو أولى، فيصحّ على ذلك جعل مستعتب مصدرا فيكون إضافه دار إليه لاميّه و جعله اسم مكان فتكون الاضافه بيانيه، و على فى قوله على مهل، للاستعلاء المجازى

المعنى

اعلم أنه صدر هذه الخطبه بتقدیس الله سبحانه و تنزيهه عن صفات النقص و الامكان، و عقبه بذكر وصف الأنبياء و الأولياء، و ذيله بالموعظه و النصيحة، فقال سلام الله عليه و آله (فتبارك الله) أى ثبت الخير و البركه عنده و فى خزائنه و قيل: أى تعالى الله لأنّ البركه ترجع معناها إلى الامتداد و الزياده و كلّ ما زاد على الشيء فقد علاه، و قيل أصله من البروك و هو الثبات فكأنه قال: و البقاء و الدوام و الثبات له فهو المستحقّ للتعظيم و الثناء (الذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حسّ الفطن) قد مضى الكلام فى شرح هذه الفقره فى الفصل الثّانى من فصول الخطبه الاولى و أقول هنا:

إنّ نعوت الجلال و صفات الكمال لله سبحانه المتعال لما كانت غير متناهيه و لا محدوده نّبه عليه السّلام بذلك على عدم إمكان الوصول إليها و تعذّر إدراكها، إذ

كلّ مدرك متناه محدود، فالمعنى أنه تعالى لا يبلغه الهمم والقصود على بعدها وعلوها، ولا يصل إليه إدراك الفطن وإن ذكت واشتدت في ذكائها وحدتها وسرعه انتقالها من المبادئ إلى المطالب، بل كلّ سابع في بحار جلاله غريق وكلّ مرید للوصول إلى أنوار جماله حريق.

(الأول الذى لا غاية له فينتهى ولا آخر له فينقضى) تقدّم تحقيق الكلام في أوليته و آخريته سبحانه في شرح الخطبه الرابعه و الستين و الفصل الأول من فصول الخطبه التسعين بما لا مزيد عليه، و المراد هنا أنه تعالى أول الأشياء لا غاية له في البدايه فينتهى إليها، و لا- آخر له في النهايه فيكون له الانصرام و الانقضاء عندها، بل هو أزلى باق غير منقطع الوجود بدايه و نهايه، و برهان ذلك أنّ الغايه و النهايه من عوارض الأجسام ذوات الأوضاع و المقادير تعرض لها بالذات، و للواحقها كالأزمه و الحركات، و للامور المتعلقه بها كالقوى و الكيفيات بالعرض، و الأول سبحانه ليس بجسم و لا جسمانى و لا متعلق به ضربا من التعلق فهو منزّه عن الحدّ و النهايه.

قال السيد ره (منها) أى بعض فصول تلك الخطبه في شرح حال الأنبياء عليهم السّلام و هو قوله عليه السّلام: (فاستودعهم فى أفضل مستودع) و هو أصلاّب الآباء (و أقرّهم فى خير مستقرّ) و هو أرحام الامّهات قال سبحانه:

«هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ».

(تناسختهم كرائم الأصلاّب إلى مطهّرات الأرحام) أى نقلتهم الأصلاّب الكريمه إلى الأرحام المطهّره من السفاح كما لو وقع عقد النكاح على غير الوجه الشرعى لخلل فى لفظ العقد أو فى القصد بأن يقع على غير المقصود إنكاحه أو نكاحه أو بغير رضا الطرفين أو أحدهما أو من يعتبر رضاه أو لوقوعه على المحارم

و نحو ذلك. روى عن أمير المؤمنين عليه السلام بطريق العامه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ».

قال: نسبا و صهرا و حسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا بنكاح، قال الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه و آله و سلم خمسمائه أم فما وجدت فيهن سفاحا و لا شيئا مما كان عليه أهل الجاهلية هذا.

و قال الشَّارح البحراني: و تناسخ الأصلاب لهم إلى مطهرات الأرحام نقلهم إليها نطفاء، و كرائم الأصلاب ما كرم منها، و حق لأصلاب سمحت بمثلهم أن توصف بالكرم، و مطهرات الأرحام ما طهر منها، و حق لما استعد منها لا نتاج مثل هذه الأمزجه و قبولها أن تكون طاهره من كدر الفساد، و الشيعة يطهرون اصول الأنبياء من طرف الآباء و الأمهات عن الشرك، و نحوه قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نقلنا من الأصلاب الطاهره إلى الأرحام الزكية.

و في حديث الجابر المروى في الفقيه في كيفية خلقه الانسان و ولادته قال:

فقلت: يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك و حال الأوصياء بعدك في الولاده؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مليا ثم قال: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم، إنَّ الأنبياء و الأوصياء مخلوقون من نور عظمه الله جل ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلا با طيبه و أرحاما طاهره يحفظها بملائكته، و يريها بحكمته و يغذوها بعلمه، فأمرهم يجل عن أن يوصف، و أحوالهم تدق عن أن يعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه، و أعلامه في بريته، و خلفاؤه على عبادته، و أنواره في بلاده، و حججه على خلقه، هذا من مكنون العلم و مخزونه فاكتمه إلا من أهله.

و بالجملة فالمراد أنه تعالى خلق الأنبياء عليهم السَّلام و أودع أنوارهم في الأصلاب و الأرحام و أخرجهم إلى وجه الأرض على تعاقب الزمان و كرور الأيام، و أرسلهم تترى لمسيس الحاجه و اقتضاء المصلحه، و هو الدَّلاله على التوحيد و المعرفه،

و إكمال الدين و المله، و لم يخل الخلق منهم بل (كلما مضى منهم سلف) و ارتحلوا من الدنيا إلى العقباء (قام منهم بدين الله) و نشر شرايعه و أحكامه (خلف حتى أفضت كرامه الله) و انتهت نبوته (إلى محمد صلى الله عليه و آله) و بلغت بوجوده الشريف سلسله النبوه و رساله الغايه. و أشرقت وجه الأرض بنور جماله، و أضاءت الدنيا بأشعه كماله، و قد كان فى عالم المعنى الأصلاب الشامخه و الأرحام المطهره قشورا لذلك اللب أحاطت به احاطه الأشعه بالسراج، فهو مفارق لتلك المحال الشريفه فى التقدير و إن كان مقارنا لها فى التدبير.

و لأجل هذا كان كل من انتقل إليه ذلك النور أشرقت وجهه حتى يعرف بذلك النور إلى أن ينتقل منه إلى رحم الطاهره، فيسلب منه النور و يتلأأ بوجه الحامل إلى أن تضع الجنين فيخرج مشرقا بما فيه فيسلب الله النور.

روى الصدوق باسناده إلى أبى ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقول:

خلقت أنا و على بن أبى طالب من نور واحد نسب الله يمينه العرش قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلما أن خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور فى صلبه و لقد سكن الجنه و نحن فى صلبه، و لقد هم بالخطيئه و نحن فى صلبه، و لقد ركب نوح بالسفينه و نحن فى صلبه، و لقد قذف إبراهيم عليه السلام فى النار و نحن فى صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز و جل من أصلاب طاهره إلى أرحام طاهره حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب، فقسمننا فجعلنى فى صلب عبد الله و جعل عليا عليه السلام فى صلب أبى طالب و جعل فى النبوه و البركه، و جعل فى على الفصاحه و الفروسيه، و شق لنا اسمين عن أسمائه، فذوا العرش محمود و أنا محمد. و الله العلى الأعلى و هذا على.

و عن المناقب لأحمد بن حنبل و النسائى عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن الله خلق خلقه فى ظلمه، ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من النور شيء اهتدى و من أخطأه ضل.

ثم فسره على عليه السلام فقال: إن الله عز و جل حين شاء تقدير الخلقه و ذرء

البريه و إبداع المبدعات ضرب الخلق فى صور كالهباء قبل وجود الأرض و السماء و هو سبحانه فى انفراد ملكوته و توحد جبروته، فأشاع نورا من نوره فلمع، و قبا من ضيائه فسطع، ثم اجتمع ذلك النور فى وسط تلك الصور الخفيه فوافق صورته نبينا محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و قال الله له: أنت المختار المنتخب و عندك ثابت نورى و أنت كنوز هدايتى، ثم أخفى الخليقه فى غيبه و سترها فى مكنون علمه، ثم وسط العالم و بسط الزمان و موج الماء و أثار الزبد و أفاج الريح، فطفى عرشه على الماء فسطح الأرض على ظهر الماء، ثم انشأ الملائكه من أنوار ابتدائها و أنوار اخترعها، و قرن بتوحيده نبوه محمدا صلى الله عليه و آله و سلم ظاهرا فهو أبو الأرواح و يعسوبها كما أن آدم عليه السلام أبو الأجساد و سببها، ثم انتقل النور فى جميع العوالم عالما بعد عالم و طبقا بعد طبق و قرنا بعد قرن إلى أن ظهر محمد صلى الله عليه و آله و سلم بالصوره و المعنى فى آخر الزمان، و يطابق هذا الكلام قول عمى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: يا رسول الله أريد أن أمدحك قال: قل لا يفضض الله فاك قال (ره):

من قبلها طبت فى الظلال و فى مستودع حيث يخصف الورق

ثم انبطت البلاد لا بشر أنت و لا مضغه و لا علق

بل نطفه تركب السفين و قد الجمت نسرا و أهله الغرق

وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها و لست تحترق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف^(١) عليا تحتها النطق

و أنت لما ولدت أشرقت الأرض و ضاءت بنورك الالف

فنحن فى ذلك الضياء و فى النور و سبل الرشاد تحترق

(فأخرجه من أفضل المعادن منبتا و أعزّ الارومات مغرسا) يحتمل أن يكون المراد بذلك مكّه زادها الله شرفا لأنها لما سمحت بمثله صلوات الله و سلامه عليه صار أجدر بأن تكون أفضل المعادن و أعزّ الاصول، و يشعر به قوله الآتى: نبتت فى حرم، فافهم.

ص: ١٠٤

١- (١) خندف وزان زبرج ام مدركه بن الياس أحد أجداد النبى و اسمها ليلي كما فى القاموس، منه.

و الأظهر أن يراد به إما إبراهيم خليل الله أو إسماعيل ذبيح الله، فإنّ كلاّ منهما لما كان محلا لجوهر الرساله و أصلا لشجره النبوه صار حقيقا بأن يكون أفضل المعادن و أعزّ الاصول، و يستعار لهما هذان اللفظان.

و يناسب ذلك قوله عليه السّلام (من الشجره التي صدع منها أنبيائه و انتجب منها أمثائه) فإنّ الأظهر أنّ المراد بها أحدهما عليهما السّلام لكون الأنبياء من فروع تلك الشجره المباركه و انتهاء سلسله النبوه الخاصه لمحمّد صلى الله عليه و آله و سلّم اليهما، و يعرف ذلك بذكر نسبه الشريف و هو كما في البحار أنه:

محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب و اسمه شيبه بن الحمد بن هاشم، و اسمه عمرو بن عبد مناف، و اسمه المغيره بن قصي (١)، و اسمه زيد بن كلاب (٢) بن مّره بن كعب بن لوى (٣) بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، و هو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر (٤) بن نزار بن معد (٥) بن عدنان بن اذ بن اود بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام ابن تارخ بن ناخور بن ساروع (٦) بن ارغوا بن فالغ (فالغ خ ل) بن عابر، و هو هود بن شالح بن أرفحشد بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ (٧) بن اخنوخ، و هو إدريس (٨) بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث، و هو هبه الله بن

ص: ١٠٥

١- (١) بفتح القاف و الضاد و تشديد الياء منه

٢- (٢) بكسر الكاف و فتح اللام

٣- (٣) بضم اللام و فتح الواو و تشديد الياء منه

٤- (٤) بضم الميم و فتح الصاد المعجمه.

٥- (٥) بفتح الميم و العين المهمله و تشديد الدال است.

٦- (٦) و في بعض الروايات بدله شاروع و في بعضها شروغ بالشين و الغين المعجمتين

٧- (٧) المتوشلخ بميم مفتوحه ثم تاء مشدده ثم واو ساكنه ثم شين معجمه ثم لام مفتوحتين ثم خاء معجمه عن جواهر اللغة.

٨- (٨) سمى إدريس لكثرة تدريسه كتاب الله

آدم أبى البشر عليهم السّلام جميعا.

روى مسلم عن واثله بن الأسقع قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، و اصطفى من بنى كنانة قريشا و اصطفى من قريش بنى هاشم و اصطفانى من بنى هاشم.

و (عترته خير العتر) و هم الذين أوصى فيهم النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و قال: إنّى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى و أنهما، لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض كهاتين، و ضمّ سبابتيه فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصارى فقال: يا رسول الله و من عترتك؟ قال: علىّ و الحسن و الحسين و الأئمة من ولد الحسين عليهم السّلام إلى يوم القيامة رواه الصدوق فى كتاب اكمال الدّين و معانى الأخبار باسناده عن الصادق عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و قال الصّيدوق (ره) فى محكّى كلامه حكى محمّد بن بحر الشيبانى عن محمّد بن عبد الواحد صاحب أبى العباس تغلب فى كتابه الذى سماه كتاب الياقوته أنه قال حدّثنى أبو العباس تغلب قال: حدّثنى ابن الأعرابى، قال:

العترة قطاع المسك الكبار فى النافجة و تصغيرها عتيره، و العترة الريقه العذبه، و العترة شجره تنبت على باب و جار الضّبّ و أحسبه أراد و جار الضّبّ لأنّ الذى للضّبّ مكو و للضبع و جار، ثم قال: و إذا خرجت الضّبّ من و جارها تمرّغت على تلك الشجره فهى لذلك لا تنمو و لا تكبر، و العرب تضرب مثلا للدليل و الذله فيقولون أقلّ من عترة، و العترة ولد الرّجل و ذريّته من صلبه، فلذلك سميت ذريّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من علىّ و فاطمه: عترة محمّد قال تغلب: فقلت لابن الأعرابى: فما معنى قول أبى بكر فى السقيفه: نحن عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: أراد بلدته و بيضته، و عترة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لا محاله ولد فاطمه عليها السلام، و الدليل على ذلك ردّ أبى بكر و انفاذ علىّ عليه السّلام بسوره براهه و قوله عليه السّلام: امرت أن لا يبلغها عتّى إلا أنا أو رجل منّى، فأخذها منه و دفعها

إلى من كان منه دونه فلو كان أبو بكر من العتره نسبا دون تفسير ابن الاعرابي أنه أراد البلده لكان محالا أخذ سورة برائه منه و دفعها إلى عليّ عليه السلام.

و قد قيل: إنّ العتره الصّخره العظيمه يتّخذ الضّبّ عندها جحرا يأوى إليه و هذا لقلّه هدايته، و قد قيل إنّ العتره أصل الشجره المقطوعه التى تنبت من اصولها و عروقها، و العتره فى غير هذا المعنى قول النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لا فرعه و لا عتيره قال الاصمعى: كان الرّجل فى الجاهليه ينذر نذرا على أنه إذا بلغت غنمه مائه أن يذبح رجبیه(١) و عتاير فكان الرّجل ربما بخل بشاته فيصيد الظباء يذبحها عن غنمه عن آلهتهم ليوفى بها نذره و أنشد الحرث بن حلزّه:

عننا باطلا ظلما كما تعتر عن حجره الريض الظباء

يعنى يأخذونها بذنّب غيرها كما يذبح اولئك الظباء عن غنمهم، و قال الأصمعى: و العتره الريح و العتره أيضا شجره كثيره اللّبن صغيره يكون (نحو القامه خ ل) و يقال: العتره الذكر و عتر يعتر عترا إذا الغظ و قال الرياشى سألت الاصمعى عن العتره فقال هو نبت مثل المرز نجوش ينبت متفرقا ثم قال الصّدوق: العتره عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و ذريته من فاطمه و سلاله النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و هم الذين نصّ الله بالامامه على لسان نبیه صلّى الله عليه و آله و سلّم و هم اثنا عشر أوّلهم عليّ عليه السّلام و آخرهم القائم عليهم السّلام على جميع ما ذهبّت إليه العرب من معنى العتره.

و ذلك إنّ الأئمه عليهم السّلام من بين جميع بنى هاشم و من بين جميع ولد أبى طالب كقطاع المسك الكبار فى النافجه و علومهم العذبه عند أهل الحكمه و العقل، و هم الشجره التى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أصلها و أمير المؤمنين فرعها و الأئمه من ولدها أغصانها و شيعتهم ورقها و علمهم ثمرتها، و هم عليهم السّلام اصول الاسلام على معنى البلده و البيضه

ص: ١٠٧

١- (١) قال فى القاموس الترجيب ذبح السائك و لعل الرجبيه مأخوذ منه م

و هم عليهم السَّلام الهداه على معنى الصخره العظيمه التى يَتَّخِذُ الضَّبَّ عندها جحرا يأوى إليه لقله هدايته، و هم أصل الشجره المقطوعه لأنهم و تروا و ظلموا و جفوا و قطعوا و لم يوصلوا، فنبتوا من اصولهم و عروقههم لا يضرهم قطع من قطعهم و إدبار من أدبر عنهم، إذ كانوا من قبل الله منصوصا عليهم على لسان نبيّ الله، و من معنى العتره هم المظلومون المؤاخذون بما لم يجرموه و لم يذنبوه و منافعهم كثيره.

و هم عليهم السَّلام ينبع العلم على معنى الشجره الكثيره اللبن، و هم عليهم السَّلام ذكر ان غير اناث على قول من قال إنّ العتره هم الذكر، و هم جند الله عزّ و جلّ و حربه على معنى قول الاصمعي إنّ العتره الريح، قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم: الريح جند الله الأكبر فى حديث مشهور عنه، و الريح عذاب على قوم و رحمه للآخرين، و هم عليهم السَّلام كذلك كالقرآن المقرون إليهم بقول النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم: إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى قال الله عزّ و جلّ:

«وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» و قال عزّ و جلّ: «وَ إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ».

و هم أصحاب المشاهد المتفرقه على المعنى الذى ذهب إليه من قال إنّ العتره هو نبت مثل المرز نجوش ينبت متفرقا و بركاتهم منبته فى المشرق و المغرب (و اسرته) أى رهطه و عشيرته (خير الاسر) و يدل عليه ما فى تفسير الامام عن أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: إنّ لله عزّ و جلّ خيارا من كلّ ما خلقه: فله من البقاع خيار و له من الليالى و الأيام خيار، و له من الشهور خيار، و له من عباده خيار، و له من خيارهم خيار.

فأما خياره من البقاع فمكة و المدينة و بيت المقدس و إنّ صلاتا في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام و المسجد الأقصى يعنى مكة و بيت المقدس، و أما خياره من الليالى فليالى الجمع و ليلاه النصف من شعبان و ليلاه القدر و ليلاه العيد، و أما خياره من الأيام فأيام الجمع و الأعياد، و أما خياره من الشهور فرجب و شعبان و شهر رمضان، و أما خياره من عباده فولد آدم عليه السلام، و خياره من ولد آدم من اختاره على علم منه بهم فإنّ الله عزّ و جلّ لما اختار خلقه اختار ولد آدم عليه السلام، ثمّ اختار من ولد آدم العرب، ثمّ اختار من العرب مضر، ثمّ اختار من مضر، قريشا، ثمّ اختار من قريش هاشما، ثمّ اختارني من هاشم، و أهل بيتي كذلك، فمن أحبّ العرب فيحبنى و أحبهم و من أبغض العرب فيبغضنى و ابغضهم و نعم ما قيل:

لله في عالمه صفوه و صفوه الخلق بنو هاشم

و صفوه الصفوه من هاشم محمّد الطهر أبو القاسم

و يشهد به أيضا ما روى بطريق العامه عن عايشه عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: أتانى جبرئيل فقال. قلبت مشارق الأرض و مغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لم أر ابن أب أفضل من بنى هاشم.

و فى روايه ابن عمر أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّ الله اختار خلقه فاختر منهم بنى آدم ثمّ اختار بنى آدم فاختر منهم العرب، ثمّ اختار العرب فاختر منهم قريشا، ثمّ اختار قريشا فاختر منهم بنى هاشم، ثمّ اختار بنى هاشم فاخترني منهم، فلم ازل خيارا من خيار ألا من أحبّ العرب فيحبنى أحبهم و من ابغض العرب فيبغضنى ابغضهم (و شجرته خير الشجر) أى أصله خير الاصول، و أراد بها إمّا هاشما أو اسماعيل على سبيل الاستعاره، و يجوز أن يراد بها نفسه صلوات الله و سلامه عليه و آله على كون الاضافه بيانیه و يدل عليه ما فى البحار من معانى الأخبار باسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ:

«كَشَجَرَهُ طَيِّبُهُ أَضْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا».

قال عليه السّلام: أمّا الشجرة فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفرعها علىّ عليه السّلام، وغصن الشجرة فاطمه بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وثمرها أولادها عليهم السّلام، وورقها شيعتنا ثم قال عليه السّلام: إنّ المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقه وإنّ المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة ورقه.

و بمعناه أخبار كثيرة، وقد نظم بعض الشعراء مضمونها وقال:

يا حبذا دوحه في الخلد نابته ما مثلها نبتت في الخلد من شجر

المصطفى أصلها و الفرع فاطمه ثم اللقاح علىّ سيّد البشر

و الهاشميان سبطاه لها ثمر و الشّيعه الورق الملتفّ بالثمر

هذا مقال رسول الله جاء به أهل الرّوايه في العالى من الخبر

وقيل: أراد بالشجرة إبراهيم الخليل وهو بعيد لمنافاته بظاهر قوله (نبتت في حرم) لظهوره في مكّه إلّا أن يراد به حرم العزّ والمنعه (و بسقت في كرم) أى طالت و ارتفعت في العزّ و الكرامه (لها فروع طوال) إن كان المراد بالشجرة إبراهيم أو إسماعيل فالمراد بالفروع الأنبياء من ذريّتها، وإن كان المراد بها هاشم أو النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأراد بها الأئمه عليهم السّلام و وصفها بالطول إشاره إلى بلوغها في الشّرف و الكمال منتهى النّهايه (و ثمره لا تنال) كنى بها عن علوم الأنبياء و الأئمه أو مكارم أخلاقهم و محاسن مآثرهم، و بعدم نيلها عن شرفها و غموض أسرارها يعنى أنها لشرفها و علوّها لا يمكن الوصول إليها، أو أنها لغموضها و دقّتها لا تصل الأذهان إليها (فهو إمام من اتقى و بصيره من اهتدى) يعنى أنّه صلوات الله عليه و آله قدوه المتقين و تبصره المهتدين لهم فيه اسوه حسنه و هو (سراج لمع ضوئه و شهاب سطع نوره و زند برق لمعه) شبهه عليه السّلام بالسراج و الشهاب و الزند فى كونه سبب هدايه

الخلق كما أنّ هذه الثلاثه كذلك، و رشح التشبيه الأول بلمعان الضوء، و الثاني بارتفاع النور، و الثالث ببروق اللمع، و يحتمل أن يكون وجه الشبه فى الثالث إثارة أنوار الهدايه.

(سيرته القصد) و الاعتدال (و سنته الرشد) و الصواب (و كلامه الفصل) بين الحقّ و الباطل (و حكمه العدل) خال عن الحرف و الميل (أرسله على حين فتره من الرسل) أى على حين سكون و انقطاع من الرسل، و قد تقدّم توضيح ذلك فى شرح الخطبه الثامنه و الثمانين فتذكر (و هفوه من العمل) أى زلّه منه (و غباوه من الامم) أى غفله منها، و ذلك لأنّ خلوّ الزمان من الرسول موجب لكثرة الزلاّت و تزايد الغفلات و فرط الجهالات، فتخصيص إرساله بذلك الزمان و تلك الحال إشاره إلى كمال تلك النعمه و عظمه هذه الموهبه حيث هداهم بوجوده صلى الله عليه و آله و سلّم من الضلاله و أنقذهم بمكانه صلى الله عليه و آله و سلّم من الجهاله، هذا.

و لما فرغ من شرح حال الرساله عقبه بالذكرى و الموعظه فقال (اعملوا رحمكم الله على أعلام بينه) أى اعملوا الصّالحات على ما دلّت عليها الأعلام البينات و المنار الواضحات الظّاهرات، و كنى بها عن أئمه الدّين و مصايح اليقين فانهم علامات الهدى فى غياهب الدّجى (فالطريق) أى طريق الشريعه (نهج) واضح (يدعو) و يؤدّى (إلى دار السلام و أنتم فى دار مستعتب) أى يمكنكم فيها استعتاب الخالق سبحانه و استرضائه بصالح الأعمال و اصلاح الحال، لأنكم (على مهل و فراغ) أى على امهال و انظار و فراغ من عوائق الموت.

(و) الحال أنّ (الصّحف) أى صحايف أعمالكم (منشوره) لم تطو بعد (و الأقلام) أى أقلام كرام الكاتبين (جاريه) لم تجف (و الأبدان صحيحه) و سالمه من الأمراض المانع من القيام لوظايف العبوديه (و الألسن مطلقه) من الخرس و الاعتقال (و التوبه مسموعه و الأعمال مقبوله) لأنكم فى دار التكليف يمكنكم فيها تدارك ما فات و الورود على ما هو آت، و أما بعد طيّ الصخف و جفّ الاقلام و اعتقال اللسان و خروج الأرواح من الأبدان، فلا يمكنكم الاستزاده من صالح

العمل و لا الاستعتاب من سيء الزلل كما قال تعالى:

«فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

الترجمه

از جمله خطبهای شریفه آن جناب ولایت‌آب است که می‌فرماید: پس بلند است معبود بحق آن معبودی که نمی‌رسد بأوهمتهای بعیده، و درک نمی‌نماید او را إدراک ذکاوتها، اُولی که هیچ غایتی نیست او را پس نهایت برسد، و آخری ندارد او را تا این که منقضی شود، بعضی از این خطبه در صفت انبیا است می‌فرماید:

پس امانت نهاد خداوند متعال ایشان را در افضل محلّ امانتها که عبارتست از صلبهای پدران، و برقرار فرمود ایشان را در بهترین مقرها که عبارتست از رحمهای مادران، نقل نمود آنها را صلبهای کریمه پدرها برحمهای پاکیزه مادرها، هرگاه گذشت از ایشان سلفی ایستاد بترویج دین خدا از ایشان خلفی تا این که منجز شد کرامت حق سبحانه و تعالی که عبارتست از منصب نبوت بمحمد بن عبد الله صلوات الله و سلامه علیه و آله، پس بیرون آورد آن بزرگوار را از بهترین معدنها از حیثیت روئیدن و عزیزترین اصلها از حیثیت نشاندن، از درختی که شکافته و بیرون آورده از آن پیغمبران خود را، و برگزیده از آن امینان خود را.

عترت آن حضرت بهترین عترتها است، و قبیله آن حضرت بهترین قبیله‌ها است، و درخت آن حضرت بهترین درختها است در حالتی که روئیده است آن درخت در حرم محترم، و بلند شده در مجد و کرم، مر آن درخت راست شاخهای بلند، و میوهائی که دست نمی‌رسد بآن.

پس آن حضرت پیشوای کسیست که متّصف است بصفت تقوی، و بینائی کسی است که متّصف است بصفت اهتدا، چراغیست که درخشانش روشنائی او، و ستاره ایست که

ظاهر است نور او، و آتش زنه ایست که برق می دهد لمعان او، روش آن حضرت میانه روی است، و طریقه او رشادت است، و کلام او جدا کننده است میان حق و باطل، و حکم او عدل است.

فرستاد حق تعالی او را در حین فتور و انقطاع از پیغمبران، و زمان لغزش عاملان از عمل، و وقوع غفلت از امتها، عمل نمائید خدا رحمت کند بر شما بر طبق آنچه که دلالت نموده بر آن علامات ظاهره، پس طریق حق واضح و روشن است که دعوت می نماید و می خواند بدار سلامت که عبارتست از جنت، و حال آنکه شما در سرائی هستید که ممکن است شما را ترضیه پروردگار، و بر مهلت و فراغت می باشد در حالتی که نامهای اعمال نشر کرده شده و پیچیده نیست، و قلمهای کرام الکاتبین روان است، و بدنهای صحیح است و زبانها روان است و گویان، و توبه شنوده شده است، و عملها مقبول است، پس فرصت را غنیمت شمارید و وقت را از دست مگذارید

و من خطبه له علیه السلام و هی الرابعه و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

بعثه و الناس ضلال فی حیره، و خابطون فی فتنه، قد استهوتهم الأهواء، و استزلتهم الكبرياء، و استخفّتهم الجاهلیة الجاهلاء، حیارى فی زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل، فبالغ صلی الله علیه و آله فی النصیحه، و مضى علی الطریق، و دعى إلی الحکمه و الموعظه الحسنه.

اللغه

(خابطون) بالخاء المعجمه و الباء الموحّده بعدها الطاء من الخط و هو السير علی غیر هدی، و فی بعض النسخ حاطبون بالخاء المهمله بعدها الطاء جمع حاطب

و هو الذى يجمع الحطب و (حيارى) بفتح الحاء و ضمها جمع حابر من حار يحار حيرا و حيره و حيرانا نظر إلى الشيء فغشى عليه و لم يهتد لسييله فهو حيران و حابر و هم حيارى.

الاعراب

الواو فى قوله عليه السّلام: و الناس آه حالیه، و فى حيره خبر بعد خبر أو متعلّق بضلال، و وصف الجاهليه بالجهلاء للتوكيد من قبيل ليل أليل و وتدواتد و داهيه داهيا و قوله: حيارى حال من مفعول استخفّتهم، و قوله: فى زلزال من الأمر حال مؤكده من فاعل حيارى على حدّ قوله: فتبسّم ضاحكا.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الفصل تقرير فضيله النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و التنبيه على فوائد بعثته، و قد مضى بعض القول فى ذلك المعنى فى شرح الفصل السادس عشر من فصول الخطبه الاولى و فى شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه السادس و العشرين، و نقول هنا: قوله عليه السّلام.

(بعثه و النّاس ضلال فى حيره) أراد به أنه تعالى بعثه صلّى الله عليه و آله و سلّم حال كون الناس ضالّين عن طريق الحقّ فى حيره من أمر الدّين (و خابطون فى فتنه) أى كانت حركاتهم على غير نظام و كانوا فى فتنه و ضلال، و أما على روايه حابطون فهو استعاره و المراد أنهم جامعون فى ضلالهم و فتنتهم بين الغثّ و السمين مأخوذا من قولهم فى المثل: فلان حاطب ليل أى يجمع بين الحقّ و الباطل و الصّواب و الخطاء، و أصله أنّ الحاطب كذلك يجمع فى حبله ما لا يبصر.

(قد استهوتهم الأهواء) أى جذبتهم الأهواء الباطله و الآراء العاطله إلى مهاوى الهلاك أو إلى أنفسها (و استزلّتهم الكبرياء) أى قادهم التكبر و التجبر إلى الخطاء و الخطل و الهفوه و الزلل (و استخفّتهم الجاهليه الجهلاء) أى جعلتهم حاله الجاهليه أخفّاء العقول سفهاء العلوم حالكونهم (حيارى) أى حائرين تائهين مغمورين (فى زلزال) و اضطراب (من الأمر) لا يهتدون إلى وجوه مصالحهم

(و بلاء من الجهل) أى ابتلاء بالقتل و الغارات ناشئا من جهالتهم لعواقب الأمور (فبالغ صلى الله عليه و آله و سلم فى النصيحة) للأمة (و مضى على طريقه) المستقيمه (و دعا إلى الحكمة و المواعظه الحسنه) أى دعا إلى سبيل الله بهما امتثالا لأمر الله سبحانه و هو قوله:

«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» قال الطبرسى أى ادع إلى دينه لأنه السبيل إلى مرضاته، بالحكمة أى بالقرآن و سَمَّى القرآن حكمه لأنه يتضمن الأمر بالحسن و النهى عن القبيح و أصل الحكمه المنع و منه حكمه اللجام و إنما قيل لها حكمه لأنها بمنزله المانع من الفساد و ما لا- ينبغى أن يختار و قيل: إِنَّ الحكمه هى المعرفه بمراتب الأفعال فى الحسن و القبح و الصِّلاح و الفساد، لأنَّ بمعرفه ذلك يقع المنع من الفساد و الاستعمال للصدق و الصواب فى الأفعال و الأقوال.

و المواعظه الحسنه، معناه الوعظ الحسن و هو الصِّرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه و التزهيد فى فعله، و فى ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع و قيل: إِنَّ الحكمه هى النبوه و المواعظه الحسنه مواعظ القرآن.

و جادلهم بالتي هى أحسن، أى ناظرهم بالقرآن و بأحسن ما عندك من الحجج و تقديره بالكلمه التى هى أحسن، و المعنى اقتل المشركين و اصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق و السكينه و لين الجانب فى النصيحة ليكونوا أقرب إلى الاجابه، فإنَّ الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، و قيل: هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء فى الحديث: أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس على قدر عقولهم.

الترجمه

از جمله خطب شریفه در ذکر وصف خاتم نبوت و بیان منافع بعثت می فرماید که

خداوند عز و جل مبعوث و برانگیخته فرمود حضرت خاتم الأنبياء محمد مصطفی صلی الله علیه و آله و سلم را و حال آنکه مردمان گمراه بودند در تحیر و سرگردانی، و خبط کننده در فتنه و بلا، بتحقیق که از راه برده بود ایشان را خواهشات نفسانی، و لغزائیده بود ایشان را غرور و نخوت شیطانی، و سبک گردانیده بود ایشان را نادانی و جاهلیت در حالتی که حیران بودند، در اضطراب بودند از کار خود، و در ابتلا- بودند از جهالت پس مبالغه فرمود حضرت خاتم الأنبياء علیه سلام الرّب الأعلى در نصیحت، و گذشت بر طریقه حضرت عزّت که عبارتست از جادّه شریعت، و دعوت فرمود مردمان را بحکمت که برهان وافی است، و بموعظه که بیان شافی است و لنعم ما قیل:

از ظلمات ضلال راه که بردی برون گر نشدی نور او شمع ره رهروان

و من آخری و هی الخامسة و التسعون من المختار فی

اشاره

باب الخطب

الحمد لله الأوّل فلا شیء قبله، و الآخر فلا شیء بعده، و الظاهر فلا شیء فوقه، و الباطن فلا شیء دونه. منها فی ذکر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم: مستقرّه خیر مستقرّ، و منبته أشرف منبت، فی معادن الکرامه، و مهاد السّلامه، قد صرفت نحوه أفنده الأبرار، و ثنیت إلیه أزمه الأبصار، دفن به الضّغائن، و أطفأ به النّوائر، ألف به إخوانا، و فرّق به أقرانا، أعزّ به الدّله، و أدلّ به العزّه، کلامه بیان، و صمته لسان.

(المهد) و المهاد الفراش و موضع تهَيِّاً للصبي، و جمع الأوّل مهود كفلس و فلوس و جمع الثاني مهد ككتاب و كتب، و أمّا المماهد فلم يضبط فيما رأيته من كتب اللغة، قال الشّارح البحراني: جمع ممهد و الميم زايده، و قال الشّارح المعتزلي: المهاد الفراش و لما قال عليه السيّلام: في معادن و هي جمع معدن قال بحكم القرينه و الازدواج و مهاد و إن لم يكن الواحد منها ممهدا كما قالوا: الغدايا و العشايا و مأجورات و مأزورات و نحو ذلك (و ثبت) الشّيء ثنيا من باب رمى إذا عطفته و رددته و (الضغائن) جمع الضّغينه و هي الحقد و (النواير) جمع النائرة و هي العداوه و المخاصمه.

الاعراب

قوله: في معادن الكرامه خبر بعد خبر، و يجوز كونه صفه أو حالا من الخبر لكونه نكره غير محضه، و جمله قد صرفت في محلّ النّصب على الحال، و قد للتحقيق.

المعنى

صدر هذه الخطبه الشريفه مسوق للثناء على الواجب تعالى باعتبار نعوت العظمه و الجلال و صفات العزّه و الكمال، و ذيلها بمدح الرسول و الاشاره إلى فوايد البعثه فقال (الحمد لله الأوّل فلا شىء قبله و الآخر فلا شىء بعده) و قد مرّ معنى الأوّل و الآخر في شرح الخطبه الرابعه و السّتين و في شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه التسعين بما لا مزيد عليه (و الظاهر فلا شىء فوقه و الباطن فلا شىء دونه) و قد مرّ معنى الظاهر و الباطن في شرح الخطبه الرابعه و السّتين أيضا و أقول هنا: يحتمل أن يكون المراد بالظاهر و الباطن كونه تعالى ظاهرا بآياته و آثار قدرته فلا شىء فوقه من حيث الظهور و الجلاء، بل هو أجلى الأشياء و أظهرها، و باطنا من حيث ذاته و حقيقته فلا شىء دونه من حيث البطون و الخفاء، و قد أوضحناه في شرح قوله عليه السّلام: كلّ ظاهر غيره غير باطن آه من الخطبه التى

أُشِرْنَا إِلَيْهَا، وَ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالظَّاهِرِ الْغَالِبِ الْقَاهِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْهُورٌ دُونَ قُدْرَتِهِ، ذَلِيلٌ تَحْتَ عِزَّتِهِ، وَ بِالْبَاطِنِ الْعَالَمِ بِمَا بَطْنٌ مِنْ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ أَيْ أَقْرَبَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ، هَذَا.

قَالَ السَّيِّدُ (رَه) (مِنْهَا) أَيْ بَعْضُ فُصُولِ تِلْكَ الْخُطْبَةِ (فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) وَ بَيَانُ شَرْفِهِ وَ مَنَاقِبِهِ الْجَمِيلَةِ وَ هُوَ قَوْلُهُ (مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ وَ مَنْبَتُهُ أَشْرَفُ مَنْبَتٍ) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْمُسْتَقَرِّ وَ الْمَنْبَتِ الْأَصْلَابَ الشَّامِخَةَ وَ الْأَرْحَامَ الْمُطَهَّرَةَ، وَ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْأَوَّلِ مَكَّهَ وَ بِالثَّانِي الطَّيْبَةَ (فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ) أَيْ الرِّسَالَةَ أَوْ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ هَذِهِ (وَ مِمَاهِدِ السَّلَامَةِ) أَيْ الْمَهْدِ الْمُتَّصِفِ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْأَدْنَسِ وَ الْأَرْجَاسِ، وَ الْبِرَاءَةِ مِنَ الْعُيُوبِ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ (قَدْ صَرَفْتُ نَحْوَهُ أَفْنَدَهُ الْأَبْرَارُ) أَيْ صَرَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَفْنَدَتَهُمْ إِلَيْهِ (وَ ثَبَّتَ إِلَيْهِ أَرْزَمَهُ الْأَبْصَارُ) أَيْ عَطَفَتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَهُ مَطَايَا الْبَصَائِرِ وَ الْقُلُوبِ، وَ هَذَا كُلُّهُ كُنَايَةٌ مِنَ التَّفَاتِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَ تَلْقِيهِمْ لَهُ بِقُلُوبِهِمْ وَ مَحَبَّةِ الْأَبْرَارِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِجَابَةً لِدَعْوِهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ:

«رَبَّنَا إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ».

أَيْ أَسْكَنْتُ بَعْضَ وَلَدِي وَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مِنْ وَلَدِ مِنْهُ، وَ عَنِ الْعِيَاشِيِّ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْنُ هُمْ وَ نَحْنُ بَقِيَّةُ تِلْكَ الذَّرِّيَّةِ، وَ فِي الْمَجْمَعِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ نَحْنُ بَقِيَّةُ تِلْكَ الْعَتَرَةِ. وَ قَالَ كَانَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ لَنَا خَاصَّةً.

وَ قَوْلُهُ: فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ أَرَادَ بَعْضُهُمْ وَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارُ كَمَا أَشِيرُ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ صَرَّحَ بِهِ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَوَايَةِ الْعِيَاشِيِّ قَالَ: أَمَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْزِ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَنْتُمْ أَوْلَتْكُمْ وَ نَظَرَاؤُكُمْ إِنَّمَا مِثْلُكُمْ فِي النَّاسِ مِثْلُ الشَّعْرِ الْبَيْضِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ مِثْلُ الشَّعْرِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَحْجُوا هَذَا الْبَيْتَ وَ يَعْظُمُوهُ لِتَعْظِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَ أَنْ تَلْقُونَا حَيْثُ كُنَّا نَحْنُ الْأَدْلَاءُ عَلَى اللَّهِ.

و فی الصّافی عن الکافی عنه علیه السّلام فی قوله تعالی: تهوی إلیهم، و لم یعن البیت فیقول إلیه، فنحن و الله دعوه إبراهیم.

و عن الاحتجاج عن أمير المؤمنين علیه السّلام و الأفئدة من الناس تهوی إلینا، و ذلك دعوه ابراهیم حیث قال افئدة من النّاس تهوی إلیهم.

و روی علی بن ابراهیم عن الصّیّادق علیه السّلام أنه تعالی عنی بقوله: و ارزقهم من الثمرات، ثمرات القلوب أى أحبهم إلی النّاس لیأتوا إلیهم (دفن به الضغائن و أطفأ به النّوائر) أى أخفی بوجوده الشّریف الاحقاد العربیّه بعد أن كانت ظاهره علانیه، و أطفأ به نوائر العداوات و خصومات الجاهلیه بعد أن كانت مشتعلّه ملتهبه و (الف به) علی الاسلام (اخوانا) کما کان بین امیر المؤمنین علیه السّلام و سلمان (و فرق به) علی الشّرك (أقرانا) کما کان بین حمزه و أبی لهب (أعزّ به الذله و أذلّ به العزّه) أى أعزّ به ذلّه الاسلام و أذلّ به عزّه الکفر، فقد رفع الاسلام سلمان فارس و قد وضع الکفر أباً لهب (کلامه بیان) للأحكام (و صمته لسان) لحدود الحلال و الحرام، أراد أنّ سکوته صلّی الله علیه و آله و سلّم کان کالتکلمّ و البیان فی الاشتمال علی الفائده، فإنّ سکوت المعصوم فی مقام التقرير حجّه کقوله و أيضاً ربما کان یسکت عن بعض المطالب إیفهاما للناس عدم جواز خوضهم فیها.

الترجمه

از جمله خطبهای دیگر آن حضرتست حمد و ثنا خداوند را سزااست که اولست پس نیست هیچ چیز پیش از او، و آخر است پس نیست هیچ چیز بعد از او، و ظاهریست پس نیست هیچ چیز بالاتر از او در ظهور و جلا، و باطنی است پس نیست هیچ چیز نزدیکتر از او بأشیاء.

و بعض دیگر از این خطبه در ذکر رسالتآب صلوات الله و سلامه علیه و آله است: محل استقرار او بهترین محل استقرارها است، و مکان روئیدن او شریفترین روئیدنها اسب، ثابت است در معدنهای بزرگواری و کرامت، و مواضع اُمّیت و سلامت، در حالتی که گردانیده شده بطرف او قلبهای نیکوکاران، و میل داده شده

بسوی او مهارهای بصیرتهای مؤمنان، دفن کرد و بر طرف فرمود بوجود شریف او کینه های دیرینه را، و خاموش نمود و زایل فرمود بسبب ذات او آتشیهای عداوت در سینه های پر کینه، و الفت داد بواسطه او میان برادران از اهل ایمان، و پراکنده ساخت بجهه او اقران را از مشرکان، عزیز گردانید بأو ذلت اسلام را، و ذلیل گردانید بأو عزت کفر را کلام او بیان شرایع و احکام است، و سکوت او زبانیست حدود حلال و حرام را، از جهه این که تقریر معصوم مثل فعل او و قول او حجت و سند شرعیست.

و من کلام له علیه السلام و هو السادس و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و لئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه، و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه، و بموضع الشجی من مساع ريقه، أما و الذي نفسی بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، و لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، و إبطائكم عن حق، و لقد أصبحت الامم يخاف ظلم رعاتها، و أصبحت أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، و أسمعتم فلم تسمعوا، و دعوتكم سرًا و جهرا فلم تستجيبوا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغياب، و عبيد كأرباب، أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، و أعظكم بالموعظه البالغه فتتفرقون عنها، و أحثكم على جهاد أهل البغي فما أتى على آخر قولي

ص: ١٢٠

حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أَقْوَمَكُمْ غَدُوهُ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَشِيِّهِ كَظْهِرِ الْحَتِيَّةِ، عَجَزَ الْمُقْوَمُ، وَاعْضَلُ الْمُقْوَمُ. أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمُ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عَقُولُهُمُ، الْمَخْتَلِفَةُ أَهْوَاءُهُمُ الْمَبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَانُهُمُ، صَاحِبُكُمْ يَطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَ، وَ صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَ هُمْ يَطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَ اللَّهَ إِنَّ مَعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنِيْتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ إِثْنَتَيْنِ، صَمَّ ذُووُ الْأَسْمَاعِ، وَ بَكُمْ ذُووُ الْكَلَامِ، وَ عَمِيَ ذُووُ الْأَبْصَارِ، لَا أَحْرَارَ صَدَقَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَ لَا إِخْوَانَ ثَقِيَ عِنْدَ الْبَلَاءِ، تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ، يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رِعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرٍ، وَ اللَّهَ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا أَخَالَ أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ، وَ حَمَى الضَّرَابُ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قَبْلِهَا، وَ إِنِّي لَعَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي، وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، أَلْقَطُهُ لِقَطًا. أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَ اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يَخْرُجَوكُمْ مِنْ هُدًى، وَ لَنْ يَعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا، فَالْبَدُوا،

و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فتضلّوا، و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا، لقد رأيت أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم فما أرى أحدا منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غربا، قد باتوا سجّدا و قياما، يراوحون بين جباههم و خدودهم، و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله همّلت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، و مادوا كما يمد الشجر يوم الرّيح العاصف، خوفا من العقاب، و رجاء للثواب.

اللغة

(رصد) فلانا من باب نصر رقبه كترصده و المرصاد الطريق و المكان يرصد فيه العدوّ و (الشجى) ما ينشب فى الحلق من عظم أو غيره و موضع الشجى هو الحلق نفسه و (المساغ) اسم مكان من ساغ الشّراب سوغا سهل مدخله قال الشاعر:

و ساغ لى الشّراب و كنت قبلا أكاد أغصّ بالماء الفرات

و يقال أيضا سغت الشّراب اسوغه أى أوصلته إلى المعدة باللزوم و التّعدية و (ظهر) عليه غلب و (الرعاة) كالرعاء بالهمز جمع الراعى و هو كلّ من ولى أمر قوم و القوم رعيتته و (الاستنفار) الاستنصار أو طلب التّفور و الاسراع إلى الجهاد و (تنفرون) منها من نفرت الدّابة نفورا من بابى نصر و ضرب شرد و (أيادى سبا) مثل يضرب للمتفرّقين و أصله قوله تعالى عن أهل سبا: و مزّقناهم كلّ ممزّق، و سبا بالهمزة وزان جبل يصرف و لا يصرف و هو بلده بلقيس و لقب ابن يشجب بن يعرب بن قحطان اسمه عبد شمس و (الأيادى) جمع الأيدى و هو جمع اليد، قال الرّضى: و هو كناية عن الابناء و الاسره لأنهم فى التقوى و البطش بهم بمنزله الأيدى، و يقال ذهبوا أيدي سبا و أيادى سبا الياء ساكنه و كذلك الألف

هكذا نقل المثل أى ذهبوا متفرّقين، و هما اسمان جعلاً اسماً واحداً مثل معدى كرب ضرب المثل بهم لأنهم لما غرق مكانهم و ذهب جثاتهم تبدّدوا فى البلاد.

روى الطبرسى فى تفسير سورة سبا فى قصه تفرّق أولاد سبا عن الكلبى عن أبى صالح قال: ألقت طريقه الكاهنه إلى عمرو بن عامر الذى يقال له مزيقيا بن ماء السّما و كانت قد رأت فى كهانتها أنّ سدّ مارب سيخرب و أنّه سيأتى سيل العرم فيخرب الجتّين، فباع عمرو بن عامر أمواله و سار هو و قومه حتّى انتهوا إلى مكه فأقاموا بها و ما حولها فأصابتهم الحمى، و كانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريقه فشكوا إليها الذى أصابهم فقالت لهم: قد أصابنى الذى تشكون و هو مفرّق بيننا، قالوا: فما ذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذاهم بعيد و جمل شديد و مزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد و كانت ازدعمان(١)، ثمّ قالت: من كان منكم ذا جلد و قسر و صبر على ازمارات الدّهر فعليه بالاراك من بطن مرّ (نمر خ ل) و كانت خزاعه، ثمّ قالت: من كان منكم يريد الرّاسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل و كانت الأوس و الخزرج، ثمّ قالت: من كان منكم يزيد الخمر الخمير و التأمير و ملابس التّاج و الحرير فليلحق ببصرى و عوير، و هما من أرض الشّام و كان الذين سكنوها آل خفيه بن غسان، ثمّ قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق و الخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدّم المهرق فليلحق بأرض العراق و كان الذين سكنوها آل جذيمه الابرش و من كان بالحيره و آل محرق (و تتخادعون) قال فى القاموس: تخادع فلائذ أرى أنّه مخدوع و ليس به، «انتهى» و لا- يجوز اراده هذا المعنى فى المقام بل الأظهر أنّه من قولهم سوق خادعه مختلفه متلونه و خلق خادع متلوّن أى تختلفون و تتلوّنون فى قبول الوعظ و لكنه يبعده لفظه عن، اللّهم إلّا- أن يضمن معنى الاءعراض فافهم، و يأت له معنى آخر إنشاء الله.

و (الحنيه) وزان غنيه القوس و الجمع حنى و حنايا و (المقوّم) الأوّل

ص: ١٢٣

١- (١) و كانت ازد عمان أى كانت القبيله الملحقه لقصر عمان.

على زنه الفاعل و الثاني على زنه المفعول و (تربت) أيديكم كلمه يدعابها على الانسان قال فى القاموس: ترب كثرت را به و صار فى يده التراب و لزق بالتراب و خسر و افتقر تربا و متربا و يداه لا أصاب خيرا، و عن النّهايه هذه الكلمه جاريه على ألسن العرب لا- يريدون بها الدّعاء على المخاطب و لا وقوع الأمر بها كما يقولون: قاتل الله و قيل: معناه لله درّك، قال: و كثيرا يرد للعرب ألفاظ ظاهرها الذمّ و إنما يريدون بها المدح كقولهم لا- أب لك و لا أم لك و لا أرض لك و نحو ذلك و (خال) الشىء يخاله أى ظنّه و تقول خلت اخال بكسر الهمزه و بالفتح لغه بنى أسد كما فى أكثر النسخ و (حمس) كفرح اشتدّ و (حمى) كرضى اشتدّ حرّه و (القطه لقطا) فى أكثر النسخ بالقاف المثناه و الطاء المهمله من الالتقاط و فى بعضها الفظه لفظا بالفاء و الطاء المعجمه أى ايّنه بيانا و (لبد) الشىء بالأرض من باب نصر التصق بها و (الجمر) جمع جمره و هى النار الموقده و (ركب المعزى) جمع الرّكبه بالضمّ فيهما و (هملت) عينه هملا من باب نصر و ضرب فاضت

الاعراب

قوله عليه السّلام: فلن يفوت أخذه برفع أخذه على الفاعليه و المفعول محذوف أى لن يفوته أخذه، و قوله: على مجاز طريقه بدل من قوله بالمرصاد، و قوله:

ليظهرنّ منصوب بأن مضمره فى محلّ رفع على الابتداء، و جمله ليس لأنّهم مرفوعه المحلّ على الخبر و جمله المبتدأ و الخبر جواب القسم، و يحتمل أن يكون جمله ليظهرنّ فقط جواب القسم لا- محلّ لها من الاعراب و جمله ليس لأنّهم استينافا بيانيا و قوله: أشهود كغّياب استفهام تقريرى أو توييخى و فى بعض النسخ بلا- همز و عليه فهو خبر محذوف المبتدأ، و أيادى سبا منتصب على اقامته مقام المصدر أى متفرّقين تفرّق أيادى سبا، و يجوز أن يكون حالا مؤكده بتقدير المضاف أى مثل أيادى سبا، و قوله: أيّها الشاهده برفع الشاهده صفة محذوف الموصوف و جمله كلّما جمعت بدل بعض من جمله غاب عنها آه على حدّ قوله سبحانه.

«أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنَ».

اعلم أنّ المقصود بهذه الخطبة الشريفه ذمّ أصحابه عليه السّلام و توبيخهم على تثاقلهم من جهاد معاويه و أصحابه لعنهم الله، و صدر الكلام بالتهديد و التعريض لأهل الشام أو لأصحابه كما سيأتى من نسبه الظلم إليهم فقال عليه السّلام (و لئن أمهل الله الظالم) و متّعه فى دار الدّنيا (فلن يفوته أخذه) و عقوبته كما قال تعالى:

«وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ».

قال أبو القاسم البلخى معناه: و لا يحسبن الذين كفروا أنّ إملأنا لهم رضا بأفعالهم و قبول لها بل هو شرّ لهم لأننا نملى لهم و هم يزدادون إثما يستحقّون به العذاب الأليم، فالمقصود أنه سبحانه و إن أمهل الظالم و هو مغمور فى ظلمه مستبشر بجوره و لكنه مدركه لا محاله و آخذه بالتّكال العظيم و العذاب الأليم.

(و هو له بالمرصاد) و عليه طريق العباد فلا- يفوته أحد و هو من ألفاظ الكتاب العزيز قال تعالى: إنّ ربك لبالمرصاد، قال الطبرسى: و المعنى أنّه لا- يفوته شىء من أعمالهم لأنّه يسمع و يرى جميع أقوالهم و أفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد و روى عن على عليه السّلام أنّه قال: معناه إنّ ربك قادر على أن يجزى أهل المعاصى جزائهم و عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: المرصاد قنطره على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمه عبد، و قال عطا: يعنى يجازى كلّ أحد و ينتصف من الظالم للمظلوم انتهى أقول: ما رواه عن الصادق عليه السّلام هو المعنى الحقيقى للمرصاد و ما رواه عن على عليه السّلام بيان للمراد عن كونه سبحانه على المرصاد و محصّيه أنّه تعالى أجلّ و أعلى من أن يكون فى المكان لأنّ ذلك من صفات الامكان فلا بد من حمل كونه بالمرصاد على التوسع و المجاز و إرادته عدم إمكان الهرب و الفوت منه كما لا يمكن الفوت ممن هو بالرّصد و التّربو هذا هو المراد أيضا بقوله (على مجاز طريقه) و نظيره قوله (و بموضع الشجى من مساغ ريقه) أراد أنّه سبحانه يكاد أن يغصّه بشجىء

عقوباته و يشجوه بغصص نقماته بما هو عليه من رحب بلعومه و سوغه اللذائذ.

ثم أردف عليه السلام ذلك بالقسم البارّ بظهور أهل الشام عليهم و قال (أما و الذى نفسى بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم) و نبه على دفع ما لعلهم يتوهمون من كون علّه ظهورهم و غلبتهم كونهم على الحقّ و كون أصحابه عليه السلام على الباطل بقوله:

(ليس لأنهم أولى بالحقّ منكم) و أنتم أولى بالباطل منهم.

و أشار إلى علّه الظهور بقوله (و لكن لاسراعهم إلى باطل صاحبهم و إبطائكم عن حقّي) أراد بذلك أنّ ظهورهم عليكم ليس من جهة كونهم أهل حقّ و كونكم أهل باطل حتّى يوجب ذلك تخاذلكم عن جهادهم و إنما ظهورهم من أجل اتفاق كلمتهم و اجتماعهم على طاعه إمامهم الباطل و اختلاف آرائكم و تشتت أهوائكم فى طاعه الامام الحقّ، و من المعلوم أنّ مدار الفتح و الظفر و النصره و الغلبه فى الحرب على الاتفاق و الاجتماع بطاعه الجيش للرئيس الموجب لانتظام أمرهم لا على حقيّه العقيدة و إلّا لما ظهر أهل الشرك على أهل التوحيد أصلا، و الوجدان كثيرا ما يشهد بخلافه.

و أوضح عليه السلام هذا المعنى بقوله (و لقد أصبحت الامم يخاف ظلم رعاتها و أصبحت أخاف ظلم رعيتي) و غرضه عليه السلام بذلك الحاق التقصير و اللائم فى المغلوبية عليهم و الاشاره إلى أنّ له الحجة على الحقّ لالهم عليه مع التنبيه على كونهم ظالمين فى حقّه عاصين له، فإنّ شأن الرعية الخوف من الوالى و به يستقيم له امور الولاية و ينتظم امور الرعية، و أما إذا كان الأمر بالعكس فلا- يكون له حينئذ فى الرعية رأى نافذ و يختل الأمر و يطمع فيه و فى رعيتيه غيره كما هو معلوم بالوجدان و مشاهد بالعيان.

و من كان خبيرا بأحواله عليه السلام فى خلافته و تأمل مجارى حالاته مع رعيتيه عرف صدق هذا الكلام و ظهر له أنّه عليه السلام كان المحجور عليه لا يتمكّن من إظهار ما فى نفسه، إذ العارفون بحاله و المخلصون له كانوا قليلين، و كان السواد الأعظم

لا يعتقدون فيه الأمر الذى يجب اعتقاده فيه، و كان يعامل معهم بالتقية، و يدارى معهم بحسن التدبير و السِّلوك و الاناه مع ما كان يشاهده عليه السَّلام منهم غير مَرّه من التمرد و العصيان كما أشار اليه بقوله (استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا و أسمعتم فلم تسمعوا و دعوتكم سرّا و جهرا فلم تستجيبوا) دعوتى (و نصحت لكم فلم تقبلوا) نصيحتى.

ثمّ شبّههم عليه السَّلام بقوله (أشهود كغِيَاب) بالغائبين مع كونهم شاهدين، لأنّ ثمره المشاهده هو الاستفادة و الانتفاع و مع عدمها فالشاهد و الغائب سواء.

و كذلك شبّههم بقوله عليه السَّلام (و عبيد كأرباب) بالأرباب مع كونهم عبيدا، و هو إمّا من باب القلب و مبنّى على المبالغة أى أنتم أرباب من صناديد العرب و رؤسائها و لكنكم كالعبيد فى رزاله النفس و دنائه الهمة، أو المراد أنكم عبيد و رعايالى مفترض طاعنى عليكم و لكنكم تأبون عنها و تمرّدون عنها كالسادات، و هذا أنسب بالفقره السابقه، أو أنّ أخلاقكم أخلاق العبيد من الخلاف و النفاق و دنائه الأنفس و التوانى و التخاذل و أنتم مع ذلك تدعون الاستقلال و تتكبرون و تنغرون و تستبدون بالآراء كالأرباب و الأحرار.

ثمّ أشار عليه السَّلام إلى وجوه تقصيرهم بقوله (أتلو عليكم الحكم) الحسنه (فتنفرون منها و أعظكم بالموعظه البالغه فتتفرقون عنها و أحثكم على جهاد أهل البغى) أراد به أهل الشّام (فما اتى على آخر قولى حتّى اريكهم متفرّقين) مثل تفرّق (أيادى سبا ترجعون إلى) بيوتكم و (مجالسكم و تتخادعون عن مواعظكم) أى تتلونون و تختلفون معرضين عن قبول المواعظ، و قال الشّارح المعتزلى: أى تمسكون عن الاعتاظ من قولهم: كان فلان يعطى ثمّ خدع أى امسك و اقلع، و قال الشّارح البحرانى: المخادعه هى الاستغفال عن المصلحه أى أنّهم إذا رجعوا من مجلس وعظه أخذ كلّ منهم يستغفل صاحبه عن تذّكر الموعظه و يشغله بغير ذلك من الأحاديث و إن لم يكن عن قصد خداع بل تقع منهم صورته المخادعه.

(اقوّمكم غدوه) باصلاح أخلاقكم و إرشادكم إلى السّداد و الرشاد (و ترجعون

إِلَى عَشِيَّتِهِ كَظْهِرِ الْحَيَّةِ) أَى مَعَوِّجِينَ كَظْهِرِ الْقَوْسِ مُنْحَرِفِينَ عَنِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ (عَجَزَ الْمُقَوِّمُ) أَرَادَ بِهِ نَفْسَهُ الشَّرِيفَ (وَ أَعْضَلَ الْمُقَوِّمُ) أَرَادَ بِهِ قَوْمَهُ أَى أَشْكَلَ تَقْوِيمِهِمْ وَ أَعْيَانِي دَائِهِمْ عِلَاجًا.

ثُمَّ نَادَاهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذِكْرِ مَعَايِبِهِمْ تَنْفِيرًا لَهُمْ عَنْهَا فَقَالَ: (أَيُّهَا) الْفَتَى (الشَّاهِدَةُ أَبْدَانَهُمُ الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عَقُولُهُمْ) لَعَلَّ الْمُرَادَ بَغْيِيهِ الْعُقُولَ ذَاهِبًا أَوْ عَدَمَ قِيَامِهِمْ بِمَا تَقْتَضِيهَا وَ الثَّانِي أَظْهَرَ (الْمُخْتَلَفَةَ أَهْوَائِهِمُ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرًاؤُهُمْ) أَى ابْتَلَى أَمْرًاؤُهُمْ بِسَبَبِ نِفَاقِهِمْ بِسُوءِ الْحَالِ وَ عَدَمِ انْتِظَامِ الْأَمْرِ (صَاحِبَكُمْ يَطِيعُ اللَّهُ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ) وَ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى اتِّصَافِهِمْ بِرُذِيلِهِ مُخَالَفَةَ الْأَمْرِ مَعَ كَوْنِ أَمِيرِهِمْ مُطِيعًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ (وَ صَاحِبَ أَهْلِ الشَّامِ يَعِصِي اللَّهُ وَ هُمْ يَطِيعُونَهُ) وَ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى اتِّصَافِ أَهْلِ الشَّامِ بِفَضِيلَةِ الطَّاعَةِ مَعَ كَوْنِ أَمِيرِهِمْ عَاصِيًا لَهُ تَعَالَى وَ جَعَلَ ذَلِكَ مَقَاسَةً بَيْنَهُمْ لِيُظْهِرَ الْفَرْقَ فَيَدْرِكُهُمُ الْغَيْرَةُ.

ثُمَّ أَرْدَفَهُ لِتَحْقِيرِهِمْ وَ تَفْضِيلِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ فِي الْبَاسِ وَ النُّجْدَةِ فَقَالَ (لُودِدْتُ وَ اللَّهُ إِنْ مَعَاوِيَةَ) لَعَنَهُ اللَّهُ (صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالْدِّرْهِمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ) وَ لَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ وَجْهِ التَّحْقِيرِ حَيْثُ جَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَ الشَّامِ بِمَنْزِلَةِ الذَّهَبِ وَ جَعَلَ أَصْحَابَهُ بِمَنْزِلَةِ الْفِضَّةِ وَ رَجَّحَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَلَى عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَيْثُ وَدَّ مُبَادَلَتَهُمْ بِهِ وَ أَكَّدَ ذَلِكَ بِالْقِسْمِ الْبَارِّ وَ اللَّامِ وَ إِنَّ.

ثُمَّ تَبَّهَ عَلَى مَا ابْتَلَى بِهِ مِنْهُمْ فَقَالَ (يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنِيْتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ) أَى ابْتَلَيْتُ مِنْكُمْ بِخَمْسِ خِصَالٍ وَ إِنَّمَا لَمْ يَجْمَعْ الْخَمْسَ لَكُونَ الثَّلَاثَ مِنْ جِنْسٍ وَ الْاثْنَتَيْنِ مِنْ آخَرٍ، أَوْ لَكُونَ الثَّلَاثَ إِيجَابِيَّةً وَ الْاثْنَتَيْنِ سَلْبِيَّةً.

أَمَّا الثَّلَاثُ الْأَوَّلُ فَهُوَ أَنْكُمْ (صَمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَ بَكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَ عَمَى ذَوُو أَبْصَارٍ) تَوْصِيفُهُمْ بِهَا مَعَ أَضْدَادِهَا وَارِدٌ فِي مَقَامِ التَّعَجُّبِ وَ مَعْرُضُ التَّوْبِيخِ حَيْثُ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِخَلْقِ هَذِهِ الْجَوَارِحِ وَ الْآلَاتِ فِي الْإِنْسَانِ انْتِفَاعَهُ بِهَا وَ صَرْفَهُ لَهَا فِي

المصالح الدينيّة و الدنيويّه لينتظم بها أمر معاشه و معاده و إذا لم تنتفع بها كان واجدها و فاقدها سواء، و أخرى أن يلحق بالبهائم و الأنعام بل هو أضلّ سبيلا.

و أما الثنتان الباقيتان فتبه عليهما بقوله (لا أحرار صدق عند اللقاء) أى لا يرى منكم عند الحرب و لقاء الأبطال ما يصدق حرّيتكم من البأس و النجده و الشّجاعه، بل يشاهد منكم صفات العبد من التخاذل و دنائه الهمة و بقوله (و لا إخوان ثقه عند البلاء) أى لستم ممّن توثق باخوتكم عند الابتلاء بالنوازل (ترت أيدىكم) دعا بعدم إصابه الخير (يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها كلّما جمعت من جانب تفرّقت من آخر) شبّههم عليه السّلام بالابل الموصوفه و عقّبه بذكر وجه الشبه و هو فقد الانتظام بفقدان الراعى الناظم و أشار به إلى عصيانهم له و كونهم مطلقى العنان بمنزله من لا أمير لهم.

(و الله لكأنى) أبصر (بكم فيما أخال) و أظنّ بظهور الامارات و المخايل التى توجب الظن (أن لو حمس الوغا) و عظم الحرب (و حمى الضراب) و اشتدّ حرّ الطّعان (قد) تفرّقتم و (انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج المرأة عن قبلها) قال الشّارح المعتزلى: أى وقت الولادة، و قال البحرانى: شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الانفه و تسليم المرأة قبلها و انفراجها عنه إما وقت الولادة أو وقت الطّعان «انتهى» و قيل: تسليم المرأة لقبلها و انفراجها عنه وقت الولادة أو وقت الطّعان و التشبيه فى العجز و الدّنائ و الغرض إرجاع القوم إلى الانفه و الحميّة و تنبيههم على الخطاء فى تفرّجهم و عدم انقيادهم له عليه السّلام.

أقول: و جميع ما قالوه كما ترى مما ينفّر عنه الذوق السّليم و يأباه الطبع المستقيم لا سيّما التأويل بوقت الطّعان أقبح سماجه و لعلّ الأظهر أن يجعل الانفراج عن القبل كناية عن الانفراج عن الولادة أو مجازا مرسلا بعلاقه كون القبل محلّ الولادة و يكون المراد بالتشبيه الاشاره إلى شدّه محبّتهم فى الانفراج و منتهى رغبتهم فى التفرّق عنه فإنّ المرأة فى حال المخاض على غايه الشدّه و الاضطراب لا شىء أحبّ اليها من الطلق و الانفراج فاذا طلقت استراحت و رجعت إليها نفسها

و سكن وجعها، و الغرض بذلك توبيخهم و لومهم و تشبيه حالتهم عند حضور الجهاد و اشتغال نائره الحرب بحاله المرأة التي أخذها المخاض و وجع الولادة، و حسن هذا المعنى مما لا يخفى على أولى الأذهان السليمه و الأفهام المستقيمه، هذا.

و يحتمل بعيدا أن يكون أصل الروايه عن قبلها بفتحيتين و إن كان النسخ لا يساعده، في القاموس و القبل محرکه ضرب من الخرز يؤخذ بها^(١)، أو شيء من عاج مستدير يتألف لؤ يعلّق في صدر المرأة.

ثم عاد عليه السّلام في ذكر مناقبه الجميله المحرکه لهم الى اتّباعه و متابعتة فقال عليه السّلام (و إنّى لعلی بينه) و حجّه واضحه (من ربّى) و هى الآيات الباهره و الأدله الزّاهره المفيده لمعرفته و توحيده سبحانه (و منهاج) و جادّه مستقيمه (من نبّى) و هى السّينه النبويه و الطريقه المصطفويه على صاحبها أفضل الصّلاه و السّلام و التحيه (و أنّى لعلی الطريق الواضح) و هو طريق الدّين و نهج الشّرع المبين (ألقطه) من بين الطرق الضلال (لقطا) و لعلّ في التعبير بلفظ اللقطه إشاره إلى غلبه طرق الضلال و كثرتها و تنبيهها على أنّ سالك طريق الهدى يحتاج إلى الجدّ و الاجتهاد و الاهتمام حتّى يميّزه من بينها و يلتقطه من ههنا و ههنا، فإنّ سالك طريقه مكنته بالشوك و القناد من جانبها يحتاج إلى أن يلتقط المنهج التقاطا.

ثمّ تبّه على وجوب طاعته و ملازمته فقال (انظروا أهل بيت نبيكم) أراد به نفسه الشريف و الطّيبين من أولاده الأئمه الأحد عشر (فالزموا سمتهم) أى جهتهم و طريقتهم (و اتّبعوا أثرهم) و علل وجوب الاقتداء و الايتمام لهم بقوله (فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم فى ردى) أى ردى الجاهليه و الضّلال القديم، فإنّهم خير امه اخرجت للنّاس يأمرّون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و فيه تعريض على أنّ متابعه غيرهم توجب الخروج من الهدى و العود إلى الرّدى «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى»

ص: ١٣٠

(فان لبدوا فالبدا) أى إن قعدوا عن طلب الخلافه أو الجهاد و لزموا السيوت فتابعوهم (و إن نهضوا فانهضوا) أى إن قاموا بالخلافه فانصروهم (و لا تسبقوهم) فيما لم يأمرؤكم به و لا تفعلوا ذلك (فتضلوا) لأن متقدّم الدليل شأنه الضلال عن القصد (و لا تتأخروا عنهم) فيما يأمرؤنكم به و لا تخالفوهم (فتهلكوا) لأن المتخلف عن الهاد يتيه عن الرشاد فلا يدرى انه هلك فى أى واد.

ثم تبه عليه السلام على بعض أوصاف الأصحاب الأنجاء للتهييج و الالهاب فقال عليه السلام و (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم) و هم الذين أدركوا صحبته بالايما و ماتوا بالايما (فما أرى أحدا منكم يشبههم) فى الزهد و الورع و الخوف و الخشية من الحق سبحانه (لقد كانوا يصبحون شعثا غربا) أى متغيرى الشعر و مغبر الرؤوس من غير استحداد و لا- تنظف من قشف العباده و كثره الرياضه (قد باتوا) و أحيوا لياليهم (سجدا و قياما يراوون بين جباههم و خدودهم) أى يسجدون بالجبهه مره و بالخدود اخرى تذللّا و خضوعا (و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم) كناية عن قلقهم و اضطرابهم من خوف المعاد (كانّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم) و أراد ببين أعينهم جباههم مجازا يعنى أن جباههم من طول السجود و كثره مسّ الأرض صارت كركب المعزى و ثفنات البعير فى الغلظه و الخشونه (إذا ذكر الله هملت أعينهم) و سالت (حتّى تبلّ جيوبهم) و فى بعض النسخ جباههم بدل جيوبهم و بلّها ممكن فى حال السجود (و ما دوا كما يمد الشجر) أى اضطربوا مثل اضطراب الشجر (يوم الريح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب) يعنى أنّ اضطرابهم تاره يكون من الخوف و الوجل و اخرى من الرجاء و الاشتياق و هذا هو شأن المؤمن المخلص الآخذ بين مرتبتى الخوف و الرجاء و الأمل من الله الحسنى إنّه الغفور الرحيم ذو المنّ العظيم.

تكملة

هذا الكلام له عليه السلام يشبه أن يكون ملتقطا من خطبه طويله قدّمنا روايتها من كتاب الاحتجاج و الارشاد فى شرح الخطبه التاسعه و العشرين، و تقدّم أيضا بعض

از جمله کلام آن قدوة اُنام است می فرماید:

و اگر مهلت بدهد خداوند ظالم را پس هرگز فوت نمی شود از او عقوبت او و حق تعالی مر ظالم را بر محل ترقب و نگهبانی است بر مکان گذشتن راه او و بموضع چیزهای گلوگیر است از جای فرو بردن آب دهان او، آگاه باش قسم بآن خدائی که نفس من در قبضه اقتدار او است هر آینه غالب شدن این قوم که عبارت باشند از اهل شام بشما نیست بجهه این که ایشان أقرب بحق انداز شما، و لکن بجهه شتافتن ایشانست بسوی باطل صاحب خودشان و اهمال نمودن شما است از حق من، و هر آینه بتحقیق که صباح کردند اُمّتها در حالتی که می ترسند از ستم والیان خودشان، و صباح کردم من در حالتی که می ترسم از جور رعیت خود طلب یاری کردم از شما بجهه جهاد پس یاری نکردید، و شنوادم شما را قول حق را پس گوش ندادید، و خواندم شما را بحق در نهان و آشکار پس اجابت نکردید، و نصیحت نمودم شما را پس قبول ننمودید آیا شما حاضران هستید مثل غایبان، و غلامان هستید مثل خواجه گان، تلاوت میکنم بشما حکمتهای حسنه را پس رم می کنید از آن، و موعظه میکنم شما را با موعظه بالغه پس پراکنده می شوید از آن، و ترغیب میکنم شما را بر جهاد اهل بغی و ظلم پس نمی آید بمن آخر گفتار خودم تا این که می بینم شما را متفرّق می شوید مثل متفرّق شدن اولاد سبا، بر می گردید بمجالس خودتان و اختلاف می نمائید از مواعظ خودتان، راست می گردانم شما را در بامداد و باز می گردید بسوی من در شبانگاه مانند پشت کمان کج شده، عاجز شد راست سازنده و مشکل شد راست شده.

ای جماعتی که حاضر است بدنهای ایشان و غایب است از ایشان عقلهای ایشان مختلف است خواهشهای ایشان مبتلا است بجهه ایشان امیران ایشان، صاحب شما اطاعت

میکند خدای را و شما عصیان می نمائید او را، و صاحب اهل شام نافرمانی میکند حق را و ایشان اطاعت می نمایند او را، هر آینه دوست می دارم قسم بخدا این که معاویه صرافی کند با من شما را مثل صرافی دینار بدرهم پس بگیرد از من ده نفر از شما را و عوض دهد بمن یک نفر از اهل شام را ای اهل کوفه مبتلا شدم من از شما بسه خصلت و دو خصلت اما سه خصلت اینست که: هستید کران صاحب گوشها، گنگان صاحب گفتار، کوران صاحب چشمها، اما دو خصلت اینست که: نیستید آزادگان راست در وقت ملاقات شجاعان و نه برادران محل و ثوق و اطمینان هنگام ابتلاءات زمان، خاک آلود باد دستهای شما ای امثال شتران در حالتی که غایب باشد از ایشان شتربانان ایشان که هر وقت جمع کرده شوند از طرفی پراکنده شوند از طرف دیگر، قسم بخدا گوئیا می بینم شما را در آنچه ظن و خیال میکنم این که اگر شدت بیابد جنگ و سخت شود حرارت کارزار بتحقیق که منکشف شوید از پسر ابی طالب همچو منکشف شد زن از زائیدن خود، و بدرستی که من بر حجت و بینه هستم از جانب پروردگار خود، و بر جاده مستقیمه هستم از جانب پیغمبر خود، و بدرستی که من بر راه روشن می باشم که پیدا میکنم آن راه را پیدا کردنی.

نظر نمائید بسوی اهل بیت پیغمبر خودتان پس لازم شوید بسمت ایشان، و متابعت نمائید اثر ایشان را، پس هرگز خارج نمی کنند ایشان شما را از هدایت، و هرگز بر نمی گردانند ایشان شما را بضاللت و هلاکت، پس اگر باز ایستند از طلب امری باز ایستید شما، و اگر بایستند بامر بایستید شما، و پیشی نگیرید بایشان پس گمراه شوید، و پس نیفتید از ایشان پس هلاک شوید.

و بتحقیق دیدم من اصحاب حضرت رسالتآب صلی الله علیه و آله و سلم را پس ندیدم هیچیکی از شما را که شبیه ایشان باشید، بتحقیق که بودند ایشان صباح می کردند ژولیده موی غبار آلوده سر بتحقیق که شب را بروز می آوردند در حالتی که سجده کنند گان و ایستاده گان بودند، راحت می نمودند میان پیشانی و رخسارهای خودشان را

یعنی گاهی بیشانی سجده می نمودند و گاهی رویشان را بزمین می نهادند، و می ایستادند بر مثال آخرگر از یاد کردن قیامت و معاد خودشان گوئیا که میان چشمان ایشان زانوهای بز است که پینه بسته است از درازی سجده ایشان، هر گاه ذکر شود خداوند سبحانه ریزان می گردید آب چشمهای ایشان تا آنکه تر می شد گریانهای ایشان از اشک چشم، و مضطرب می شدند مثل مضطرب شدن و جنیدن درخت در روز باد تند بسبب ترسیدن از عذاب، و بسبب امیدواری بر ثواب.

و من کلام له علیه السلام و هو السابع و التسعون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و یستفاد من کتاب الغارات انه قاله بعد أمر الخوارج و النهروان و رواه فی البحار عن المسیب بن نجبه الفزاری نحوه و سنشیر إلیه إنشاء الله. و الله لا یزالون حتّی لا یدعوا لله محرما إلاّ استحلّوه، و لا عقدا إلاّ حلّوه، و حتّی لا یبقی بیت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمهم، و نبا به سوء رعیهم، و حتّی یقوم الباکیان یبکیان: باک یبکی لدینه، و باک یبکی لدنیاه، و حتّی یكون نصره أحدکم من أحدهم کنصره العبد من سیّده: إذا شهد أطاعه، و إذا غاب اغتابه، و حتّی یكون أعظمکم فیها عناء أحسنکم بالله ظنا، فإن أتاکم الله بعافیة فأقبلوا، و إن ابتلیتم فاصبروا، فإنّ العاقبه للمتّقین.

اللغه

(محرما) فی أكثر النسخ و زان مقعد بفتح المیم و تخفیف الراء و هو ما

ص: ۱۳۴

حرّمه الله سبحانه و الجمع محارم، و عن بعضها محرّما بضم الميم و تشديد الرّاء و جمعه محارم و محرمات (و نبأ) منزله به بتقديم النون على الباء اذا لم يوافقه و (رعيهم) فى أكثر النسخ بالياء المثناه التحتانيه مصدر رعا يرمى بمعنى الحكومه و الاماره، و فى بعض النسخ بالتاء الفوقانيه مصدر ورع يقال ورع يرع بالكسر فيهما ورعا ورعه و هو التقوى و (ابتليتيم) بالبناء على المفعول.

الاعراب

خبر زال محذوف أى لا- يزالون على الجور أو ظالمين، و إضافه نصره أحدكم و نصره العبد من اضافه المصدر إلى فاعله، و أعظمكم بالنصب خبر كان قدّم على اسمها و هو أحسنكم و يروى برفع الأوّل و نصب الثانى على العكس و الأوّل أنسب

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام الاشاره إلى شدّه طغيان بنى اميه و ما يصيب المسلمين منهم من الجور و الظلم و الأذيه و صدّر الكلام بالقسم البار تحقيقا و تصديقا فقال (و الله لا يزالون) ظالمين (حتى لا يدعوا الله محرّما إلا استحلوه) أى عدّوه حلالا و استعملوه استعمال المحلّلات و لا يبالون به، و يشهد بذلك ما صدر منهم من القتل و اتلاف النفوس التى لا تحصى، فاذا كان حالهم فى أعظم الكباير ذلك فكيف غيرها.

(و لا) يتركوا (عقدا إلا حلّوه) و المراد به إمّا العقد و العهود المعاهده بينهم و بين الناس فالمراد بحلّها نقضها، و أول ما وقع من ذلك ما كان من معاويه حيث نقض المعاهده بينه و بين الحسن عليه السّلام، و إمّا العهود المأخوذه عليهم من الله تعالى و هو أحكام الدّين و قوانين الشرع المبين فيكون حلّها عباره عن مخالفتها و عدم العمل بها (و حتى لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلا دخله ظلمهم) أراد بيت المدر ما يعمل من الطين و الجصّ و نحوه فى القرى و البلدان، و بيت الوبر الخباء و الخيم المتخذة من الشعر و الصوف و الوبر و نحوها فى البوادي (و نباهه سوء رعيهم) أى

ضره و خالفه سوء امارتهم أو سوء تقويهم.

(و حتّى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكى لدينه و باك يبكى لديناه) لعلّ المراد بالبأكى لدينه من لم يكن متمكّنا من اظهار معالم الدّين من القيام بوظائف شرع سيّد المرسلين، و بالبأكى لديناه من كان مصابا بنهب الأموال و مبتلى بسوء الحال (و حتّى يكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيّده إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه) الظاهر أنّ المراد بالنصره فى المقامين هو الانتصار فيكون المجرّد بمعنى المزيد و قد مرّ نظير هذه العبارة فى الخطبه الثّانيه و التّسعين و أوضحنا معناها هنالك.

قال الشّارح المعتزلى: و قد حمل قوم هذا المصدر أى نصره أحدكم على الاضافه إلى المفعول، و كذلك نصره العبد و تقدير الكلام حتى يكون نصره أحد هؤلاء الولاه أحدكم كنصره سيّد العبد السيّء الطريقه إياه، و من فى الموضوعين مضافه إلى محذوف تقديره من جانب أحدهم و من جانب سيّده قال الشّارح: و هذا ضعيف لما فيه من الفصل بين العبد و بين قوله (١) إذا شهد أطاعه، و هو الكلام الذى إذا استمر المعنى جعل حالا من العبد لقوله من سيّده.

أقول: لعلّ مراد الشّارح بما ذكره فى وجه الضعف من استلزام الفصل هو اختلال نظام الكلام من حيث المعنى لا من حيث التركيب النحوى، فإنّ الاتساع فى الظروف و شبهها ممّا هو معروف، و الفصل بهما بين اجزاء الكلام بما لا يسوغ لغيرهما مشهور مأثور، نعم اختلال المعنى لا- ريب فيه فإنّ محصل معنى الكلام على ما ذكره القوم حتى يكون منصوريه أحدكم من جانب أحدهم كمنصوريه العبد من جانب سيّده، و على ذلك فلا يلايمه قوله عليه السّلام: إذا شهد أطاعه «آه» فان ظاهر هذا الكلام يعطى كونه بيانا لحاله نصره العبد سيّده بمعنى ناصريته له، لا لحاله منصوريته منه فافهم.

(و حتى يكون أعظمكم فيها) أى فى هذه الفتنة المفهومه بسياق الكلام

ص: ١٣٦

(عناء) و جهدا (أحسنكم بالله ظنا) لظهور أنّ حسن الظن بالله من صفات المؤمنين و الأولياء الكاملين، و معلوم أنّ عداوتهم لهم تكون أشدّ، و عنائهم و تعبهم منهم يكون أكثر و أكد (فان أتاكم الله بعافيه) و نجاه من تلك البليه (فاقبلو) ها بقبول حسن و اشكروا له سبحانه (و إن ابتليتكم) و اصبتكم بمصيبه (فاصبروا) عليها و تحاملوا بها (فانّ العاقبه للمتقين) و الله لا يضع أجر المحسنين.

تنبيه

اعلم أنّ المستفاد من كتاب الغارات لابراهيم الثقفي على ما حكى عنه فى البحار أنّ هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد واقعه النهروان بعد ما رجع إلى الكوفه و أغار سفيان بن عوف العامري بأمر معاويه على الانبار على ما تقدّم تفصيله فى شرح الخطبه السابعة و العشرين.

قال صاحب الغارات بعد ما أورد شطرا من الآثار فى غاره سفيان: و عن ثعلبه بن يزيد الحماني أنّه قال: بينما أنا فى السوق إذ سمعت مناديا ينادى الصّلاه جامعته، فجئت اهرول و الناس يهرعون فدخلت الرّحبه فاذا علىّ عليه السلام على منبر من طين مجصّص و هو غضبان قد بلغه أنّ اناسا قد أغاروا بالسّواد، فسمعتة يقول: أما و ربّ السّماء و الأرض ثمّ ربّ السّماء و الأرض إنّّه لعهد النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ الامة ستغدر بى.

و عن المسيب بن نجبه الفزارى أنّه قال: سمعت عليّا عليه السلام يقول: إنّى قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم، بطاعتهم إمامهم و معصيتكم إمامكم، و بأدائهم الأمانه و خيانتكم، و بصلاحتهم فى أرضهم و فسادكم فى أرضكم، و باجتماعهم على باطلهم و تفرقكم عن حقّكم حتّى تطول دولتهم و حتّى لا يدعو الله محرما الاّ استحلّوه حتّى لا يبقى بيت و بر و لا بيت مدر إلاّ دخله جورهم و ظلمهم حتّى يقوم الباكيان باك يبكى لدينه و باك يبكى لديناه، و حتّى لا يكون منكم إلاّ نافعا لهم أو غير ضارّ بهم، و حتّى يكون نصره أحدكم منهم كنصره العبد من سيّده إذا شهد أطاعه و إذا غاب سبّه، فان أتاكم الله بالعافيه فاقبلوا و إن ابتلاكم فاصبروا، فانّ العاقبه

للمتقين، هذا.

و أقول: لا- يخفى على الناقد الخبير بالأخبار و المطلع على الآثار أنَّ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السَّلام و أشار إليه فى هذا الكلام من عموم جور بنى اميّه، و انتهاكهم المحارم، و استحلالهم الدِّماء و اضرارهم بالمسلمين، و سعيهم فى اطفاء نور ربِّ العالمين، فقد وقع كَلِّه مطابقا لما أخبر به.

فقد روى فى البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان عن سليم و عمر ابن أبى سلمه قالا: قدم معاويه لعنه الله حاجا فى خلافته المدينه بعد ما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه و صالح الحسن عليه السَّلام و فى روايه اخرى بعد ما مات الحسن عليه السَّلام و استقبله أهل المدينه فنظر فاذا الذى استقبله من قريش أكثر من الأنصار، فسأل عن ذلك فقيل: إنَّهم محتاجون ليست لهم دواب فالتفت معاويه إلى قيس بن سعد بن عباد فقل: يا معشر الأنصار مالكم لا تستقبلونى مع اخوانكم من قريش.

فقال قيس و كان سيّد الأنصار و ابن سيدهم: اقعدنا يا أمير المؤمنين ان لم يكن لنا دواب، قال معاويه: فأين النواضح، فقال قيس: أفئيناها يوم بدر و احد و ما بعدهما فى مشاهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حين ضربناك و أباك على الاسلام حتى ظهر أمر الله و أنتم كارهون، قال معاويه: اللهم غفرا(١).

قال قيس: اما إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال سترون بعدى أثره، ثم قال: يا معاويه تعيّرنا بنواضحنا و الله لقد لقيناكم عليها يوم بدر و أنتم جاهدون على اطفاء نور الله و أن يكون كلمه الشيطان هى العليا، ثم دخلت أنت و أبوك كرها فى الاسلام الذى ضربناكم عليه، فقال معاويه: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيانا فلله و لقريش بذلك المنّ و الطّول، أَلستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو من قريش و هو ابن عمّنا و منّا؟ فلنا المنّ و الطّول أن جعلكم الله أنصارنا

ص: ١٣٨

١- (١) أى اللهم اغفر لى غفرا و اللهم افتتح للكلام و الخطاب لقيس أى اغفر ما وقع منى و استر. معائبى، بحار.

و أتباعنا فهداكم بنا.

و قال قيس: إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم رحمه للعالمين، فبعثه إلى النّاس كافه و إلى الجنّ و الانس و الاسود و الأحمر و الأبيض، اختاره لنبوّته و اختصّه برسالته فكان أوّل من صدقه و آمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و أبو طالب يذبّ عنه و يمنعه و يحول بين كفّار قريش و بين أن يروعوه و يؤذوه، و أمر أن يبلغ رساله ربه فلم يزل ممنوعا من الضيم و الأذى حتى مات عمّه أبو طالب و أمر ابنه بموازرتة فوازره و نصره و جعل نفسه دونه في كلّ شدة و ضيق و كلّ خوف، و اختصّ الله بذلك عليّا عليه السّلام من بين قريش و أكرمه من بين جميع العرب و العجم، فجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جميع بنى عبد المطلب فيهم أبو طالب و أبو لهب و هم يومئذ أربعون رجلا، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و نادمه عليّ عليه السّلام و رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجر عمّه أبي طالب فقال: ايّكم ينتدب أن يكون أخى و وزيرى و وصيّى و خليفتى فى امتى و ولّى كلّ مؤمن من بعدى، فأمسك القوم حتى أعادها ثلاثا فقال عليّ عليه السّلام: أنا يا رسول الله فوضع رأسه فى حجره و تفل فى فيه و قال: اللهم املأ جوفه علما و فهما و حكما، ثمّ قال لأبى طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنك و أطع فقد جعله الله من نبيّه بمنزله هارون من موسى، و آخا صلّى الله عليه وآله وسلّم بين عليّ عليه السّلام و بين نفسه.

فلم يدع قيس شيئا من مناقبه عليه السّلام إلّا ذكرها و احتجّ بها، و قال: منهم جعفر ابن أبى طالب الطّيار فى الجنّه بجناحين اختصّه الله بذلك من بين النّاس، و منهم حمزه سيّد الشهداء، و منهم فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه، فاذا وضعت من قريش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و أهل بيته و عترته الطّيبين فنحن و الله خير منكم يا معشر قريش و احبّ إلى الله و رسوله و إلى أهل بيته منكم، لقد قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاجتمعت الانصار إلى أبى ثمّ قالوا نبايع سعدا فجاءت قريش فخاصموننا بحجّه عليّ و أهل بيته و خاصموننا بحقّه و قرابته فما يعدو قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار و ظلموا آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، و لعمرى ما لأحد من الأنصار و لا لقريش و لا لأحد من العرب و العجم فى الخلافه حقّ مع عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و ولده من بعده.

فغضب معاويه و قال يابن سعد عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا؟ و عَمَّنْ رَوَيْتَهُ؟ و عَمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ أَبُوكَ أَخْبَرَكَ بِذَلِكَ و عَنْهُ أَخَذْتَهُ؟ فقال قيس: سمعته و أَخَذْتَهُ مَمَّنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي و أعظم عليّ حقاً من أبي، قال: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السّلام عالم هذه الآمّه و صديقها الذي انزل الله فيه «قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ».

فلم يدع آيه نزلت في عليّ عليه السّلام إلّا ذكرها.

قال معاويه: فإنّ صديقها أبو بكر و فاروقها عمر و الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام.

قال قيس: أحقّ هذه الاسماء و أولى بها الذي انزل الله فيه:

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ».

و الذي نصبه رسول الله بغدير خم فقال: من كنت مولاه أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه، و قال في غزوه تبوك أنت منّي بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى.

و كان معاويه يومئذ بالمدينه فعند ذلك نادى مناديه و كتب بذلك نسخه إلى أعماله الا برئت الذّمه ممن روى حديثاً في مناقب عليّ و أهل بيته و قامت الخطبه في كلّ مكان على المنابر يلعن عليّ بن أبي طالب و البراء منه و الوقيعه في أهل بيته و اللّعنهم لهم بما ليس فيهم عليهم السّلام.

ثمّ إنّ معاويه لعنه الله مرّ بحلقه من قريش فلمّا رأوه قاموا إليه غير عبد الله بن عبّاس، فقال له: يابن عبّاس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجده عليّ بقتالي إياكم يوم صفّين، يابن عبّاس إنّ عمّي عثمان قتل مظلوماً، قال ابن عبّاس، فعمر بن الخطاب قد قتل قبله مظلوماً، قال: فتسلم الأمر إلى ولده و هذا ابنه قال: إنّ عمر قتله مشرك، قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون، قال: فذلك أدحض لحجّتك و أحلّ لدمه ان كان المسلمون قتلوه

و خذلوه فليس إلا بحق.

قال: فأنّا كتبنا فى الآفاق نهى عن ذكر مناقب علىّ و أهل بيته فكفّ لسانك يابن عبّاس و اربع على نفسك، قال: ففتنهانا عن قراءه القرآن؟ قال: لا، قال: فتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم، قال: فنقرأه و لا نسأل عمّا عنى الله به؟ قال: نعم، قال: فأئتما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: فكيف نعمل حتى نعلم ما عنى الله بما انزل علينا؟ قال: يسأل ممّن يتأوله على غير ما تتأوله أنت و أهل بيتك، قال: إنّما نزل القرآن على أهل بيتى فأسأل عنه آل أبى سفيان و آل أبى معيط و اليهود و النصارى و المجوس؟ قال: فقد عدلتنى بهؤلاء؟ قال: لعمرى ما اعدلك بهم إلا إذا نهيت الامة أن يعبدوا الله بالقرآن و بما فيه من أمر أو نهى أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محكم أو متشابه و ان لم تسأل الامة عن ذلك هلكوا و اختلفوا و تاهوا، قال: فاقروا القرآن و لا ترووا شيئا مما أنزل الله فيكم و مما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و ارووا ما سوى ذلك.

قال: ابن عباس: قال الله تعالى فى القرآن:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

قال معاوية: يابن عبّاس اكفىنى عن نفسك و كفّ عنّى لسانك و ان كنت لا بدّ فاعلا فليكن سرّا و لا يسمعه أحد علانيه، ثمّ رجع إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم و فى روايه اخرى مائه الف درهم ثمّ اشتد البلاء بالامصار كلّها على شيعة علىّ عليه السّلام و أهل بيته و كان أشدّ الناس بليه أهل الكوفه لكثره من بها من الشّيعه و استعمل عليها زيادا ضمّها اليه مع البصره و جمع له العراقيين و كان يتبع الشيعه و هو بهم عالم، لأنّه كان منهم قد عرفهم و سمع كلامهم أوّل شىء، فقتلهم تحت كلّ كوكب و تحت كلّ حجر و مدر، و أخافهم و قطع الأيدي و الأرجل منهم و صلبهم على جذوع النّخل و سمل أعينهم

ص: ١٤١

و طردهم و شردهم حتى انتزحوا على العراق فلم يبق بها أحد منهم إلا مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب.

و كتب معاويه إلى أعماله و ولايته في جميع الأرضين و الأمصار ألا يجيز و الأحد من شيعه على و لا من أهل بيته و لا من أهل ولايته الذين يروون فضله و يتحدثون بمناقبه شهاده.

و كتب إلى أعماله: انظروا من قبلكم من شيعه عثمان و محبيه و أهل بيته و أهل ولايته الذين يروون فضله و يتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم و أكرمهم و قرّبوهم و شرفوهم و اكتبوا إلى بما يروى كلّ واحد منهم فيه باسمه و اسم أبيه و ممّن هو.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا في عثمان الحديث و بعث إليهم بالصّيلات و الكساء و أكثر لهم القطايع من العرب و الموالى فكثروا في كلّ مصر و تنافسوا في المنازل و الضياع و اتسعت عليهم الدّنيا فلم يكن أحد يأتي عامل مصر من الأمصار و لا قرية فيروى في عثمان منقبه أو يذكر له فضيله إلا كتب اسمه و قرب و شفع فمكثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى أعماله إنّ الحديث قد كثر في عثمان و فشا في كلّ مصر و من كلّ ناحيه فاذا جائكم كتابي هذا فادعوهم إلى الزّوايه في أبي بكر و عمر فإنّ فضلهم و سوابقهما أحبّ إلىّ و أقرّ لعيني و أدحض لحجّه أهل هذا البيت و أشدّ عليهم من مناقب عثمان و فضله، فقرأ كلّ قاض و أمير من ولايه كتابه على النّاس و أخذ النّاس في الزّوايات فيهم و في مناقبهم.

ثمّ كتب نسخه جمع فيها جميع ما روى فيهم من المناقب و الفضائل و أنفذهما إلى عماله و أمرهم بقراءتها على المنابر في كلّ كوره و في كلّ مسجد، و أمرهم أن ينفذوا إلى معلّمي الكتاتيب أن يعلموها صبيانهم حتى يرووها و يتعلّموها كما يتعلّمون القرآن حتّى علّموها بناتهم و نسائهم و خدمهم و حشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخه واحده إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيئه أنه يحب عليا و أهل بيته فامحوه من الديوان و لا تجيزوا له شهاده.

ثم كتب كتابا آخر: من اتهمتموه و لم تقم عليه بينه فاقتلوه، فقتلوههم على التهم و الظن و الشبه تحت كل كوكب حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمه فيضرب عنقه.

و لم يكن ذلك البلاء فى بلد أشد و لا أكبر منه بالعراق و لا سيما بالكوفه حتى أن الرجل من شيعه على و ممن بقى من أصحابه بالمدينه و غيرها ليأتيه من يثق به فيدخل بيته ثم يلقي عليه سترافىخاف من خادمه و مملوكه فلا يحدثه حتى يأخذ الأيمان المغلظه عليه ليكتمن عليه.

و جعل الأمر لا يزداد إلا شده و كثر عندهم عدوهم و أظهروا أحاديثهم الكاذبه فى أصحابهم من الزور و البهتان فينشأ الناس على ذلك و لا يتعلمون إلا منهم و مضى على ذلك قضاتهم و ولاتهم و فقهاؤهم.

و كان أعظم الناس فى ذلك بلاء و فتنه القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون لهم الحزن و الخشوع و النسك و يكذبون و يعلمون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، و يدنو لذلك مجالسهم، و يصيبوا بذلك الأموال و القطايع و المنازل حتى صارت أحاديثهم تلك و رواياتهم فى أيدي من يحسب أنها حق و أنها صدق فرووها و قبلوها و تعلموها و علموها و أحبوا عليها و أبغضوا و صارت بأيدي الناس الذين لا يستحلون الكذب و يبغضون عليه أهله فقبلوها و هم يرون أنها حق و لو علموا أنها باطل لم يرووها و لم يتدينوا بها، فصار الحق فى ذلك الزمان باطلا، و الباطل حقا، و الصدق كذبا، و الكذب صدقا.

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليشملنكم فتنه يربو فيها الوليد، و ينشأ فيها الكبير يجرى الناس عليها و يتخذونها سنه، فاذا غير منها شيء قالوا أتى الناس منكرا غيرت السنه.

لما مات الحسن بن على عليه السلام لم يزل البلاء و الفتنه يعظمان و يشتدان فلم

يَبْقَى وَلِيُّ اللَّهِ إِلَّا- خَائِفًا عَلَى دَمِهِ، وَ فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى إِلَّا- خَائِفًا عَلَى دَمِهِ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، وَ إِلَّا طَرِيدًا وَ شَرِيدًا، وَ لَمْ يَبْقَ عَدُوَّ اللَّهِ إِلَّا مَظْهَرُ الْحُجَّةِ غَيْرِ مُسْتَتِرٍ بِدَعْوَتِهِ وَ ضَلَالَتِهِ الْحَدِيثَ.

أَلَا لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ أَيْ مُنْقَلَبٌ يَنْقَلِبُونَ.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام اُنام است که اشاره فرموده در آن بأعمال قبیحه بنی امیه و گفته:

بخدا سوگند که همیشه باشند بنی امیه تا این که نگذارند مر خداوند عالم را حرامی مگر که حلال شمارند آن را، و نه گرهی از گرههای دین مگر این که بگشایند آن را، و تا این که باقی نماند خانه از کلوخ ساخته شده و نه خیمه از پشم بر پا بوده مگر این که داخل شود در او ظلم آنها، و متزلزل سازد آن را بدی حکومت و امارت ایشان تا آنکه برخیزد دو شخص گریه کننده که گریه کند یک گریه کننده گریه کند از برای دین خود، و گریه کننده دیگر گریه کند از برای دنیای خود، و تا این که باشد انتقام کشیدن یکی از شما از یکی از ایشان مثل انتقام کشیدن بنده از مولای خود باین وجه که اگر حاضر باشد نزد مولایش اطاعت او را می نماید، و هرگاه غائب باشد از او غیبت او میکند، تا آنکه باشد بزرگترین شما از روی مشقت نیکوترین شما از روی گمان و امیدواری بخدا پس اگر عطا کند خداوند شما را سلامتی و عافیتی پس قبول نمائید، و اگر مبتلا شوید ببلائی پس صبر نمائید پس بدرستی که عاقبت کار پرهیزکاران راست.

فى باب الخطب

نحمده على ما كان، و نستعينه من أمرنا على ما يكون، و نسأله المعافاه فى الأديان، كما نسأله المعافاه فى الأبدان. عباد الله أوصيكم بالرّفْض لهذه الدّنيا التّاركة لكم و إن لم تحبّوا تركها، و المبلية لأجسامكم و إن كنتم تحبّون تجديدها، فإنّما مثلكم و مثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنّهم قد قطعوه، و أمّوا علما فكأنّهم قد بلغوه، و كم عسى المجرى إلى الغايه أن يجرى إليها حتّى يبلغها، و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، و طالب حثيث يحدوه فى الدّنيا حتّى يفارقها، فلا تنافسوا فى عزّ الدّنيا و فخرها، و لا تعجبوا بزینتها و نعيمها، و لا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها، فإنّ عزّها و فخرها إلى انقطاع، و إنّ زینتها و نعيمها إلى زوال، و ضرّائها و بؤسها إلى نفاذ، و كلّ مدّه فيها إلى انتهاء، و كلّ حىّ فيها إلى فناء، أ و ليس لكم فى آثار الأوّلین مزدجر، و فى آباءكم الماضین تبصره و معتبر إن كنتم تعقلون، أ و لم تروا إلى الماضین منكم لا يرجعون، و إلى الخلف الباقین لا یبقون، أ و لستم ترون أهل الدّنيا یمسون

و يصبحون على أحوال شتى: فميت يبكى، و آخر يعزى و صريع مبتلى و عايد يعود، و آخر بنفسه يجود، و طالب للدنيا و الموت يطلبه، و غافل و ليس بمغفول عنه، و على أثر الماضي ما يمضى الباقي، ألا فاذكروا هادم اللذات، و منغص الشهوات، و قاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال القبيحة، و استعينوا الله على أداء واجب حقّه، و ما لا يحصى من أعداد نعمه و إحسانه.

اللغة

(عافاه) الله من المكروه معافاه و عافيه وهب الله له العافيه من العلل و البلاء كأعفاه و العافيه دفاع الله عن العبد و (رفضت) الدنيا رفضا من باب نصر و ضرب تركتها و (سفر) بسكون العين جمع سافر كركب و راكب و سحب و صاحب و (جرى) الفرس جريا و أجرته أنا أرسلته و حملته على السير و (حثت) الانسان على الشىء حثا من باب قتل حرضته عليه و ذهب حثا أى مسرعا و (حدوت) بالابل حثتها على السير بالحداء و زان غراب و هو الغناء لها و حدوثه على كذا بعثته عليه و (الصّريع) من الأغصان ما تهّدل و سقط إلى الأرض و منه قيل للقتيل صريع، و فى بعض النسخ ضريع بالضاد المعجمه من ضرع ضرعا وزان شرف ضعف، و أضرعته الحمى أوهنته و (المساورة) المواثبه.

الاعراب

قوله. و كم عسى المجرى، أما لفظه كم استفهاميه للتحقير بمعنى أى مدّه، و عسى فعل من أفعال المقاربه مفيد للرجاء و الطمع، و المرفوع بعده فى مثل عسى زيد أن يخرج اسمه و ان مع الفعل فى محلّ النصب على الخبر أى رجا زيد الخروج و قال الكوفيون: ان مع الفعل فى محلّ رفع بدلا ممّا قبله بدل الاشتمال كقوله تعالى

«لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ» إلى قوله «أَنْ تَبَرَّوهُمْ» أى لا ينهيكم الله عن أن تبرّوهم و على هذا فمعنى عسى زيد أن يخرج يتوقع و يرجأ خروج زيد، و الأشهر الأول هذا.

و قد يقع ان مع الفعل فاعلا له مستغنا به عن الخبر لكونه حينئذ تاما بمعنى قرب تقول عسى أن يخرج زيد أى قرب خروجه.

و قال الرضى ان من ذهب إلى أنّ أن مع الفعل فى عسى زيد أن يخرج خبر عسى، جاز أن يقول فى عسى أن يخرج زيد أنّ أن يخرج خبر أيضا و هو من باب التنازع يعنى يجوز فى المثال جعل زيد اسما لعسى و أن مع الفعل خبرا مقدما له فى محلّ النصب فيضمّر فى الفعل ضمير عايد إلى زيد، كما يجوز جعل زيد فاعلا للفعل و جعل عسى مسندا إلى ان و الفعل مستغنى بهما عن الخبر.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ لفظه عسى فى قوله عليه السّلام كم عسى ناقصه و المجرى اسمها و ان يجرى إليها خبرها، و فى قوله و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه تامه وقعت بعد ما النافية و أن يكون فى محلّ الرفع على الفاعل و يكون تامه أيضا بمعنى يوجد، و الواو فى قوله و طالب آه للحال و الضمير فى قوله عليه السّلام يحدوه عايد إلى من الموصولة و الفاء فى قوله عليه السّلام: فلا تنافسوا فصيحه، و الهمزة فى قوله عليه السّلام أ و ليس لكم استفهام على سبيل الإنكار الباطالى و يحتمل جعلها تقريرا بما بعد النفى كما ذهب إليه الزمخشري فى قوله:

«أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

و مثلها الهمزة فى قوله أ و لستم ترون آه، و ما فى قوله عليه السّلام ما يمضى الباقي مصدرية أو زائدة.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه للوصيه بالتقوى و الأمر برفض الدنيا

والتنغير عنها بذكر معاييها ومثالبها، وافتتح الكلام بحمد الملك المتعال واستعانه الربّ ذي الجلال لأنّ ذكره سبحانه مفتاح للمطالب، ووسيله إلى المآرب فقال:

(نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون) تخصيص الحمد بما كان والاستعانه بما يكون من حيث إنّ الثناء على النعمه موقوف ومرتب على وقوعها فيما مضى، وطلب العون على أمر لا يتصوّر إلّا فيما يأتى وما هو بصدد أن يفعله (و نسأله المعافاه فى الأديان كما نسأله المعافاه فى الأبدان) فإنّ الأديان لها سقم وشفاء كما للأبدان، ومرض الاولى أشدّ و أكد وتأثيره أكثر وأزيد، ولذلك قدّم طلب العافيه لها، لأنّ مرض الأبدان عبارته عن انحراف المزاج الحيوانى عن حدّ الاعتدال، ونقصانه يقع على الأعضاء والجوارح الظاهره، ومرض الأديان عبارته عن ميل القلب عن الصراط المستقيم والمنهج القويم، وتأثيره يقع على القلب، وضرره يعود إلى القوّه القدسيّه ونعم ما قيل:

و إذا مرضت من الذّنوب فداوها بالذكر إنّ الذكر خير دواء

و السّقم فى الأبدان ليس بضائر و السّقم فى الأديان شرّ بلاء

(عباد الله اوصيكم بالرفض لهذه الدّنيا التاركة لكم و ان لم تحبوا تركها) أمر برفض الدّنيا وتركها ونفّر عنها بالتنبيه على أنّها تاركة لكم لا- محاله، مفارقه إياكم وإن كانت محبوبه عندكم عزيزا عليكم فراقها، فإنّ طبعها التّلف فى الاستدراج أولاً و التّوصيل إلى الاهلاك آخراً، وهى كامرأه تتزيّن للخطاب حتّى إذا نكحوها ذبحتهم فمن كان ذا بصيره لا يعقد قلبه على محبته محبوبه كذلك، ولا يخاطب امرأه شأنها ذلك.

وقد روى أنّ الصادق عليه السّلام كان يقول لأصحابه: يا بنى آدم اهربوا من الدّنيا إلى الله وأخرجوا قلوبكم عنها فانكم لا تصلحون لها ولا تصلح لكم ولا تبقون لها ولا تبقى لكم هى الخداعه الفجاعه المغرور من اغترّبها، والمفتون من اطمأنّ إليها، الهالك من أحبّها وأرادها.

و روى أنّ عيسى عليه السّلام كوشف بالدّنيا فرآها فى صورهِ عجوز هتماء(١) عليها من كلّ زينه فقال عليه السّلام لها: كم تزوّجت؟ قالت: لا- احصّيهـم، قال فكلّهم مات عنك أم كلّهم طلقك؟ قالت: بل كلّهم قتلـت، فقال عيسى عليه السّلام: يؤسـا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، و كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد و لا يكونون منك على حذر.

ثمّ تبّه عليه السّلام على عيب لها آخر بقوله (و المبليه لأجسادكم و ان كنتم تحبّون تجديدها) و هذا الوصف أيضا منفرّ عنها، لأنّ تجديد الأجساد و الأبدان إذا كان محبوبا للانسان و كانت الدّنيا حائله بينه و بين محبوبه مانعه له عن نيـله و وصوله بسهام الأسقام و ناشيب الأمراض و الأوصاب فمن شأنها أن تبغض و ترفض و تجتنب و لا تحب.

قال بعض الحكماء: الأيام سهام و النّاس أغراض و الدّهر يرمىـك كلّ يوم بسهامه، و يخترمك بلياليه و أيّامه، حتى يستغرق جميع أجزاءك، فكيف بقاء لسلامتك مع وقوع الأيام بك، و سرعه الليالى فى بدنك، لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النّقص لا ستوحشت من كلّ يوم يأتى عليك، و استثقلت ممّر الساعات بك، و لكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار.

ثمّ ضرب عليه السّلام للدّنيا مثلا فى قصر مدّتها بقوله (فإنّما مثلكم و مثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنّهم قد قطعوه، و أمّوا علما فكأنّهم قد بلغوه) جعل أهل الدّنيا و الكائنين فيها بمنزله المسافرين، جعلها بمنزله سبيل يسلكه المسافر، و جعل سرعه سيرهم و انتقالهم فيها و قربهم من الموت الذى هو آخر منازلها بمنزله قطع المسافر منزله، و بلوغ قاصد علم و منار مقصده، يعنى أنّهم فى حالكونهم غير قاطعين له كأنّهم قاطعون له، و فى حالكونهم غير بالغين له كأنّهم بالغون له، لأنّه لما قرب زمان احدى الحاليتين من زمان الحاله الاخرى شبّها و هم فى الحال الأولى بهم أنفسهم و هم على الحاله الثّانيه و لنعم ما قيل

يا راقـد اللّيل مسرورا بأولّها إنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

ص: ١٤٩

أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ مِنْعَمَهُ كَرَّ الْجَدِيدِينَ إِقْبَالًا وَ إِدْبَارًا

كَمْ قَدْ أَبَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ مَلِكٍ قَدْ كَانَ فِي الدَّهْرِ نَفَاعًا وَ ضَرَارًا

يَا مَنْ يَعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا يَمْسَى وَ يَصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارًا

هَلَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا مَعَانِقَهُ حَتَّى تَعَانِقَ فِي الْفَرْدَوْسِ أَبْكَارًا

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنَ النَّارَ

(و كم عسى المجرى إلى الغايه أن يجرى إليها حتى يبلغها) يعنى أى مدّه يرجو و يطمع المرسل مركوبه إلى وصول غايه ارساله إليها حتى يصلها، و الغرض منه تحقيق ما يرجوه من مدّه الجرى و هى مدّه الحياه أى لا تظنّ لها طولاً و لا تغترن بتماديها فانها عن قليل تنقضى و تنصرم، و فى هذا المعنى قال عليه السّلام فى الدّيوان:

إِلَّا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلٍ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَ هُوَ فِي الصُّبْحِ رَاكِلٌ

(و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه) يعنى ما قرب وجود البقاء لمن له يوم لا يجاوزه، و هو تحقيق لما يؤمل من مدّه البقاء أى بقاء من له يوم ليس وراءه بقاء و هو يوم الموت ليس بشىء يعتدّ به (و) الحال انه له (طالب حثيث يحدوه فى الدّنيا حتى يفارقها) لعلّه أراد بالطالب الحثيث الموت و كنى بحدائه له عن سوق أسباب الموت و مقدّماته التى هى كزّ اللّيالى و مرّ الأيام له إليه.

و إذا كانت الدّنيا بهذه المثابه (فلا تنافسوا) أى لا تحاسدوا و لا تضنّوا (فى عزّ الدّنيا و فخرها و لا تعجبوا بزينتها و نعيمها و لا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها) نهى عن المنافسه فيها و الاعجاب بها و الجزع منها معللاً وجوب الانتهاء عن الأوّل بقوله (فانّ عزّها و فخرها إلى انقطاع) و ما كان منقطعاً لا- يحرص عليه لبيب و لا- ينافس فيه أريب، و علّل وجوب الانتهاء عن الثانى بقوله (و زينتها و نعيمها إلى زوال) و ما كان زائلاً لا يرغب إليه العاقل و لا يعجب به إلّا جاهل، و عن الثّالث بقوله (و ضرّائها و بؤسها إلى نفاد) و ما كان نافداً فانياً أخرى بأن يصبر عليه و لا يجزع منه (و كلّ مدّه فيها إلى انتهاء) سواء كانت مدّه عزّ و منعه أو زينه و نعمه أو ضرّ و شدّه (و كلّ حىّ فيها إلى فناء) سواء كان ذى شرف و رفعه أو ذلّ و محنه أو ابتهاج و لذّه

و كلّ شباب أو جديد إلى البلى و كلّ امرء يوما إلى الله صائر

(أ و ليس لكم فى آثار الأوّلين) من الـاخوان و الأقران و الـآلاف و الأسلاف (مزدجر و فى آبائكم الماضين) الأقربين منهم و الأبعدين (تبصره و معتبر إن كنتم تعقلون) بلى فى النظر إلى ادنى ما جرى عليهم تبصره و اعتبار، و الفكر فى أهون ما لا قوه تذكره و انزجار عدالى ذكر المنقول إلى الثرى و المدفوع إلى هول ما ترى

هوى مصرعا فى لحده و توزّعتمواريثه أرحامه و الأواصر

و أنحوا على أمواله بخصومه «يخضمونها خ» فما حامد منهم عليها و شاكر

فيا عامر الدّنيا و يا ساعيا لها و يا آمنا من أن تدور الدّوائر

كيف أمنت هذه الحاله و أنت صائر إليها لا محاله (أ و لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون) فما لهم يذهبون و لا يعودون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا (و إلى الخلق الباقين لا- ييقون) بل يمضون ارسالا و يحتذون مثالا قال قسّ ابن ساعده الأيادى:

فى الأولين الذاهبين من القرون لنا بصائر و رأيت قومى نحوها يمضى الأكابر و الأصاغر

لا يرجع الماضى إلّى و لا من الباقين غابر أيقنت أنى لا محاله حيث صار القوم صائر

و قال زهير بن أبى سلمى:

ألا ليت شعرى هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بداليا

بدى لى أنّ النّاس تفنى نفوسهم و أموالهم و لا أرى الدّهر فانيا

و إنى متى أهبط من الأرض تلعه(١) أجد أثرا قبلى جديدا و عافيا

أرانى إذا أصبحت أصبحت ذا هوى فثمّ إذا أمسيت أمسيت عاديا

إلى حفره(٢) أهوى إليها مضّمه يحثّ إليها سائق من ورائيا

كأنّى و قد خلّفت سبعين حجّه(٣) خلعت بها ان منكبى ردائيا

بدالى أنى لست مدرك ما مضى و لا سابق شيئا إذا كان جائيا

١- (١) التلعه اسم ما على من مسيل الوادى و ما سفلى

٢- (٢) الحفره القبر.

٣- (٣) الحججه السنه.

و ما أن أرى نفسى تقيها(١) عزيمتى و ما أن تقى نفسى كرائم ماليا

ألا لا أرى على الحوادث باقيا و لا خالدا إلا الجبال الرواسيا

و إلا السماء و البلاد و ربنا و أيماننا معدوده و اللياليا

أرانى إذا ما شئت لا قيت آيه تذكرنى بعض الذى كنت ناسيا

ألم تر أنّ الله أهلك تبعا و أهلك لقمان بن عاد و عاديا(٢)

و أهلك ذا القرنين من قبل ما يرى و فرعون جبار معا و النجاشيا

ألا لا أرى ذا أمه أصبحت به فتركه الأيام و هى كماهيا

ألم تر للنعمان كان بنجوه(٣) من الشر لو أنّ أمرء كان ناجيا

فغير عنه رشد عشرين حجّه من الدهر يوم واحد كان غاديا

فلم أر مسلوبا له مثل ملكه أقلّ صديقا صافيا و مواليا

فأين الذى قد كان يعطى جياده(٤) بأرسانهنّ و الحسان الحواليا(٥)

و أين الذين قد كان يعطيهم القرى بغلاتهنّ و المئين الغواليا(٦)

و أين الذين يحضرون جفانه إذا قدّمت ألقوا عليها المراسيا(٧)

رأيتهم لم يشركوا(٨) بنفوسهم ميتته لما رأوا انهاهيا

هذا و لمّا ارشد عليه السلام إلى الاعتاظ بأحوال السلف الماضين و بفناء الغابرين الباقين تبّه على اختلاف حالات أهل الدّنيا ليستدلّ به السامعون على عدم بقائها و يستفيدوا به عبره اخرى فقال (أ و لستم ترون أهل الدّنيا يمسون و يصبحون على أحوال شتى) و حالات مختلفه (ف) منهم (ميت يبكى) عليه و يشقّ الجيوب لديه و يخرج

ص: ١٥٢

١- (١) تقيها تصونها.

٢- (٢) عاديا هو أبو السمول كان له حصين يقال له الابلق

٣- (٣) النجوه بالجيم الارتفاع لغه.

٤- (٤) و الفرس الجواد بين الجوده جمعه جياذ

- ٥- (٥) و الحوالى لعله جمع الحولى و هو ما أتى عليه حول من ذى الحافر و غيره منه
- ٦- (٦) الغوالى الابل الغاليه الاثمان لغه
- ٧- (٧) و قدر راسيه لا تبرح مكانها لعظمها ق
- ٨- (٨) لم يشركوا أى لم يواسوه بنفوسهم.

من سعه قصره إلى ضيق قبره و يحثون بأيديهم عليه التراب و يكثرّون عنده التلدد و الانتحاب (و آخر يعزّي) و يسلي إذا يئس عن برء عليه أو جزم بموت خليله (و صريع مبتلى) بأنواع الأوجاع و الأسقام و طوارق الأمراض و الآلام (و عائد يعود) المريض عند المرض و يتحسّر عليه إذا شاهده على غصص الجرض (و آخر بنفسه وجود) إبلس عنه زوّاره و عوّاده و أسلمه أهله و أولاده و غصّوا بأيديهم عينيه و مدّوا الى جنبه يديه و رجله و هو في سكره ملهته و عمره كارثه و أنّه موجه و سوقه مكربه و جذبه متعبه.

(و) منهم (طالب للدنيا) ساع لها (و الموت يطلبه) و يحثّه حتّى يدخله في حفرته (و) منهم (غافل) عمّا خلقه الله لأجله (و ليس بمغفول عنه) بل الله عالم به و مجزيه بأعماله (و على أثر الماضي ما يمضى الباقي) قال سيّد العابدين عليه السّلام في هذه المعنى:

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فإنّا على آثارهم نتلاحق

فكن عالما أن سوف تدرك من مضى و لو عصمتك الرّاسيات الشّوايق

ثمّ أمرهم عليه السّلام بذكر الموت و وصفه بلوازمه المنقره عنه فقال عليه السّلام (ألا فاذكروا هادم اللذات) الدنيويه (و منغص الشهوات) النفسانيه (و قاطع الامتّيات) و الآمال الباطله (عند المساوره) و الموائبه (للأعمال القبيحه) لترتدعوا بذكره عنها (و استعينوا الله) سبحانه و اطلبوا منه التوفيق (على أداء واجب حقّه) الذى أوجه عليكم و هو الاتيان بالطّاعات و القيام بوظايف العبادات (و) على أداء واجب (ما لا يحصى من أعداد نعمه و احسانه) الذى أنعمه عليكم و أحسنه إليكم و هو القيام بوظايف الحمد و الثبات بمراسم الثناء.

قال عليه السّلام فى بعض كلماته: أيّها النّاس إنّ لله فى كلّ نعمه حقّا، فمن أدّاه زاده، و من قصّر عنه خاطر بزوال النعمه و تعجّل العقوبه، فليراكم الله من النعمه و جلين، كما يراكم من الذنوب فرقين.

از جمله خطب شریفه آن حضرت است که متضمن تنفیر از دنیا و از محبت آن غدار بی وفا است چنانچه فرموده: حمد می کنیم خداوند را بر آنچه بوده است از نعمتها، و استعانت می نمائیم از خدا از کارهای خود بر آنچه میباشد، و سؤال می کنیم از او بذل عافیت را در بدنهای همچنان که سؤال می کنیم از او بذل عافیت را در دینهای بندگان خدا وصیت میکنم شما را بترک نمودن این دنیائی که ترک نماینده است شما را و اگر چه دوست ندارید ترک نمودن او را، و کهنه کننده است جسدهای شما را و اگر چه دوست دارید تازگی آنها را، پس بدرستی که مثل شما و مثل دنیا همچو مسافرانست که روند برای پس گویا که ایشان قطع نموده باشند آن راه را، و قصد نمایند نشانه و علامتی را پس گویا که ایشان رسیده باشند بآن مقصد، و چه قدر مدت را امید می گیرد شخصی که جاری کننده است مرکب خود را بسوی غایتی جاری نمودن آن را بسوی آن غایت تا برسد بآن، و چه چیز امید گرفته می شود باقی ماندن کسی که او راست یک روزی که تجاوز نمی نماید از آن و حال آنکه او راست طلب کننده شتاباننده که میراند او را در دنیا تا این که مفارقت نماید از آن.

پس حسد و بخل نکنید بر یکدیگر در عزّت دنیا و فخر آن، و خوشحال و دلشاد نشوید بزینت و نعمت آن، و جزع ننمائید از دشواری و سختی آن، از جهة این که عزّت و فخر آن منتهی می شود بانقطاع، و نعمت و زینت آن منتهی می شود بزوال و فنا، و دشواری و سختی آن منجر می شود بنیستی و نابودی، و هر مدّتی که در او است می کشد بانتهاء، و هر زنده که در او است باز می گردد بفناء آیا نیست مر شما را در اثرهای پیشینیان و در پدران گذشتگان شما بینائی و عبرت اگر بوده باشید تعقل کننده، آیا نگاه نمی کنید بسوی گذشتگان از خودتان که باز نمی گردند، و بسوی خلفهائی باقی ماندگان که باقی نمی مانند.

آیا نیستید شما که می بینید اهل دنیا را که شام و صباح می نمایند بر حالتیهای

مختلفه: پس بعضی مرده است که بر او گریه میکنند، و بعضی را سر سلامتی می دهند، و بعضی دیگر ضعیف است مبتلا بأنواع مرضها، و برخی عیادت کننده است بیمار را که می رود عیادت، و دیگری در حال جان دادنست، و یکی طلب کننده است دنیا را و حال آنکه مرگ طلب می کند او را، و یکی هست که بیخبر است از آخرت و حال آنکه غفلت نشده از او در هیچ حالت، و بر اثر گذشته است گذشتن باقی مانده.

آگاه باشید پس یاد آورید مرگ را که شکننده لذتهاست و مکدر نماینده شهوتها و قطع کننده آرزوهاست در هنگام جستن برای اعمال قبیحه و حرکات ناشایست، و طلب یاری نمائید از خدا بر ادا کردن حق واجب او را و ادا کردن آن چیزی که شمرده نمی شود از شماره های نعمتها و احسان بی پایان آن. و الله أعلم بالصواب.

و من آخری و هی التاسعه و التسعون من المختار فی

اشاره

باب الخطب

خطب بها فی الجمعہ الثالثه من خلافته کما فی شرح المعتزلی:

الحمد لله الناشر فی الخلق فضله، و الباسط فيهم بالجوّد يده، نحمده فی جميع أمورہ، و نستعینه علی رعايه حقوقه، و نشهد أن لا إله غيره، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، أرسله بأمره صادعا، و بذکره ناطقا، فأدّی أَمینا، و مضی رشیدا، و خلفَ فینا رایه الحقّ، من تقدّمها مرق، و من تخلف عنها زهق، و من لزمها لحق، دلیلها

ص: ۱۵۵

مكيث الكلام، بطىء القيام، سريع إذا قام، فإذا أنتم ألتم له رقابكم، و أشرتتم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم و يضم نشركم، «فلا تطعنوا فى عين مقبل تاييسوا خ» فلا تطمعوا فى غير مقبل، و لا تيأسوا من مدبر، فإن المدبر عسى أن تزل إحدى قائمتيه و تثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا، ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم. فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصي نائع، و أراكم ما كنتم تأملون.

اللغة

(الترشد) إصابه الصواب و قيل الاستقامه على طريق الحق مع تصلب فيه، و بهما فسر قوله سبحانه: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ» (و مرق) السهم من الرمي خرج عن المرمى و (زهق) الشيء من باب منع بطل و هلك و (المكيث) البطيء و (خوى) النجم مال للمغيب و (الصنائع) جمع الصنيعه و هى الاحسان.

الاعراب

فضله و يده منصوبان على المفعوليه، و غيره منصوب على الوصف، و صادعا و ناطقا حالان من مفعول ارسله و يحتمل كون الأول حالا من امره و الثانى من ذكره على نحو قوله:

«هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ».

و أمينا و رشيدا منصوبان على الحال أيضا، و جملة من تقدّمها فى محل التّصّب صفه للرّايه، و دليلها بالرفع مبتدا و مكيث الكلام خبره.

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه من جمله الأخبار الغيبية لأمر المؤمنين عليه السّلام أخبر فيها بما يكون بعده عليه السّلام من أمر الأئمة عليهم السّلام و أعلم النّاس بموته عليه السّلام بعد اشتهاه أمره و اجتماع الخلق له، و افتتح بالحمد و الثّناء، و الشّهاده بالتّوحيد و الرّساله و ذكر وصف الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم أولا فقال عليه السّلام:

(الحمد لله الناشر) أى المفرّق (فى الخلق فضله) و احسانه (و الباسط فيهم بالجود يده) أى نعمته من باب اطلاق اسم السّبب على المسبّب أو بسط اليد كناية عن العطاء (نحمده) سبحانه (فى جمع اموره) الصادره عنه سواء كان من قبيل العطاء و النعمه أو البلاء و الشّده، فإنّ كلّ ما صدر عنه سبحانه نعمه كان أو غيرها جميل اختياريّ يستحق به حمدا و ثناء، و لازم حقّ العبوديّة و مقتضى كمال المعرفة القيام بوظايف الحمد فى كلّ باب، و الرّضاء بالقضاء على جميع الأحوال و لا حاجة إلى ما تمخّله الشّارح البحرانى «ره» و تكلفه من أنّ الحمد بالشّدايد اللاّحقه باعتبار كونها من نعمه أيضا فانها إذا قبولت بصبر جميل استلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى: و بشر الصّابرين، و ظاهر أنّ أسباب النّعم نعم.

(و نستعينه على رعايه حقوقه) الواجبه و الاتيان بها سواء كانت حقوقا ماليه كالخمس و الزّكاه و الحجّ و نحوها، أو غير ماليه كساير ما أوجه على عباده (و نشهد أن لا إله غيره و أنّ محمّدا) صلّى الله عليه و آله و سلّم (عبده و رسوله) ذكر الشّهادتين فى هذه الخطبه كأكثر الخطب لما روى من أن كلّ خطبه ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء (أرسله) سبحانه (بأمره صادعا) أى مظهرا مجاهرا امتثالا لقوله سبحانه «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ».

(و بذكره ناطقا) اطاعه لما أمره بقوله:

«فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ».

(فادى) ما حمّله (اميننا) مؤتمنا (و مضى) إلى الحقّ (رشيدا) صائبا(و خلّف فينا رايه الحقّ) المراد بها إما الثقلان المخلفان أعنى كتاب الله و العتره، أو الثقل الأكبر فقط، و الاستعاره عنهما بالرايه باعتبار أنهما يهتدى بهما السالكون فى سبيل الله كما أنّ الرايه سبب الهدايه فى منازل الدّنيا (من تقدّمها) و لم يعتدّبها (مرق) من الدّين مروق السهم من الرّميه (و من تخلف عنها) و لم يتابعها (زهق) و هلك فى الوادى الضّلاله (و من لزمها) و لم يفارق عنها (لحق) بالحقّ و أصاب الصّواب فى كلّ باب.

قال الشّارح البحرانى: أشار برايه الحقّ إلى كتاب الله و سنّته و أشار بتقدّمها و التّخلف عنها إلى طرفى الافراط و التفريط من فضيله الاستقامه عليها أى أنّ من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاقّ الوسط من الفضائل، و من تقدّمها كان على طرف الافراط و قد تعدّى فى طلب الدّين و أغلى فيه على جهل منه كما فعلت الخوارج و من تخلف عنها كان على طرف التفريط و التقصير فهلك فى طرق الضّلال و الحيره (دليلها) أى دليل تلك الرايه، و أراد به حاملها، أو الدّليل الذى يكون قدام الرايه و يتبعه حاملها فإنّ المسافرين و القوافل ربما يكون معهم رايه و دليل يتقدّمهم الدليل و يتبعه حامل الرايه و يكون سيرها معه و يتبعهما المسافرون و يسировن بهما، و الاحتمال الثّانى أظهر، و على كلّ تقدير فاستعار به عن نفسه الشريف سلام الله عليه و آله و وجه الاستعاره على الاحتمال الأوّل واضح، لأنّه عليه السّلام حامل الكتاب و العالم بما فيه، و أمّا على الثّانى فلعلّه باعتبار أنّ الكتاب لا يفارقه و هو لا يفارق الكتاب كما يدلّ عليه اخبار الثقلين و أنّه عليه السّلام امام الكتاب، لكونه مفسّرا له مظهرا عمّا فيه.

و قوله:(مكيث الكلام) أى بطيئه يعنى أنّه عليه السّلام ذو تدبّر و تثبّت فى أقواله، فإنّ قلّه الكلام من صفات المدح، و كثرته من صفات الذّمّ، و من هنا قيل: لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكّر فان كان له قال و إن كان عليه سكت، و قلب الجاهل من وراء لسانه فان همّ بالكلام تكلم به من غير تروّ سواء كان له أم عليه،

و يأتي عنه عليه السلام نظيره في أواخر الكتاب.

وقوله (بطيء القيام) اشاره إلى تأنيته في الأمور فإن التؤدة من صفات العقل و التسرع من صفات الجهل.

روى في الوسائل عن الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال عليه السلام: من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء، و من تورط في الأمور غير ناظر في العواقب فقد تعرض لمفطعات التوائب، و التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم، و العاقل وعظه التجارب، و في التجارب علم مستأنف، و في تقلب الأحوال علم تجارب الرجال.

و فيه من مجالس الشيخ بإسناده عن أبي قتاده القمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ليس لحاقن رأى، و لا لملول صديق، و لا لحسود غنى، و ليس بحازم من لا ينظر في العواقب و النظر في العواقب تلقيح للقلوب.

و من محاسن البرقي مسندا عن أبي حمزه الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

أتى رجل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: علمني يا رسول الله فقال صلى الله عليه و آله و سلم: عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال صلى الله عليه و آله و سلم:

أيّاك و الطمع فإنه الفقر الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال صلى الله عليه و آله و سلم: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك خيرا و رشدا فاتبعه، و ان يك غيا فاجتنبه.

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة، و فيه قال الشاعر:

و كلّ أنه في المواطن سودد و لا كأناه من قدير محكم

و ما الزاى إلا بعد طول تثبت و لا الحزم إلا بعد طول تلوم

و قوله عليه السلام (سريع إذا قام) يعنى انه إذا ظهر له بعد التثبت و التروى وجه المصلحه في القيام بأمر بادر إليه و قام به سريعا و انتهض الفرصه.

ثم أخذ عليه السلام يذكرهم بموته بقوله: (فاذا أنتم ألنتم له رقابكم) و هو كناية عن طاعتهم له و انقيادهم لأمره (و أشرت إلى بأصابعكم) و هو كناية عن الاجلال (جاء الموت فذهب به).

قال الشارح المعتزلي: نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعا عليه من الشهر الذي قتل فيه، وجاء في الأخبار أنّه عليه السّلام عقد للحسن عليه السّلام ابنه على عشره آلاف، ولأبى أيّوب الأنصاري على عشره آلاف، ولفلان و فلان حتّى اجتمع له مائه ألف سيف، و أخرج مقدمته أمامه يريد الشّام فضربه اللعين ابن ملجم و كان من أمره ما كان و انقضت تلك الجموع و كانت كالغنم فقد راعيتها (فلبثتم بعده ما شاء الله) عدم التعيين لمده اللبث إشاره إلى طولها (حتى يطلع الله) و يظهر (لكم من يجمعكم و يضمّ نشركم) أى تفرّقكم و أشار عليه السّلام به إلى الامام المنتظر أعنى المهدي صاحب الزّمان عليه السّلام، و قيل: أشار به إلى قائم بنى العباس بعد انقضاء دوله بنى اميه و الأوّل أظهر.

(فلا- تطمعوا فى غير مقبل) قال المجلسي (ره): أى من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممّن هو أهله فلا- تطمعوا فيه، فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب كما كان شأن أكثر أئمتنا عليهم السّلام، و قيل: أراد بغير المقبل من انحرف عن الدّين بارتكاب منكر، فانه لا- يجوز الطمع فى أن يكون أميرا لكم، و فى بعض النسخ فلا- تطعنوا فى عين مقبل أى من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عما يريد.

(ولا- تياسوا من مدبر) قال المجلسي (ره): أى من أدبر عن طلب الخلافه ممّن هو أهل لها فلا- تياسوا من عوده و اقباله على الطّلب، فإنّ ادباره يكون لفقد بعض الشّروط كقله الناصر (فانّ المدبر عسى أن تزلّ احدى قائمته) و هو كناية عن اختلال بعض الشّروط (و تثبت الاخرى) و هو كناية عن وجود بعضها (فترجعا حتّى تثبتا جميعا) و هو كناية عن استكمال الشرائط، و لا ينافى النّهى عن الاياس النّهى عن الطّمع، لأنّ عدم اليأس هو التجويز، و الطّمع فوق التجويز، أو لأنّ النّهى عن الطّمع فى حال عدم الشّروط و الاعراض عن الطّلب لذلك أيضا، و النّهى عن الاياس لجواز حصول الشرائط هذا.

و قوله عليه السلام: (ألا إنَّ مثل آل محمّد كمثل نجوم السماء) أراد به الأئمة الاثني عشر سلام الله عليهم أجمعين، و تشبيههم بالنجوم إمّا من حيث أنهم يهتدى بهم فى سبيل الله كما يهتدى بالنجم فى ظلمات البرّ و البحر قال سبحانه:

«وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ».

و يدلّ عليه ما فى تفسير على بن إبراهيم فى قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ».

قال: النجوم آل محمّد، و قد مرّ توضيح ذلك بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبة الزابعة، و إمّا من حيث أنّهم كلّما مضى منهم امام قام مقامه آخر كالنجوم (اذا خوى نجم) اى مال للمغيب (طلع نجم) آخر.

ثمّ بشرهم بقوله: (فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع) أى النعم و الآلاء (و أراكم) الله (ما كنتم تاملون) أى لا تيأسوا عسى الله أن يأتى بالفرج عن قريب، و المتحقق الوقوع قريب و إن كان بعيدا، و يمكن أن يكون ارائه المخاطبين مأمولهم فى الرجعه، و الله العالم.

الترجمه

از جمله خطب شریفه دیگر آن امام اُنام است که فرموده:

حمد و سپاس خداوند را سزااست که پراکنده کننده است در میان خلق فضل و اکرام خود را، و گستراننده در میان ایشان بحدود و بخشش احسان و انعام خود را حمد می کنیم او را در همه کارهای او، و طلب یاری می کنیم از او بر رعایت حقّهای او، و شهادت می دهیم آنکه نیست هیچ معبودی بحق غیر از او، و آنکه محمّد بن عبد الله صلوات الله علیه و آله بنده و رسول او است، فرستاده او را در حالتی که اظهار کننده بود امر او را، و گوینده بود ذکر او را، یا این که فرستاده او را بامر خود در حالتی که شکافنده بود آن امر بیضه شرک را، و بذکر خود در حالتی که گوینده بود آن

پس ادا نمود حضرت خاتم نبوت اوامر و احکام حق را در حالتی که امین بود در تبلیغ رسالت، و گذشت بسوی حق در حالتی که راستکار یا مستقیم بود بر طریق هدایت، و واپس گذاشت در میان ما علم حق را که عبارت باشد از کتاب الله و عترت، چنان علمی که هر کس پیش افتاد از او خارج شد از دین و ملت، و هر کس تخلف نمود از آن هلاک شد در بیابانهای ضلالت، و هر که ملازم شد آنرا لاحق گردید باریاب کمال و سعادت.

دلیل و حامل آن علم صاحب تائی است در تکلم نمودن، و صاحب بطوء است در ایستادن، یعنی کلام و قیام او با فکر و تدبیر و با ملاحظه مآل کار و عاقبت اندیشی است، و صاحب سرعت است آن وقتی که ایستاد بامری از امور اسلام، و اینها همه اشاره است بنفس شریف خود آن امام علیه السلام چنانچه می فرماید.

پس زمانی که شما نرم نمودید برای او گردنهای خود را باطاعت و تسلیم، و اشاره نمودید بسوی آن بانگستان خود از روی اجلال و تعظیم، بیاید بسوی او مرگ پس برد او را، پس درنگ نمائید بعد از او بمقداری که خواهد خدا تا این که ظاهر سازد خداوند از برای شما کسی را که جمع کند شما را و بهم آورد پراکنده گی شما را، پس طمع نکنید در کسی که اقبال نماید بخلافت، و مایوس و ناامید نشوید از کسی که ادبار نماید بخلافت از جهة این که این ادبار کننده شاید که بلغزد یکی از دو قائمه او، و این کنایه است از انتفاء بعض شرائط، و ثابت شود قائمه دیگر او، و این کنایه است از وجود بعض شرایط، پس رجوع نمایند هر دو قائمه تا این که ثابت شوند هر دو تا، و این کنایه است از استکمال شروط.

آگاه باشید بدرستی که مثل اهل بیت پیغمبر صلوات الله علیه و آله مثل ستارهای آسمانست هرگاه میل کند بغروب ستاره طلوع نماید ستاره دیگر پس گویا شما بتحقیق کامل شده از جانب خدا در حق شما نعمتها و احسانها، و نموده بشما چیزی را که بودید آرزو می کردید آنرا و این بشارت است مر ایشان را بقرب فرج و کرامت.

و من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم

الأول قبل كل أول، و الآخر بعد كل آخر، بأوليته و جب أن لا أول له، و بآخريته و جب أن لا آخر له، و أشهد أن لا إله إلا الله شهادته يوافق فيها السرّ الإعلان، و القلب اللسان، أيها الناس لا يجرمنكم شقاقى، و لا يستهوينكم عصيانى، و لا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونه منى، فوالذى فلق الحبه و برء النسمه، إن الذى أثبتكم به عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، ما كذب المبلغ، و لا جهل السامع، لكأننى أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام، و فحص براياته فى ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته، و اشتدت شكيمته، و ثقلت فى الأرض وطأته، عضت الفتنة أبنائها بأنيابها، و ماجت الحرب بأمواجها، و بدا من الأيام كلوحها، و من الليالى كدوحها، فإذا أينع زرعه، و قام على ينعه، و هدرت شقاشقه، و برقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضله، و أقبلن كالليل المظلم، و البحر الملتطم، هذا و كم يخرق الكوفه من قاصف، و يمرّ عليها من عاصف، و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون، و يحصد القائم، و يحطم المحصود.

(الملحمه) الوقعه العظيمه القتل مأخوذه من التحم القتال أى اشتبك و اختلط اشتباك لحمه (١) الثوب بالسدى و (النسمه) محرّكه الريح كالنسيم ثم سميت بها النفس و الجمع نسّم مثل قصبه و قصب و (ضليل) وزان سكيت الكثير الضلال و (نعق) الراعى لغنمه من باب ضرب صاح بها و زجرها و (فحص) القطا التراب اتخذ فيه مفحصا بفتح الميم و الحاء و هو يجثمه و الموضع الذى تبيض فيه و (ضاحيه) البلد ناحيته القريبه منه.

و (الكوفان) الكوفه قال الفيومى: و هى مدينه مشهوره بالعراق قيل:

سميت كوفه لاستداره بنائها، لأنّه يقال تكوّف القوم إذا اجتمعوا و استداروا، و فى القاموس الكوفه بالضمّ الرمله الحمراء المستديره أو كلّ رمله يخالطها حصباء و مدينه العراق الكبرى و قبه الاسلام و دار هجره المسلمين، مصرّها سعد بن أبى وقاص، و كان منزل نوح عليه السّلام و بنى مسجدها، سميت بها لاستدارتها و اجتماع الناس بها، و يقال لها: كوفان و يفتح، و كوفه الجند لأنّه اختطت فيها خطط العرب أيام عثمان خططها السائب بن الاقرع الثقفى، أو سميت بكوفان و هو جبل صغير فسهلوه و اختطوا عليه، أو من الكيف القطع لأنّ ابرويزا قطعه لبهرام، أو لأنّها قطعه من البلاد و الأصل كيفه فلمّا سكنت الياء و انضمّ ما قبلها جعلت واوا، أو من قولهم هم فى كوفان بالضمّ و يفتح و كوفان محرّكه مشدّده الواو أى فى عزّ و منعه، أو لأنّ جبل ساتيد ما محيط بها، أو لأنّ سعد الما ارتاد هذه، المنزل للمسلمين قال لهم تكوّفوا، أو لأنّه قال كوّفوا هذه الرمله أى نحوها، و (فغر) الفم فغرا من باب نصر و نفع انفتح، و فغرت فتحت يتعدّى و لا يتعدّى و (الفاغره) اصول الثيلوفر و يستعار للفم باعتبار انفتاحها يقال: و فغرت فاغرت أى انفتح فوه و (الشكيمه) فى اللجام الحديده المعترضه فى فم الفرس فيها الفاس و الجمع شكائم، يقال: فلان شديد الشكيمه أنف أبى لا ينقاد، لأنّ شدّه الشكيمه

ص: ١٦٤

و قَوَّتْهَا تَدَلَّ عَلَى قَوَّةِ الْفَرَسِ وَ (الوطاء) الدوس بالقدم و الوطأه الأخذه الشديده و الضغطه و (كلح) يكلح من باب منع، كلوحا و كلاحا بضمهما تكشر فى عبوس و (الكدوح) بالضم جمع كدح و هو الخدش و اثر الجراحه.

و (أينع) الزرع وزان أكرم، و كذلك ينع من باب منع و ضرب ينعا إذا نضج و حان قطافه و قام على ينعه أى على نضجه فيكون مصدرا: و يحتمل أن يكون جمع يانع مثل صحب و صاحب و اليانع الثمر الناضج و (هدر) البعير هدرا من باب ضرب صَوَّت و (الشقاشق) جمع الشقشقه بالكسر و هو شئ يشبه الزيه يخرج من فم البعير عند الهياج و يقال للخطيب ذو شقشقه تشبيها له بالفحل و منه الخطبه الشقشقيّه و قد مرّ.

و (المعضله) كالمشكله لفظا و معنى يقال: أعضل الأمر أى أشكل و أعضلنى الأمر أى أعيانى يتعدى و لا يتعدى، و داء عضال لا يهتدى بعلاجه و (المظلم) كمحسن الكثير الظلام و (التطم) البحر ضرب أمواجه بعضها بعضا فهو يلتطم و (حصد) الزرع قطعه بالمنجل و (الحطم) الكسر.

الاعراب

الأوّل خبر لمبتدأ محذوف، و الضمير فى ما تسمعونونه راجع إلى الكلام المستفاد بالسياق على حدّ قوله تعالى «تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» أى الشّمس، أو يجعل ما موصوله و الضمير راجعا إليها، و عن النّبىّ متعلّق بمقدّر خبر أنّ أى صادر عن النّبىّ أو مأخوذ عنه و نحو ذلك. و جمله ما كذب المبلّغ استيناف بيانى، و اللّام فى قوله لكأنى جواب قسم محذوف، و كأنّ للتقريب، و فاعلته بالضمّ فاعل فغرت، و على فى قوله على ينعه للاستعلاء المجازى، و كم فى قوله كم يخرق خبريه بمعنى كثير على حدّ قوله سبحانه:

«كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا».

و من قاصف تميز لكم، و عن فى قوله و عن قليل بمعنى بعد على حدّ قوله:

«عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ».

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم و الوقايع العظيمه التى اتفقت بعده عليه السلام أخبر فيها عمّا يكون قبل كونه، و افتتحها بأوصاف العظمه و الكمال لله المتعال فقال (الأوّل قبل كلّ أوّل و الآخر بعد كلّ آخر) قد مضى تحقيق الكلام مستقصى فى أوّليته و آخريته سبحانه و أنّه لا شىء قبله و بعده فى شرح الخطبه الرابعه و السّتين و الرابعه و الثمانين و الخطبه التسعين.

و أقول هنا إنّ قوله الأوّل قبل كلّ أوّل، اخبار عن قدمه، و قوله و الآخر بعد كلّ آخر، اخبار عن استحاله عدمه، يعنى أنّه تعالى قديم أزلى و دائم أبديّ و هو أوّل الأوائل و آخر الأواخر، فلو فرض وجود شىء قبله لزم بطلان قدمه، و لو فرض وجود شىء بعده لزم جواز عدمه، و كلاهما محال لتنافيهما لوجوب الوجود و لا بأس بتحقيق الكلام فى قدمه تعالى فنقول: إنّ القديم على ما حقّقه بعض المتألهين له معنيان بل معان ثلاثه:

أحدها القديم الزّمانى، و هو أن لا يكون للزّمان وجوده ابتداء و الله سبحانه لا يتّصف بالقدم بهذا المعنى، لأنّه تعالى برىء عن مقارنه الزّمان و التغيّر و التقدّر بالمقدار، سواء كان مقدارا قارّا كالجسم و الخطّ، أو غير قار كالزّمان.

و الثانى القديم الذاتى، و هو أن لا يكون ذاته من حيث ذاته مفتقرا إلى غيره حتّى يكون متأخرا عنه بالذّات، و لا أن يكون معه شىء آخر معيّنه بالذّات حتّى يتأخرا جميعا عن شىء ثالث تأخرا بالذّات، فإنّ المعيه الذاتيه بين شيئين هو أن لا يمكن انفكاك أحدهما نظرا إلى ذاته عن صاحبه، و هذا المعنى يستلزم أن يكون كلاهما معلولى علّه واحده، فإنّ الذّاتين إذا لم يكن بينهما علاقه ذاتيه

افتقاريه بأن يكون إحداهما سببا للآخرى، أو يكونا جميعا مسببين عن ثالث موجب لهما، فيجوز عند العقل انفكاك كل منهما عن صاحبه، فكانت مصاحبتهما لا بالذات بل بالاتفاق في زمان أو نحوه.

فالحق تعالى إذ هو مبدء كل شيء كان الزمان مخلوقا له متأخرا عنه، فلم يكن قديما بالزمان، فهو قديم بالذات لأن ذاته غير متعلق بشيء فلا شيء قبله قبلته بالذات، و لا معه معيه بالذات لما علمت، و إذ كل ما سواه مفتقر الذات إليه فيكون متأخرا عنه فيكون حادثا.

فظهر بذلك عدم جواز كون شيء قبله أو معه، لأنه لو كان معه شيء لم يكن الله سببا موجدا له، بل يلزم أن يكون ثالث موجدا لهما، و لو كان قبله شيء لكان ذلك القبل خالقا و الخالق مخلوقا له.

و تحقّق من ذلك بطلان قول من قال إنّ العالم قديم، لأنه إن أراد به أنّه قديم بالذات فهو يناقض كونه عالما مفتقرا إلى غيره، و إن أراد أنّ ذاته مع ذات الباري فحيث ذات الباري لم يكن له وجود في تلك المرتبة أصلا، و إن قال إنّ قديم بالزمان فالزمان ليس إلا كميه الحركة و عددها و الحركة ليست حقيقتها إلا الحدوث و التجدد، فكذلك كل ما فيها أو معها فعلم بذلك أن لا قديم بالذات إلا الأوّل تعالى.

و إذا اطلق على غيره كان بمعنى ثالث نسبي غير حقيقى و هو أن يكون ما مضى من وجود شيء أكثر مما مضى من وجود شيء آخر و هو القديم العرفى هذا.

و لما عرفت أنّ معنى أوليته سبحانه كونه قديما بالذات و مبدءا للموجودات و معنى آخريته كونه أبديا و غايه الغايات تعرف بذلك أنه سبحانه (بأوليته و جب أن لا أوّل له و بآخريته و جب أن لا آخر له) يعنى أنّه سبحانه لما كان بذاته أولا آخر لا يمكن أن يكون لذاته أوّل و بدايه، و لا له آخر و نهايه، كما لا يمكن أن يكون له أوّل سبقه، و لا له آخر بعده.

و يوضح ذلك روايه ميمون البان التى تقدّمت فى شرح الخطبه الرابعه و الثمانين

قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن الأول والآخر، فقال: الأول لا عن أول قبله ولا عن بدىء سبقه، و آخر لا عن نهايه كما يعقل عن صفه المخلوقين، ولكن قديم أول آخر لم يزل ولا يزول بلا بدىء ولا نهايه، لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء.

قال بعض شراح الحديث، البدىء فعيل بمعنى المصدر أى البدايه لوقوعه فى مقابل النهايه، و عن الثانيه بمعنى إلى، و المراد أن أوليته تعالى لا عن ابتداء و آخريته لا إلى نهايه، فهو الأول لم يزل بلا أول سبقه ولا بدايه له، و هو الآخر لا يزول بلا آخر بعده و لا نهايه له.

و قوله عليه السلام: و لكن قديم أول آخر بترك الواو العاطفه اشاره إلى أن أوليته عين آخريته ليدل على أن كونه قديما ليس بمعنى القديم الزمانى أى الامتداد الكمى بلا نهايه إذ وجوده ليس بزمانى سواء كان الزمان متناها أو غير متناه و إلا لزم التغير و التجدد فى ذاته بل وجوده فوق الزمان، و الدهر نسبته إلى الأزل كنسبته إلى الأبد، فهو بما هو أزلى أبدى، و بما هو أبدى أزلى، و أنه و إن كان مع الأزل و الأبد، لكنه ليس فى الأزل و لا فى الأبد حتى يتغير ذاته، و إليه الاشاره بقوله: لا يقع عليه الحدوث إذ كل زمان و زمانى و إن لم يكن ذا بدايه فهو حادث اذ كل من وجوده مسبوق بعدم سابق فهو حادث.

و قوله عليه السلام لا يحول من حال إلى حال، إمّا تفسير للحدوث، و إمّا إشاره إلى أن لا تغير أصلا فى صفاته كما لا تغير فى ذاته، فليست ذاته و لا صفاته الحقيقيه واقعه فى الزمان و التغير.

و قوله عليه السلام خالق كل شيء، كالبرهان لما ذكر، فانه تعالى لما كان خالق كل شيء سواء كان خالقا للزمان و الدهر، فيكون وجوده قبل الزمان قبله بالذات لا بالزمان، و إلا لزم تقدّم الزمان على نفسه و هو محال، فاذا حيث هو تعالى لا زمان و لا حركه و لا- تغير أصلا فهو تعالى أول بما هو آخر و آخر بما هو أول، نسبته إلى الآزال و الآباد نسبه واحده و معيه قىوميه غير زمانيه.

(و أشهد أن لا إله الا الله شهادة يوافق فيها السّر الاعلان و القلب اللسان) أى شهادته صادرة عن صميم القلب خالصة عن شوب النفاق و الجحود هذا.

و لما كان قصده عليه السلام اخبارهم عما يكبر فى صدورهم و يضعف عنه قلوبهم و يكاد أن ينسبوه إلى الكذب فيه لا جرم أيّهم أولا و حذرهم عن التكذيب بقوله:

(أيّها الناس لا يجرمنكم شقاقى) أى لا يحملنكم معاداتى و خلافى على أن تكذبونى (و لا يستهوينكم عصيانى) أى لا يذهبن معصيتى بهواكم و عقلكم، و قيل: أى لا- تستهيننكم و يجعلكم هائمين و هو قريب ممّا قلناه (و لا- تتراموا بالابصار عند ما تسمعونّه منى) أى لا ينظر بعضكم بعضا فعل المنكر المكذب عند سماع الاخبار الغيبية منى (فوالذى فلق الحبة) أى خلقها أو شقّها باخراج النبات منها (و برء النسمه) أى خلق النفس الانسانى و أوجدها (انّ الذى أنبئكم به) ما أقوله من تلقاء نفسى فتسرعوا و تبادروا إلى تكذيبى، و انما هو متلقا و مأخوذ (عن النبى) الصادق الأمين (صلّى الله عليه و آله و سلّم) أجمعين (ما كذب المبلّغ و لا- جهل السّامع) أراد بالمبلّغ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى تبليغه عن الله سبحانه و بالشّامع نفسه الشّريف، فيكون فيه إشعار بأنّ ما يخبرهم به مأخوذ من الله سبحانه.

قال الشّارح المعتزلى: و المبلّغ و السّامع نفسه، يقول: ما كذبت على الرّسول تعمدا و لا جهلت ما قاله فانقل عنه غلطا، و الأوّل أظهر هذا.

و لمّا وطّن نفوس السّامعين لقبول ما يقوله و نحاهم من الاستيحاش شرع فى مقصده و ما هو بصدده من الاخبار عما سيكون فقال (لكأنى) أى تالّله لكأنى (أنظر إلى ضليل) أى إلى رجل كثير الضلال و اختلف فى هذا الرّجل ف قيل: إنّ السّفيانى الموعود، و قيل: إنّ معاويه، و قيل: بل يمكن أن يريد به شخصا آخر يظهر بعد بالشّام، و الأشبه كما فى شرح المعتزلى أنّه أراد به عبد الملك بن مروان.

و استبعد الشّارح كون المراد به معاويه بأنّ ظاهر الكلام يدلّ على انسان ينق فيما بعد و معاويه كان فى أيام أمير المؤمنين عليه السلام نق بالشّام و دعاهم إلى نفسه، و استقرب عبد الملك بأنّ هذه الصّفات و الامارات كان فيه أتمّ منها فى غيره

فانه (قد نعى بالشام) أى صاح فيه حين دعا أهله إلى نفسه، أو صاح بهم و زجرهم حين الشَّخوص إلى العراق (و فحص براياته فى ضواحي كوفان) أى أخذ نواحي كوفه مفحصا لراياته كما تأخذ القطاه فى الأرض مفحصا لها، و ذلك حين شخص عبد الملك بنفسه إلى العراق و قتل مصعبا و استخلف الأمراء من بشر بن مروان أخيه و غيره عليه حتى انتهى الأمر إلى الحجاج.

(فاذا فغرت فاغرتة) أى انفتح فوه و هو استعاره لاقتحامه للناس و افتراسه لهم بالفتك و القتل كما يفتح الأسد فاه عند افتراس فريسته.

و ما فى شرح المعتزلى و غيره من أنّ تأنيث الفاغره للفتنه لا يفهم معناه، بل الظاهر أنّ التأنيث بملاحظه أصل المعنى المستعار منه على ما قدّمناه.

(و اشتدّت شكيمته) و هو كناية عن شدّه بأسه و قوّته، لأنّ الفرس القوىّ شديد الرأس يحتاج إلى قوّه الشكيمه (و ثقلت فى الأرض وطأته) و هو كناية عن شدّه جوره و ظلمه قال الشارح المعتزلى: و ذلك حين ولى الحجاج على العراق فصعب الأمر جدا و عند ذلك (عضّت الفتنة أبنائها بأنيابها) شبّه الفتنة بحيوان صائل و أثبت لها النّاب على سبيل التخييل و رشح الاستعاره بذكر العضّ و أراد بأبناء الفتنة أهلها، و المراد أنه اذا قوى سلطنه ذلك الضليل كثر الفتن و يقع أهلها فى الشدّه و الألم.

قال الشارح و هو اشاره إلى تفاقم الفتن بين عبد الملك و بين الخوارج و عبد الرحمن بن الأشعث (و ماجت الحرب بأمواجها) كالبحر المتلاطم التيار المتراكم الرّخار (و بدا من الأيام كلوحها) نسبه الكلوح إلى الأيام من التوسّع فى الاسناد و أراد به كثره ما يلقى النّاس فيها من العبوس و سواء الحال و كذلك نسبه الكدوح إلى الليالى فى قوله (و من الليالى كدوحها) و هو إشاره إلى ما يبتلى به النّاس فيها من المصائب الشبيهه بآثار الجراحات و الخدوش و الجنايات.

(فاذا أነع زرعه) أراد به انتظام أمره و كمال شوكته (و قام على ينعه) أى على نضجه و كماله (و هدرت شقاشقه) و هو إشاره إلى ظهور طغيانه و بأسه

(و برقت بوارقه) أى سيوفه و رماحه البارقه (عقدت رايات الفتن المعضله) أى الموجهه للاعضال و الاشكال أو التى يعبى عن رفعها و علاجها(و أقبلن كالليل المظلم) وجه تشبيهها بالليل كونها لا يهتدى فيها إلى حق كما لا يهتدى فى ظلمه الليل إلى المقصد(و البحر الملتطم) أى كثير الأمواج و تشبيهها به فى عظمها، و فى التوصيف بالملتطم اشاره إلى خلط الخلق فيها بعضهم ببعض و محق بعضهم بعضا كما يلتطم الأمواج بعضها بعضا هذا.

و قال الشارح أراد بعقد رايات الفتن الموصوفه بالأوصاف المذكوره ما وقع بعد عبد الملك من حروب أولاده مع بنى المهلب و حروبهم مع زيد بن على عليه السلام و الفتن الكائنه بالكوفه أيام يوسف بن عمر و خالد القسرى و عمر بن هبيرة و غيرهم و ما جرى فيها من الظلم و استيصال الأموال و ذهاب النفوس.

و إلى ذلك أشار عليه السلام بقوله (هذا و كم يخرق الكوفه) أى يجوبها و يقطعها (من) ريح(قاصف) و هى التى تقصف كل ما مرّت عليه(و تمرّ عليها من) ريح (عاصف) قال الشارح البحرانى: استعار وصفى القاصف و العاصف لما يمرّ بها و يجرى على أهلها من الشدائد.

ثم قال عليه السلام(و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون و يحصد القائم و يحطم المحمود) أى بعد برهه من الزّمان تجتمع الام بالام و تختلط أجيال الناس بعضهم ببعض، و حصد القائم و حطم المحصود، قيل: اشاره إلى عموم البلاء، و حصد القائم كناية عن قتل القوى، و حطم المحصود كناية عن استيصال الضّعيف.

و قال الشارح البحرانى: كنّى عليه السلام بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم فى بطن الأرض، و استعار لهم لفظ الحصد و الحطم لمشابهتهم الزّرع يحصد قائمه و يحطم محصوده، فكّنّى بحصدهم عن قتلهم أو موتهم، و بحطم محصودهم عن فنائهم و تفرّق أوصالهم فى التراب.

و قال الشارح المعتزلى: و هو كناية عن الدّوله العبّاسيه التى ظهرت على دوله بنى اميه، و يحصد القائم و يحطم المحصود كناية عن قتل الأمراء من بنى اميه

فی الحرب، ثم قتل الماسورین منهم صبیرا، فحصلد القائم قتل المحاربه، و حطم الحصيد القتل صبیرا، و هكذا وقعت الحال مع عبد الله بن علی و أبی العباس السفاح.

و قيل: التفافهم کنایه عن جمعهم فی موقف الحساب أو طلب بعضهم مظلالمهم من بعض، و حصدهم عن ازالتهن عن موضع قیامهم أي الموقف وسوقهم إلى النار، و حطمهم عن تعذیبهم فی نار جهنم، و الله العالم بحقایق الکلام.

الترجمه

از جمله خطب دیگر است که متضمن اخبارات غیبیه است و مشتمل می باشد بر ذکر واقعه های عظیمه می فرماید: خداوند تعالی اولی است پیش از هر اول و آخری است بعد از هر آخر، بمقتضای اول بودنش واجبست که نبوده باشد هیچ اول مر او را، و بمقتضای آخر بودنش واجبست که نبوده باشد هیچ آخر مر او را و شهادت می دهم آنکه نیست هیچ معبودی بحق غیر از واجب الوجود بالذات چنان شهادتی که موافقت نماید در او باطن با ظاهر و قلب با زبان.

ای مردمان باید که باعث نشود شما را عداوت و مخالفت من بر تکذیب من، و متحیر نگرداند شما را نافرمانی کردن با من، و میندازید دیده ها را بیکدیگر نزد شنیدن اخبار غریبه از من، پس قسم بحق آن کسیکه شکافت دانه را و خلق فرمود انسان را بدرستی که آنچه خبر می دهم شما را بآن اخذ شده است از پیغمبر صلی الله علیه و آله و سلم دروغ نگفته رساننده آن خبر که عبارتست از پیغمبر، و جاهل نبوده شنونده آن که عبارتست از نفس نفیس خود.

گویا که نگاه میکنم بمردی که متصف است بنهایت گمراهی که بانک زده در شام، و منزل اخذ میکند بعلمهای خودش در اطراف کوفه، پس هرگاه که گشوده شود دهان او، و سخت شود، دهنه لجام او، و گران شود در زمین گام زدن او، بگذر فتنه پسران خود را بدندانهای خود، و موج زند جنک بموجهای خود، و ظاهر می شود از روزها بسیاری عبوس و ترش روئی او، و از شبها اثرهای جراحت او.

پس چون بسر حدّ کمال رسد زراعت آن مرد گمراه، و بایستد بر کمال خود و آواز دهد شفشقهای او که عبارتست از چیزهایی که مثل شش از دهن شتر بیرون می آید در حال مستی، و درخشان شود شمشیرها و نیزهای بَرّاق او، بسته شود علمهای فتنها، و روی آورند مانند شب تاریک و مثل دریاهاى مَوّاج، فراگیر این مطلب را، و بسا می شود که بدرّ کوفه را باد سخت شکننده، و بگذرد بکوفه باد تند جهنده، و این کنایه است از شدّتها و مصیبتها که وارد می شود بأهل کوفه و بعد از زمان قلیلی جمع شود قرن‌ها با قرن‌ها، و مختلط شود گروهی با گروهی، و درویده می شود ایستاده، و شکسته می شود درویده شده، و این کنایه است از استیصال و هلاک شدن صاحب قوت و صاحب ضعف.

و من خطبه له علیه السّلام یجرى هذا المجرى و هی المأه

اشاره

و الواحده من المختار فی باب الخطب

و ذلک يوم یجمع اللّٰه فیهِ الأوّلین و الآخرین لنقاش الحساب، و جزاء الأعمال، خضوعاً قیاماً، قد ألجمهم العرق، و رجفت بهم الأرض فأحسنهم حالاً من وجد لقدمیه موضعاً، و لنفسه متّسعاً. منها: فتن کقطع اللّیل المظلم، لا تقوم لها قائمه، و لا تردّ لها رایه، تأتیکم مزمومه مرحوله یحفزها قائدها، و یجهدّها راکبها، أهلها قوم شدید کلبهم، قلیل سلبهم، یجاهدهم فی سبیل اللّٰه، قوم أذلّه عند المتکبرین، فی الأرض مجهولون، و فی السّماء معروفون،

ص: ۱۷۳

فويل لك يا بصره عند ذلك من جيش من نعم الله لا رهج له ولا حس، و سيبلى أهلك بالموت الأحمر، و الجوع الأغبر.

اللغة

(ناقشته) مناقشه استقصيته فى الحساب (و القطع) قطعه كسدر و سدره و هى الطائفه من الشىء قال الشارح المعتزلى: قطع الليل جمع قطع و هو الظلمه قال تعالى:

«فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ».

و لعله سهو و (زومت) البعير زما شددت عليه زمامه فهو مزمووم و (الرحل) كل شىء يعد للرحيل من وعاء المتاع و مركب البعير و الحلس و الرسن و جمعه رحال و أرحل مثل سهام و أفلس و (جهدت) الدابة و أجهدها حملت عليها فى السير فوق طاقتها و (الكلب) محرّكه الشر و الاذى و (السلب) محرّكه أيضا ما يأخذه أحد القرنين فى القتال من قرنه ممّا يكون عليه من ثوب أو سلاح أو درع أو غيرها و (النقم) جمع نقمه و هى العقوبه و (الرهيج) محرّكه الغبار.

الاعراب

خضوعا قياما منصوبان على الحال من مفعول يجمع، و جمله لا- تقوم مرفوعه المحلّ على أنّها وصف لفتن، و جمله تأتيكم استينافيه أو حال من مفعول تقوم و جمله يحفزها آه حال من فاعل تأتيكم، و مجهولون وصف ثان لقوم.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه تجرى مجرى الاخبار عن الملاحم أيضا كالخطبه السالفه حيث إنها مشتمله على فصلين، و الفصل الثانى منها من هذا القبيل، و أمّا الفصل الأول فمتضمّن لبيان بعض أهوال يوم القيامة و شدايدها، و قد مضى الكلام فيها مفصّلا فى الفصل الثّالث من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين و شرحه.

و قال عليه السّلام هنا (و ذلك يوم يجمع الله فيه الأولين و الآخرين) كما قال تعالى فى سورة هود.

«ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ». و فى سورة الواقعة: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» و انما جمعهم (لنقاش الحساب و جزاء الأعمال) أى ليناقدش فى حسابهم و يستقصى فيه و يجرى كلّ جزاء عمله، إن خيرا فخيروا و إن شرا فشرّا.

«فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» «وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ».

(خضوعا قياما) أى خاضعين خاشعين من هول المعاد، قائمين لربّ العباد (قد أجمعهم العرق) أى بلغ محلّ لجامهم من كثره التراحم و الاجتماع و شدّه الحراره قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى:

«يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

المعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر ربّ العالمين و لجزائه أو حسابه، و جاء فى الحديث أنّهم يقومون فى رشحهم إلى انصاف آذانهم، و فى حديث آخر يقومون حتّى يبلغ الرشح إلى أطراف آذانهم.

و فى الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يقول إذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل أو ميلين، قال سليم فلا أدري أ مسافه الأرض أو الميل الذى تكحل به العين ثم قال

صهرتهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبه، و منهم من يلجمه إجماء، قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير بيده إلى فيه قال يلجمه إجماء.

(و رجفت بهم الأرض) لعله اشاره إلى الرّجفه في النفخه الثانيه على ما اشير إليها في قوله سبحانه:

«إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا».

(فأحسنهم حالا) في هذا اليوم (من وجد لقدميه موضعا و لنفسه متسعا) و هو اشاره إلى شدّه الضيق على الناس فيه هذا و الفصل الثاني الذي التقطه السيّد (ره).

منها قوله عليه السلام (فتن كقطع الليل المظلم) في عدم الاهتداء فيها إلى النهج الحقّ و الصّراط المستقيم (لا تقوم لها قائمه) أى لا تنهض لدفعها فئه قائمه أولا تقوم لها قائمه من قوائم الخيل، و هو كناية عن عدم امكان مقابلتها بالحرب و عدم التمكن من قتال أهلها، أو لا- تقوم لها بنيه أو قلعه قائمه، بل تخرب و تنهدم فيكون كناية عن قوتهم و كذلك قوله عليه السلام (و لا تردّ لها رايه) أى لا تنهزم رايه من رايه تلك الفتنة و لا تفترّ بل تكون غالبه دائما، أو لا ترجع لحربها رايه من الرّايات التي هربت عنها.

ثمّ شبّهها بناقه تامّه الأدوات كامله الآلات و استعار لها أوصافها فقال (تأتيكم مزموه مرحوله) أى كناقه معدّه للركوب عليها زمامها و رحالها (يحفزها قائدها) أى يسوقها بشدّه، و أراد بالقائد أعوانها (و يجهدّها راكبها) أى يوقعها في الجهد و المشقّه و يحمل عليها في السير فوق الطّاقه، و أراد بالركاب أرباب تلك الفتنة و كنى بالحفز و الجهد عن سرعتهم و مبادرتهم إليها (أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم) أى شديد شرّهم و أذاهم و قليل ما سلبوه

من الخصم إذ همّتهم القتل لا السلب كما قال الشاعر:

هم الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهه في المسلوب لا السلب

و اختلف في تلك الفتنه و أهلها: فقال الشّارح المعتزلى: إشاره إلى ملحمة تجرى في آخر الزمان و لم يأت بعد، و استقر به المحدث المجلسى «ره» في البحار، و قال الشارح البحرانى: اشاره إلى فتنه صاحب الزنج لا تضافهم بشدّه الكلب و قلّه السلب إذ لم يكونوا أصحاب حرب و عدّه و خيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهوره و سيدكر طرف منها في شرح بعض الخطب الآتية و هى الخطبه المأه و الثامنه و العشرون.

و استبعده في البحار بأنّ مجاهديهم لم يكونوا على الأوصاف التى أشار إليها بقوله (يجاهدهم فى الله قوم أذلّه عند المتكبرين فى الأرض مجهولون و فى السماء معروفون) إلّا أن يقال: لشقاؤه الطّرف الآخر أمدهم الله بالملائكه، و هم مجهولون فى الأرض لعدم كونهم من أبناء الدنيا المشهورين بنعيمها، و معروفون فى السماء لكونهم من أهل العلم و العرفان يعرفهم ربّهم بالطّاعه و يعرفهم ساير الملائكه بالعباده و لا يخفى بعده، و قال الشّارح المعتزلى: كونهم مجهولين فى الأرض لخمولهم قبل هذا الجهاد.

ثمّ خاطب عليه السيّد البصره على سبيل انذار أهلها وقال(فويل لك يا بصره عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له و لا حسّ) قال الشّارح البحرانى و هو اشاره إلى فتنه الزنج و ظاهر أنّهم لم يكن لهم غبار و لا أصوات إذ لم يكونوا أهل خيل و لا قعقه لجم فاذا لا- رهج لهم و لا- حسّ، و ظاهر كونهم من نقم الله للعصاه و ان عمت الفتنه اذ قلما تخصّ العقوبه النّازله بقوم بعضهم كما قال تعالى:

«وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً».

و فيه أنّ ظاهر عبارته عليه السّلام مشعر بكون هذا الجيش غير ما اخبر به أوّلا فاذا كان الأول اشاره إلى صاحب الزّنج و جيشه حسبما زعمه الشارح فكيف يمكن جعل ذلك اشاره إليهم أيضا و ان كانوا بالأوصاف المذكوره، و قال الشارح المعتزلى كنى عليه السّلام بهذا الجيش عن طاعون يصيبهم حتى يبيدهم.

أقول: و الأولى و كول علم ذلك إليهم عليهم السّلام لأنّ أهل البيت أدري بما فيه ثمّ قال (و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر) الموت الأحمرًا كناية عن الوباء و وصفه بالحمرة لشدّته و وصف الجوعبانه أغبر لأنّ الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبره و ظلاما كما في شرح المعتزلي، أو الأول كناية عن قتلهم بالسيف كما قيل، أو عن هلاكهم بالغرق كما في شرح البحراني، قال و وصف الجوع بالأغبر لأنّ شدة الجوع ما اغبر معه الوجه لقله مادّة الغذاء أو ردائته أو لأنّه يلصق بالغبراء و هي الأرض.

أقول: و يمكن أن يكون وصف الجوع به من حيث كونه ناشئًا من كثره اغبرار الأرض و جذبها بقلّة الأمطار، و الله العالم.

تنبيه

قد تقدّم في أوّل تنبيهات الكلام الثالث عشر خطبه طويله له عليه السّلام خطب بها بعد الفراغ من قتال أهل البصره و هي متضمّنه لأكثر فقرات هذه الخطبه و مشتمله على زيادات كثيره فعليك بالرجوع اليها فانه لا يخلو من منفعة.

الترجمه

و از جمله خطب شریفه آن سرور عالمیان و امام متقیانست که جاری شده در موضع اخبار از ملا-حم مثل خطبه سابقه می فرماید:

و آن یعنی روز قیامت روزیست که جمع میکند خداوند عالم اولین و آخرین را از برای استقصاء و دقت نمودن در حساب، و جزا دادن بر عملها در حالتی که همه خضوع کننده باشند و ایستاده بجهه أمر پروردگار، بتحقیق که رسیده باشد عرق بدهان ایشان از کثرت حرارت و شدّه ازدحام خلقان، و بلرزد برایشان عرصه زمین پس نیکوترین ایشان از حیثیت حال کسیست که بیابد بجهه قدمهای خود مکانی و بجهه نفس خود محلّ وسعت و فضائی از جمله فقرات این خطبه که متضمّن اخبار از وقایع آتیه است اینست که فرموده

فتنه‌هایی است مثل پاره‌های شب تاریک که برنخیزد از برای دفع آن جماعتی ایستاده، و باز نگرداند از برای او علم بر پا شده، بیاید بسوی شما مانند شتری که افسار کرده باشد و پالان برنهاده در حالتی که میراند آنرا با شدت کشنده آن، و بمشقت می اندازد آنرا سوار شونده آن، اهل فتنه‌ها گروهی هستند که شدید باشد اذیت و شرارت ایشان، و کم باشد ثیاب و سلاح دریافت نشده از خصم ایشان و آن کنایه از این است که غرض ایشان کشتن خصم است نه غنیمت بردن، جهاد میکند با ایشان گروهی که خواز و ذلیل باشند در نزد متکبرین، گم نام باشند در نزد اهل زمین، مشهور باشند در پیش اهل آسمان برین.

پس وای باشد تو را ای بصره از لشکری که پدید آید از غضب و عقوبه خدا در حالتی که نباشد آن لشکر را گرد و غباری، و نه حس و حرکتی از جهت این که ایشان را خیل و قعقه سلاح نباشد، و بزودی مبتلا شوند اهل تو ای بصره بمرگ سرخ که کشته شدنست با شمشیر، و بگرسنگی غبار آلوده.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الثانیه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

أنظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها، الصّادفين عنها، فإنّها والله عمّا قليل تزيل الثّاوی السّاكن، و تفجع المترف الامن، لا يرجع ما تولى منها فادبر، و لا یدری ما هو آت منها فینتظر، سرورها مشوب

ص: ۱۷۹

بالحزن، و جلد الرجال فيها إلى الضعف و الوهن، فلا تغزّنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها، رحم الله امرء تفكر فاعتبر، و اعتبر فأبصر، فكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، و كأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل، و كلّ معدود منقّص، و كلّ متوقّع آت، و كلّ آت قريب دان. منها العالم من عرف قدره، و كفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، و إنّ من أبغض الرجال إلى الله لعبد و كلّه الله إلى نفسه، جائر عن قصد السبيل، ساير بغير دليل، إن دعى إلى حرث الدنيا عمل، و إن دعى إلى حرث الآخرة كسل، كأنّ ما عمل له واجب عليه، و كأنّ ما وني فيه ساقط عنه.

اللغة

(صدفت) عنه أصدف من باب ضرب اعرضت و صدفت المرأة فهي صدوف و هي التي تعرض وجهها عليك ثم تصدق عنك و (ثوى) بالمكان و فيه و ربّما يتعدّى بنفسه من باب رمى يثوى ثواء بالمدّ أقام فهو ثاو قال تعالى:

«وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ».

و (فجعه) يفجعه من باب منع وجعه كفّجعه أو الفجع أن يوجع الانسان بشيء يكرم عليه فيعدمه و (اترفته) النعمة أطغته و المترف وزان مكرم المتروك يصنع ما يشاء و لا يمنع و (الجلد) محرّكه الشّده و القوّه فهو جلد و جليداى شديد قوَى

و (التَّقْض) كالانتقاض ضد الابرام و فى بعض النسخ منتقض بدل منقض و (ونى) فى الأمرينى و نيا من باب وعد ضعف و فتر فهو وان، قال سبحانه: «وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي»

الاعراب

الفاء فى قوله فأدبر عاطفه للجمله على جملة الصياله و فى قوله فلا تغرّنكم فصيحته، و جملة رحم الله امرء دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و عن فى قوله عن قليل بمعنى بعد، و كذلك فى قوله عليه السلام عمّا قليل و ما زايده على حدّ قوله سبحانه: «عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضْهِجَنَّ نَادِمِينَ».

و اللّام فى قوله العالم من عرف قدره للجنس و التعريف لقصد الحصر مبالغه و من فى قوله عليه السّلام أنّ من أبغض الرجال لعبد زايده فى اسم إنّ و لعبد بالرفع خبرها كما زيدت فى اسم كان فى قوله تعالى: «وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ».

و إليه ذهب الكسائى فى قوله عليه السّلام: إنّ من أشدّ الناس عذابا يوم القيامة المصوّرون و فى نسخه للشارح المعتزلى لعبد بالنصب و كذلك جائرا و سائرا فيكون حينئذ من للتبعيض و هى مع مدخولها خبر ان مقدّما و لعبد اسم لها، و جائرا، و سايرا يحتملان الحال و الوصف.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه متضمّن للترهيد عن الدّنيا و التّنفير منها بالتنبيه على عيوبها المرغبه عنها، و قد مضى الكلام فى هذا المعنى مستوفا فى الخطبه الثانيه و العشرين و شرحها و فى غيرها من الخطب السّالفه و قال عليه السّلام هنا:

(انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها الصّادقين عنها) قد مرّ تحقيق معنى الزّهد و بيان مراتبه و اقسامه بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبه التاسعه و السبعين و قدّمنا هنالك بعض الأخبار الوارده فيه و نورد هنا بعض ما لم نروه فأقول:

روى فى الكافى عن على بن إبراهيم عن على بن محمد القاسانى عمن ذكره عن عبد الله بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام قال إذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا و فقهه فى الدين و بصير عيوبها و من أوتيهن فقد أوتى خير الدنيا و الآخرة و قال عليه السلام: لم يطلب أحد الحق من باب أفضل من الزهد فى الدنيا، و هو ضد لما طلب أعداء الحق قلت: جعلت فداك ممّاذا؟ قال: من الرغبة فيها.

و قال عليه السلام ألا من صبر كريم فأنما هى أيام قلائل إلا أنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهّدوا فى الدنيا.

قال: و سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما و وجد حلاوه حبّ الله و كان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط و أنما خالط القوم حلاوه حبّ الله فلم يشتغلوا بغيره.

قال: و سمعته يقول إنّ المؤمن إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو.

و باسناده عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا، هذا.

و لما أمر عليه السلام بالنظر إلى الدنيا نظر الزاهدين المعرضين من الأنبياء و المرسلين و الأئمة المعصومين و غيرهم من عباد الله الصّالحين، و أوجب اقتفاء آثارهم و التأسى بهم علل ذلك بقوله (فأنّها و الله عمّا قليل تزيل الثاوى الساكن و تفجع المترف الآمن) مؤكداً بالقسم البارّ تنزيلا للمخاطبين منزله المنكر لما شاهد منهم رغبتهم إليها و اعتمادهم بها، يعنى أنّ من شأنها نقل المقيمين السّاكنين بها إلى دار الآخرة و افجاع المنعمين الآمنين بحيلولتها بينهم و بين ما يحبّونه، فاذا كان شأنها ذلك فكيف الأمن بها و الركون إليها شعر:

هب الدنيا إليك تساق عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال

و ما دنيّاك إلا مثل فىء أظلك ثم آذن بالزوال

(لا يرجع ما تولّى منها فأدبر و لا يدرى ما هو آت منها فينتظر) يعنى ما كنت (1)

ص: ١٨٢

١- (١) لعله من أخلّ بالشى إذا ترك و غاب عنه

مبتهجا به فيها من الشَّباب والقوَّة والنعمه والعزَّة واللَّذه قد أدبر وتولَّى ومضى و انقضى فلا رجوع له اخرى، و ما يأتي بعد ذلك فهو غير معلوم لك اذ لا تدري أنَّه نعمه أو نقمه، عزَّه أو ذلَّه، ثروه أو مسكنه، حياه أم ممات، ضيق أو سعه، و بالجملة لا تدري انه ملايم لطبعك فتتظر أو مناف له فتتفر، قال الشَّاعر:

واضيعة العمر لا الماضي انتفعت به و لا حصلت على علم من الباقي

(سرورها مشوب بالحزن و جلد الرِّجال فيها إلى الضَّعف و الوهن) و هذا مدرك بالوجدان مشاهد بالعيان إذ قلَّ ما ترى مسرورا فيها و مبتهجا بها إلَّا و مبتلا في كلِّ لمحاه و آن بفوت مطلوب أو فقد محبوب، و نرى بضاضه الشَّباب مبدله بحوانى الهرم، و غضاره الصَّحَّه موهونه بنوازل السيِّقم (فلا يغزَّركم كثره ما يعجبكم فيها) من عزَّ و سلطان و جنود و أعوان و حصون و مقاصر و ضياع و دساكر و نساء و بنين و عشيره و أقربين و القناطير المقنطره من الدَّهب و الفضة و الانعام و الخيل المسوَّمه (لقلَّه ما يصحبكم منها) اذ ليس إلَّا كفن و حنوط و قطن و عود قال الشاعر:

فما تزوَّد ممَّا كان يجمعه إلَّا حنوطا غداه البين في خرق

و غير نفحه أعواد شبين له و قل ذلك من زاد لمنطلق

(١) ثمَّ دعا عليه السيِّلام و ترخَّم لاولى الفكر بقوله (رحم الله امرء تفكر) في أمر نفسه و مبدئه و معاده (فاعتبر) أى فكان ذا اعتبار و اتعاط (و اعتبر فابصر) أى أوجب اعتبار حاله نور بصيره و ذلك إنَّما يحصل بالانقطاع من الشَّهوات و التَّجافى عن الامنيات.

قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السَّلام لهشام بن الحكم: يا هشام من سلَّط ثلاثا على ثلاث فكأنَّما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، و محى طرايف حكمته بفضول كلامه، و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنَّما أعان هواه على هدم

ص: ١٨٣

١- (١) النفحه من العود القطعه منه و نفحه القوس المتروك منه و شبين له اى رفعن له من شب الفرس شبابا و مشبوبا رفع بيديه،

منه

عقله. و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه.

ثم نبه على سرعه انقضاء متاع الدنيا بقوله: (فكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن) يعنى أنّ ما هو كائن من الدنيا من زبرجها و زخارفها و لذايذها سيصير بعد زمان قليل معدوما فكأنّته لم يكن موجودا أصلا و لم يكن شيئا مذكورا.

و نبه على سرعه لحوق الآخرة بقوله (و كأنّ ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل) يعنى أنّ ما هو كائن من شدايد الآخرة و أحوالها و أهوالها بعد زمان قليل قصير يكون موجودا ثانيا، و الاتيان بلفظ كأنّ فى المقامين للتقريب و تشبيه وجود الدنيا بعدمه فى الأوّل و تنزيل عدم الآخرة منزله الوجود فى الثانى تأكيدا و مبالغه فى قصر زمان تصرم الدنيا و قلّه زمان لحوق الآخرة.

ثم قال (و كلّ معدود منقضى) أراد أنّ أيام العمر و لياليه و ساعاته و أنفاس الحياه معدوده محصاه، و كلّ ما هى معدوده فهى منقضيه منصرمه و منقضيه منتهيه (و كلّ متوقع آت و كلّ آت قريب دان) فكلّ متوقع قريب دان، و أراد بالمتوقع الموت.

و نظير هذه الفقره من كلامه عليه السّلام قول قس بن ساعده الأيادى:

مالى أرى الناس يذهبون ثم لا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا اقسم قس قسما إنّ فى السماء لخبرا، و فى الأرض لعبرا، سقف مرفوع، و مهاد موضوع و نجوم تمور، و بحار لا تغور، اسمعوا أيّها الناس وعوا، من عاش مات، و من مات فات، و كلّ ما هو آت هذا، قال السيّد (ره) (منها) أى بعض فصول تلك الخطبه قوله عليه السّلام (العالم من عرف قدره و كفى بالمرء جهلا أن لا- يعرف قدره) يعنى أنّ العالم الكامل الحقيق بأن يطلق عليه اسم العالم حقيقه من اتّصف بعرفان قدره و عدم تجاوز طوره، و من لم يعرف ذلك فهو حقيق بأن يطلق عليه اسم الجاهل، و ذلك كاف فى جهالته، و المراد بقدره مقداره المعين و محلّه المرسوم و مرتبته المقرّره له فى الوجود، و ذلك إنّما يكون بكمال العقل.

كما قال الصادق عليه السّلام: ما اخال رجلا يرفع نفسه فوق قدرها إلّا من

خلل فى عقله.

و فى روايه اخرى عنه عليه السلام ما هلك امرء عرف قدره.

يعنى أنّ من عرف قدره و لم يتعدّ طوره المرسوم له فى دائره الوجود و عرف أنّه ما هو و لأىّ شىء خلق خلص من ظلمات الجهالة، و نجى من بوادى الهلاكه لأنّه يلزم قدره المقدر و مقامه المعين و يسلك الطريق المؤدى إلى النّجاه، و يحترز من طرفى التفريط و الافراط.

و يوضح ذلك ما رواه فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد مرسل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: دعامة الانسان العقل، و العقل منه الفطنه و الفهم و الحفظ و العلم و بالعقل يكمل، و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره فاذا كان تأييد عقله من النور كان عالما حافظا ذا كرا فطنا فهما، فعلم بذلك كيف و لم و حيث، و عرف من نصحه و من غشه، فاذا عرف ذلك عرف مجراه و موصوله و مفصولة، و أخلص الوجدانيه لله و الاقرار بالطّاعه، فاذا فعل ذلك كان مستدركا لما فات و واردا على ما هو آت يعرف ما هو فيه و لأىّ شىء هو ههنا و من أين يأتيه و إلى ما هو صائر و ذلك كلّ من تأييد العقل.

يعنى أنّ قيام أمر الانسان و نظام حاله بالعقل فهو له كالعمود للبيت و منه يحصل الفطنه و سرعه ادراك الامور على الاستقامه، و يحصل الفهم و الحفظ و العلم و به يكمل الانسان، و هو دليله على الحقّ و موجب لكونه ذا بصيره و مفتاح لأمره به يفتح ما اغلق عليه من الأمور الدينيه و الدنيويّه و المسائل المعضله الغامضه، فاذا كان عقله مؤيّدا بالنور أى بنور الحقّ و خلى عن شوائب الأوهام، و كان عالما بما يحتاج إليه، حافظا لعلمه بحيث لا يتطرّق عليه سهو أو نسيان أصلا أو غالبا، ذا كرا لرّبّه فطنا فهما فى غايه الكمال من القوتين النظرية و العملية، فعلم بذلك كيف أى كيفيّة الأعمال و الأخلاق، أو كيفيه السلوك إلى الآخره و الوصول إلى الدّرجات العاليه، أو حقايق الأشياء و حقيقه نفسه أهو من المقربين أم من المبعدين و لم أى علّه الأشياء، و علل وجودها و ما يؤدى إليها كعلّه الأخلاق الحسنه حتّى

يكتسبها وعلّه الأخلاق الرذيله حتّى يجتنبها، أو يتفكر فى علّه العلل و سائر العلل المتوسّطه، أو يتفكر فى علّه وجوده و أنّه إنّما خلقه الله للمعرفه و الطّاعه، و حيث اى يعلم مواضع الامور و يعرف مقام نفسه فيضعها فيه و لا يتعدّى قدره، و عرف النّاصح له ممّن غشّه فيقبل النّصح من الأوّل و إنّ كان عدوّا له، و يحترز من تدليس الثّانى و إنّ كان صديقا له: فاذا عرف ذلك عرف مجراه أى سبيله الذى يجرى فيه إلى الحقّ أو يعلم انه متوجه إلى الآخره فيعمل بمقتضى هذا العلم و لا يتشبّث بالدّنيا و شهواتها، و موصوله و مفصولة، أى ما ينبغى الوصل معه من الأعمال و الاشخاص و ما ينبغى الفصل منه، و اخلص الوحدانيّه لله سبحانه، و علم أنّه الواحد الحقيقى لا جزء له عقلا و ذهنا و خارجا و لا شريك له أصلا، و أقرّ بأنّه لا يستحقّ الطّاعه غيره، فاذا فعل ذلك أى الاخلاص و الاقرار، كان مستدركا فى غابر الزمان لما فات منه فى سالف الأيام من التكاليف التى كان يلزم عليه القيام بها، و استدراكها إنّما هو بالتوبه و القيام بوظايفها، و وارد على ما هو آت من الأعمال الحسنه أو المراتب العاليه، يعرف ما هو فيه أى النّشاه الفانيه و فنائها و معاييها، و لأىّ شىء هو ههنا يعنى يعرف أنّه انما أنزله الله تعالى إلى دار الدّنيا للمعرفه و تحصيل السّعادات الاخرويّه، فيبذل همّته و جهده فيها، و من أين يأتيه أى النّعم و الخيرات، و يعلم موليها فيشكره و يتوكّل عليه و يتوسّل به لا بغيره أو الأعمّ منها و من البلايا و الشرور و الآفات و المعاصى، فيعلم أنّ المعاصى من نفسه الاماره و من الشّيطان فيحترس منهما، و إلى ما هو صائر أى الموت و أحوال القبر و أهوال الآخره و نعيمها و عذابها، أو الأعمّ منها و من درجات الكمال و دركات النقص، و ذلك كلّ من تأييد العقل أى من ثمرات كون العقل مؤيدا بالنّور حسبما عرفت فافهم و اغتنم هذا.

و قد ظهر بما ذكرنا كلّ أنّ العالم من كمل عقله و عرف قدره و لازم مقامه و لا يرفع نفسه فوق قدرها و لا يتعدّى وظيفته و لا يدعى الاتيّة له فإنّ الرياسه لا تصلح إلّا لأهلها (و أنّ من أبغض الرّجال إلى الله) سبحانه المغضوب عنده المصروف عنه نظر العنايه الأزليه و الألطاف الرّبانيّه (لعبد) استبدّ برأيه و استقلّ بظنّه

ف (وكله الله إلى نفسه) و جعل و كوله و اعتماده عليها حيث زعم لنفسه الاستقلال و تمرّد عن طاعه الرّب المتعال فهو (جائر عن قصد السبيل) الموصل له إلى قرب الرحمن المؤدّى له إلى روض الجنان (سائر بغير دليل) ينجيه من المهالك و من سار بغير دليل فهالك.

و المراد بالدليل من يدلّه على مناهج الدّين و يرشده إلى شرايع الشرع المبين، و هم امناء الرّحمن و أبواب الايمان و حمله أسرار الجليل و تراجمه الوحي و التنزيل، من تخلف عنهم هلك و من تقدّمهم مرق و من لازمهم لحق.

(ان دعى) هذا الرّجل المبعوض (إلى حرث الدّنيا) استعاره للأفعال و الأعمال المتوقّع نفعها و ثمرتها فيها من التجاره و الزّراعه و الفلاحة و نحوها (عمل) و اشتغل به و استغرق اوقاته فيه (و ان دعى إلى حرث الآخرة) استعاره للطّاعات و العبادات التى ترجى ثمرتها فيها (كسل) و توانى و اعرض و نأى بجانبه (كأنّ ما عمل له) أى لنفسه من اشغال الدّنيا (واجب عليه و كأنّ ما ونى فيه) من أعمال الآخرة (ساقط عنه) مع أنّ ما كسل عنه أولى بالقيام و ما اشتغل به أخرى بالسقوط.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و ولیّ مؤمنین است که فرموده:

نظر نمائید بسوی دنیا نظر همچه کسانی که زاهد شوند در دنیا و اعراض نمایند از آن، پس بدرستی که آن دنیا بحقّ خدا بعد از اندک زمانی زایل می سازد مقیم آرام گرفته را، و فجعه می آورد بی باک و ایمن را بآن، نمی گردد آنچه که رو گردان شد از آن پس پشت کرد، و دانسته نمی شود آن چیزی که آینده است از آن تا این که انتظار کشیده شود، شادی آن آمیخته شده باندوه، و قوّه مردان در آن منتقل است بسوی ضعف و سستی.

پس البته مغرور ننماید شما را زیادتى آن چیزی که خوش آینده شما است در آن از جهه قلت و کمی چیزی که مصاحب و همراه باشد شما را از آن که عبارتست از

قطن و کفن، رحمت کند خداوند مردی را که تفکر کند پس عبرت بگیرد و عبرت بگیرد پس صاحب بصیرت شود پس گویا آنچه واقع است در دنیا پس از اندکی نبوده است، و گویا آنچه که واقع خواهد شد از آخرت پس در اندک زمانی ثابت و موجود است، و هر شمرده شد بنهایت خواهد رسید، و هر انتظار کشیده شده خواهد آمد، و هر آینده نزدیکست و قریب.

بعض دیگر از فصلهای آن خطبه اینست که فرموده: عالم کسیست که بشناسد قدر خود را و کفایت می نماید بمرد از حیثت جهالت و نادانی آنکه شناسد قدر خود را، و بدرستی که از دشمن ترین مردان بسوی خدا هر آینه بنده ایست که واگذارد خدای تعالی او را با نفس خودش، عدول کننده باشد از میانه راه حق، سیر کننده باشد بدون راه نما، اگر خوانده شود بسوی کشت و زراعت دنیا عمل میکند و مشغول شود، و اگر خوانده شود بسوی کشت و زراعت آخرت کسالت می گیرد و کاهل میباشد، گویا آنچه که عمل کرد از برای خود از امور دنیا واجب است بر او، و گویا آنچه که کاهلی نمود در آن از امور آخرت ساقط است از او

الفصل الثانی

اشاره

منها و ذلک زمان لا ینجو فیه إلا کلّ مؤمن نؤمه، إن شهد لم یعرف، و إن غاب لم یفتقد، أولئک مصابیح الہدی، و أعلام الشری، لیسوا بالمساییح و لا المذایبع البذر، أولئک یفتح اللہ لهم أبواب رحمته، و یکشف عنهم ضرّاء نقمته، أیها الناس سیأتی علیکم زمان یکفا فیه الإسلام کما یکفا الإناء بمائه «بما فیه خ»، أیها الناس

ص: ۱۸۸

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يَعْزَكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ».

قال السيد (ره) قوله: كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمُهُ، فَإِنَّمَا أَرَادَ الْخَامِلَ الذَّكَرَ الْقَلِيلَ الشَّرَّ، وَالمساييح جمع مسياح وهو الذى يسبح بين الناس بالفساد والنمائم، والمذايع جمع مذياع وهو الذى إذا سمع لغيره فاحشه أذاعها ونوّه بها، والبذر جمع بذور وهو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقته.

اللغة

(نومه) وزان همزه فى بعض النسخ بالواو وفى بعضها بالهمزة قال ابن الأثير فى المحكى عن النهاية فى حديث على عليه السلام انه ذكر آخر الزمان والفتن ثم قال:

خير أهل ذلك الزمان كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمُهُ بوزن الهمزة الخامل الذَّكَرَ لَا يُؤْبَهُ بِهِ وَفِي الْقَامُوسِ نَوْمُهُ كَهَمْزِهِ امير مغفل أو خامل.

أقول: وَلَعَلَّهُ مَأْخُوذٌ عَنِ النَّوْمِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَامَ يَخْمَلُ وَيَخْمَلُ عَنْهُ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي الْقَامُوسِ قَالَ النُّومُ النَّعَاسُ أَوْ الرَّقَادُ كَالنِّيَامِ بِالْكَسْرِ وَالْإِسْمُ النَّوْمُ بِالْكَسْرِ وَهُوَ نَائِمٌ وَنَوْمٌ وَنَوْمُهُ كَهَمْزِهِ وَصَرْدٌ وَ(السَّيرَى) كَالْهَدَى سِيرَ عَامَهُ اللَّيْلَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: أَسْرَى بَعْدَهُ لَيْلًا، تَأْكِيدٌ وَ(الْمَذْيَاعُ) مَنْ لَا يَكْتُمُ السَّيْرَ بِلِ يَذِيعُهُ وَيَفْشِيهِ وَيُظْهِرُهُ أَوْ يَنَادِي بِهِ فِي النَّاسِ وَ(البذر) جمع بذور كزبر و زبور و صبر و صبور قال الشارح المعتزلى: وَهُوَ الَّذِي يَذِيعُ الْأَسْرَارَ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ الرُّضَى (ره) فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ بَذُورًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَفْهَهُ وَلَمْ يَلِغْ مِنْطَقَتَهُ، بَأَن يَكُونَ عِلْتَهُ مَذْيَاعًا مِنْ غَيْرِ سَفْهِ وَلَا لُغُو.

أقول: وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي الْقَامُوسِ قَالَ الْبَذُورُ وَالْبَذِيرُ التَّمَامُ وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ كَتْمَ سِرِّهِ، وَرَجُلٌ بَذَرَ كَكَتَفَ وَبِيْذَارَ وَبِيْذَارَهُ وَتَبْذَارَ كَتَبَانِ وَبِيْذَرَاتِي كَثِيرَ الْكَلَامِ وَ(يكفا) بِالْبِنَاءِ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ كَفَاهُ كَمْنَعَهُ وَصَرْفَهُ وَكَلَبَهُ قَلْبَهُ وَ«نَوّه» بِهَا

أى رفعها.

الاعراب

جمله ليسوا بالمساييح منصوبه المحلّ على الحال و تحتل البدل من الخبر و قوله عليه السّلام: و قد قال جلّ من قائل، جمله و قد قال حال مؤكّده من فاعل يعذكم و جمله جلّ حال من فاعل قال، و من قائل تميز لرفع ابهام التّسبه فى جلّ إلى فاعله

المعنى

اشاره

اعلم أنه أشار فى هذا الفصل الى ما يكون بعده من غلبه الفساد و الشرور على أهل الزّمان و عدم النجاء فيه إلّا لأهل الايمان كمال قال عليه السّلام (و ذلك زمان لا ينجو فيه إلّا كلّ مؤمن نؤمه) أراد به خامل الذكر منهم المشتغل برّبّه عنهم كما فسّره بقوله (إن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد) يعنى أنه إن حضر مجالس أهل ذلك الزمان لا يعرفوه و إن غاب عنهم لا يفتقدوه، أى لا يسألون عنه و لا يقولون:

أين هو و كيف صار و ما يصنع، و ذلك لكونه بمعزل عنهم و عدم انتفاعهم بوجوده، و سنشير إلى فوايد العزله و ثمراتها بعد الفراغ من شرح الفصل.

(اولئك مصاييح الهدى و أعلام السّيرى) يهتدى لهم السّالكون فى سبيل الله و يصلون بنور وجودهم إلى حظائر القدس (ليسوا بالمساييح) أى الذين يسيحون و يجرون بين الناس بالفساد و النميمه (و لا المذايع البذر) أى الذين يذيعون الأسرار و يفشون الفواحش (اولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته) و رأفته (و يكشف عنهم ضراء نقمته) و شدّه عقوبته و فى بعض النسخ يفتح الله بهم و يكشف بهم آه، أى ببركات وجودهم ينزل الخيرات و يكشف النقمات.

ثمّ أخبر عليه السّلام عما يكون بعده من الفتن و الفساد فقال عليه السّلام: (أيّها الناس سيأتى عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بمائه «بما فيه») قال الشّارح البحرانى شَبّه عليه السّلام قلبهم للاسلام بقلب الاناء بما فيه، و وجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به بعد تركهم للعمل به كما يخرج ما فى الاناء الذى كبّ عن الانتفاع، يعنى أنه يأتى زمان ينقلب فيه الامور الدّينيّه إلى أضدادها و لا يبقى من الاسلام إلّا

اسمه ولا من الكتاب إلا درسه، وأشار عليه السلام إلى أن ذلك منه سبحانه ليس من باب الظلم والجور، بل من باب الاختيار والامتحان، ليجزى الذين أحسنوا الحسنى جزاء أعمالهم، ويزيق الذين عملوا السوء نكال وبالهم وهو قوله:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ أَيْ عَصَمَكُمْ (من أن يجور عليكم) وقد قال: وما ربك بظلام للعبيد (و لم يعذكم) أى لم يعصمكم (من أن يبتليكم) و يختبركم، يعنى أنه إذا غلب على أهل الزمان الفساد لا يلجأهم الى الصلاح و السداد و لكن يتركهم و اختيارهم امتحاناً لهم و اختباراً (و قد قال جلّ من قائل) فى سورة المؤمنين بعد حكاية حال سفينه نوح عليه السلام (إنّ فى ذلك لآيات و إن كنّا لمبتلين) قال الطبرسى: أى فى أمر نوح و السيفينه و هلاك أعداء الله دلالات للعقلاء يستدلّون بها على التوحيد و إن كنّا مختبرين إياهم بارسال نوح و وعظه و تذكيره و متعيدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا و معرفتنا أقول: غرضه عليه السلام من الاستدلال بالآية الشريفة الاشارة إلى أنّ عادة الله سبحانه جاريه فى الامم الماضيه و القرون الخاليه، و كذلك فى غابر الزمان و مستقبل الأيام على اختبار عباده و ابتلائهم لظهار جوده العبد و ردائه ليشب تمام العيار فى قالب الامتحان و يعاقب الناقص الجوهر بالخزى و الخذلان، و قد مرّ فى شرح الخطبه الثانيه و الستين تحقيق معنى البلاء و الابتلاء و لا حاجه إلى الاعاده، هذا.

و ينبغى التنبيه على امور:

الاول

فى فوائد العزله و خمول الذكر

و هى على ما ذكره أبو حامد الغزالى: تنقسم إلى فوايد دينيه و دنيويه، و الدّينيه تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوه و المواظبه على العباده و الفكر و تربيه العلم، و إلى تخلص من ارتكاب المناهى يتعرّض لها الانسان بالمخالطه كالرياء و الغيبه و السّكوت عن الأمر بالمعروف

ص: ١٩١

١- (١) قوله سبحانه: و ان كنا أى انا كنا فهى مخفّفه من المثقله و يجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن أى انه كنا.

و النهى عن المنكر، و مسارقه الطبع من الاخلاق الرديّه و الأعمال الخبيثه من جلساء السوء.

و أما الدنيويه فتتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوه كتمكن المحترف فى خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرّض لها بالمخالطه كالنظر إلى زهره الدنيا و إقبال الخلق عليها و طمعه فى التّياس و طمع التّياس فيه و انكشاف ستر مروتة بالمخالطه و التأذى بسوء خلق الجليس فى مرأته أو سوء ظنه أو نيمته أو محاسدته أو التأذى بثقله و تشويه خلقته، و إلى هذا ترجع مجامع فوائد العزله، فلنحصر ستّ فوائد:

الفائده الاولى

التفرّغ للعباده و الفكر و الاستيناس بمناجاة الله عن مناجاه الخلق و الاشتغال باستكشاف أسرار الله فى أمر الدنيا و الآخره و ملكوت السّمّاءات و الأرض، فإنّ ذلك يستدعى فراغا و لا فراغ مع المخالطه، فالعزله و سيله إليه، و لذلك كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى بدو أمره يتبتّل فى جبل حرّا و يختار العزله لنفسه حتى بعث و امر بالتبليغ، فخالط النّاس و كان ببذنه معهم و بقلبه مقبلا- على الله، و لا- يحجب مخالطتهم عن توجّهه بالباطن، و لن يسع الجمع بين المخالطه ظاهرا و الاقبال باطنا إلّا قوّه النبوه و الولايه، فلا- ينبغى أن يغترّ كلّ ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك، فإنّ المخالطه مانعه لهم عن الفكر و الذكر، و العزله أولى بهم.

و لذلك قيل لبعض الحكماء: ما الذى أرادوا بالخلوه و اختيار العزله؟ فقال:

يستدعون بذلك دوام الفكره و تثبت العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياه طيبه و يذوقوا حلاوه المعرفه.

و قيل لبعض الزّهبان: ما أصبرك على الوحده؟ فقال: ما أنا وحدى أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه، و إذا شئت أن اناجيه صلّيت.

و قيل: بينما اويس القرنى جالس إذا أتاه رجل فقال له اويس: ما جاء بك؟

قال: جئت لآنس بك، فقال اويس: ما كنت أرى أنّ أحدا يعرف ربّه فيأنس بغيره و قال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به و قلت أخلو برّبّي، و إذا رأيت الصّبح أدركني استرجعت كراهه لقاء الناس و أن يجيئني من يشغلني عن ربّي.

و قال بعض الصّالحين: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشّام إذ أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال، فلمّا نظر إلّيّ تنحى إلى أصل شجره و تسترّ بها، فقلت:

سبحان الله تبخل عليّ بالنّظر إليك؟ فقال: يا هذا إنّني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصّبر عن الدّنيا و أهلها فطال في ذلك تعبى و فنى فيه عمرى، فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظّي من أيّامى في مجاهدته قلبي، فسكنه الله تعالى عن الاضطراب و ألفه الوحده و الانفراد، أنا نظرت إليك فخفت أن أقع في الأمر الأوّل، فإليك عنّي فأنّى أعود من شرّك ربّ العارفين و حبيب القانتين، ثمّ صاح و اغمّاه من طول المكث في الدّنيا، ثمّ حوّل وجهه عنّي، ثمّ نفّض يديه و قال: إليك عنّي يا دنيا لغيري فتريّني و أهلك فغزّى، ثمّ قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذّة الخدمه و حلاوه الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان و عن الحور الحسان، و جمع همّتهم في ذكره فلا شىء ألذّ عندهم من مناجاته، ثمّ مضى و هو يقول: قدّوس قدّوس.

فاذا في الخلوه انس بذكر الله و استكثار من معرفه الله، و في مثل ذلك قيل:

و إنّني لأستغشى و ما بى غشوه لعلّ خيالا منك يلقى خياليا

و أخرج من بين الجلوس لعلّني أحدث عنك النفس بالسّر خاليا

قال بعض الحكماء: إنّما يستوحش الانسان من نفسه لخلوّ ذاته عن الفضيله فيكثر حينئذ ملاقاه النّاس و يطرد الوحشه عن نفسه بالكون معهم، فاذا كانت ذاته فاضله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره و يستخرج العلم و الحكمه، و قد قيل: الاستيناس بالنّاس من علامات الافلاس.

فقد وضح بذلك كلّهُ أنّ التجرّد و العزله في حقّ الخواصّ أفضل من المخالطه بالناس، لأنّ غايه العبادات و ثمره المعاملات أن يموت الانسان عارفا بالله محبا له

ولا- محبّه إلا بالانس الحاصل بدوام الذكر، ولا معرفه إلا بدوام الفكر و فراغ القلب شرط فى كلّ واحد منهما، ولا فراغ مع المخالطه.

الفائده الثانيه

التخلّص بالعزله عن المعاصى التى يتعرّض الانسان غالبا لها بالمخالطه و يسلم منها فى الخلوه، و هى أربعه: الغيبه، و الرّياء، و السيّكوت عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و مسارقه الطبع من الأخلاق الرّديئه و الأعمال الخبيثه التى يوجبها الحرص على الدّنيا.

أما الغيبه فإنّ التّحرّز منها مع المخالطه عظيم لا ينجو منها إلا الصّديقون لأنّ عادة الناس كافه التّمضمض بأعراض النّاس و التّفكّه و التّنقّل بحلاوتها، و هى طعمتهم و لذّتهم، و إليها يستروحون من وحشتهم فى الخلوه، فان خالطتهم و وافقتهم أثمت و تعرّضت لسخط الله، و إن سكّت كنت شريكا، و المستمع أحد المغتابين، و إن أنكرت أبغضوك و تركوا ذلك المغتاب و اغتابوك، فازدادوا غيبه إلى غيبه، و ربّما تعدّوا عن الغيبه إلى الاستخفاف و الاستهزاء و الشتم.

و أما الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فمن خالط النّاس فلا بدّ له من مشاهده المنكرات، فان سكّت عصى الله به، و إن أنكر تعرّض لأنواع من الضرر و الأذى، و فى العزله خلاص من ذلك، فإنّ الأمر فى اهماله شديد، و القيام به شاق، فإنّه كجدار مائل يريد الانسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه، فاذا سقط عليه يقول: يا ليتنى تركته مائلا، نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتّى يحكمه بدعامه لاستقام، و أنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم و انج بنفسك قال الشّاعر:

و كم سقت فى آثاركم من نصيحه و قد يستفيد البغضه المتنصّح

و أما الرّياء فهو الداء العضال الذى يعسر الاحتراز منه على الأوتاد و الأبدال و هو إمّا فى العبادات أو فى العادات و قد مرّ تحقيق الكلام فى الأوّل فى شرح الخطبه الثّالثه و العشرين و عرف هنالك أنّ الاعتزال من النّاس علاجه

و دوائه النَّافع له.

و أمّا الثّانى أعنى الرّياء فى العادات فكلّ من خالط النّاس داراهم و من داراهم رءاهم و من رءاهم وقع فيما وقعوا فيه و هلك، و أقلّ ما يلزم فيه النّفاق فانك إن ترى متعادين و لم تلق كلّ واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغیضا إليهما جميعا، و إن جاملتهما كنت عن شرار النّاس.

قال عليه السّلام أنّ من شرار النّاس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه و فى الكافى باسناده عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد الله عليه السّلام من لقى المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامة و له لسان من نار.

و عن عبد الرّحمن بن حماد رفعه قال: قال الله تبارك و تعالى لعيسى عليه السّلام يا عيسى لتكن لسانك فى السّر و العلانيه لسانا واحدا و كذلك قلبك، إنّى احذرك نفسك و كفى بى خبير الا يصلح لسانان فى فم واحد و لا سيفان فى غمد واحد و لا قلبان فى صدر واحد و كذلك الأذهان.

و أقلّ ما يجب فى مخالطه الناس اظهار الشوق و المبالغه فيه و لا يخلو ذلك عن كذب إمّا فى الأصل و إمّا فى الزیاده و اظهار الشفقه بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت و كيف أهلك و أنت فى الباطن فارغ عن همومه و هو نفاق محض و آیه ذلك أنّك تقول كيف أنت و يقول الآخر كيف أنت، فالسائل لا- ينتظر بالجواب و المسئول يشتغل بالسؤال و لا- يجب، و ذلك لمعرفتهم بأنّ ذلك عن رياء و تكلف، و لعلّ القلوب لا تخلو من ضغائن الأحقاد و الألسن تنطق بالسؤال.

قال بعضهم: أنّى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون و لو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ماله لبذله، و أرى الآن أقواما يتلاقون و يتساءلون حتّى عن الدّجاجه فى البيت، و لو انبسط أحدهم لحبّه من مال صاحبه لمنعه، هل هذا إلّا مجرد الرّياء و النّفاق، و كلّ ذلك مذموم بعضه محرّم و بعضه مكروه، و فى العزله خلاص منه، فإنّ من لقى الخلق و لم يتخلّق بأخلاقهم مقتوه و استثقلوه و اغتابوه و تشمّر و الإبذائه فيذهب دينهم فيه و يذهب دينه و دنياه فى الانتقام منهم.

و أما مسارقه الطبع مما يشاهده من اخلاق النّاس و أعمالهم فهو داء دفين قلّما يتنبّه له العقلا فضلا عن الغافلين، فلا يجالس الانسان فاسقا مدّه مع كونه منكرا عليه في باطنه إلاّ- و لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقه في النفره عن الفساد، فاستثقاله اذ يصير الفساد بكثره المشاهده هينا على الطبع فيسقط وقعه و استعظامه له، و إنّما الوازع عنه شدّه وقعه في القلب، فاذا صار مستصغرا بطول المشاهده أو شك أن تنحلّ القوّه الوازعه و يذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه و مهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصّغائر و استحقرها من نفسه.

و لذلك يزدري إلى الأغنياء نعمه الله عليه، فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده و تؤثر مجالسه الفقراء في استعظام ما ابيح له من النعم و كذلك النظر إلى المطيعين و العاصين و هذا تأثيره في الطبع.

فمن يقصر نظره على ملاحظه أحوال أولياء الدّين و السّلف الصّالحين في العباده و المجاهده و الزّهد عن الدّنيا لا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار، و إلى عبادته بعين الاستحقار فيجتهد في العباده و يرغب في الطاعة و يزهد في الدّنيا استكمالا و استتماما للاقتداء بهم و الحذو بمثلهم و من نظر إلى غالب أهل الزمان و رأى اعراضهم عن الله و إقبالهم على الدّنيا و اعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبه في الخير يصادفها في قلبه، و ذلك هو الهلاك و يكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير و الشر فضلا عن مشاهدته.

فبهذه النكته يعرف سرّ قوله: عند ذكر الصّالحين ينزل الرّحمه، و إنّما الرّحمه دخول الجنه و لقاء الحقّ، و لا- ينزل عند ذكر الصّالحين عين ذلك و لكن سببه الذي هو انبعاث الرغبه من القلب و حركه الحرص على الاقتداء بهم و الاستنكاف عمّا هو ملابس له من القصور و التقصير، و مبدء الرّحمه فعل الخير و مبدء فعل الخير الرغبه و مبدء الرغبه ذكر أحوال الصّالحين فهذا معنى نزول الرّحمه.

و يفهم من فحوى ذلك أنّ عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنه، لأنّ كثره ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصي و اللعنه هي البعد من الحقّ و مبدء البعد هو المعاصي

والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجله و الشهوات الحاضره المخطوره، و مبدء المعاصى سقوط ثقلها و تفاحشها عن القلب، و مبدء سقوط الثقل وقوع الانس بها بكثره السيما، و إذا كان هذا حال ذكر الصالحين و الفاسقين. فما ظنك بمشاهدتهم و مخالطتهم.

و قد مرّ فى شرح الخطبه الخامسه و الثمانين و شرح الكلام الثالث عشر أخبار كثيره فى النهى عن مجالسه أهل المعاصى و البدع و مخالطتهم، و ظهر هناك أنّ مجالستهم منسأه للإيمان محضره للشيطان، فعليك بمراجعته المقامين.

و بالجملة فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ الطبعه سراقه تستفيد الخير، و الشر من مشاهده الغير، فعليك بالفرار من الناس، إذ لا ترى منهم إلّا ما يوجب زياده حرصك على الدنيا و غفلتك عن الآخره، و يهون عليك المعصيه و يسقط وقعها عن قلبك.

و ممّا يوضح سقوط وقع المعاصى من القلوب بكثره المشاهده أنّ أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر فى شهر رمضان من غير عذر استبعدوا ذلك استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره، و ربّما يشاهدون من يخرج الصلاه عن أوقاتها و يترك بعضها أحيانا و لا تنفر عنه طباعهم كما تنفرون عن المفطر فى شهر رمضان، مع أنّ الصلاه أفضل من الصيام قطعا و لا سبب لذلك إلّا أنّ الصلاه تتكرّروا لتساهل فيها يكثر فيسقط وقعها بالمشاهده عن القلب. بخلاف الصوم.

فعليك بالعزله و الوحده إلّا من المجلس الصالح الذى يوجب مجالسته الرغبه فى الطاعات و الميل إلى العبادات، و ينفرك مصاحبه عن الدنيا و زخارفها و شهواتها و يشوّقك مخالطته إلى الرغبه فى الآخره و نعيمها و درجاتها.

الفائده الثالثه

الخلاص من الفتن و الخصومات و صيانه الدين و النفس عن الخوض فيها و التّعريض لأخطارها و قلّما تخلو البلاد عن تعصّبات و خصومات فالمعتزل فى

روى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن من شاهر إلى شاهر.

و فى روايه أخرى عنه عليه السلام خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعه (١) طار إليها أو رجل فى شعفه فى غنيمه و يعبد الله حتى يأتيه الموت.

و روى عبد الله بن مسعود أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فرّ بدينه من قريه إلى قريه و من شاهر إلى شاهر و من جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ، قيل له: و متى ذلك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا لم تنل المعيشه إلا- بمعاصي الله، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبه قالوا: و كيف يا رسول الله و قد أمرتنا بالتزويج؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه، فان لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته و ولده، فان لم يكن فعلى يدي قرابته، قالوا و كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعثرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكه.

و هذا الحديث و إن كان فى العزوبه إلا- أنه يدل على حسن العزله إذ لا- يستغنى المتأهل عن المعيشه و المخالطه، ثم لا ينال المعيشه إلا بمعصيه الله حسبما استفيد من الزوايه.

قيل: لما بنى عروه قصره بالعقيق و لزمه قيل له: لزم القصر و تركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: رأيت مساجدكم لاهيه، و أسواقكم لاغيه، و الفاحشه فى فجاجكم

ص: ١٩٨

١- (١) قال جار الله الهيعه الصيحه التى يفرع منها أصلها من هاع يهيع اذا جبن و الشعفه رأس الجبل و المعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه و استعد الجهاد فى سبيل الله و رجل اعتزل الناس و سكن فى بعض رءوس الجبال فى غنم له قليل يرعاها و يكتفى بها فى أمر معاشه و يعبد الله حتى يأتيه الموت، منه

عاليه، و فيما هناك عَمَّا أنتم فيه عافيه، فاذا الحذر من الخصومات و مثرات الفتن احدى فوايد العزله.

الفائده الرابعه الخلاص من شر الناس

فأنهم يؤذونك مرّه بالغيبه، و مرّه بسوء الظن و التّهمه، و مرّه بالاقتراحات و الاطماع الكاذبه التى يعسر الوفاء بها، و تاره بالنميمه و الكذب، فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال مالا- تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيره يدّخرونها لوقت تظهر فيه فرصه للشر، فاذا اعتزلتهم استغيت من التّحفظ عن جميع ذلك.

و لذلك قال بعض الحكماء لغيره: اعلمك بيتين خير من عشره آلاف دراهم، قال: ما هما؟ قال:

اخفض الصّوت إن نطقت بليل و التفت بالنّهار قبل المقال

ليس للقول رجعه حين يبدو بقيح يكون أو بجمال

و لا شكّ أنّ من اختلط بالنّاس و شاركهم فى الأعمال لا ينفكّ من حاسد و عدوّ يسيء الظّن به و يتوهم انه يستعدّ لمعاداته و نصب المكيد عليه و تدسيس غائله ورائه، و النّاس مهما اشتدّ حرصهم على أمر يحسبون كلّ صيحه عليهم هم العدوّ و قد اشتدّ حرصهم على الدّنيا فلا يظنّون بغيرهم إلّا الحرص عليها قال المتنبّى:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه و صدّق ما يعتاده من توهم

و عادى محبّيه بقول عدائه فأصبح فى ليل من الشّكّ مظلّم

و قد قيل: معاشره الأشرار تورث سوء الظّن بالابرار، و أنواع الشرّ العذى يلقاه الانسان من معارفه و ممّن يختلط به كثيره، و لا حاجه إلى تفصيلها و فى العزله خلاص من جميعها.

و عن الحسن عليه السّلام أنه أراد الحجّ فسمع بذلك ثابت البنانى فقال له: بلغنى أنك تريد الحجّ فأحببت أن أصحبك، فقال له الحسن عليه السّلام: و يحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إنّى أخاف أن نصطحب فىرى بعضنا من بعض ما تنماقت عليه.

و هذه إشاره إلى فايده اخرى فى العزله، و هو بقاء السرّ على الدّين و المروّه

و الأخلاق و الفقر و سائر العورات، و قد مدح الله سبحانه المتسترين فقال:

«يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف» قال الشاعر:

و لا عار أن زالت عن الحرّ نعمه و لكنّ عارا أن يزول التّجمل

و لا يخلو الانسان في دينه و دنياه و أخلاقه و أفعاله عن عورات الأولى في الدين و الدنيا سترها و لا تبقى السّلامه مع انكشافها.

قال أبو الدرداء: كان النّاس و رقلاشوك فيه فالنّاس اليوم شوّك لا ورق فيه فاذا كان هذا حكم زمانه و هو في أواخر القرن الأوّل فما حال أمثال زماننا.

و قال أبو الدرداء أيضا: اتّقوا الله و احذروا النّاس فانهم ما ركبوا ظهر بغير إلّا أدبروه و لا ظهر جواد إلّا عقروه و لا قلب مؤمن إلّا خربوه.

و قال بعضهم: أقلّ المعارف فانه أسلم لدينك و قلبك و أخفّ لسقوط الحقوق عنك، لأنه كلّما كثرت المعارف كثرت الحقوق و عسر القيام بالجميع.

و قال آخر: أنكر من تعرف، و لا تتعرّف إلى من لا تعرف.

الفائدة الخامسة

أن ينقطع طمع النّاس عنك و طمعك عن النّاس، فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه منافع كثيرة فإنّ رضا النّاس لا تضبط و أغراضهم لا تدرك و الاشتغال باصلاح النفس أولى من الاشتغال باتيان مقصود الغير و تحصيل رضائه.

و من أهون الحقوق و أيسرها حضور الجنازه و عياده المريض و حضور الولائم و زياره الأحباء، و فيها تضييع الأوقات و تعرّض للآفات، و ربما تعوق عن بعضها العوائق و الموانع و تستقبل فيها المعاذير و لا يمكن اظهار كلّ الأعذار فيقولون قمت في حق فلان و قصرت في حقّنا، و يصير ذلك سببا للعداوه.

فقد قيل: من لم يعد مريضا في وقت العياده فقد انتهى موته مخافه الخجاله إذا عاد المريض إلى السّلامه، و من عمّم النّاس كلّهم بالحرمان رضوا عنه كلّهم و لو خصص البعض استوحشوا، و لو قام بحقوق الجميع لم يف له طول اللّيل و النهار

و لو تجرّد به فكيف من له مهمّ يشغله فى دينه أو دنياه، و من هنا قيل كثره الأصدقاء كثره العناء و قال الشاعر:

عدوّك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنّ من الصّحاب

فإنّ الدّاء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

و أما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائده اخرى جزيله، فإنّ من نظر إلى زهره الدّنيا و زينتها تحرّك و انبعث بقوّه الحرص و طمعه، و لا يرى إلّا الخيبه فى أكثر الأحوال فيتأذى بذلك، و مهما اعتزل لم يشاهد، و متى لم يشاهد لم يشته و لم يطمع، و لذلك قال الله سبحانه:

«وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».

و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: انظروا إلى من هو دونكم و لا تنظروا إلى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمه الله عليكم.

و قال بعضهم: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت ارى ثوبا أحسن من ثوبى و فرسا أفره من دابتي، فجالست الفقراء فاسترحت.

و بالجملة فمن شاهد زينه الدّنيا فإمّا أن يقوى دينه و يقينه فيصبر فيكون محتاجا إلى أن يتجرع مراره الصّبر، و هو أمر من الصّبر أو تنبعث رغبته فيحتال فى طلب الدّنيا فيهلك هلاكا مؤبّدا، أمّا فى الدّنيا فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الأوقات فليس كلّ من يطلب الدّنيا يتيسر له.

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرّياح بما لا تشتهى السفن

و أمّا فى الآخرة فبايثاره زينه الحياه الدّنيا على متاع الآخرة، و لذلك قال ابن الاعرابى:

إذا كان باب الدّلّ من جانب الغنى سموت إلى العليا من جانب الفقر

الفائدة السادسة

الخلاص من مشاهدته الثقلاء و السفهاء و مقاساه حمقهم و أخلاقهم، فإنّ رؤيه

الثقيل هي العمى الأصغر.

قال جالينوس: لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء، وقال الشافعي: ما جالست ثقيلًا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني أثقل عليّ من الجانب الآخر.

و يحكى أنّه دخل أبو حنيفة على الأعمش فقال له: إنّ من سلب الله كريمته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك؟ فقال له فى معرض المطاييه عوضنى عنهما أنّه كفانى رؤيه الثقلاء و أنت منهم.

و هذه فوائد العزله و ثمراتها بعضها متعلق بالدنيا و بعضها متعلق بالآخرة، و الله سبحانه ولىّ التوفيق و إليه مصير العاقبه.

الثانى

فى التميمه

، و هو اسم من نَم الحديث ينمّه من بابى ضرب و قتل سعى به ليقوع فتنه أو وحشه فهو نَم و نَمَام قال تعالى:

«وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» قال فى التفسير: أى لا تطع كثير الحلف بالباطل لقله مبالاته بالكذب، و صاحب المهانه أى قلّه الرأى و التميز أو صاحب الذلّه و الحقاره عند الله سبحانه، و القارع فى التّياس المغتاب، و القتّاه السّاعى بين الناس بالنميمة طلبا للفساد و ضرب بعضهم ببعض، و البخيل بالمال كثير المنع منه و المتجاوز عن الحقّ الغشوم الظّلوم و الاثيم الفاجر، و قيل معتد فى ظلم غيره أثيم فى ظلم نفسه، عتلّ بعد ذلك زنيم أى هو مع كونه مناعا للخير معتديا أثيما فاحش سىء الخلق، و زنيم اى دعى ملصق إلى قوم ليس منهم و قال سبحانه:

«وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ»

ص: ٢٠٢

قيل: إنها كانت تنم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في روايه الكافي: ألا انبئكم بشاركم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء المعائب.

و عن أبي ذر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أشاع على مسلم كلمه ليشينه بها بغير حقّ شانه الله بها في النار يوم القيامة.

و عن أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال أيما رجل أشاع على رجل كلمه و هو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار.

و يقال اتبع رجل حكيما سبع مائه فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إني جئتكَ للذي أتاكَ الله من العلم أخبرني عن السِّماء و ما أثقل منها، و عن الأرض و ما أوسع منها، و عن الصّخر و ما أقسى منه، و عن النَّار و ما أحرّ منها، و عن الزمهرير و ما أبرد منه، و عن البحر و ما أغنى منه و عن اليتيم و ما أذلّ منه؟ فقال له الحكيم: البهتان على البرىء أثقل من السِّماوات، و الحقّ أوسع من الأرض، و القلب القانع أغنى من البحر، و الحرص و الحسد أحرّ من النَّار، و الحاجه إلى القريب إذا لم ينجح (١) أبرد من الزمهرير، و قلب الكافر أقسى من الحجر، و النّمام إذا بان أمره أذلّ من اليتيم هذا.

و ينبغي أن يعلم أنّ مراد النّمام بنميمته إمّا إرادته السّوء للمحكّي عنه، أو إظهار الحب للمحكّي له أو التفرّج بالحديث و الخوض في الفضول و الباطل، و على كلّ تقدير فاللّازم للمحكّي له عند ما سمع النّميمه امور ستّة:

الأوّل أن لا يصدّقه لأنّ النّمام فاسق و هو مردود الرّوايه قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ».

و قد روى إنّ عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له

ص: ٢٠٣

عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: إن جئكم فاسق، و إن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: همّاز مشاء بنميم، و إن شئت عفونا عنك، قال: العفو لا أعود إليه أبدا.

الثاني أن ينهاه عن ذلك و ينصح له و يقبح عليه فعله قال الله تعالى:

«وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ».

روى في بعض مؤلفات أصحابنا من ارشاد القلوب أنّ رجلا دخل على عليّ بن الحسين عليهما السلام و قال له: إنّ فلانا لا يزال يذكرك في قصصه بشرّ، فقال عليه السلام له:

يا هذا و الله ما راعيت حقّ مجالسه الرجل حيث نقلت اليّنا حديثه و خنته فيما ائتمنتك به. و لا أدّيت حقّي أيضا حين أعلمتني ما أكره، أما علمت أنّ النّمام من سكان النار؟ و لكن قل له: إن الموت يعمّنا، و القبر يضمّنا، و القيامة تجمعنا، و الله يحكم بيننا و هو خير الحاكمين، نقلناه بالمعنى.

الثالث أن يبغضه في الله فأنه يبغض عند الله، و يجب بغض من يبغضه الله تعالى و أيضا فأنه قد واجهك بما لم يواجهك به من حكى عنه، حيث استحياك و ذكرك بسوء في غيبتك و النمام ذكرك بسوء في مواجهتك و لم يستح منك، و قد قيل:

سبيك من بلغك، روى إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سعى إليه برجل، فقال: يا هذا نحن نسأل عمّا قلت فان كنت صادقا مقتناك، و إن كنت كاذبا عاقبناك، و إن شئت أن نقيلك أفلناك، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين.

الرابع ألا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالى:

«اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ».

قال رجل لعبد الله بن عامر و كان أميرا: بلغني أنّ فلانا أعلم الأمير أنى ذكرته بسوء قال: قد كان ذلك، قال: فأخبرني بما قال حتى أظهر كذبه عندك، قال: ما أحبّ أن أشتم نفسي بلساني، و حسبي أنّي لم أصدّقه فيما قال، و لا أقطع عنك الوصال.

الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس و البحث عن حقيقه ما قاله لقوله تعالى: و لا تجسسوا.

السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النّمام عنه و لا تحكى نميمته فتكون نّماما و مغتابا و تكون قد أتيت ما نهيت عنه.

روى كعب الأخبار أنّ بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السّلام مرّات فماسقوا، فأوحى الله تعالى إليه أنى لا أستجيب لك و لمن معك و فيكم نّمام قد أصرّ على النّميمه، فقال موسى عليه السّلام: يا ربّ من هو دلّنى عليه حتى اخرجه من بيننا قال: يا موسى أنهيكم عن النميمه و أكون نّماما، فتابوا جميعا فسقوا.

بقى الكلام فى السعايه

و هى النميمه إلّا- أنها إذا كانت إلى من يخاف من جانبه كالسلطان و الأمير و نحوهما تسمّى سعايه و هى أقبح من النميمه و أفحش منها لما يترتب عليها من المضارّ.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: السّاعى بالناس إلى النّاس لغير رشده، قيل: يعنى ليس بولد حلال، و ذكرت السعايه عند بعض الصّالحين فقال: ما ظنّكم بقوم يحمد الصّدق من كلّ طائفه من النّاس إلّا منهم.

و رفع بعض السعاه إلى الصاحب بن عباد رقعته تبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرتة فوقّع على ظهرها: السّعايه قبيحه و إن كانت صحيحه فان كنت أجريتها مجرى النّصح فخرانك فيها أفضل من الرّبح، و معاذ الله أن نقبل مهتوكا فى مستور، و لو لا أنّك فى خفاره شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك، فتوقّ يا ملعون العيب، فإنّ الله أعلم بالغيب الميّت رحمه الله، و اليتيم جبره الله، و المال ثمره الله، و السّاعى لعنه الله.

و بالجمله فشرّ النمام عظيم و خطره جسيم ينبغى التوقّى منه و الحذر من نميمته كيلا تقع فى طول حسره و ندامه.

فقد روى حمّاد بن سلمه أنّه باع عبدا و قال للمشتري ما فيه عيب إلّا النميمه قال: قد رضيت، فاشتراه فمكث الغلام أيّاما ثم قال لزوجّه مولاه: إنّ سيّدى

لا يحببك و هو يريد أن يتسرى عليك فخذى موسى و احلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلا و تريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة و قتلوا الزوج و وقع القتال بين القبيلتين و اشتد الفساد فى البين..

الثالث

فى اذاعه الاسرار و إفشاء الفواحش

و قد نهى عنهما فى الشرع الأنور لما فيهما من الأذى و التهاون بحق الاخوان و الاصدقاء، و حذر عن الثانى فى الكتاب الكريم قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

ولا يخفى دلالة على المقصود، فإن افشاء الفاحشه لا يكون إلا عن محبة اشاعتها و إن كان حب الاشاعه أعم، إذ يصدق على حب شيوعها بين المؤمنين و إن لم يكن الاشاعه من المحب نفسه.

و حذر عن الأول فى غير واحد من الأخبار، مثل ما روى فى الكافى باسناده عن عبد الله بن سنان قال: قلت له: عوره المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم: قلت: تعنى سفلويه؟ قال: ليس حيث تذهب إنما هو إذاعه سره.

و عن زيد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: فيما جاء فى الحديث عوره المؤمن على المؤمن حرام قال عليه السلام: ما هو أن ينكشف فترى منه شيئا إنما هو تروى عليه أو تعيبه.

و عن محمد بن عجلان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز و جل عير أقواما بالاذاعه فى قوله:

«وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ».

فأياكم و الاذاعه.

و عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام قال: يحشر العبد يوم القيامة و ما ندى(١) دما فيدفع إليه شبه المحجّمه(٢) أو فوق ذلك فيقال: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ إنك لتعلم أنّك قبضتني و ما سفكت دما، فيقول: بلى سمعت من فلان روايه كذا و كذا فرويتها عليه فنقلت حتّى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها فهذا سهمك من دمه، هذا.

و يتأكّد الحرمة في إذاعه أسرار الأنبياء و الأئمّه عليهم السّلام و يدلّ عليه ما في الكافي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام في قوله الله عزّ و جلّ:

«وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ».

فقال: أما و الله ما قتلوهم بأسيا فهم و لكن أذاعوا سرهم و أفشوا عليهم فقتلوا.

و عن يونس بن يعقوب عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطاء و لكن قتلنا قتل عمد.

و عن محمّد الخزاز عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزله من جحدنا حقّنا.

و عن نصر بن ساعد مولى أبي عبد الله عن أبيه عليهما السّلام: قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: مضيع السّر شاك، و قائله عند غير أهله كافر. و من تمسك بالعروه الوثقى فهو ناج، قلت: ما هو؟ قال التسليم.

و عن أبي خالد الكابلي عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: إنّ الله جعل الدّولتين دولتين: دولة آدم و هي دولة الله، و دولة إبليس، فاذا أراد الله أن يعبد علانيه كانت دولة آدم، و إذا أراد الله أن يعبد في السّر كانت دولة إبليس، و المذيع لما أراد الله

ص: ٢٠٧

١- (١) ما ندى أى ما اراق دما.

٢- (٢) المحجّمه ما يحجم به الحجام و حرفت الحجامه ككتابه لغه

و عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من استفتح نهاره باذاعه سرنا سَلَطَ الله عليه حَزَّ الحديد و ضيق المحابس، هذا.

و الأخبار فی هذا المعنی کثیره، و فیما رویناه کفایه لمن له درایه، و الله الهادی.

الترجمه

بعض دیگر از این خطیه اشاره است بفساد زمان بنی امیه و بنی مروان و حال روزگار سایر مخالفان چنانچه فرموده:

و آن زمان زمانی است که نجات نیابد در آن مگر هر مؤمنی که گمنام باشد، اگر حاضر شود آن مؤمن در مجالس شناسند او را، و اگر غایب شود نجویند او را، ایشانند چراغهای هدایت در صراط مستقیم، و نشانهای سیر و حرکت در شب بسوی منهج قویم، نیستند در میان مردمان گردش کنندگان با فساد و سخن چینی، و نه فاش سازندگان اسرار و عیبهای بندگان، ایشان می گشاید حق تعالی از برای ایشان درهای رحمت خود را، و ببرد از ایشان شدت عقوبت خود را.

ای گروه مردمان زود باشد که بیاید بر شما زمانی که سرنگون کرده می شود در او اسلام همچنان که سرنگون می شود ظرف با آنچه در او است، ای جماعت مردمان بدرستی که خداوند تعالی نگاه داشته شما را از این که ظلم و جور نماید در حق شما و نگه نداشته شما را از این که امتحان نماید شما را، و گفته در حالتی که بزرگ است از حیثیت گویندگی «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» یعنی بدرستی که در این نشانها و علامتهای است و اگر چه هستیم ما آزمایش و امتحان کنندگان

اشاره

فى باب الخطب

خطب بها عند خروجه إلى البصره و قد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرّوايه و هي الخطبه الثالثه و الثلاثون.

أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا، و لا يدعى نبوّه و لا وحيّا، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، و يبادر بهم الشّاعه أن تنزل بهم، يحسر الحسير، و يقف الكسير، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته إلّا هالكا لا خير فيه، حتّى أراهم منجاتهم، و يؤنّهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم، و استقامت قناتهم، و أيّم الله لقد كنت فى ساقطها حتّى تولّت بحذافيرها، و استوسقت فى قيادها، ما ضعفت و لا- جبت، و لا خنت و لا وهنت، و أيّم الله لأبقرن الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته.

اللغه

(المنجاه) محلّ النّجاه و يحتمل المصدر و (حسر) البصر يحسر حسورا من باب قعد كلّ و انقطع من طول مدى و نحوه و هو حسير، و حسر البعير ساقه حتّى أعياه كأحسره، و حسر البعير أيضا من باب ضرب و فرح أعيّا كاستحسر

فهو حسير يتعدى ولا يتعدى و ناقه (كسير) مكسوره و (استوسقت) الابل اجتمعت و (قياد) و زان كتاب حبل يقاد و مضى تفسير ساير الألفاظ فى شرح الخطبه المشار إليها المتقدمه.

الاعراب

جمله ليس أحد حال من فاعل بعث و الرابط الواو، و جمله يسوقهم حال من فاعل قاتل و الرابط الضمير، و قوله ان تنزل بهم إما بدل من الساعه أو مفعول له ليبادر أى مخافه أن تنزل بهم على حدّ قوله تعالى:

«يُيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا».

أى كراهه أن تضلّوا، و إلّا هالكا إما استثناء من مفعول يلحقه أو من الضمير فى عليه و الثانى أظهر لأنّه كان مقيما على الهالك و غيره إلّا أنّ اللاحق إلى الغايه كان مختصّا بغير الهالك فحسن الاستثناء.

فان قلت: إذا كان اقامته عليهما على السواء فما معنى الاستثناء من الضمير؟ قلت: إنّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و إن كان مبعوثا إلى الناس كافه مقيما عليهم مريدا للاحقهم إلى الغايه طامعا فى إيمانهم جميعا، إلّا أنّ اللّٰهوق المترتب على اللاحق الذى كان غايه للاقامه لما لم يكن ممكنا فى حقّ الهالك فجاز الاستثناء من كلّ من الاقامه و اللاحق باعتبار اللّٰهوق المترتب عليهما، و وجه أظهره الاستثناء فى الثانى هو أن ترتب اللّٰهوق عليه بلا واسطه و على الأول مع الواسطه فافهم، و يوضح ما ذكرته من كونه مقيما على الكلّ حريصا على ايمانهم و إن لم يؤمنوا قوله تعالى:

«أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَىٰ فَآَنَتْ لَهُ تَصَدَّىٰ وَ مَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكَىٰ» و قوله «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ».

المعنى

اشاره

اعلم أنّه قد تقدّم فى شرح الخطبه الثالثه و الثلاثين أنه عليه السّلام خطب بهذه

الخطبه عند الخروج لحرب أهل الجمل و أنّ غرضه عليه السّلام منه التّنبيه على أنّ حربه عليه السّلام معهم إنّما هي لاقامه الحقّ و إزاله الباطل، و تقدّم أيضا تحقيق الكلام فيها و فى توضيح أكثر فقراتها و لا حاجه إلى إعادته ما تقدّم و نذكر هنا ما لم يسبق ذكره ثمه فنقول:

قوله عليه السّلام: (أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم و ليس أحد من العرب) حين بعثه (يقرأ كتابا و لا يدعى نبوّه) و هو محمول على بعض العرب أى الغالب منهم أو المراد بالكتاب الكتاب الحقّ إن اريد بهم العموم فلا ينافى وجود الصحف المحرّفه من التوراه و الانجيل و الزبور بينهم حسبما مرّت إليه الاشاره.

(فقاتل بمن أطاعه من عصاه) أى جاهد باستعانه المؤمن الموحد العاصى المتمرد (يسوقهم إلى منجاتهم و يبادر بهم الساعه أن تنزل بهم) أى يسارع بهم إلى الارشاد و الهدايه و يعجل فى انقاذهم من الجهاله مخافه أن تنزل بهم الساعه على ما هم عليه من العمى و الضلاله فيستحقّوا بذلك السخط و العقاب و يستوجبوا به أليهم العذاب.

(يحسر الحسير و يقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته) يقول عليه السّلام إنّ كان ينقطع الغيّ العاجز و يقف المكسور فكان الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يزال مقيما عليه حتى يلحقه الغايه و يوصله الغرض و هو من باب الاستعاره شبّه النّاس فى سلوكهم طريق الآخره بإبل يسار بها فى الأسفار و أثبت لهم وصف الحسير والكسير الذى هو من أوصاف الابل.

و المراد أنّ من عجز و وقف قدم عقله فى سلوك طريق الحقّ لضعف فى اعتقاده أو قصور فى آله إدراكه لا يزال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم مقيما عليه آخذا بعضده جاذبا له بأنواع التدبير و الجواذب إلى ما يمكن من العقيدہ المرضيّه و الأعمال الرّكيه التى هي الغايه القصوى من خلقه الانسان.

و قريب من ذلك ما فى شرح المعتزلى قال: هذا الكلام من باب الاستعاره و المجاز يقول عليه السّلام: كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لحرصه على الاسلام و إشفاقه على المسلمين

و رأفته بهم يلاحظ حال من تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهة أو حدث عنده ريب لا يزال يوضح له و يرشده حتى يزيل ما خامر سرّه من وساوس الشيطان و يلحقه بالمخلصين من المؤمنين و لم يكن ليقصّر في مراعاة أحد من المكلفين في هذا المعنى (إلا- هالكًا لا- خير فيه) أصلاً لعناده و إصراره على الباطل و مكابرتة للحق كأبى جهل و أبى لهب و نظرائهما (حتى أريهم منجاتهم و يؤثّم محلّتهم) أراد بهما دين الاسلام إذ به ينجي في العقبى و ينزل في أشرف المنازل و يؤتى.

(فاستدارت) به صلى الله عليه و آله (رحاهم و استقامت قناتهم) كنياسداره رحاهم عن انتظام امورهم لأنّ الرّحى لا تستدير إلاّ بعد تكامل الآله و انتظام أدواته، و أراد باستقامه قناتهم ظهور قهرهم و غلبتهم و حصول القوّه لهم، لأنّ القناه سبب للقوّه و لا تستقيم إلاّ في حال الظفر و الغلبه.

(و أيم الله لقد كنت في ساققتها حتى تولّت بحذافيرها) قال الشّارح المعتزلى هذا الضّمير المؤنّث يرجع إلى غير مذكور لفظاً، و المراد الجاهليّه كأنها جعلها مثل كتيبه مصادمه لكتيبه الاسلام، و جعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه حتى فزت و أدبرت و أتبعها يسوقها سوقاً و هى موليه بين يديه حتى أدبرت بحذافيرها أى كلّها عن آخرها (و استوسقت في قيادها) أى اجتمعت في ذلّ الانقياد كالابل التى تستوثق في قيادها.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى شجاعته و أمانته بقوله: (ما ضعفت) في القتال (و لا جبنت) من لقاء الأبطال (و لا خنت) في تبليغ أمر الله (و لا وهنت) في إقامه دين الله (و أيم الله) سبحانه (لأبقرنّ الباطل حتى اخرج الحقّ من خاصرته) تقدّم معناه فيما سبق فليراجع ثمّه.

تكملة

هذه الخطبه رويها المحدّث العلامة المجلسيّ (ره) في البحار من ارشاد الشيخ بنحو آخر أوجب الحال ايرادها قال:

لما توجه أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى البصره نزل الرّبّذه فلقاه بها

آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه و هو فى خبائه قال ابن عباس رضى الله عنه فأتيته فوجدته يخصف نعلا فقلت له عليه السلام: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع فلم يكلمنى حتى فرغ من نعله ثم ضمها إلى صاحبته و قال عليه السلام لى:

قَوْمَهُمَا، فقلت: ليس لهما قيمه، قال: على ذلك(١) قلت: كسر درهم، قال عليه السلام:

و الله لهما أحب إلى من أمركم هذا إلا أن اقيم حقا أو أدفع باطلا، قلت: إن الحاج اجتمعوا ليستمعوا من كلامك فتأذن لى أن أتكلّم فان كان حسنا كان منك و إن كان غير ذلك كان منى، قال عليه السلام: لا، أنا أتكلّم، ثم وضع عليه السلام يده على صدرى و كان شثن الكفين فالمنى ثم قام فأخذت بثوبه و قلت: نشدتك(٢) الله و الرّحم قال عليه السلام: لا تنشدنى ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد فإنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم و ليس فى العرب أحد يقرأ كتابا و لا يدعى نبوّه فساق الناس إلى منجاتهم، أم و الله ما زلت فى ساقتهما ما غيرت و لا بدّلت و لا خنت حتى تولّت بحذا فيرها، مالى و لقريش، أم و الله لقد قاتلتهم كافرين و لا قاتلتهم مفتونين، و إنّ مسيرى هذا عن عهد إلىّ فيه، أم و الله لأبقرن الباطل حتى يخرج الحقّ من خاصرته، ما تنقم منّا قريش إلا أنّ الله اختارنا عليهم فادخلناهم فى حيزنا و أنشد:

أدمت لعمرى شربك المحض خالصا و أكلك بالزبد المقشره التمرا

و نحن و هيناك العلاء و لم تكن عليا و حطنا حولك الجرد و السمرا

(٣) و لما نزل عليه السلام بذى قار أخذ البيعه على من حضره، ثم تكلم فأكثر من الحمد لله و الثناء عليه و الصلاه على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم قال:

قد جرت امور صبرنا عليها و فى أعيننا القذى تسليما لأمر الله

ص: ٢١٣

١- (١) أى على ذلك التحقير الذى تظهره، بحار.

٢- (٢) لعله نشده على أن يدع الكلام اليه ظنا منه أن المصلحه فى ذلك

٣- (٣) الجرد فضاء لانبات فيه و السمره بالضم من شجر الطلح و الجمع سمر و مضى فى شرح الخطبه الثالثه و الثلاثين لهما معنى آخر أحسن من ذلك فليترك، منه

فیما امتحننا به رجاء الثواب علی ذلک و کان الصبر علیها أمثل من أن یتفرّق المسلمون و یسفک دمائهم نحن أهل البیت و عتره الرسول صلی الله علیه و آله و سلّم و أحقّ الخلق بسلطان الرساله و معدن الکرامه الّتی ابتداء الله بها هذه الأئمه، و هذه طلحه و الزبیر لیساً من أهل النبوه و لا من ذریه الرسول صلی الله علیه و آله و سلّم حین رأیا أنّ الله قد ردّ علینا حقّاً بعد أعصر لم یصبوا حولاً واحداً و لا شهراً کاملاً حتّی وثبنا علیّ دأب الماضین قبلهما لیذهبا بحقی و یفرّقا جماعه المسلمین عنّی ثمّ دعا علیه السلام علیهما.

الترجمه

از جمله خطب عالیّه المضامین آن امام مبین است که فرموده:

أما بعد از حمد خدا و درود بر حضرت مصطفی صلی الله علیه و آله و سلّم پس بدرستی که حق تعالی برانگیخت محمّد بن عبد الله صلی الله علیه و آله و سلّم را در حالتی که نبود هیچ احدی از عرب که بخواند کتاب حق را، و نه دعوی نبوتی بکند، و نه وحی و خطابی را از جانب خدا، پس مقاتله کرد بمعونه کسانی که اطاعت نمودند او را با کسانی که معصیت و نافرمانی کردند با و در حالتی که میراند ایشان را بجانب رستگاری.

و مبادرت می نمود برایشان بر ساعت موت که مبادا نازل شود بر ایشان در حالتی که عاجز می شد عاجز شونده و می ایستاد شکسته پس اقامت می نمود ختمی مآب سلام الله علیه و آله و ثابت قدم می شد بر آن عاجز پریشان و شکسته ناتوان تا این که می رسانید هر یک از ایشان را بمقصد خودشان مگر کسی که در هلاکت بوده که در آن هیچ امید خیری و صلاحی نبوده باشد.

تا این که بنمود بمردم محل نجاه ایشان را، و جای داد ایشان را در مقام خودشان، پس دوران نمود آسیای ایشان، و راست شد نیزه ایشان.

و سوگند بخدا بتحقیق که بودم من از جمله راننده های لشکر جهالت و ضلالت تا این که باز گشتند آن لشکر بتمامی، و مجتمع شدند در قید و ریسمان خودشان که جامع ایشان بود در حالتی که ضعیف نشدم و نترسیدم و خیانت ننمودم

و سستی نکردم، و قسم بخدا هر آینه البته می شکافم باطل را تا این که بیرون آورم حق را از تهی گاه آن.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الرابعه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

حتّی بعث الله محمّدا صلّی الله علیه و آله و سلّم شهيدا و بشيرا و نذیرا خیر البریّه طفلا، و أنجبها كهلا، و أظهر المطهّرين شیمه، و أجود المستمطرين دیمه، فما أحلّولت لكم الدّنيا فی لذّاتها، و لا تمكّنتم من رضاع أخلافها، إلّا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها، قلّقا و ضیئها، قد صار حرامها عند أقوام بمنزله السّیدر المخصود، و حلالها بعیدا غیر موجود، و صادفتموها و الله ظلّا ممدودا إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغره، و أیدیكم فیها مبسوطه، و أیدی القاده عنكم مكفوفه، و سیوفكم علیهم مسلّطه، و سیوفهم عنكم مقبوضه، ألا إنّ لكلّ دم ثائرا، و لكلّ حقّ طالبا، و إنّ الثّائر فی دماننا كالحاكم فی حقّ نفسه، و هو الله الّذی لا یعجزه من طلب، و لا یفوته من هرب، فاقسم بالله

ص: ۲۱۵

يا بنى أميّه عمّا قليل لتعرفنّها فى أيدي غيركم، و فى دار عدوكم.

اللغة

(الكهل) بفتح الأوّل من جاوز الثلاثين، و قيل من بلغ الأربعين، و قيل من جاوز أربعا و ثلاثين إلى إحدى و خمسين و (جادت) السماء جودا بالفتح أمطرت و قيل الجود المطر الغزير و (المستمطرين) فى أكثر النسخ بصيغه المفعول و هو الأظهر و فى بعض النسخ بصيغه الفاعل و (الدّيمه) المطر الدّائم فى سكون.

و (احلولى) الشىء صار حلوا و (الرّضاع) بالفتح مصدر رضع الصّيبى أمّه بالكسر اى امتصّ ثديها و (الأخلاف) جمع خلف بالكسر و هو حلمه ضرع النّاقه أو نفس الضرع لكلّ ذات خفّ و ظلف و (الخطام) بالكسر ما يقاد به البعير و (قلق) ككتف المضطرب المتحرّك الذى لا يستقرّ فى مكانه و (الوضين) بطن منسوج بعضه ببعض يشدّ به الرّحل على البعير كالخرام للسرّج.

و قال الشّارح المعتزلى ما يشدّ به الهودج على بطن البعير كالبطان للقتب و التصدير للرحل و الحزام للسرّج و (المخضد) عطف العود اللّين يقال خضدت العود فانخضد أى ثنيته فاثنتى من غير كسر و خضدت الشجر أى قطعت شوكة و السدر المخضود الذى اثنتى أغصانه من كثره الحمل أو الذى قطع شوكة فصار ناعما أملس.

و (شغرت) الأرض كمنعت أى لم يبق بها أحد يجمعها و يضبّطها و بلده شاغره برجها اذا لم تمنع من غاره أحد، و عن النّهايه قيل الشجر الاتساع و منه حديث على عليه السّلام فالأرض لكم شاغره أى واسعه و (الثار) الدّم و الطّلب به و ثار به كمنع طلب دمه كثاره و قتل قاتله و الثائر الذى لا يبقى على شىء حتى يدرك ثاره

الاعراب

شهيدا و بشيرا و نذيرا منصوبات على الحال من مفعول بعث، و خير البريه

و المعطوفات عليه منصوبات على الوصف و تحتمل الحال أيضا، و طفلا و كهلا منصوبان على الحال أيضا و اضافته أظهر إلى المطهرين معنويته، و شيمه تميز، و إضافته أجود إلى المستمطرين معنويه أيضا بمعنى من إن كان المضاف إليه بصيغه المفعول كما في أكثر النسخ و بمعنى اللام إن كان بصيغه الفاعل.

و ديمه تميز على الأول و على الثانى يحتمل التميز و هو الأظهر و يحتمل أن يكون مفعولا للمستمطرين فتدبر، و الفاء فى قوله: فالأرض فصيحته، و عن فى قوله عمّا قليل بمعنى بعد، و ما زايده كما مرّ غيره مرّه.

المعنى

اعلم أنّ صدر هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق لذكر محامد رسول الله صلّى الله عليه و آله و مناقبه، و بعده اشاره إلى بيان حال بنى اميّة لعنهم الله قاطبه، و ذيله اخبار بما سيكون من مآل حال بنى اميّة و تنبيه على أنهم يسعون فى دماء عتره الرّسول فينتقم الله منهم و يجزيهم بما كسبت أيديهم، و الله عزيز ذو انتقام قال عليه السّلام (حتّى بعث الله محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم شهيدا) على أوصيائه و أمته و على الأنبياء و اممهم كما قال تعالى:

«وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ».

و قد مرّ تحقيق هذه الشهادة فى شرح الخطبه الاحدى و السبعين بما لا مزيد عليه فليراجع إليه (و بشيرا و نذيرا) و هما من ألفاظ الكتاب العزيز قال تعالى:

«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» قال الطبرسى أرسلناك يا محمد بالحقّ قيل: بالقرآن، و قيل: بالاسلام، و قيل على الحقّ بشيرا من اتّبعك بالثواب، و نذيرا من خالفك بالعقاب و لا تسأل عن أصحاب الجحيم أى لا تسأل عن أحوالهم، و فيه تسليه للنّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إذ قيل له:

إنّما أنت بشير و نذير و لست تسأل عن أصحاب الجحيم و ليس عليك إجبارهم على القبول منك.

(خير البرية طفلا) لأنّ خيريه إنّما هي بالأعمال الصّالحة و الأخلاق الفاضله، و التسديد بسلوك سبيل الحقّ و هو صلّى الله عليه و آله و سلّم منذ أيّام طفوليته و صباه كان ملازما لذلك سابقا فيه على غيره.

(و أنجبها كهلا) أى أفضلها، و قيل: أكرمها فلقد كان صلّى الله عليه و آله و سلّم فى حال كهولته و دعوته منبع كلّ كرم و فضل (أظهر المطهرين شيمه) أى طبيعه و جله و خلقا لم تدنسه الجاهليه بأنجاسها، و لم تلبسه من مدلهّمات ثيابها (و أجود المستمطرين ديمه) أى أجود الأشخاص الذين يطلب منهم الأمطار و يرجى منهم الاحسان^(١)، أو أكثر جودا للذين يطلبون البذل و الانعام، و على كلّ تقدير فقد شبّهه عليه السّلام بالسّحاب الماطر و الغيث الهاطل، و أراد بذلك كثرة جوده و عطايه، فلفظ المستمطرين استعاره للراحين أو المرجّوين منهم الاحسان، و ذكر الجود و الدّيمه ترشيح للاستعاره، هذا.

و قوله عليه السّلام: (فما احلّولت لكم الدّنيا فى لذّاتها) قال الشارح المعتزلى الخطاب لمن فى عصره من بقايا الصّحابه و غيرهم من التّابعين الذين لم يدركوا عصر النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و قيل: الخطاب لبنى اميه و أمثالهم، و الأول أوفق بظاهر المخاطبه، و الثّانى أظهر بملاحظه سياق الكلام و الفقرات الآتية.

و كيف كان فالمعنى أنّه ما صارت لكم الدّنيا حلّوا فى لذّاتها (و لا تمكّنتم من رضاع أخلافها) استعاره بالكنايه شبهه عليه السّلام الدّنيا بناقه مرضعه تنتفع بها و يمتصّ من ثدييها، و الجامع وجوه الانتفاع و أثبت لها الأخلاف تخيلا و ذكر الرّضاع ترشيح، و المقصود أنّكم ما تمكّنتم من الانتفاع بالدّنيا و الابتهاج بلذّاتها (إلاّ من بعد ما صادفتموها) أى أصبتموها و وجدتموها (جائلا خطامها قلّقا و ضينها)

ص: ٢١٨

١- (١) هذا مبنى على كون المستمطرين بصيغه المفعول و اضافه اجود اليه بمعنى من و الثّانى مبنى على كونه بصيغه الفاعل و كون الاضافه بمعنى اللام، فافهم.

استعاره بالكناية أيضا و ذكر الخطام و الوضين تخيل و ذكر الجولان و القلق ترشيح قال المحدث المجلسي (ره): و الغرض عدم تمكّنهم من الانتفاع بالدنيا و صعوبتها عليهم و عدم انقياد هالهم كما يستصعب النّاقه على راكبها إذا كانت جائله الخطام قلقه الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبها.

أقول: و الأظهر عندي أنّ الغرض بذلك الاشارة إلى أنهم لم يتمكّنوا من الانتفاع بالدنيا و من رضاع أخلافها و توليه أمرها إلّا من بعد ما أصابوها و ليس لها صاحب و لا فيها أمر و سلطان حقّ يمنعهم من تولي أمرها و التصرف فيها بمنزله ناقه ليس لها صاحب و لا لها راكب فإنّ النّاقه إذا كان لها راكب يركبها يمسك خطامها و يشدّ وضيئها و يملك أمرها و يمنع من تسلّط الغير عليها، فجولان الخطام و اضطراب الوضين إنّما يكونان مع عدم من يملك أمرها و بتلك الحال يتمكّن منها من يصادفها.

و يؤيد ما ذكرته قوله (قد صار حرامها عند أقوام بمنزله السدر المخضود) فانه ظاهر في أنّ المراد بالأقوام الخلفاء المتقدّمين الذين ولوها بلا وجه شرعيّ فانجزّ الأمر منهم إلى بنى امية و تداولوها بينهم دوله جاهليه هذا.

و تشبيه الحرام بالسّدر المخضود إشاره إلى كثره أكلهم له و رغبتهم به إن كان المخضود بمعنى المعطوف من كثره الحمل، و إن كان بمعنى مقطوع الشوك فوجه الشّبه أنّ نواهي الله سبحانه و وعيداته على فعل الحرام تجرى مجرى الشوك للسّدر في كونها مانعه منه زاجره عنه كما يمنع الشوك عن اجتناء ثمره السّدر و لما كان هؤلاء الأقوام قد اغمضوا عن النّواهي و الوعيدات و لم يبالوا بها فصار الحرام عندهم بمنزله السّدر النّاعم الأملس الخالي عن الشوك في سهوله التناول (و) من أجل عدم المبالاة أيضا صار (حلالها بعيدا غير موجود) أي بين هؤلاء الأقوام أو بين عموم الناس لعدم دليل لهم يرشدهم إلى الحلال و ينقذهم من الحرام ثمّ تبه عليه السّلام على سرعه زوال الدنيا و انقضائها بقوله (و صادفتموها و الله ظلّا ممدودا إلى أجل معدود) تهديدا لهم عن الابتهاج بها و تحذيرا عن الاغترار بلذاتها.

ثم أشار إلى تسلطهم في الأرض و تمكنهم من التصرف فيها بأي نحو شاءوا و قال (فالأرض لكم شاغرة) أى ليس بها حام يحميها و لا- أمير يضبطها و يمنعكم منها بل هى مخرجه لكم أو أنها غير ضيقه عليكم و أنتم فيها فى اتساع (و أيديكم فيها مبسوطة) بالجور و العدوان و وجوه التصرف بأي نحو كان (و أيدي القاده) أى الولاه الحق (عنكم مكفوفه) لقله الناصر و المعين و غلبه الشقاق و النفاق (و سيوفكم عليهم مسلطه و سيوفهم عنكم مقبوضه) و كأنه إشاره إلى وقعه كربلا و ما كان من بنى اميه و تابعيهم فيها من سفك الدماء.

و تبه عليه السلام على أن الدم الذى سفكه لا يكون هدرا، و أن له طالبا يطلبه فقال (ألا إن لكل دم ثائرا و لكل حق طالبا و أن الثائر فى دماننا) و الطالب لحقنا (كالحاكم فى حق نفسه) يستوفى حقه بنفسه و يحكم بعلمه من غير افتقار إلى بينه و إثبات و حكم حاكم آخر (و هو الله الذى لا يعجزه من طلب و لا يفوته من هرب) أى لا يعجزه مطلوب و لا يفوته هارب بل ينتقم منه و يأخذ بقوده و لا- يخفى ما فى هذه الفقرات من التأكيد و التهديد، حيث استفتح الكلام أولا بكلمه ألا الاستفتاحيه المفيده للايقاظ و التنبيه، و أكدده بكلمه إن و اللام و الجملة الاسميّه، و عقبه بأن ثائر دمهم هو الله القوى العزيز الشأن، و وصفه بأنه حاكم مختار غير مفتقر و قادر قاهر مدرك مقتدر.

ثم لا- يخفى ما فى حصر ثائرهم فى الله، فإن دمائهم قد سفكت بالله و الله و فى سبيل الله، فحرى لها أن يكون ثائرها هو الله تعالى، لاضافه تلك الدماء الطيبه إليه سبحانه و تعلقها عليه دون غيره.

و يشير إلى ذلك المعنى ما فى زيارته عليه السلام: السلام عليك يا ثار الله و ابن ثاره، فإن معنى الاضافه هو أنهم عليهم السلام لمّا قتلوا مظلومين فى سبيل الله، و لم يسفك دمائهم إلا أن قالوا: ربنا الله، فصار تلك الدماء حقيقا بأن تضاف إليه سبحانه و تكون حقّا له مختصه به تعالى، و يحقّ له جلّ شأنه أن يكون ثائرها بالاستقلال بالانتقام أو نصره من وليه على القصاص و قد قال تعالى:

«وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» روى في الكافي عن الصادق عليه السلام أنها نزلت في الحسين عليه السلام لو قتل أهل الأرض به ما كان مسرفاً، هذا.

و يجوز أن يكون الاضافه في ثار الله تشريفاً و تكريماً، فإنَّ الله أجلّ و أعلى من أن يوصف بأوصاف الجسم و يكون له ثار و دم و نحوهما، و إنما يضاف إليه بعض الأشياء إظهاراً لرفعه شأنه و علوّ قدره، كما يقال روح الله و بيت الله ثمَّ إنَّه لما هدّدهم بانتقام الله منهم أخبرهم بزوال الملك عنهم فقال عليه السلام: (فاقسم بالله يا بنى أميه عما قليل لتعرفنّها) أى الخلافه و الاماره، أو الدّنيا كما هي مرجع الضمان المتقدّمه (فى أيدي غيركم و فى دار عدوّكم) و قد وقع الأمر بموجب اخباره عليه السلام، فإنَّ الأمر بقى فى أيدي بنى اميّه نيّفاً و ثمانين سنه، ثمَّ عاد إلى البيت الهاشمى، و انتقل إلى أشدّ الناس عداوه لهم أعنى بنى العباس قال الشارح المعتزلى سار عبد الله (1) بن على بن عبد الله بن العباس فى جمع عظيم للقاء مروان بن محمّد بن مروان، و هو آخر خلفاء الامويّين، فالتقى بالزّاب من أرض الموصل و مروان فى جموع عظيمه و اعداد كثيره، فهزم مروان، و استولى عبد الله بن على على عسكره، و قتل من أصحابه قتلاً عظيماً، و فرّ مروان هارباً حتى أتى الشام و عبد الله يتبعه فسار إلى مصر فاتّبعه عبد الله بجنوده، فقتله بنو صبر الاشمونين من صعيد مصر، و قتل خواصه و بطانته كلّها.

و قد كان عبد الله قتل من بنى اميّه على نهر ابى فطرس من بلاد فلسطين قريباً من ثمانين رجلاً قتلهم مثله، و احتذى أخوه داود بن على بالحجاز فعله، قتل منهم قريباً من هذه العدّه بأنواع المثل.

و كان مع مروان حين قتل أبناء عبد الله و عبيد الله، و كانا وليّى عهده، فهربا

ص: ٢٢١

١- (١) و هو عمّ السفاح جهزّه السفاح لقتال مروان بن محمد المشهور بالحمار، منه

فى خواصهما إلى اسوان من صعيد مصر، ثم صارا إلى بلاد النوبة و نالهم جهد شديد و ضرّ عظيم.

فهلك عبد الله بن مروان فى جماعه ممن كان معه قتلا و عطشا و ضرّا، و شاهد من بقى منهم أنواع الشدائد و ضروب المكاره.

و وقع عبيد الله فى عدّه ممن يجامعه من أهله و مواليه فى البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سوقه بعد أن كانوا ملوكا، فظفر بعبيد الله أيام السفاح فحبس فلم يزل فى السجن بقيه أيام السفاح، و أيام المنصور، و أيام المهدي، و أيام الهادي، و بعض أيام الرشيد و أخرجه الرشيد و هو شيخ ضرير، فسأله عن خبره فقال حبست غلاما بصيرا و اخرجت شيخا ضريرا، و قتل عبد الله بن على بدمشق خلقا كثيرا من أصحاب مروان و موالى بنى اميه و أتباعهم، و نزل عبد الله على نهراى فطرس فقتل من بنى اميه هناك بضعا و ثمانين رجلا و ذلك فى ذى القعدة من سنه اثنتين و ثلاثين و مائه.

و روى أبو الفرج الاصفهاني فى كتاب الأغاني قال: نظر عبد الله بن على فى الحرب إلى فتى عليه ابهه الشرف و هو يحارب مستقبلا فناده يا فتى لك الأمان و لو كنت مروان بن محمد قال: إن لا أكنه فلست بدونه، فقال: لك الأمان و لو كنت من كنت فأطرق ثم أنشد:

أذلّ الحياه ذكره الممات فكلاّ أراه طعاما وبيلا

و إن لم يكن غير احدهما فسيرا إلى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتّى قتل فاذا هو ابن مسلمه بن عبد الملك بن مروان.

أقول: انقراض الدّوله الأمويّه و استيصالهم و قتل نفوسهم كان بيد عبد الله بن محمد المكنّى بأبى العباس الملقب، بالسّفاح، و هو أوّل خلفاء العبّاسيه كما صرّح به و باسمه و لقبه فى القاموس، و المعروف أنّ اسمه أحمد، و قد بويع له بالخلافه يوم الجمعة لثلاث عشره ليله خلت من شهر الرّبيع الأوّل سنه اثنتين و ثلاثين و مائه صعد المنبر يوم بويع و خطب النّاس، فقام إليه السيد الحميرى فأنشده:

ردتكموها يا بني هاشم فجددوا من آيها الطامسا

ردتكموها لا على كعب من أمسى عليكم ملكها نافسا

ردتكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا

خلافه الله و سلطانه و عنصر كان لكم دارسا

قد ساسها قبلكم ساسه لم يتركوا رطباً و لا يابسا

لو خيّر المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا

و الملك لو شودر في سائس لما ارتضى غيركم سايسا

لم يبق عبد الله بالشام من آل أبي العاص امرأ عاطسا

فلست من أن تملكوها إلى هبوط عيسى منكم آيسا

و قد روى حديثه مع بني اميه ابو مخنف لوط بن يحيى بطرز غريب و نهج عجيب، بعبارات فصيحته، و ألفاظ بليغه أحببت ايرادها بعينها.

قال حديث السيفاح لما جلس على كرسي الاماره للخلافه و سبب قتل بني اميه على يده تحريض العبد سديف مولا بني هاشم رضى الله عنه قال حدثنا محمد بن قتاده عن زيد بن علي أنه كان في مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد سمع أن ملك بني اميه إذا ماد و انقضى رجعت الخلافه إلى بني العباس، و أول من وليها السيفاح، و قد تسامعت به ملوك الأرض و أذعنوا له بالطاعة و خطبوا له في مشارق الأرض و مغاربها، و قد نقش اسمه على الدراهم، و خافت الملوك و التجأت إليه الامم و هربت من سطوته شياطين العرب و العجم، و تطايرت بنو اميه شرقا و غربا و سهلا و جبلا مخافه من سلطانه و شدّه بأسه و سيفه و قهره، و لما كان بينهم من الضغائن و الحقوق القديمه و الامور السالفه.

ثم إنهم كتبوا إليه يطلبون منه الامان، و يسألونه التعطف و الاحسان، و أن لا يؤاخذهم بما كان من المداخله، و أن يجعلهم أهل بطانته و ظهارته و أهل مملكته فكتب لهم كتابا و ذكر لهم أنه غير غنى عنهم و أنه يحتاج إلى خدمتهم، و ضمن لهم الأموال و العطايا و الاقطاع.

و اجتمع إليه منهم الكبير و الصغير، و الرؤسا و آل زياد و آل مروان و آل

يزيد بن معاوية فلما اجتمعوا كلهم إليه و كان عدّتهم سبعين ألف فارس و يقدمهم يزيد بن عبد الملك بن مروان ساروا في رتبهم و عددهم حتى قدموا الأنبار و دخلوا إلى أبي العباس أحمد السيفاح على مراتبهم، و أعدّ لهم كراسى من الذهب و الفضة ليجلسوا عليها يسلمون عن يمينه و شماله.

ثم إنّه جعل منهم أمراء و حجابا و ندما و وكلاء و كانوا يجلسون من حوله و أقرب الناس إليه و أعزّهم عليه و كان الخاص و العام يتعجبون منه و من فعله بهم و يقولون ما رأينا رجلا أعجب من هذا الرجل قطّ، يقرب أعدائه و يقفّ أشغالهم و يعطيهم أمواله و ضياعه، و كان العاقل يقول إنما يفعل بهم ذلك ليبيدهم و ينعم عليهم حتى يجتمعوا و يتكاملوا ثم يأخذهم أخذه شديده فينذرهم.

قال أبو الحسن: فينما ذات يوم جالس على مرتبته و بنو أمّيه من حوله و عليهم الدروع المطرزة بطراز الذهب و العمايم الملوّنة متقلدين بالسيوف المحلّاه بالذهب و الفضة، و فى أوساطهم المناطق المحلّاه بالجوهر.

إذ دخل بعض حجابيه و هو مذعور، فقال له: يا أمير المؤمنين العجب كلّ العجب، فقال له: و ما ذلك العجب؟ قال: يا أمير المؤمنين إنّ على الباب رجلا ذميم المنظر عظيم المخبر شخب اللون رثّ الأطمار و علاه الغبار ممّا حلّ به من الأسفار و من تحته مطيه باليه قد قطع بها غياهب الدّجى و مهامه (١) الثرى فلو أنّ لها لسانا لنطقت به ممّا لحقها من التعب و النصب، و الرجل فوقها جالس كالنسر البالى و الشيخ الفانى، فانى أتعبّ منه و من مطيته و قد أناخها ببابك و عقلها بفاضل زمامها ثم قال لها بشرى يا ناقتى بالكرامه الكبرى و المسرّه العظمى، و قد بلغت ما هو لك فى سرور و حبور (٢) و حللت بمن هو أهل للمحل السعد و قد نال أعلى المراتب فالحمد لله فما عليك بعد اليوم سفر و لا تعب و لا جهد، فقلت له: إنّك لعديم العقل

ص: ٢٢٤

١- (١) المهامه جمع مهممه و هى المفازة البعيده و البلد القفر، منه

٢- (٢) الحبور السرور، منه

تخاطب ناقة عجماء فقال: نعم اخاطبها و ابشرها ثم أنشا يقول:

أقول لها يا ناق سيري و ابشري بوجود كريم الوالدين هجان

فتى أبتغى منه الكرامه و العطاء و من سفرى تعفى و طول هوانى

ألا أيها السّفاح و السيّد الذى له همم تسطو بكلّ مكان

أت ناقتى تشكو إليك تأسفا فصنها من الأسفار و الشّيران

ثمّ إنّهُ أقبل يريد الدّخول عليك عاجلا- و الورود إليك راجلا- فمنعته من ذلك و قلت له: ما الذى تريد منه؟ فقال: استأذن بالدخول على أمير المؤمنين فأنى قد أتيت إليه من بلد بعيد و سفر صعب شاق شديد، كنت أخوض سواد اللّيل و حنادس الظلام و أقطع المهامه و الآكام(١) شوقا إلى طلعتة و محبته فى بهجته، و اريد التطلع إلى رؤيته و الأمور كامنه فى الجوارح، و النّيران مضرمة فى الجوانح، اريد برؤيته اخمادها و اطفاء شهوقها من كلامه و فتح منظره و مرآه فقلت له: امض و تطيّب و غير أثوابك ليطرد منك و عث السفر ثمّ أقبلك حتى اوصلك إلى أمير المؤمنين.

فنظر إلّى بعين الغضب و هو مزور(٢) و قال: إئنّى آليت على نفسى أن لا أنزع ثوبا و لا أستعمل طيبا و لا ألدّ بعيش حتى أصل إلى أمير المؤمنين و ها هو على الباب منتظر ردّ الجواب عن أمير المؤمنين.

قال: فلمّا سمع السيّفاح بنعته و صفته قال صاحبنا و عبدنا سديف و ربّ الكعبه ثمّ إنّهُ أذن له بالدخول عليه و قال: إنّهُ عزيز علينا قريب إلى قلوبنا.

قال: فلما سمع بنو اميه بذكر سديف تغيّر لونهم و اقشعرت منهم الأبدان و نظر بعضهم إلى بعض و ارتعدت منهم الفرائص و أخذهم الجزع و الهلع(٣) قبل دخول سديف عليهم.

ص: ٢٢٥

١- (١) جمع الاكمه و هو التل الصغير

٢- (٢) أى ناظر بمؤخر عينيه

٣- (٣) و هو الرعده تعرض الانسان

قال أبو الحسن: و كان من خبر سديف معهم أنه كان عبداً لبنى هاشم و كان فصيح اللسان قوى الجنان شاعرا ماهرا يصول بلسانه مقتندرا بكلامه، و كان كل موسم من مواسم الحج يخرج فيعلوقبه زمزم ثم يصيح بالناس فيجتمعوا إليه و يعتمدوا بين يديه، فاذا تكاملوا عنده يبسط لسانه بمدح مواليه من بنى هاشم و يهجو بنى امية و يصغر ملكهم و يحرض الناس عليهم ليخلعوا الخلافة منهم و يجعلوها فى بنى هاشم الذين جعلها الله فيهم و هم أهل بيت محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم.

فلما كان فى بعض الأعوام و قد حضر الناس الموسم أكمل ما يكون من المواسم أقبل سديف فصعد زمزم ثم صاح برفيع صوته يا أهل الأرض و يا أهل الأبطح و الصيفا و باب مكة و الكعبة العليا و من سائر الأقطار شرقا و غربا، فدونكم فاسمعوا ما أقول و الله على ما أقول وكيل.

ثم تكلم فى بنى امية بكل شؤم فأخذه بنو امية فضربوه حتى ظنوا أنهم قد قتلوه و ألقوه على مزبله فأقبلت إليه امرئته فسقته شرابا و لجأ إلى رءوس الجبال قال فلما سمع بنو امية الذين هم عند السيفاح بذكر سديف قال بعضهم لبعض: أليس قد قتل الله سديفا فأراحنا منه و إننا لنراه قد عاش بعد موته لينال مناه منا.

ثم انه دخل على السفاح و نظر إلى بنى امية و ما هم عليه و انشأ يقول:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل (١) من بنى العباس

طلبوا ثار هاشم فسقوها بعد ميل من الزمان و ياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا و اقطعوا كل وصله و غراس (٢).

ذلها أظهر التودد منها و بها منكم كجز « كحدخ » المواسى

فلقد غاظنى و غاظ سواى قربها من نمارق و كراسى

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان و الاتعاس

ص: ٢٢٦

١- (١) البهلول وزان عصفور السيد الجامع لكل خير منه

٢- (٢) الغراس بالكسر ما يغرس من الشجر منه

و اذا كروا مصرع الحسين و زيد و قتيلا بجانب المهراس(١)

و القتيل الذى بحرّ ان أضحي(٢) ثاويًا بين غربه و تناسى

و قيل: إنّ سديف دخل على السّفاح و يده على يد سليمان بن عبد الله ثمّ انشأ يقول:

لا يغرنك ما ترى من رجال إنّ بين الضّلوع داء دويا

فضع السّيف و ارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها امويا

طيب نفسك و قرّ عينك هتبه إنّ صبرك هو الجميل ادّيًا

قال: فقال له السّفاح: أهلا بطلعتك و مرحبا برؤيتك، قدمت خير مقدم، و غنمت خير مغنم، فلك الاكرام و الانعام، و أما ما أنت له من الأعداء فالصّفح أجمل، فإنّ أكرم النّاس من عفا إذا قدر، و صفح إذا ظفر.

ثمّ إن السّيفاح نادى يا غلام علىّ بتخت من الثياب و كيس من الورق، فأتاه بذلك، فقال السّيفاح: خذه و غير ثيابك و أصلح حالك وعد إلينا فى غداه غد إنشاء الله فلك عندنا ما تحبّ و ترضى، و ستبلغ الرّضا و فوق الرّضا.

قال: فخرج سديف من عند السّفاح و هو فرحان شديد الفرح.

قال: و إنّ بنى اميّة بقوا فى دهشه و بهته و حيره ينظر بعضهم إلى بعض، فعلم السّيفاح ما عندهم و ما خامرهم فاراد أن يطمئنهم حتّى يطمئنوا إليه و يقبلوا بأجمعهم إليه.

فقال لهم: يا بنى اميّة لا يكبرنّ عليكم ما سمعتم من هذا العبد، فانه ما تكلم إلاّ بقلّه عقله و كثره جهله، و ليس له رأى سديد و لا ينبغى أن يلتفت إلى قوله و لا- إلى رأى العبيد، و لعمري إنّ ما كان الواجب أن يذكر مواليه و أن يفعل ذلك الفعّال التى لا يفعلها إلاّ الجهال، فترك ما فى قلوبهم و ما خامرهم، فقال: إنّ لكم علىّ أفضل الهبات و فوق ما تأملون من الكرامات، فإنّ هذا زمان و ذاك زمان و نحن

ص: ٢٢٧

١- (١) اراد به حمزه و المهراس ماء بأحد.

٢- (٢) و قتيل حران هو ابراهيم بن محمد

جرثومه العفو و دعامته فابشروا و طيبوا قلوبكم، فأنى أقدم لكم العطايا، و أحسن لكم الجزاء و ابلغكم الأمل و المنى.

فخرجوا من عنده و قد كشف السفاح بعض ما كانوا يحذرون من الهَمِّ و الغَمِّ ثم اجتمعوا فى مسائهم بالمشوره.

فقال قائلهم: الهرب الهرب ما دام العبد سديف لكم فى الطلب، و الله لاقرّ لكم قرار، و لا كان لكم منجاً و لا من طلبه و ثاره ملجأ، و قد كان يعاديكم و هو وحيد فريد لا معين له و لا نصير و لا مجير، فكيف و قد أتت أيامه و ارتفعت أعلامه و ظهرت عداوته، فخذوا لأنفسكم و انظروا امائكم من قبل أن يغشيكم من هذا الرجل أمر شنيع.

فقالوا: يا ويلك إنّ أمير المؤمنين قد أحسن إلينا فى الخطاب، و وعدنا بجائزه و سديف أقلّ عنده من ذلك و تفرّقوا إلى منازلهم.

فلما كان من الغد بكر القوم إلى السفاح فدخلوا إليه، و سلّموا إليه، فردّ عليهم بأحسن ردّ، و قرّب مراتبهم، و أعلى منازلهم، و رفع مجالسهم، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، ثم أقبل إليهم و سألهم من حالهم و جيئهم إليه و قضى لهم الحوائج.

فبينما هم فى أسر ما كانوا فيه إذ دخل عليهم سديف و قد غيّر أثوابه، فسلم على السفاح و أشار إليه بيده، و قال: نعم صباحك، و بان فلاحك، و ظهر نجاحك كشف الله بك رواكد الهموم، و فداك أبى لأنك آخذ بالثار، و كاشف عن قومك و ضيمه(١) العار، و الضارب بالسيف الثار، و قاتل الاشرار، فحاشاك يا بن الرؤساء من بنى العباس، و الساده من بنى هاشم، و السراه من بنى عبد مناف ثم أنشأ يقول

أصبح الملك عالى الدّرجاتبكرام و ساده و حمات

يا سليل المطهّرين من الرجسو يا رأس منبر الحاجات

لك أعنى خليفه الله فى الأرضذا المجد و أهل الحياه و الممات

ص: ٢٢٨

غدرونا بنو اميّه حتى صار جسمي سقيما بالمصيبات

و استباحوا حريمنا و سبونا و رمونا بالذلّ و التّكبات

أين زيد و اين عون و من حلّ ثاويًا بالفرات

و الامام الذي بهران أضحي هو امام الهدى و رأس الثقات

كيف أسلو ممن قتلوه جهرا و هتكوا بعد ذلك الحرمات

قال: فلما سمع السّيفاح كلام سديف أطرق إلى الأرض زمانا حتى سكن ما لحقه ثمّ إنّه رفع رأسه و قال له: قل كلامك و تذكر ما فات، و خذ ما هو آت، فإنّ أحلم الناس من صفح عمن ثلمه، و صان عرضه عمن ظلمه، فلك عندنا أفضل الكرامه و الجزاء، و حسن المنظر و بلوغ المنى، فانصرف يا سديف و لا تعد إلى مثلها أبدا.

فخرج سديف من عند السّفاح يفور غضبا و يذمّ صحبته. فلمّا خرج من عندهم أقبل السّفاح على بنى اميّه و هم مطرقون و جلون، فقال لهم: إني أعلم أنّ كلام هذا الشّيخ العبد قد أرجفكم و قد أثر في قلوبكم، فلا تعبأوا بكلامه، فأتى لكم كما تحبّون و فوق ما تأملون، و سأزيد لكم العطاء، و أقرب لكم الجزاء و أقدمكم على غيركم.

فخرجوا من عنده و قد سكن ما بهم، و اجتمعوا للمشوره فيما بينهم.

فقال قائل منهم: هلمّوا بنا حتّى ندخل بكليتنا السّيفاح و نسأله أن يسلمّ إلينا العبد فنقتله أو نستعبده، فجدّو يا قوم في طلبه فإنّ السّيفاح لا يمنعنا من ذلك و لا يعصينا و نحن سبعون ألف سيّد لأجل عبد ذميم، و إنكم إن فاتكم أو توانيتم لم يزل العبد معه حتّى يهلككم و يدمركم، و أنه لا شك قد نصب لكم أشراكا فلا يفلت منكم أحد فاحذروا ثم احذروا.

و قال قائل منهم: إنّ السّفاح إنّما يظهر لكم ما يظهر لتطمئنّوا إليه ثمّ لتؤخذوا على ما كان منكم، فلا تعبأوا بكلام السّفاح.

فقال بعضهم فما كان يمنعنا منّا و هو مالك رقابنا و ما نراه إلّا مجسنا إلينا و وطأ مجالسنا و رفع مواضعنا و وعدنا بالخير و العطاء الجزيل.

قال يا قوم قد أضعتم قولي و عصيتم أمري و خالفتُموني فاذا دخلتم عليه فليدخل بعضكم و يبقی بعضكم على الباب حتّى ننظر ما يكون، فاذا أكرم قوما بالجزاء و العطاء دخل الباقون و يفعلون مثل ما فعلوا أوّل مرّة، و تقدّموا عليه و أنتم آمنون على هذا الترتيب.

قال فلما انسدل الظلام و هجع النّوام بعث السّيفاح إلى سديف فأحضره عنده فلما دخل عليه سديف قال له: يا ويلك يا سديف إنك لعجول في أمرك، مفش لسرّك، لا تستعمل الكتمان.

فقال سديف: الكتمان قد قتلني، و التحمّل أمرضني، و النّظر إلى هؤلاء الظالمين قد أسقمني، و لن يخفى عليك شيء من أمري و ما حلّ بي و بأهلك و عشيرتك و مواليك و أقاربك: من قتل الرّجال، و ذبح الأطفال، و هتك النسوان، و حمل حريم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على الأقتاب بغير غطاء و لا - وطاء، يطاف بهم البلدان، فأى عين لا ترقا مدامعها، و أى قلب لا يتفجع عليهم، فاستوف لهم الدّماء، و اضرب بحسامك العدى، و خذ بالثّار من الظلمه لأئمه الهدى و مصاييح الدّجى، و ساده الآخره و الاولى.

ثم إنّ سديفا بكى و أنشأ يقول:

يحقّ لى أن ادم ما عشت فى حزن أجرى الدّموع على الخدّين و الذّقن

يا آل أحمد ما قد كان حزبكّم كأّنّ حزبكّم فى النّاس لم يكن

رجالكم قتلوا من غير ذى سبب و أهلكم هتكوا جهرا على البدن

سكينه لست انسيها و قد خرجت فى هيئه فجعه من شدّه الحزن

أبكى الحسين أم أبكى نسوه هتكت أم ابكى فاطمه أم ابكى الحسن

أم ابكى ليث الوغافى الروح حيدره أم ابكى ابن رسول الله ذى المنن

اشكو إلى الله ما ألقاه من امم ما أرتضى منهم بالفعل و السنن

قال فعند ذلك بكى السّيفاح بكاء شديدا و زاد عليه الأمر حتّى اصفرّ لونه و نادى بأعلى صوته: وا محمّدها و عليّاه و سيّدها و قوماه و أهلاه و اعشيرتاه و بكى سديف

حتى اغمى عليه.

فلما أفاق قال له السِّفاح: يا سديف قد بلغ الكتاب أجله، وقد حان وقرب ما تؤمله فكان بى وقد اطلقت لك السبيل تضرب بسيفك فى أعراضهم كيف شئت.

قال سديف: أما والله لان أطلقت لى السبيل لأرضينّ الجليل، و أخذ منهم ثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و ارضينّك يا مولاي.

قال له السِّفاح: نم ليلتك قرير العين و أتنى فى غداه غد اعطيك أملكك، و ابلغك رجاك.

قال: فبات سديف فى تلك أرقا قلعا يدعو ربّه و يسأله تمام ما وعده السِّفاح.

ثم إنّ السِّفاح لما أصبح ذلك اليوم سيّماه يوم النيروز و هو الذى سمّاه بنو العباس نوروز القتل لأنه اليوم الذى قتل السِّفاح فيه بنى اميه و سنّ تلك بنى العباس، فأمر السِّفاح مناديا ينادى، إنّ أمير المؤمنين أبا العباس السِّفاح قد بسط الأنطاع، و صبّ عليها خزائنه و قال: اليوم يوم عطاء و جوائز، و ضربت البوقات و الطبول، و نشرت الرايات و خفقت الأعلام.

ثم أنّ السِّفاح نصب سرير ملكه و زين قصره و بسط الأنطاع بين يديه، و أفرغ الدنانير و الدراهم و الأسوره و مناطق المراكب الثقال من الذهب و الفضه.

قال: فلما فرغ من ذلك، و رتب الزينه و العدّه عمد إلى أربع مائه من غلمانهم أشدّهم و أشجعهم، فدفع إليهم الأعمده و السيوف، و قال لهم: كونوا فى الخبره و أسبلوا عليكم السيّور، فاذا رأيتمونى قد جلدت بقلنسوتى الأرض اخرجوا وضعوا السيّوف فى رقاب كلّ من ترونيه و لو كانوا من بنى عمى.

قالوا: سمعا و طاعه، و قرّر معهم الوصيّه، فلما تعالى النهار أقبل إليه النّاس فى الزّينه و البهجه الحسنه للسلام و العطاء.

قال: و أقبل بنو اميه حتى تكاملوا السّبعين ألف من آل يزيد و آل مروان فلما بلغوا القصر نزلوا عن خيولهم و دفعوا عدادهم و سيوفهم إلى عبيدهم و دخلوا على جارى عاداتهم و هم يرفلون فى حللهم و أثوابهم و لم يعلموا ما يراد بهم، و يزعمون

أنهم مسرورون.

قال: و كان فيهم رجل من جلساء السِّفاح و كان شاعرا و قد مدح السِّفاح بقصيده حسنه، و قد أجازته السِّفاح عليها فقال له الحجاب الذين عرفوه: ارجع فما هو يوم عطاء و إنما هو يوم مكر و خداع، فلا تورد نفسك مورد الهلاك و الموت، فقد رأينا أمير المؤمنين قد أعطاك و أرضاك، فما نحب أن تقع في الهلاك، قال: رضيت أن أرد مورد قومي، و أصدر مصدرهم، فقالوا له: ادخل إلى اللعنه و الخزي، فدخل مع القوم على مراتبهم.

و صعد السِّفاح إلى أعلى البيت و هو متقلد بسيفه، ثم التفت إلى بنى اميه فقال: هذا اليوم الذى كنت أعدكم فيه الجزاء و العطاء فمن تحبون أن أبدأ بالعطاء؟ فقالوا ليقربوا إليه و يدخلوا فى قلبه: يا أمير المؤمنين ابدء بنى هاشم واحدا بعد واحد، فانهم خير العالم و أرباب المراسم، فصاح السِّفاح بعد كان عن يمينه و قد أعلمه بما يريد و كان فصيح اللسان فرفعه حتى صار دونه.

ثم قال له: ناد يا غلام بنى هاشم واحدا بعد واحد حتى نجزل لهم العطاء و نحسن لهم الجوائز عن رضى بلا غضب.

فنادى الغلام برفيع صوته و قال:

أين أبو عبيده بن الحارث بن هاشم هلم إلينا فاقبض عطاك، فقال سديف:

يا شيخ و أين أبو عبيده بن الحارث، قال: و ما فعل الله به قال: قتله شيخ من هؤلاء القوم يقال له: شيبه بن ربيعه بن عبد الشمس، فقال: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و ادع لنا غيره.

فنادى الغلام أين أسد الله و أسد رسوله حمزه بن عبد المطلب بن هاشم هلم إلينا و اقبض عطاك، فقال سديف: و اين حمزه؟ فقال السِّفاح: ما فعل الله به؟ قال: قتله امرأه من هؤلاء القوم يقال لها هند بنت عتبه بن ربيعه فى أحد، و ذلك لأنها أعطت الوحشى مولا- حيدر بن طاهر عده حتى قتله، و أقبلت فشقت جوفه و أخذت كبده لتأكلها فحوّلها الله تعالى فى فيها حجرا فسميت آكله الأكباد،

ص: ٢٣٢

فلما لم تقدر أن تأكلها قطعت أصابعه و جعلها قلاده في عنقها، فقال السفاح:

ما علمت بذلك يا غلام اضرب باسمه إذا غاب و ادع لنا غيره.

قال فنادى الغلام أين عقيل بن عبد المطلب بن هاشم هلمّ إلينا و خذ عطائك، قال سديف: يا أمير المؤمنين و أين عقيل؟ قال: و ما فعل الله به؟ قال: قتله هؤلاء القوم و هو خارج من الشام يريد مدينة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، قال السفاح: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غيره.

فنادى الغلام أين مسلم بن عقيل هلمّ إلينا و اقبض عطائك، قال سديف:

يا مولاي و أين مسلم بن عقيل؟ قال: و ما فعل الله به؟ قال: قتله هؤلاء القوم فأخذه عبيد الله بن زياد فرمى به عن قصر الاماره و ربطوا برجليه حبلا و جرّوه في أسواق الكوفة و نادوا هذا جزاء من خرج على خلافه بنى اميه و سبّوا آبائه و جدّه، قال: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غيره.

فنادى الغلام أين أول الناس اسلاما و أفضل الوصيين و يعسوب الدين و الامام البطين على بن أبي طالب هلمّ إلينا و خذ عطائك، فقال سديف: يا مولاي و أين عليّ بن أبي طالب؟ قال: و ما فعل الله به؟ قال: قتله المرادى عبد الرحمن بن ملجم و زين معاويه الشّام بقتله أيّاما و فرح فرحا شديدا فقال سفّاح: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غيره.

فنادى الغلام أين ابن بنت رسول الله الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام سيّد شباب أهل الجنه هلمّ إلينا فاقبض عطائك، فبكى سديف و قال: يا مولاي و اين الحسن بن عليّ بن أبي طالب؟ قال السفاح: و ما فعل بولد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال:

قتلته جعده امرأته بسمّ دسه إليها معاويه من الشّام، فقال: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غيره.

فنادى الغلام اين ابن بنت رسول الله و سيد شباب أهل الجنه الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السّلام هلمّ إلينا فاقبض عطائك، فبكى سديف و قال: يا مولاي و أين الحسين بن عليّ بن أبي طالب؟ قال السفّاح: و ما فعل لولد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

قال: قتله أمير هؤلاء الذين هم مقرَّبون و هم على كراسي الذهب و الفضه بحضرتك قاعدون، قتلوه بأرض كربلاء عطشاناً و الفرات ملآن، و أخذوا رأسه و جعلوه على رمح طويل و حملوه من الكوفة إلى أن أدخلوه دمشق إلى يزيد بن معاوية حتى نذبتة الجن، ثم رثاه رجل من بعض الناس يقول:

هلال بدا و هلال أفل كذلك يجرى صروف الدّول

فقال: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا كان غائباً و هات غيره.

و نادى الغلام و ابن العباس بن علي بن أبي طالب أخو الحسين عليهم السّلام هلّم إلينا فاقبض عطائك، فقطع سديف عليه الكلام، ثم قال: كأنك يا أمير المؤمنين تريد تؤاخذ هؤلاء القوم بما فعلوا أو تجازيهم بما صنعوا هؤلاء الذين ذكرتهم بكأس المنية قتلهم هؤلاء بأرض كربلاء جيعاً عطاشاً عرايا، قال السّيف فاح: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب و هات غيره.

فقال الغلام و أين زيد بن علي بن أبي طالب هلّم إلينا فاقبض عطائك، قال سديف: يا مولاي و أين زيد؟ قال السّيف فاح: و ما فعل الله به؟ قال: قتله واحد من هؤلاء القوم يقال له هشام بن عبد الملك بن مروان، و صلبه منكوساً و عشتت الفاختة جوفه، ثم إنهم بعد ذلك أحرقوه بالنار و سحقوا عظامه في الهاون و ذروه في الهوى فاجتمع على وجه الماء ثم غاص و خرج خلقاً سوياً و هو ينادى برفيع صوته «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» و قتلوا ولده من بعده و قبره هنالك، فقال السّيف فاح: ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه و هات غيره.

ثم قال: إنّ هؤلاء ساداتنا عاشوا سعداء و ماتوا شهداء بأسيايف العدى.

ثم نادى الغلام: ابن الامام ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن العباس هلّم إلينا و اقبض عطائك، فسكت سديف و لم يعد قولاً و لا ردّ جواباً، و أيقن بنو اميّة بالهلاك، لأنّهم هم الذين قتلوه، فقال السّيف فاح: و يلك يا سديف كنت إذا ذكر لك رجل من بنى هاشم تسرع في الجواب فما لك قد عجزت عن الخطاب عند ذكر أخي قال: لأنّي أستخى أن أقابلك فأواجهك بما قد فعل بأخيك، فقال

السِّفَاح: سألتك بالله إلا ما تخبرني ما فعل بأخي، قال: قبضه رجل من هؤلاء القوم يقال له مروان و أدخل رأسه في جراب بقر و ركب في أسفله كور الحدادين و أمر النافخ أن ينفخ و الجلاد يجلد حتى ضربه عشره آلاف سوط في ثلاثه أيام فقام من أوسط القوم رجل يقال له: يزيد بن عبد الملك و قال: يا و يلك يا عبد السوء لقد عظم تعريضك على بنى اميّه لقد أشرف أمير المؤمنين على هلاكنا أجمع فقال: إنّ مقصودي ذلك، فرحق السِّفَاح لسديف بمؤخر عينيه و قد امتلاء حنقا و غيظا ثم أنشأ يقول:

حسبت اميّه أن سترضى هاشم عنها و يذهب زيدها و حسينها

كذبت و حقّ محمّد و وصيّه حقا ستبصر ما يسيء ظنونها

ستعلم ليلي أيّ دين تداينت و أيّ ديون في البرايا ديونها

قال: ثم إنّ السِّفَاح بكى و علا صياحه، ثم خلع قلنسوته عن رأسه و جلد بها سرير ملكه، و نادى: يا لثارات الحسين، يا لثارات بنى هاشم، يا لثارات بنى عبد المطلب قال: فلما نظر الغلمان إلى السِّفَاح و فعاله فتحوا أبواب الخزائن و خرجوا و فى أيديهم السيوف و الأعمده فوضعوها فى رقاب بنى اميه فعاد الشاعر يدور بينهم يمينا و شمالا و هو يقول: أنا الذى مدحت السِّفَاح فقال السِّفَاح لو لم تكن منهم لما دخلت معهم، فقتله السِّفَاح بيده، و جرد سيفه و عاد يضرب يمينا و شمالا فلم تكن إلاّ ساعه أو كحلب ناقه حتى قتلوا عن آخرهم.

فبينما العبيد و الخدم و الغلمان حول القصر إذ خرج إليهم الدّم من الأفنيه و امتلاء البواليع من دماء القتلى كأنّه السَّيل أو كأفواه القرب، فعظموا ذلك و أنكروه.

فلما فرغ السِّفَاح من القوم أمرهم أن يجمعوا القتلى و يجعلوهم مثل المصطبه و يفرشوا فوقهم الأنطاع، ففعلوا ذلك و جلس عليها السِّفَاح و سديف و جماعه من بنى هاشم و حشمه.

ثم أمر بالموائد فنصبت، و نقلوا إليها الطعام فأكل السِّفَاح و أهله و قومه

و جعل القتلى يضطربون من تحتهم.

ثم أقبل السفاح على سديف و قال له: برّد ما بقلبك من الغليل؟ فقال:

و الله يا سيدى ما أكلت أطيب من أكلتى هذه أبدا.

ثم أنّ سديف قال: و الله لقتل هؤلاء القوم و كبرائهم و أشرافهم فى منازلهم قد تفرقوا فى أقطاعهم و أعمالهم، قال: يا سديف ليت شعرى ما أخرج هؤلاء القوم خفت أن يعلموا ما حلّ بقومهم فينهزموا شرقا و غربا و سهلا و جبلا، و لكن يا سديف الذى عمل هذه الحيله قادر أن يعملها على الباقيين حتى لا يبقى منهم صغير و لا كبير على وجه الأرض فقال سديف: فيها يكون زوال القرحة.

فقال السفّاح: يا سديف سترى منى حيله ما سبقنى إليها أحد و تبلغ ما تحبّه، فأحضر الصّيناع فقا لهم: امكّنكم من الأموال و من كلّ ما تريدون ثمّ رسم لهم الأساس فحفروه و كانوا ألف و خمس مائه صانع، فلما فرغوا من حفر الأساس نقل على الحمير و البغال الملح و سدّ به الأساس و لم يزالوا كذلك حتّى اكتفا الأساس من الملح.

ثمّ أمرهم أن يجعلوا اللبن فوق الملح ففعلوا ذلك و استحلف الصّناع بالايمان المغلظه أنّهم لا يفشون ذلك إلى أحد و أنّهم متى فعلوا ذلك حلّ دمائهم و أموالهم فكتموه و لم يظهره و وعدهم أن يجزل لهم العطا و أمرهم أن يكونوا فى جوانب القصر و أن يخرقوا مجارى القصر للماء إلى الأساس و يصبروا عليه إلى وقت الحاجة ففعلوا ذلك و أحكموه.

ثمّ أنّهم أخذوا فى البناء و العمل و رتبّ قوما فى البناء و قوما فى عمل المقاصير و قوما فى السّقوف و قوما فى التجصيص و قوما يزوّقون الأبواب بالذهب و الفضّه و قوما فى تحت العاج و الآبنوس، فما مضت عليهم إلّا أيام قلائل حتّى فرغوا من القصر و سقوفه و جميع آلاته، و رفعوا مجالسه و ركبوا أبوابه و أضاءوا مقاصيره، فلما فرغوا من جميع ذلك علّقوا السّتور الملوّنه.

ثمّ إنّهم فرشوه و زينوه و حملوا إليه جميع الآلات الحسنه الرّفيعه الغاليه

من أفخر ما يكون، ثم أذن للناس بالدخول والتفرّج والتّزّه فيه، فدخل الخاص و العام و جنح إليه الناس من جميع الأقطار يتعجّبون من حسنه و كماله.

و دخل بنو اميّه أوّلهم و آخرهم صغيرهم و كبيرهم، فلما نظروه و عاينوه حاروا و دهشوا و تخالفوا أنه أشبه بارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد.

و جعلوا يقولون لمن عمل هذا القصر و أعدّت هذه الآلات المفتخره و الزينه، فقال قوم: لا شك إنه يكون هذا القصر لأخيه أبى جعفر المنصور، و قال آخرون: ما هو إلّا لعمّه صالح، و اختلف أقاويلهم فيه.

و بلغ ذلك أبا العباس السّيفاح فركب إليهم و قال: يا بنى اميّه سيروا إليّ حتى أجزل لكم العطاء، و افضّ لكم على العرب و السّادات من ذوى الرتب، فنفروا منه نفورا عظيما، فبعث إليهم يقول: يا بنى اميّه ما عملت هذا القصر إلّا لكم فاطمّنوا بكلامى و ثقوا بما أقول، فإنّ قومكم أخبرونى بما دخل قلوبكم من الاضطراب و أنّكم تتخلّفون فرعا منى و من سطوتى و بأسى، و من يمنعنى منكم إذا أردت بكم بأسا، فادخلوا القصر و لا تدخلونه إلّا و هو لكم و أنا أحلف لكم باللّه و رسوله إنّه لكم.

قال: فلمّا جائتهم البشاره اطمأنّوا بها و قال بعضهم: يا ويلكم اسعوا إلى مقاصيركم و منازلكم لكن ألبسوا سلاحكم و شدّوا عدّتكم، فان ثار عليكم أحد من النّاس القوه، ثمّ إنّكم إن تحصّينوا فى هذا القصر لا يقدر عليكم أحد، فقالوا هذا هو الرّأى و الصواب الذى ليس فيه ارتياب، و قال بعضهم: إنا نخشى أنّا إذا حصلنا توثق علينا أبوابه و تركب علينا العساكر فنحاصر فى القصر فتصير المقاصير و الأحجار قبورنا، فقال أحدهم: هيهات هيهات ما يكون ذلك أبدا، لأنّه رجل و له اتصال برسول اللّه و هو زعيم القوم و خليفه اللّه على خلقه.

ثمّ اجتمع رأيهم على الانتقال إلى القصر و شاع فى النّاس أنّه لم يرقط أحلم من السّفاح، لأنّه عمد إلى قوم قتلوا أسلافه و عشيرته فأقطعهم القطايع و بنى لهم الجنان و رفع لهم المراتب.

قال: فأقبلت إليه السّادات ينقلون إلى القصر واحدا بعد واحد يتسابقون إليه و كلّ واحد يطلب له موضعا، فاذا استوى الرّجل في مقامه لم يغالبه فيه أحد ثمّ إنّهم لم يطمئئوا حتى أو قفوا نفراً مع عبيدهم على الباب بالسّلاح مخافه الكبسه.

فلما تكاملوا أمر السيّفاح أن يبسط لهم البسطو عمل سماطا(١) حسنا، و أكثر من الذبائح و الحلاوات ثمّ إنه أجلس القوم على الموائد و جاء إليه الناصح من خلف ظهره و أعلمه بأنّهم كلّهم قد حصلوا في القصر إن أردت أن تقتلهم فافعل فما بقي من أعداء الله و رسوله إلّا و قد حضر في القصر.

فلم يكن إلّا ساعه حتّى إذا دار الماء بجوانب القصر و ذاب الملح و القوم في القصر على الموائد ما يدرون ما حلّ بهم فارتجّ القصر و انصدع فهمّوا بالهزيمه فتصايحت حيطانه و انهدمت أركانه و اهتزّت العمدة ففزع القوم من ذلك و دهشوا و وضعوا رؤوسهم على ركبهم و ظلّوا أنّ الأمر من السيّماء قد نزل بهم، فقال قائلهم: قد اخذنا بما كان منا، فهم في الكلام إذ سقطت الجدران و انهدمت الأركان و وقع القصر عليهم بأجمعهم فعجّل الله بأرواحهم إلى النّار و بئس القرار، فهلكوهم و عبيدهم و امائهم و نسلهم و ذراريهم فكأنما الأرض قد ابتلعتهم.

و بلغ ذلك السّفاح، فركب و ركب سديف معه و ساروا إلى القصر فوجدوهم قد هلكوا، فسجدوا لله شكرا.

فقال السيّفاح لسديف: هل أخذت بثارك و ثار مواليك؟ فقال سديف: و الله لو قتل مثل هؤلاء ألف ضعف ما وفي و لا عدل شسع نعل الحسين عليه السّلام و لا لأحد من مواليه عليه السّلام، و قد بلغني أنّ بالشّام خلقا كثيرا من الامويين و أنّ دمشق مملوّه منهم و من أكابرهم فأنا أرجو من الله أن لا يفوتني منهم أحد.

فقال السّفاح قلت في هذا المعنى شيئا يا سديف؟ قال، نعم يا مولاي و اسمع ما أقول:

ص: ٢٣٨

١- (١) السماط من الطعام ما يمدّ عليه، قاموس

ألا أبلغن سادات هاشم معشرى و جمع قريش و القبائل من فهر
تميما و مخزونا و أبناء غالب و سكّان بيت الله و الركن و الحجر
و من كان منهم بالمدينه ثاويا قريبا من النور المغيب فى القبر
و من بالقرى افدى و من سكن الغرى وصّى نبى صاحب النهى و الأمر
و من سكن الطفّ المعظم قدره حسين الرضا المدفون فى البلد القفر
و من حوله من أهله و مواليه و اخوته من خير نسل و من طهر
بأنّ سديفا قد شفى الله قلبه بزرق طوال ثم مرهفه تبر
فعلت أبا العباس فعل أهالك فأوفيت ما أنذرت فى سالف الدهر
من أخذ لثارات الحسين بن حيدر و فاطمه و السبط الحسن البرّ
و من حلّ بالنهرين فى أرض كربلا و من حوله صرعى من الأنجم الزهر
سلام و رضوان على ساده الورى خيار بنى حوّا و آدم ذو الطهر
صلاه من الرحمن تغشى أثمه هداه اصبوا بالخديعه و المكر
فاحمد أبا العباس يا خير ناصر سديف يرجى منك أن تجلى الفقر
و تجلى كما أجليت منهم قلوبنا فقد أيّدك ربّ البريه بالنصر
على الارض منهم لا تخلى واحدا و اشف نفوسا صادعات من الضّر
فانك منصور و نور مشرق و حسبك إنّ الحقّ أيّدك بالنصر
و كم كربه أجليتها من قلوبنا بعزم و تأييد تساوى البحر
فيا ساير الأذقان خرّوا و سجّدوا لهيبه أبى العباس فى الليل و الفجر
و لا تقنطوا من فضل من بان فضله فمنه إليكم يعقب النهى و الأمر
على ظالمهم لعنه الله ما دجى سحير و ما أضواه ليل من الهجر

قال أبو مخنف: ثم إنَّ السفاح رجع إلى قصره و بات تلك اللّيلة فرحانا مسرورا بما أنا له الله من العزّ و الهيبة.

فلما أصبح دعا بعمّه صالح بن عبد الله بن العباس، و عقد له لواء على عسكر و اختار من خيار فرسانه و أمره بالمسير إلى الشام و قال له: و كلتك دمشق

ص: ٢٣٩

و أعمالها فسر إليها و جاز المحسن على إحسانه و المسىء على قدر اسأته، و انظر إلى من بيننا و بينه معاداه فلا تقصر في إهلاكه و دماره، و هذا سديف عندنا فخذة في صحبتك فقد علمت نصحه و مروته فلا تمنعه أمرا يريده و امنه على صحبتك و عشيرتك.

فقال صالح: حبا و كرامه و لو لم توص به لكان حقا على أن لا أفعل شيئا حتى اوقعه عليه و اشاوره فيه.

فلما سمع السيفاح كلام عمه شكره و جزاه خيرا و جرد الجيش معه و ضم إليه سديفا و ساروا جميعا يحدون في سيرهم حتى دخلوا دمشق فلما دخلوها و جلسوا دار الاماره جعل يرتب الأعمال في المواضع من أعمالها.

فلما استقر أمره جعل يسأل عن أولاد يزيد و آل مروان بن الحكم فيحضرون بين يديه، و كان يقطعهم القطايح الجيده و يعطى لكل منهم ما يطلبه، و سديف يستأذن فيهم و يحمل عليهم فيبيدهم ضربا و طعنا حتى قتل منهم بدمشق ثلاثين ألفا و هو يقول: و الله لو قتلت أضعافا مضاعفا من بنى اميه بل كل من طلعت عليه الشمس منهم لما وا في شسع نعل مولى الحسين عليه السلام.

و بلغ السيفاح ما فعل سديف فسرّه ذلك، فكتب إلى سديف كتابا و أعاد فيه الشعر الذي قاله فيه قبل سيره مع صالح، فلما فعل صالح ما فعل و قتل من بقى من بنى اميه انهزم قوم منهم إلى الساحل و ركبوا البحر طالين إلى بلاد العرب، فجعل يتابعهم و يأخذ خبرهم فاخبر أنهم ركبوا البحر، فبعث خلفهم سرّيه و قتل كل من انهزم و لم يسلم منهم أحد إلا قوم ترسموا بزينة النسوان و هم المثلّمه إلى يومنا هذا.

فلما عاد صالح إلى دمشق و في بنذر السيفاح و كان قد نذر أنّه متى أفنى بنى اميه أن يخرّب ديارهم، فأخربها جميعا و لم يبق لهم غير الجامع نعمان و دام ملك بنى العباس إلى أن ملك منهم أربعون.

حَتَّى تَمَّ قول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم لعمه العباس لما قال له: يا بن أخي رأيت كان قد ظهر من دبري أربعون زنبورا، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، يا عم سيظهر لك من مليك أربعون رجلا و يأخذون الخلافة، فحزن العباس و هجم نفسه، فقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم لا يا عم فقد قضى الأمر و حقّ بالقول و كان ذلك في الكتاب مسطورا.

أقول: هذا ما انتهى إلينا من خبر السِّفاح و سديف و انقراض الدولة الأموية و رويته كما وجدته و لم يكن النسخه التي نقلنا منها خاليه من السقم و الاختلال فأصلحت ما أمكن بحسب ما أدّى إليه النَّظر، و أستعِذ بالله من هفوات اللسان و زلّات البيان.

و قد روى الشارح المعتزلي في الشرح بعض الروايات في هذا المعنى من كتاب الكامل للمبرّد، و كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني، و مروج الذهب للمسعودي و غيرها على غير نظم و ترتيب، و استطرفت بعض ما اوردها، لاشتماله على أشعار جيده و أحببت أن لا يخلو الشرح منها.

فأقول: في الشرح سئل بعض شيوخ بني اميّه عقيب زوال الملك عنهم ما كان سبب زوال ملكهم؟ فقال: جار عمّالنا على رعيّتنا فتمنّوا الراحة منّا، و تحومل على أهل خراجنا فحملوا عنّا، و خربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، و وثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا، و امضوا امورا دوننا أخفوا علمها عنّا، و تأخّر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا، و استدعاهم عدونا فظافروه على حربنا، و طلبنا أعدائنا فعجزنا منهم لقلّة أنصارنا، و كان استتار الأخبار عنا من أوكّد أسباب زوال ملكنا و فيه لما أتى أبو العباس برأس مروان سجد فأطال، ثم رفع رأسه و قال:

الحمد لله الذي لم يبق ثارنا قبلك و قبل رهطك، الحمد لله الذي أظفرنّا بك و أظهرنا عليك، ما ابالي متى طرقت الموت، و قد قتلت بالحسين عليه السلام ألفا من بني اميّه و احترق شلو هشام بابن عمّي زيد بن عليّ كما أحرقوا شلوه و تمثّل:

لو يشربون دمي لم يروشا ربهم و لا دمائهم جمعا ترؤيني

ثم حوّل وجهه إلى القبلة فسجد ثانيه ثم جلس فتمثّل:

أيا قومنا ان تنصفونا فأنصف قواطع فى أيماننا تقطر الدّما

إذا خالطت هام الرجال تركتها كبيض نعام فى الثرى قد تحطما

ثمّ قال: فأما مروان فقتلناه بأخى إبراهيم، و قتلنا ساير بنى اميّه بحسين عليه السّلام و من قتل معه و بعده من بنى عمّنا أبى طالب.

و فيه عن أبى الفرج الاصفهاني قال حدّث الزبير بن بكار عن عمه أنّ السّفاح «سديفا ظ» أنشد يوما قصيده مدح بها أبا العباس و عنده قوم من بنى اميه كان آمنهم على أنفسهم فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتهم؟ فقال: هيهات و الله لا يقول أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا:

ما نقوموا من بنى اميّه إلاّ أنهم يحلمون إن غضبوا

و أنهم معدن الملوك فما تصلح إلاّ عليهم العرب

فقال له يا ماص كذا من امّه و أنّ الخلافة لفى نفسك بعد خذوهم فاخذوا فقتلوا و روى أبو الفرج أيضا أنّ أبا العباس دعا بالعداحين قتلوا و أمر ببساط فبسط عليهم فجلس فوقه يأكل و هم يضطربون تحته، فلما فرغ قال ما أعلم أنى أكلت أكله قط كانت أطيب و لا أهنأ فى نفسى من هذه، فلما فرغ من الأكل قال: جرّوا بأرجلهم و ألقوهم فى الطّريق ليلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء، قال: فلقد رأينا الكلاب يجرّ بأرجلهم و عليهم سراويلات الوشى حتّى انتنوا، ثمّ حفروا لهم بئرا فالقوا فيها.

و فيه عن أبى الفرج أيضا فى كتاب الأغانى إنّ سديفا أنشد أبا العباس و عنده رجال بنى اميّه فقال:

يا بن عمّ النّبى أنت ضياء استنابك اليقين الجليّا

جرّد السيف و ارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها امويّا

قطن البغض فى القديم و أضحى ثابتا فى قلوبهم مطويّا

و هى طويله فقال أبو العبّاس: يا سديف خلق الانسان من عجل، ثمّ انشد أبو العبّاس متمثلا:

احيى الضّغايين آباء لنا سلفوا فلن تبيد و للآباء أبناء

ثم امر بمن عنده فقتلوا.

قال أبو الفرج و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمّد بن يزيد المبرّد لرجل من شيعة بنى العباس يحضّهم على بنى اميه:

أيّاكم أن تليّنوا لاعتذارهم فليس ذلك إلّا الخوف و الطّمع

لو انهم أمّنوا أبدوا عداوتهم لكنهم قمعوا(١) بالذلّ فانقمعوا

أليس فى ألف شهر قد مضت لهم سقيتم جرعا من بعدها جرع

حتّى إذا ما انقضت أيام مدّتهم متوا اليكم بالأرحام التى قطعوا

هيّئات لا بدّ أن يسقوا بكأسهم ريّا و أن يحصدوا الزرع الذى زرعوا

إنا و اخواننا الأنصار شيعتكم إذا تفرّقت الأهواء و الشيع

و فيه دخلت احدى نساء بنى اميه على سليمان بن عليّ و هو يقتل بنى اميه بالبصره فقالت: أيها الأمير إنّ العدل ليملّ من الاكثار منه و الاسراف فيه، فكيف لا تملّ من الجور و قطيعه الرحم؟ فأطرق، ثم قال لها:

سننتم علينا القتل لا تنكرونه فذوقوا كما ذقنا على سالف الدّهر

ثم قال: يا أمه الله أوّل راض سنه من يسيرها أ لم تحاربوا عليّا و تدفعوا حقّه؟ أ لم تسمّوا حسنا عليه السّلام و تنقضوا شرطه؟ أ لم تقتلوا حسينا و تسيروا رأسه؟ أ لم تقتلوا زيدا و تصلبوا جسده؟ أ لم تقتلوا يحيى و تمثلوا به؟ أ لم تلعنوا عليّا عليه السّلام على منابرهم؟ أ لم تضربوا أبانا عليّ بن عبد الله بسياطكم؟ أ لم تخنقوا الامام بجراب النوره فى حبسكم؟ ثم قال: أ لك حاجه؟ قالت: قبض عمالك أموالى، فأمر بردّ أموالها عليها.

و فيه لما استوسق الأمر لأبى العباس السّفاح و فد اليه عشره من امراء الشام فحلفوا له بالله و بطلاق نسائهم و بايمان البيعه أنّهم لا يعلمون إلى أن قتل مروان أنّ لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أهلا و لا قرابه إلّا بنى اميه.

ص: ٢٤٣

أقول و ذلك لأنهم أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

الترجمه

از جمله خطب بلیغۀ آن حضرتست که صدر آن متضمن بیان محامد حضرت رسالت‌آب صلی الله علیه و آله و سلم، و ذیل آن اشاره است بأحوال بنی امیه لعنهم الله و مآل کار ایشان چنانچه فرموده:

تا آنکه مبعوث فرموده خداوند متعال محمّد مصطفی را در حالتی که شاهد بود بر امتان، و بشارت دهنده بود بمطیعان، و ترساننده بود عاصیان را، که بهترین خلائق بود در حال کودکی، و کریم ترین مردمان بود در حال پیری، پاکیزه ترین پاک شدگان بود از حیثیت طبیعت، و بخشنده ترین اشخاصی بود که از ایشان امید باران احسان گرفته شود از حیثیت بارش.

پس شیرین نشد از برای شما دنیا در لذّتهای خود، و متمکن نشدید از مکیدن پستانهای آن مگر بعد از این که یافتید آنرا و رسیدید بآن در حالتی که در جولان بود مهار آن، و مضطرب بود تنگ پالان آن.

بتحقیق که گردیده بود حرام آن در نزد طایفه بمنزله درخت سدر پر بار خالی از خار، و حلال آن دور بلکه غیر موجود در نزد اهل روزگار، و یافتید آنرا قسم بخدا در حالتی که سایه بود کشدیده شده تا وقت شمرده شده، پس صفحه زمین از برای شما خالیست از معارض و مانع، و دستهای شما در آن گشاده شده است و دستهای پیشوایان از شما باز داشته شده، و شمشیرهای شما برایشان مسلط است و شمشیرهای ایشان از شما باز گرفته شده.

آگاه باشید بدرستی که هر خونی را خونخواهی است، و هر حقی را طالبی هست، و بدرستی که طالب قصاص در خونهای ما همچو حکم کننده ایست در حق نفس خود و آن عبارتست از حق سبحانه که عاجز نمی کند او را کسی که او سبحانه طلب

کند او را، و فوت نمی شود از او کسی که فرار نماید از او.

پس سوگند می خورم بخدای لایزال ای بنی امیه پس از زمان اندکی هرآینه البته می شناسید دنیا را یا خلاف و امارت را در دستهای غیر خودتان و در خانه دشمنان خود که عبارتست از بنی عباس که انتقال خلافت بایشان شد.

الفصل الثانی

اشاره

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرَفَهُ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَ قَبْلَهُ، أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شَعْلِهِ مَصْبَاحَ وَاعْظُ مَتَّعِظٌ، وَامْتَا حُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رَوَّعَتْ مِنَ الْكَدْرِ، عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَ لَا تَتَّقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشِفَا جَرْفِ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَنْ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يَحْدُثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يَرِيدُ أَنْ يَلْصُقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَ يَقْرَبُ مَا لَا يَتَقَارَبُ، فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يَشْكِي شَجْوَكُمْ، وَ لَا يَنْقُضُ بَرَأْيَهُ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حَمَلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَ الْجَاهِدُ فِي النَّصِيحَةِ، وَ الْإِحْيَاءُ لِلسَّيِّئَةِ، وَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيْهَا، وَ إِصْدَارُ السَّيِّئِهِمَانَ عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَ انْهَوُا غَيْرَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَنَاوُوا

ص: ۲۴۵

عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي.

اللغة

(الطرف) بالفتح نظر العين و (استصبح) بالمصباح استسرج به و (الامتياح) نزول البثر و ملؤ الدلاء منها و (الترويق) التصنيف و منه الرواق بالكسر و هو الصافي من الماء و غيره و (الشفاء) شفير الشيء و جانبه و (الجرف) بالضم و بضمّتين ما تجرّفته السيول و أكلته من الأرض و (الهار) الضعيف الساقط المنهدم يقال هار الجرف يهور هورا فهو هائر و هار كقاض.

و (اشكيت) زيدا بهمزه الأفعال أزلت شكايته و (الشجو) الهمّ و الحزن و (ابرم) الأمر أى أحكمه، و الحبل أى جعله طاقين ثم فتله و (الاصدار) الارجاع من الصدر و هو الرجوع و (السهمان) كالسهم بالضمّ فيهما جمع السهم و هو الحظ و النصيب و (صوّح) النبت أى يبس و تشقّق أو جفّ أعلاه و (المستثار) مصدر بمعنى الاستثارة و هو الانهاض و التهيج.

الاعراب

مصباح فى بعض النسخ بالتّنين فيكون واعظ بدلا و فى بعضها بلا تنوين بالاضافه، و على ذلك فيحتمل أن يكون الاضافه لاميه و أن تكون من اضافه المشبّه به إلى المشبّه من قبيل لجين الماء، و فى نسخه الشارح المعتزلى من شعله بمصباح واعظ بتنوين شعله و اضافه مصباح مع الباء الجاره و هى باء الآله منعلّقه باستصبحوا.

و ينقل الرّدى عن ظهره عن بمعنى على كما فى قوله:

لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب عنى و لا أنت ديّانى فتخزونى

أى لله درّ ابن عمّك لا- أفضلت فى حسب على، و فى أكثر النسخ على ظهره و هو الأنسب، و قوله فالله الله بالنصب فيهما و العامل محذوف أى اتقوا الله، و احذرّكم الله و قوله الابلاغ فى النصيحة بالرفع بدل بعض من ما.

اعلم أنه عليه السلام لما تَبَّه في الفصل السابق على تقصير المخاطبين من بنى اميه و من يحذ و حذوهم فيما يجب عليهم رعايته، و أشار إلى أنَّ المقصرين في حقهم و الظالمين لهم و السَّاعين في دمائهم مؤاخذون بتقصيرهم مجزيون بسوء أعمالهم، عقبه بهذا الفصل حثا لهم على طاعته و ملازمته، و ترغيبا على الاقتباس من أنوار هدايته، و تحذيرا من الركون إلى الجهالة و التيه في بوادى الردى و الضلالة، و صدر ذلك بذكر محاسن التفكير و البصيره توطئه و تمهيدا فقال:

(ألا- إنَّ أبصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه) أراد بنفوذه في الخير رؤيته المحاسن و اتباعها، فإنَّ أفضل ابصار البصر ما يفيد للمبصر بصيره و يجلب له فايده في تحصيل السَّعاده الأبدية و الكمالات النفسانية (ألا إنَّ أسمع الأسماع ما وعى التذكير و قبله) أى أفضل سماع الاسماع أن يحفظ التذكير و المواعظ و يتدبَّر فيها فيقبلها.

(أيها النَّاس استصبحوا من شعله مصباح واعظ متَّعظ) أى استسرجوا من شعله سراج واعظ لغيره متَّعظ في نفسه، فإنَّ من لم يكن متَّعظا في نفسه لا يكون موعظته مؤثره في القلوب، بل تكون القلوب نافره منه و النفوس مشمئزّه قال الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و لا يخفى عليك أنَّ اضافه مصباح إلى واعظ إن كانت من اضافه المشبّه به الى المشبّه فذكر الشعلة و الاستصباح ترشيح للتشبيه و وجه الشبه كونهما من أسباب الهدايه، و إن كانت الاضافه بمعنى اللام فلفظ المصباح استعاره لموعظه الواعظ و الشعلة و الاستصباح ترشيح الاستعاره، و يحتمل أن يكون ذكر الشعلة تخيلا و الاستصباح ترشيحا على ما ذهب إليه بعض البيانين من عدم الملازمه بين التخييل و الاستعاره بالكنايه و إمكان وجوده بدونها، و كذلك لو كان مصباح منونا و واعظ بدلا منه إلا أنَّ المستعار له على الأوّل هو الموعظه، و على الثانى يحتمل أن يكون الموعظه و أن يكون نفس الواعظ

و كيف كان فالإشارة بالواعظ المتعظ إلى نفسه الشريف و مثله قوله: (و امتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر) فانه استعار صفو العين للعلوم الحقه و هو من استعاره المحسوس للمعقول و الجامع أنّ العلم به حياه للأرواح كما أنّ صفو العين به حياه الأبدان و ذكر الترويق و الامتياح ترشيح للاستعاره أو الترويق تخيل و الامتياح ترشيح على ما مرّ و أراد الترويق من الكدر خلوّ تلك العلوم من شوائب الأوهام و بالامتياح أخذها من منبعها و هو أمر لهم باقتباس العلوم الشرعيه و المعارف الحقه منه عليه السلام.

و لما أمر بذلك أردفه بالنهاى عن الركون إلى الجهالة فقال عليه السلام (عباد الله لا تركزوا إلى جهالتكم) أى لا تميلوا إليها (و لا- تنقادوا إلى أهوائكم) أى الأهواء الباطله المخرجه عن كرائم الأخلاق إلى رذائلها و عن حقّ المصالح إلى باطلها (فإنّ النازل بهذا المنزل).

يحتمل أن يكون المراد به من ادّعى الخلافه من غير استحقاق لها الذى وضع نفسه فى مقام و نزل بمنزل ليس له أهليه به و يشعر بذلك ما سيأتى من نهيه عليه السلام عن الشكايه إلى من لا يقدر على ازاله الشكوى و ما ذكر بعده من أوصاف الامام الحقّ عليه السلام.

إلا- أنّ الأظهر بقرينه ما سبق أنّ المقصود به من نزل منزل الركون إلى الجهالة و مقام الانقياد إلى الأهواء، فانه لما نهى عن الركون و الانقياد علّله بذلك و أردفه به، يعنى أنّ من ركن إلى جهالته و انقاد إلى هواه و استبدّ برأيه و استغنى به عن امامه فقد أسّس بنيان دينه على باطل لا قوام له و لا ثبات.

و مثله مثل (نازل بشفا جرف هار) مشرف على السقوط و الانهدام و هو اقتباس من قوله سبحانه:

«أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ»

يعنى من أسيس بنيان دينه على قاعده محكمه هى الحق الذى هو التقوى من الله و طلب مرضاته بالطاعه خير أمن أسيس بنيانه على قاعده هى أضعف القواعد و هو الباطل و النفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلّه الثبات و الاستمساك.

قال الزمخشري فى الكشاف: وضع شفا الجرف فى مقابل التقوى لأنه جعله مجازاً عما ينافى التقوى ثم قال:

فان قلت: فما معنى قوله فانهار به فى نار جهنم؟ قلت لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجىء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف، و ليصور أن المبطل كأنه أسيس بنيانه على شفا جرف من أوديه جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها، و لا ترى أبلغ من هذا الكلام و لا أدل على حقيقه الباطل و كنه أمره منه، هذا.

و لما نبّه عليه السيّلام على أنّ الرّاكن إلى جهالته و المنقاد إلى هواه المستبدّ برأيه الزاعم للاستقلال مقيم على باطل و نازل بمنزل فى معرض السقوط و التهدّم، و كان الباطل مستلزماً للهلاك الدائم، عقّبه بقوله (ينقل الرّدى) أى الهلاك الناشئ عن باطله (على «عن» ظهره من موضع إلى موضع لرأى) فاسد (يحدثه بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق و يقرب ما لا يتقارب) أى يريد اثبات باطله بحجج باطله ثم حذّره عن الرجوع إلى الجهال و عن اتباع أئمه الضلال بقوله: (فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكى شجوكم) أى لا يقدر على إزاله حزنكم برفع الأسباب الموجبه له، و ذلك لعدم بصيرته فى مجارى الامور و عدم معرفته بوجوه المصالح (و لا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم) أى لا يقدر على كشف العضلات و حلّ المشكلات فى المعاش و المعاد لقلّه البصيره و المعرفه، و فى بعض النسخ: و ينقض برأيه بدون لا، و هو أولى، أى لا تشكوا إلى من ينقض برأيه الفاسد و نظره الكاسد ما قد أحكمه الشرع فى حقكم بالآيات الباهره و السنه الزاهره.

ثم لما نهاهم من الرجوع إلى من لا يتمكّن من إزاله الشكوى و الشجوى و لا

يستطيع حلّ المبرمات المغلقات، أردفه بيان ما يجب على الامام بالنسبه إلى رعيته ليعرفوا وظائف الامام و لوازم الامامه، فيتابعوا من اتّصف بها و يراجعوا إليه في أمر الدّين و الدّنيا، و يرفضوا غيره و ينتهوا عنه فقال عليه السّلام (إنه ليس على الامام) الحقّ (إلاّ) القيام ب (ما حمّل من أمر ربّه) و هو امور خمس: (الابلاغ في الموعظه، و الاجتهاد في النصيحة، و الاحياء للسّنه، و إقامه الحدود على مستحقّيتها، و إصدار السّهمان على أهلها) و من المعلوم أنه عليه السّلام قام بتلك الوظائف فأدّى ما حمّله و بالغ في الموعظه و النصيحة و كفى به شهيدا ما ضمنه خطبه الشريفه، و أحىي الشريعه و أمارت البدعه، و أقام الحدود من دون أن يأخذه في الله لومه لائم، و عدل في القسمة شهد بكلّ ذلك المؤالف و المخالف.

و أمّا غيره عليه السّلام من المنتحلين للخلافه فقد قصّروا في ذلك و أحيوا البدعه، و فرّطوا في إجراء الحدود، و فضلوا في قسمه السّهام كما يظهر ذلك بالرجوع إلى ما ذكره الأصحاب من مطاعنهم، و قد تقدّمت في غير موضع من الشرح و تأتي أيضا في مقاماتها اللّائقه، هذا.

و لعلّ غرضه من النفي أعنى قوله عليه السّلام ليس على الامام إلاّ ما حمّل قطع الأطماع الفاسده و التوقّع للتفضّل في القسمة كما كان دأب المتخلفين و ديدنهم.

و لَمّا نهيهم عن الرّكون إلى الجهل و الرّجوع إلى قاده الضلال عرفهم ما يجب رعايته على الامام من لوازم منصب الامامه و أمرهم بالرجوع إليه و بالأخذ من قبسات علمه فقال عليه السّلام:

(فبادروا العلم من قبل تصويح نبته) أى من قبل أن يجفّ نباته، و هو كناية عن ذهاب رونقه أو عن اختفائه بفقدانه عليه السّلام (و من قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله) أى من قبل أن تكونوا مشغولين بتخليص أنفسكم من شرور بنى اميه و فتنها التى ستنزل بكم عن استثاره العلم و تهيججه و استخراججه من عند أهله، و أراد بأهله نفسه الشريف (و انهوا غيركم عن المنكر و تناهوا عنه فانما امرتم بالنتهى بعد التناهى).

قال الشارح المعتزلى: فى هذا الموضع اشكال، و ذلك أنّ لقائل أن يقول النهى عن المنكر واجب على العدل و الفاسق فكيف قال: إنّما امرتم بالنهى بعد التناهى؟ و الجواب إنه لم يرد أنّ وجوب النهى عن المنكر مشروط بانتهاى ذلك الناهى من المنكر، و إنما أراد أنى لم آمركم بالنهى عن المنكر إلاّ بعد أن أمرتكم بالانتهاى عن المنكر فالترتيب إنّما هو فى أمره عليه السّلام لهم بالحالتين المذكورتين لا فى نهيهم و تناهيهم.

فان قلت: فلما ذا قدّم أمرهم بالانتهاى على أمرهم بالنهى؟ قلت: لأنّ إصلاح المرء لنفسه أهمّ من الاعتناء باصلاحه لغيره انتهى.

و أقول: لا- حاجه إلى ما تكلفه فى الجواب، و الأولى أن يقال: إنّ عليه السّلام أمر بالنهى و التناهى معا أوّلا، و هو دليل على وجوب الأمرين كليهما، و اتبعه بقوله:

فإنّما امرتم بالنهى آه تنبيها على أنّ التناهى فى نظر الشارع مقدّم على التّهى و وجوبه أكد، لأنّ إصلاح النفس مقدّم على إصلاح حال الغير، و لأنّ النهى إنما يثمر بعد التناهى، و يكون تأثيره فى النفوس أقوى، و انفعال الطّابع منه أشدّ أو أكد كما يشهد به العقول السليمة و تجربه المستمره و توافقت عليه الشرائع و الآراء و دلّت عليه الأحاديث و الأخبار.

ففى الوسائل عن الكلينى باسناده عن طلحه بن زيد عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله تعالى.

«فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ».

قال عليه السّلام كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا و أمروا فنجوا، و صنف ائتمروا و لم يأمرُوا فمسخوا، و صنف لم يأتمروا و لم يأمرُوا فهلكوا.

و عن الصّدوق باسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال فى وصيته لولده محمّد بن الحنفية: يا بنى اقبل من الحكماء مواعظهم و تدبّر أحكامهم، و كن آخذ الناس

بما تأمر به، و أكف الناس عما تنهى عنه و أمر بالمعروف تكن من أهله، فإن استتمام الامور عند الله تبارك و تعالى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و من الخصال مسندا عن محمد بن أبي عمير رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عامل بما يأمر به تارك لما ينهى عنه، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى، رفيق فيما يأمر رفيق فيما ينهى.

و من المجالس باسناده عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام بم يعرف الناجي؟ فقال: من كان فعله لقوله موافقا فهو ناج، و من لم يكن فعله لقوله موافقا فانما ذلك مستودع.

و عن أبي حمزه عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث وصف المؤمن و المنافق قال عليه السلام: و المنافق ينهى و لا ينتهى و يأمر بما يأتى.

و عن الارشاد للحسن بن محمد الديلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: رأيت ليلة أسرى بى إلى السماء قوما تقرض شفاههم بمقاريض من نار ثم يرمى، فقلت يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: خطباء امتك يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم و هم يتلون الكتاب أ فلا يعقلون.

و الروايات فى هذا المعنى كثيرة و فيما رويناه كفايه لمن له درايه، و فى هذا المعنى قال أبو الأسود الدئلي:

و إذا جريت مع السفيفه كما جرى فكللا كما فى جريه مذموم

و إذا عتبت على السفيفه و لمته فى مثل ما تأتى فأنت ظلوم

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و ابدء بنفسك فانها عن عيبها فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما و عظت و يقتدى بالعلم منك و ينفع التعليم

و الله الهادى و هو الموفق.

فصل دوم از این خطبه متضمن نهی از رکون بجهالت و أمر باقتباس أنوار علم و هدایت است چنانچه فرموده:

آگاه باشید بدرستی که بیناترین چشمها آن چشمی است که نفوذ کند در أمر خیر نظر با بصیرت او، آگاه باشید بدرستی که شنواترین گوشها آن گوشی است که حفظ کند نصیحت را و قبول نماید آنرا.

ای گروه مردمان طلب افروختن چراغ نمائید از شعله چراغ پند دهنده و پند گیرنده، و بکشید دلو آب معرفت را از چشمه صافی زلال که صافی شده باشد از کدورت و تیره گی شبهات باطله.

ای بندگان خدا میل نمائید بسوی جهالت خود، و اطاعت نکنید مر خواهشهای نفسانیۀ خود را، پس بتحقیق که نازل شونده باین منزل نازل شده است بکنار رودخانه سیل برده افتاده در حالتی که نقل میکند هلاکت را بر پشت خود از محلی بمحلی بجهت رأی فاسدی که پدید می آرد آنرا بعد از رأی فاسد دیگر، إرادۀ میکند که بچسباند چیزی را که قابل چسبیدن نیست، و نزدیک گرداند چیزی را که قابل نزدیک شدن نیست.

پس می ترسانم شما را از خدا از این که شکایت کنید بکسی که زایل نتواند نماید اندوه شکایت شما را، و بکسی که نتواند بشکند بارای صائب خود آن چیزی را که محکم شده برای شما، یعنی نتواند حل مشکلات شما را نماید.

بدرستی که نیست بر امام مگر آنچه که بار کرده شده است بر او از أمر پروردگار خود و آن عبارتست از إکمال موعظه و جهد نمودن در نصیحت، و زنده کردن سنت نبویه، و إقامة حدود بر مستحقان آن، و باز گردانیدن سهمها و نصیبها بر اهل آن پس مبادرت کنید بعلم و معرفت پیش از خشک شدن گیاه آن و پیش از این که مشغول شده باشید بخلاصی نفس خود از فتنها از بیرون آوردن علم از نزد اهل آن و نهی کنید از کار زشت و قبیح، و باز ایستید از آن پس جز این نیست که مأمور

شده اید شما بنهی کردن غیر بعد از باز ایستادن خود

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الخامسة من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و شرحها فی ضمن فصلین، و صدرها مرویه فی الکافی باختلاف کثیر تطلع بعد الفراغ من شرح الفصل إنشاء الله تعالى

الفصل الاول

اشاره

الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرايعه لمن ورده، و أعز أركانه على من غالبه، فجعله أمنا لمن علقه، و سلما لمن دخله، و برهانا لمن تكلم به، و شاهدا لمن خاصم به، و نورا لمن استضاء به، و فهما لمن عقل، و لبنا لمن تدبر، و آيه لمن توسم، و تبصره لمن عزم، و عبره لمن اتعظ، و نجاه لمن صدق، و ثقه لمن توكل، و راحه لمن فوض، و جنه لمن صبر، فهو أبلج المناهج، و أوضح الولايج، مشرف المنار، مشرق الجواد، مضى المصاييح، كريم المضممار، رفيع الغايه، جامع الحلبه، متنافس السبقه، شريف الفرسان، التصديق منهاجه، و الصالحات مناره، و الموت غايته، و الدنيا مضماره، و القيمه حليته، و الجنه سبقته.

ص: ٢٥٤

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

حتى أوري قبسا لقابس، و أنار علما لحابس، فهو أمينك المأمون، و شهيدك يوم الدين، و بعثتك نعمه، و رسولك بالحق رحمه، اللهم اقسم له مقسما من عدلك، و اجزه مضاعفات الخير من فضلك، اللهم أعل على بناء البانين بنائه، و أكرم لديك نزله، و شرف منزلته، و آتة الوسيله، و أعطه السناء و الفضيله، و احشرنا في زمرة غير خزايا و لا- نادمين، و لا- ناكبين، و لا ناكثين، و لا- ضالّين، و لا مضلّين، و لا مفتونين. قال السيد (ره) و قد مضى هذا الكلام فيما تقدّم إلّا أنا كثرناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف.

اللغة

(شرع) الله لنا كذا من باب منع أى أوضحه و أظهره و سنّه و الشريعة كالشرع مورد الناس للاستسقا سميت بذلك لوضوحها و ظهورها، قال الأزهريّ و لا تسميها العرب مشرعه حتى يكون الماء عدّالا انقطاع له كماء الأنهار، و يكون ظاهرا معينا و لا يستقى منه برشاء فان كان من ماء الأمطار فهو الكرع بفتحيتين و (السلم) بكسر السين و سكون اللام الصّيح يقال خذوا بالسلم أى بالصّيح و يطلق على المسالم أى المصالح كما يطلق الحرب على المحارب و عليه ما في الزيارة: أنا سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم.

و (توسّم) الشىء تفرّسه و تخيله و (الأبلج) المتّضح من بلج الصّيح أضاء و أشرق و (المنهج) الطريق الواضح المستقيم و (الوليجه) بطانه الرجل و خاصّته،

و فى شرح المعتزلى هو المدخل إلى الوادى و غيره و (المشرف) المرتفع و (المضمار) موضع يضم فيه الخيل للسباق أو زمان التضمير.

و (الحلبة) بالحاء المهملة و الباء الموحدة وزن سجده خيل تجمع للسباق من كل أوب و لا تخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى فى آخر الخيل و (السبقه) محرّكه ما يتراهن عليه المتسابقان و (القبس) الشعلة و (أورى) اشعل و (العلم) محرّكه المنار و الجبل و نحوهما مما يرشد به إلى الطريق و (الحابس) الواقف بالمكان و (النزل) بضمتين ما يهتأ للنزول من الطعام و (السناء) الرّفعة و (الزمره) الجماعه من الناس (و خزى) خزيا من باب علم ذلّ و هان، و خزايا جمع خزيان مثل حيران و حيارى و غير ان و غيارى.

الاعراب

قبسا بالنصب مفعول أورى أى أورى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبسا و لا- يجوز جعله حالا- من فاعل أورى إذ لم يسمع أورى إلا- متعديا يقال: ورى الزند كوعى خرجت ناره و أوريته و ورّيته بالتضعيف أخرجت ناره، و علما منصوب على المفعول أيضا و يحتمل الحال لأن أنار يستعمل متعديا و لازما.

قال الفيومى: النور الضوء و هو خلاف الظلمه و الجمع أنوار، و أنار الصبح أثاره أضاء و نور تنويرا و استنار استناره كلّها لازمه بمعنى، و نار الشئ ينور نيارا بالكسر أضاء أيضا فهو نير و هذا يتعدى بالهمزه و التضعيف انتهى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام ملتقط من فصلين أولهما فى ذكر وصف الاسلام و بيان فضائله، و ثانيهما فى مدح رسول الله و تعظيمه و تبجيله و ذكر أوصافه الكماله، و عقبه بالدعاء الخير عليه صلى الله عليه و آله و سلم

فهو قوله (الحمد لله الذى شرع الاسلام) أى سنّ الاسلام أو أوضحه و أظهره (فسهل شرايعه لمن ورده) شبه الاسلام بنهر جار دائم الجريان و استعار عنه على سبيل الكناية و الجامع أنّ كلّ منهما يروى الغليل و العطشان إلا أنّ الماء يروى من غلل الأبدان و الاسلام من غلّ الأرواح، أو أنّ بكلّ منهما يحصل الطهاره و النظافه إلا أنّ الماء يظهر من القدر و النّجس، و الاسلام من الكفر و الرّجس و استعار الشرائع للاسلام على سبيل التخييل، و المراد أنه سبحانه سهّل موارد العقول لمن أراد الدخول إلى الاسلام.

قال الشارح البحرانى: و تسهيله لها ايضاح قواعده و خطابهاته بحيث يفهمهما الفصيح و الألكن، و يشارك الغبى فى ورد مناهله الفطن الذكى.

(و أعزّ أركانه على من غالبه) استعاره بالكنايه ايضا فانه شبهه بحصن عال و قصر مشيد مستحكم البنيان، و محكم القواعد و الأركان و اثبات الأركان تخييل، و الجامع كونهما محفوظا من أن يهدم و يغالب، يعنى أنه سبحانه أعزّه و حماه من أن يتسلّط عليه المشركون و يغلب عليه الكافرون كما قال تعالى:

«وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا».

(فجعله أمنا لمن علقه) لا يخفى ما فى هذه فقره و ما يتلوها من حسن الخطابه حيث ناط بكلّ واحده من اللفظات لفظه تلايمها و تناسبها لو نيّطت بغيرها لما انطبقت عليها و لا استقرّت فى قرارها، ألا تراه كيف ربّب الأمن على التعلّق، و السّلم.

على الدّخول، و البرهان على التكلّم، و الشهاده على المخاصمه و كذا غيرها، فلو غير الاسلوب و قال: أمنا لمن تكلّم، و برهانا لمن دخل لكان الكلام معيبا مختلّ المعنى خارجا عن قانون الخطابه.

إذا عرفت ذلك فأقول: مراده عليه السّلام بهذه فقره أنه سبحانه جعل الاسلام سببا لأمن من تعلّق به فى الدّنيا من إراقه الدّماء و فى الآخره من النار و من غضب الجبار (و سلما لمن دخله).

قيل: استعار عليه السَّلام لفظ السَّلم باعتبار عدم اذاه لمن دخله فهو كالمسلم له أقول: والأشبه أن يكون المراد أن من دخل الاسلام يكون الاسلام صلحا بينه وبين المسلمين به يحقن دمه و يقرّ على ما يملكه (و برهانا لمن تكلم به) أى من تكلم مصاحبا بالاسلام و متصفا به فهو برهان له بمعنى أن فيه بينه و حججه يدل على حقيته (و شاهدا لمن خاصم به) أى من كان من المسلمين فى مقام المخاصمه بالملل الخارجه فالاسلام شاهد له، يعنى أن فيه ما هو شاهد و يشهد بصحة قوله قال سبحانه:

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ».

قال الطريحي: أى برهان من الله و بيان و حججه على أن دين الاسلام حقّ، و هو دليل العقل و يتلوه أى يتبع ذلك البرهان شاهد يشهد بصحته و هو القرآن (و نورا لمن استضاء به) إذ به يهتدى إلى الجنّة، و يسلك إليه كما يهتدى بالنور (و فهما لمن عقل) إذ بالدخول فيه و برياضه النفس بقواعده و أركانه يتهيأ الذهن لقبول الأنوار الالهيه و فهم الأسرار الحقه فهو سبب للفهم الذى هو جوده تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه فاطلق لفظه عليه مجازا من باب إطلاق اسم المسبب على السبب (و لئلا لمن تدبّر) قال البحرانى: لما كان اللب هو العقل اطلق عليه لفظ العقل و إن كان سببا له، و أراد العقل بالملكه و ما فوقه من مراتب العقل فإن الاسلام و قواعده أقوى الأسباب لحصول العقل بمراتبه (و آيه لمن توسّم) أى علامه يهتدى به إلى الحقّ للمتوسّم و هو المتفرّس المتأمل المتثبت فى نظره حتّى يعرف حقيقه سمى الشىء (و تبصره لمن عزم) يعنى أنه موجب لبصيره من قصد على فعل الخير و تبصره له فى إتيانه به على ما ينبغى أن يكون عليه.

(و عبره لمن اتّعظ) يعنى من كان متديّنا بدين الاسلام و نظر فيما وقع فى القرون الخاليه للام الماضيه و أنهم كيف اختر متهم أيدى المنون و انتسفتهم القرون فهو يعتبر بذلك و يتّعظ به.

و يحتمل أن يكون المراد أن نفس الاسلام عبره للمتّعطين، و ذلك لأنّ من لاحظ رونق الاسلام و نظر في علوّ قدره و ارتفاع كلمته و ظهور سلطانه و ظفر المسلمين على قلّتهم على المشركين مع كثرتهم. يحصل له بذلك عبره و بصيره في الرجوع إلى الحقّ.

(و نجاه لمن صدّق) يعنى أنّه سبب لنجاه من صدّق الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فيما جاء به من عند الله سبحانه به يحصل له الخلاص في الدّنيا من القتل و في الآخرة من العذاب (و ثقّه لمن توكّل) إذ من دان بدين الاسلام و عرف المواعيد الكريمه الثابته في الكتاب و السنّه للمتوكّلين يحصل له بذلك توكّل على الله و حسن ثقّه به (و راحه لمن فوّض) فإنّ المسلم إذا كمل إسلامه و فوّض أمره إلى الله سبحانه كفاه الله جميع أموره و أراحه من الاهتمام لها و به يشعر قوله سبحانه:

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ».

(و جنّه لمن صبر) أى من صبر على ما فيه من مشاقّ الطّاعات و كلفه العبادات الماليه و البدنيّه يكون الاسلام وقايه له و جنّه من عذاب النّار و حرّ الجحيم.

(فهو أبلغ المناهج) أى معروف الطرق و سيّاتى بيانها (و أوضح الولايج) أى ظاهر البواطن و الاسرار لمن نظر إليه بعين الاعتبار، أو أنه واضح المداخل معروف المسالك كما مرّ في تفسير قوله عليه السّلام فسّهّل شرايعه لمن ورده (مشرف المنار) أى رفيعه الاعلام، و سيّاتى بيان ذلك أيضا (مشرق الجواد) و هو قريب من أبلغ المناهج (مضىء المصابيح) المراد بها إما الأدلّه و البراهين الداله على حقيّته من الكتاب و السنّه، و استعار لها لفظ المصباح باعتبار أنها يهتدى بها إليه كما يهتدى بالمصباح في الظلمات، و إمّا الأئمه الهادون إليه و المرشدون إلى معالمه، و ذكر الاضائه ترشيع.

(كريم المضممار رفيع الغايه جامع الحلبه متنافس السبقه شريف الفرسان) قال الشارح المعتزلى: كأنه جعل الاسلام كخيل السباق التى مضمارها كريم و غايتها

رفيعه عاليه و حلبتها جامعته حاويه و سبقتها متنافس فيها و فرسانها أشراف.

أقول: أراد بالفرسان المسلمين المؤمنين، و فسير سائر ما كان محتاجا إلى التفسير بقوله (التصديق منهاجه) الذى تقدم وصفه بأنه أبلغ و أراد به التصديق بالله و برسوله و بما جاء به من عند الله سبحانه و الاتيان بلفظ الجمع فيما سبق و بصيغه الافراد هنا أنّ الجمع باعتبار تعدد أفراده و الافراد بملاحظه نفس النوع و معلوم أنّ هذه التصديقات أنوار واضحه الهدى.

(و الصالحات مناره) أراد بها الأعمال الصّالحه و جعلها منارا باعتبار إضاءتها و اشراقها (و الموت غايته) و إنما جعله غايه له باعتبار انقطاع التكليف عنده و انتهائه إليه و وصفه بالرفعه فيما سبق باعتبار أنّه باب الوصول إلى حظيره القدس و الجنّه المأوى التى هى أرفع الغايات و منتهى المقاصد.

(و الدّنيا مضماره) لأنه دار مجاز لا دار قرار، و وصفها بالكرم سابقا باعتبار أنّ فيها يحصل الاستعداد للفوز بالدرجات العاليه و المقامات المتعاليه، و لا ينافى ذلك ما ورد فى ذمّها، لأنه ناظر إلى ذمّ من ركن إليها و قصير نظره فيها و غفل عما وراها، فإنّ من أبصر بها بصرتة، و من أبصر إليها أعمته.

(و القيامه حلبته) أى ذات حلبته و موضعها الذى يجتمع الكلّ فيها من كلّ ناحيه لأنها يوم الجمع (و الجنّه سبقتها) جعلها الله سبحانه جزاء للسابقين، و فى مثلها فليتنافس المتنافسون.

و أما الفصل الثانى

المسوق لبيان تمجيد الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و تعظيمه فهو ما أشار إليه السيّد بقوله (منها فى ذكر النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم حتى أورى قبسا لقابس) أى أظهر نور الحقّ و أخرج شعله الهدايه للطالبيين المهتدين (و أنار علما لحابس) أصل إناره العلم للحابس أن يوقد عليه النار و يستنار ليتهدى به الضّال الحابس أى الذى حبس ناقته و وقف لا يدرى كيف يتهدى المنهج، و استعاره هنا لظهاره صلّى الله عليه و آله و سلّم أنور الهدايه ليتهدى بها من حبسته ظلمه الحيره و الشبهه عن سلوك سبيل الحقّ.

و المراد بأنوار الهدايه المعجزات الباهره و الأدلّه القاهره من الكتاب

و السنّه، و يحتمل أن يكون العلم مستعاراً لأئمة الدين و الاناره كناية عن النصّ عليهم بالامامه (فهو أمينك المأمون) على أداء رسالاتك (و شهيدك يوم الدين) على مخلوقاتك و قد تقدّم تحقيق هذه الشهاده فى شرح الخطبه الحاديه و السبعين (و بعثك نعمه) أى مبعوثك إلى الخلق نعمه عليهم بهدايتهم به إلى جنّتك (و رسولك بالحقّ رحمه) لعبادك أن يقعوا فى مهاوى الهلاك بسخطك كما قال عزّ من قائل:

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» ثمّ دعا فى حقّه صلوات الله عليه و آله بقوله: (اللّهم اقسم له مقسماً من عدلك) أى قسمه و حظاً و نصيباً هو مقتضى عدلك، و هو أن يبلغ نفسه النفيس الذى هو محلّ الرّساله أقصى مراتب القرب و الوصول بماله من الاستعداد و القابليه و الكمالات النفسانيه التى جعلته قابلاً لذلك.

و لما دعا له صلّى الله عليه و آله و سلّم بما يستحقّه زاد على ذلك فدعا له بقوله (و اجزه مضاعفات الخير من فضلك) و سأل بذلك أن يتفضّل عليه بزياده من فضله فيضاعف له الخير بمقتضى فضله و كرمه.

(اللهم اعل على بناء البانين بنائه) و المراد به إمّا إعلاء ما بناه صلّى الله عليه و آله و سلّم من الشريعة و شيده من الدّين على سائر ما شيده الأنبياء و بنوه من الشرائع و الدّين، و إمّا إعلاء ما بناه لنفسه من مراتب الكمال و درجات العزّ و الجلال، و على التقديرين فلفظ البناء استعاره و الاعلاء ترشيح.

(و أكرم لديك نزله) استعار عليه السلام لفظ النزول لما هيأه الله سبحانه فى حقّه صلّى الله عليه و آله و سلّم من الثواب الجزيل و الأجر الجميل (و شرف عندك منزله) فى حظيره القدس (و آتاه الوسيله) و هو امتثال لما طلبه من امته بقوله: سلوا الله لى الوسيله.

قال الشارح البحرانى: دعا عليه السّلام أن يؤتیه ما يتوسّل به إليه و يقربه منه و هو أن يكمل استعدادده لما هو أتمّ القوّه على الوصول إليه.

أقول: وليس بشيء، بل المراد بها ما ورد في الأخبار من أنها أعلا درجه في الجَنَّة لها ألف مرقاه ما بين المرقاه إلى المرقاه حصر الفرس الجواد مأثمه عام، و هي ما بين مرقاه جوهر إلى مرقاه ياقوت إلى مرقاه ذهب إلى مرقاه فضة، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجه النَّبِيِّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لمن كان هذه الدرجه درجته (و اعطه السَّناء) أى الرفعه (و الفضيله).

ثم دعا عليه السَّلام لنفسه. و لصالحى المؤمنين بقوله: (و احشرنا فى زمرة) و جماعته (غير خزايه) و خجلين بمعصيه الله (و لا نادمين) على التفريط فى جنب الله (و لا ناكبين) منحرفين عن سبيل الله (و لا ناكثين) ناقضين لعهد (١) الله (و لا ضالين) عن سواء السبيل (و لا مفتونين) باللغو و الأباطيل.

و اعلم أنّ هذا الفصل أعنى الفصل الثانى من هذا الكلام قد مضى روايته من السَّيد (ره) فى الكتاب و هى الخطبه الحاديه و السَّبعون إلاّ أنّه (ره) كرّره ههنا لما فى الروايتين من الاختلاف و بالمراجعه إليهما يعرف واقعه، و قد قدّمنا فى شرح ما سبق نكات بديعه و فوائد نافعه من أراد الانتفاع فليراجع إليه.

و هنا لطيفه يعجبني ايرادها فى المقام

و هى أنّ الشارح المعتزلى قال بعد الفراغ من شرح هذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السَّلام:

قلت: سألت النقيب أبا جعفر و كان منصفاً بعيداً عن الهوى و العصبية عن هذا الموضع فقلت له: و قد وقفت على كلام الصحابه و خطبهم فلم أر فيهم من يعظم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تعظيم هذا الرجل و لا يدعو كدعائه، فإننا قد وقفنا من نهج البلاغه

ص: ٢٦٢

١- (١) المراد به ما عهده لعباده من أن يعبدوه و يخلصوا له الدين كما قال عز من قائل ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين و أن أعبدونى هذا صراط مستقيم و لقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون منه،.

و من غيره على فصول كثيره مناسبه لهذا الفصل تدلّ على إجلال عظيم و تبجيل شديد منه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

فقال: و من أين لغيره من الصحابه كلام مدوّن لتعلم منه كيفيه ذكرهم للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و هل وجد لهم إلا كلمات متبدّده لا طائل تحتها.

ثم قال: إنّ عليّاً عليه السّلام كان قوى الايمان برسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ و التّصديق له، ثابت اليقين قاطعاً بالأمر متحققاً له، و كان مع ذلك يحبّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ لنسبته منه و تربيته له و اختصاصه به من دون الصحابه و بعد فشرفه له لأنّهما نفس واحده فى جسمين الأب واحد، و الدّار واحده، و الأخلاق مناسبه، فاذا عظّمه فقد عظّم نفسه، و إذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، و لقد كان يودّ أن تطبق دعوه الاسلام مشارق الأرض و مغاربها، لأنّ جمال ذلك لا حق به و عائد إليه، فكيف لا يعظّمه و يبجلّه و يجتهد فى أعلاء كلمته؟! قال الشّارح فقلت له: قد كنت اليوم أنا و جعفر بن مكى الشاعر نتجارى هذا الحديث.

فقال جعفر: لم ينصر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ أحد نصره أبى طالب و بنيه له أمّا أبو طالب عليه السّلام فكفّله و ربّاه ثمّ حماه من قريش عند إظهار الدّعوه بعد إصفاقهم و إطباقهم على قتله، و أمّا ابنه جعفر فهاجر بجماعه من المسلمين إلى حبشه فنشر دعوته بها، و أمّا عليّ عليه السّلام فأنّه أقام عماد المله بالمدينه.

ثمّ لم يمن أحد من القتل و الهواء و التشريد بما منى به بنو أبى طالب أمّا جعفر فقتل يوم بموته، و أمّا عليّ عليه السّلام فقتل بالكوفه بعد أن شرب نقيع الحنظل و تمّنّى الموت، و لو تأخّر قتل ابن ملجم له لمات أسفا و كمداً، ثمّ قتل ابنه بالسّم و السّيف و قتل بنوه الباقر مع أخيههم بالطّف و حملت نسائهم على الأقطاب سبايا إلى الشام و لقيت ذريّتهم و أخلافهم بعد ذلك من القتل و الهوان و الصلب و التشريد فى البلاد و الحبس و الضرب ما لا يحيط الوصف بكنهه، فأى خير أصاب هذا البيت من نصرته و محبّته و تعظيمه بالقول و الفعل؟

فقال و أصاب فيما قال: فهلاً قلت:

«يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

ثم قال إنّ الله زوى الدّنيا عن صالحى عباده و أهل الاخلاص له لأنّه لم يرها ثمنا لعبادتهم و لا كفوا لاخلاصهم و أرجا جزائهم إلى دار أخرى غير هذه الدّار فى مثلها فليتنافس المتنافسون.

أقول: لله درّ النّقيب فلقد أبدع فى الكلام و أصاب فى الجواب و راعى الانصاف و جانب الاعتساف و أفصح عن الحقّ و أبان الصّيدق إلّا أنّه لا يكاد ينقضى عجبى منه و من مثله انه مع هذا الفضل و الذّكاء كيف تشبّث بأذيال المتخلفين و لم يتميّك بالعروه الوثقى و الحبل المتين، فإنّ محصّل ما ذكره يرجع إلى وجوه:

الأوّل أنّ غيره عليه السّلام من الصّحابه لم يوجد لهم كلام منظم و لا بيان منتظم حتّى يعرف منه كيفيه تعظيمهم للنّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و تبجيلهم له و لا بدّ أن يكون سرّ ذلك إمّا قلّه معرفتهم بأساس البلاغه أو وهن اعتقادهم فى أمر الرّساله و زعمهم أنّ الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بشر مثلهم يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق، و مثل ذلك لا يستحقّ بهذا التبجيل و الاكرام و التوقير و الاعظام.

الثانى أنّ صدور أمثال هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السّلام كان من قوّه الايمان و الايقان و شدّه التحقيق و التصديق و القطع و اليقين الذى كان له عليه السّلام فى أمر الرّساله و هو بظاهره يفيد أنّ غيره عليه السّلام لم يكن لهم هذا القطع و اليقين و لا لهم معرفه تلك المعرفه و كانوا يظنّونه ظنّاً و ما هم بمعتقدين، و مع ذلك كيف يجوز ترجيحهم عليه و تقديمهم و تأخيرهم و تعظيمهم و تحقيره، و من المعلوم أنّ الخلافه هو النيايه و النائب كلّما كان أشدّ معرفه بمراتب المنوب عنه و أكد يقينا بشئوناتّه كان قيامه بوظايف النيايه و إتيانه بمطلوب المنوب عنه و مقاصده أكمل و أتمّ، و لو لم يكن له معرفه بها فكيف يقوم بالأمر و يتصرّف فيه.

الثالث أنّه كان يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كان له نسبه مخصوصه إليه و اختصاص خاصّ به صلى الله عليه وآله و سلم و لم يكن لسائر الصحابه ذلك الاختصاص و النسبه و المحبّه أقول: و بعد الاعتراف بذلك كيف يجوز القول بخلافه غيره؟ فإنّ تجربه و الوجدان شاهدان على أنّ المراد إذا نزلت به داهيه أو وقع في بليه أو دنا أجله يفوّض أمره إلى خاصّيته و بطانته و يوصى إليه وصيّته و لا يقدّم الأجانب على الأقارب و الأبعد على الخواصّ.

الرابع أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان مع النّبى صلى الله عليه وآله وسلم بمنزله نفس واحده، و هو كذلك فقد شهدت به آيه المباهله، و هى تدلّ على منتهى كماله عليه السّلام و فضله و شرفه و بلوغه فى ذلك الغايه و تقدّمه فيه على الكلّ حيث جعله سبحانه بمنزله نفس النّبى صلى الله عليه وآله وسلم و مع ذلك كلّ كيف جاز ترجيح غيره عليه.

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

و قوله و لقد كان عليه السّلام يودّ أن يطبق دعوه الاسلام مشارق الأرض و مغاربها.

أقول: فلقد كان كذلك و أما غيره فلقد كانوا «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». هذا و أمّا ما رواه من جعفر بن مكى فى المذاكره التى كانت بينه و بينه من أنه لم ينصر أحد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصره أبى طالب عليه السّلام و بنيه و أنّه ما ابتلى أحد فيه صلى الله عليه وآله وسلم بمثل ما ابتلى فيه هؤلاء فهو كما قال إلّا أنه غلط فى قوله و أىّ خير أصاب هذا البيت من نصرته و محبّته و تعظيمه بالقول و الفعل.

أما أولا- فلا-نه ليس لأمثال هؤلاء الجهال أن يتفوّهوا بمثل هذا الكلام الدال على ابداء المغايره بين البيتين و المجانبه بين الجسمين الذين هما بمنزله نفس

و أما ثانيا فلأنه كما قال الثقيب ليس لآل أبي طالب عليه السلام منه في ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل المنه لله و لرسوله على جميع الخلايق.

و أما ثالثا فلأنه لم يكن غرض آل أبي طالب فيما فعلوا من الموازرة و النصره و الحمايه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم و الجهاد بين يديه به صلى الله عليه وآله وسلم و بعده جلب المنفعه و طلب الخير و إنما كان قصدهم إحياء السنه و إعلاء لواء الشريعه و إقامه اعماد الاسلام و المله، طلبا لرضوان الحق، و حبا له و وفاء بعهدده، كما يفصح عن ذلك قوله سبحانه:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» و قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» الآية و قوله: صلى الله عليه وآله وسلم «لاعطين الرايه غدا رجلا يحب الله، الحديث».

و أما رابعا فلأن قوله و أي خير أصاب آه.

إن أراد به خير الدنيا ففيه أن القنيات الدنيويه و زخارفها و زبرجها إنما لها وقع في نظر أهلها لا في نظرهم و إنما هي عندهم بجميع ما فيها أهون و أزهد من عراق(1) خنزير في يد مجذوم.

و إن أراد خير الآخرة فأقول: و أي خير أعظم من أن هذا البيت كان تالي بيت الرساله، فقد جعل الله الرساله في بيت عبد الله و الخلافه في بيت أبي طالب و أنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جوامع الكلم، و عليا عليه السلام جوامع الكلام، و جعله مدينه العلم و الحكمه، و جعل عليا عليه السلام بابها و جعله منه بمنزله هارون من موسى عليه السلام، و جعله و أولاده شهداء دار الفناء و شفعاء دار البقاء و صار نعمه الله على الأبرار و نعمته على الفجار، و فوض إليه سقايه الكوثر و قسمه الجنة و النار و جعله حامل لواء الحمد و أمين مفاتيح الجنة.

ص: ٢٦٦

ففى كشف الغمّه من أمالى الطوسى عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أعطانى الله تبارك و تعالى خمسا و أعطاني خمسا: أعطاني جوامع الكلم و أعطى عليا جوامع العلم، و جعلني نبيا و جعله وصيا، و أعطاني الكوثر و أعطاه السبيل، و أعطاني الوحى و أعطاه الالهام، و أسرا بى إليه و فتح له أبواب السماء و الحجب حتى نظر إلى و نظرت إليه.

إلى غير هذه مما روته الخاصه و العامه و الله ولى التوفيق.

تكملة

الفصل الأول من فصلى هذا الفصل من هذه الخطبه مروى فى الكافى بطريق آخر أحببت إيراده قال:

روى على بن إبراهيم عن أبيه و محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى و عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد جميعا عن الحسن بن محبوب عن يعقوب بن السراج عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام، و بأسانيد مختلفه عن الأصمغ بن نباته قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فى داره أو قال فى القصر و نحن مجتمعون ثم أمر صلوات الله عليه فكتب فى كتاب و قرء على الناس.

و روى غيره أنّ ابن الكوا سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفه الاسلام و الايمان و الكفر و النفاق فقال عليه السلام:

أما بعد فإنّ الله تبارك و تعالى شرع الاسلام و سهل شرايعه لمن ورده و أعزّ أركانه لمن حاربه و جعله عزّا لمن تولاّه و سلما لمن دخله و هدى لمن اتّمسّ به و زينه لمن تجلّله و عذرا لمن انتحلّه و عروه لمن اعتصم به و جبلا لمن استمسك به و برهانا لمن تكلم به و نورا لمن استضاء به و شاهدا لمن خاصم به و فلجا لمن حاجّ به و علما لمن وعاه و حديثا لمن درى و حكما لمن قضى و حلما لمن حرب و لباسا لمن تدبّر و فهما لمن تفتن و يقينا لمن عقل و بصيره لمن عزم و آيه لمن توسّم و عبره لمن اتعظ و نجاه لمن صدّق و تؤده لمن أصلح و زلفى لمن أقرب و ثقّه لمن توكلّ و رخاء لمن

ص: ٢٤٧

فَوْضٍ وَ سَبْقَهُ لِمَنْ أَحْسَنَ وَ خَيْرًا لِمَنْ سَارَعَ وَ جَنَّهُ لِمَنْ صَبَرَ وَ لِبَاسًا لِمَنْ اتَّقَى وَ ظَهِيرًا لِمَنْ رَشَدَ وَ كَهْفًا لِمَنْ آمَنَ وَ أَمْنَهُ لِمَنْ أَسْلَمَ وَ رَوْحًا لِمَنْ صَدَّقَ وَ غَنَى لِمَنْ قَنَعَ.

فذلک الحقّ سبیلہ الہدی و ما ثرته المجد و صفته الحسنی فهو أبلج المنہاج مشرق المنار زاکی المصباح رفیع الغایہ یسیر المضمار جامع الحلہ سریع السبقہ ألیم النقمہ کامل العدہ کریم الفرسان.

فالایمان منہاجہ و الصّالحات منارہ و الفقه مصابیحہ و الدنیا مضمارہ و الموت غایتہ و القیامہ حلبتہ و الجنّہ سبقته و النّار نقمته و التّقوی عدّته و المحسنون فرسانہ.

فبالایمان یستدلّ علی الصّالحات و بالصّالحات تعمر الفقه و بالفقه یرهب الموت و بالموت تختم الدّنیا و بالدّنیا تجوز القیامہ و بالقیامہ تزلف الجنّہ و الجنّہ حسره أهل النّار و النّار موعظه للمتقین و التّقوی سنخ الايمان.

الترجمہ

و از جمله خطب شریفه أن إمام مبین و وارث علم التّبیین است صلّواہ اللّٰہ علیہ و آلہ أجمعین در ذکر فضائل ملّت اسلام و مناقب حضرت سیّد الأنام علیہ و آلہ آلاف التّحیہ و السّلام می فرماید:

حمد بی حدّ معبود بحقی را سزااست کہ پدید آورد و ظاهر نمود دین اسلام را پس آسان گردانید راههای آنرا بجهه کسی کہ بخواهد وارد آن شود، و عزیز گردانید رکنهای آنرا بر کسی کہ بخواهد غلبه آن نماید، پس گردانید آنرا ایمنی از عذاب از برای کسی کہ در آویخت بآن، و صلح و آشتی از برای کسی کہ داخل شد در آن، و دلیل روشن از برای کسی کہ تکلم کرد بآن، و گواه از برای کسی کہ مخاصمه نمود بوسیله آن، و نور هدایت از برای کسی کہ روشنی جست بآن، و فهم از برای کسی کہ عاقل شود، و عقل از برای کسی کہ تدبر نماید، و علامت و نشانه از برای کسی کہ تفرّس و تأمل نماید و آلہ بصیرت از برای کسی کہ صاحب عزم باشد، و عبرت از برای کسی کہ پند گیرد،

و نجات و خلاصی از برای کسی که تصدیق کرد، و وثوق و اعتماد از برای کسی که توکل نمود، و راحت و آسایش مر کسی را که تفویض کرد کار خود را بخدا سپر مر کسی را که صبر نمود برنج و عنا پس آن اسلام روشن تر است راههای آن، آشکارتر است سرّهای آن، بلند است مناره آن، تابانست راههای آن، درخشان است چراغهای آن، گرامیست میدان آن، بلند است نهایی آن جمع کننده است حله آن یعنی اسبانی که فراهم آورده می شود از اطراف و نواحی متعدّد بهجه اسب دوانی و مسابقت.

رغب کرده شده است سبقت آن یعنی چیزی که مقرر شده بهجهت سبقت کننده از اسب دوانها، بزرگوار است سوارهای آن. تصدیق بخدا و رسول راه راست اسلام است، و عملهای صالح مناره او است و مرگ غایت او است، و دار دنیا میدان اسب دوان او است، و روز قیامت صاحب حله او، و بهشت عنبر سرشت سبقه او.

بعضی دیگر از این در ذکر حضرت رسالتآب صلوا الله و سلامه علیه و آله است که فرمود:

تا این که بر افروخت پیغمبر خدا شعله أنوار دین مبین از برای آتش گیرنده اقتباس نور کننده، و روشن گردانید علامت و نشانه را از برای حبس کننده، یعنی کسی که ایستاده باشد در وادی حیرت و ضلالت، و مرکب خودش را نگه بدارد بهجه یافتن راه هدایت.

پس حضرت رسالت آمین مؤتمن تست در تبلیغ احکام، و شاهدتست بر امتان و مبعوث و برانگیخته تست از روی نعمت بر جمیع عالمیان، و رسول تست از روی رحمت بآدمیان.

بار خدایا قسمت بده از برای او حظ وافر را از عدل کامل خودت، و جزا بده باو زیادتیهایی خیر را از فضل شامل خود.

بار خدایا و بلند گردان بر بنای بنا کنندگان بنای او را، و گرامی دار نزد خودت اجر و جزای او را، و بده او را وسیله را، و عطا کن او را بلندی و فضیلت را

و محشور گردان ما را در میان گروه او از مؤمنان و صالحان در حالتی که رسوا و خوار نباشیم نزد خلقان، و نه پشیمانان، و نه از راه راست منحرف شوندگان، و نه شکنندگان عهد و پیمان، و نه گمراهان، و نه گمراه کنندگان، و نه در فتنه افتاده شدگان.

الفصل الثانی

اشاره

منها فی خطاب أصحابه: و قد بلغت من كرامه الله لكم منزله تكريم بها إيمانكم، و توصل بها جيرانكم، و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه، و لا يد لكم عنده، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوه، و لا لكم عليه أمره، و قد ترون عهد الله منقوضه، فلا تغضبون، و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون، و كانت أمور الله عليكم ترد، و عنكم تصدر، و إليكم ترجع، فمكنتم الظلمه من منزلتكم، و ألقيتهم إليهم أزمّتكم، و أسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون في الشبهات، و يسيرّون في الشهوات، و أيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم.

اللغه

(الوصل) ضدّ القطع و (الذمه) العهد و الامان و الضمان و الحرمة و الحقّ و (اليد) النعمه و (أنف) انفا من باب فرح استنكف.

ص: ٢٧٠

الواو في قوله عليه السّلام: و أنتم للحال، و الجملة بعدها حال من فاعل تغضبون، و جملة يعملون في الشبهات استينافيه بيانيه أو حال من الضمير المجرور في أيديهم و لو في قوله: و لو فرقوكم، بمعنى ان الشرطيه إذ لو ابقيت على معناها الأصلّي لدلّت على الانتفاء عند الانتفاء كما في قوله تعالى:

«لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا».

و هو باطل و الاتيان بالشرط و الجواب ماضيين إشاره إلى تصوير غير الحاصل بصورة الحاصل أو تنبيهها على وقوعهما لا محاله.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام كما قال الشّارح المعتزلى خطاب لأصحابه الذين أسلموا مدنهم و نواحيهم إلى جيوش معاويه التى كان يغير بها على أطراف أعمال على عليه السّلام كالأنبار و غيرها ممّا تقدّم ذكرها فى الشرح فقال عليه السّلام لهم (وقد بلغتكم من كرامه الله لكم) بالاسلام بعد ان كنتم مجوسا و صابئة و عبدة أصنام (منزله) عظيمه (تكرم بها امائكم) و عبيدكم و من كان مظنه المهانه و المذله (و توصل بها جيرانكم) أى الملتجئين إليكم من معاهد أو ذمى، فإنّ الله تعالى حفظ لهم ذمام المجاوره لكم حتّى عصم دمائهم و أموالهم، و يحتمل أن يراد به المجاورون فى المسكن.

(و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه و لا يد لكم عنده) كالزّوم و الحبشه، فقد عظموا مسلمى العرب لتقمّصهم بلباس الاسلام و اظهارهم شعاره (و يهابكم من لا يخاف لكم سطوه و لا لكم عليه امره) أى أماره و سلطنه كالملوك فى أقاصى البلاد مثل الهند و الصّين و نحوها، فانهم هابوا دوله الاسلام و إن لم يخافوا سطوتها و سيوفها

و ذلك لأنه شاع و ذاع أنَّهم قوم صالحون إذا دعوا الله استجاب الله دعوتهم و ينصرهم بملائكته و يمدّهم بجنوده، هذا.

و لما قرّر نعمه الله و منته عليهم أردفه بالتوبيخ لهم على التقصير في أداء واجب حقّه، و أشار إلى ارتكابهم بعض مسببات كفران نعمته بقوله: (و قد ترون عهود الله منقوضه فلا تغضبون) أراد بذلك رؤيتهم من أهل الشّام و أمثالهم فعل المنكرات من مخالفه الأحكام الشرعيه و الأوامر الالهيه و البغى و الخروج على الامام المفترض الطّاعه، و الاغاره على المسلمين و المعاهدين و عدم إنكارهم على ذلك و سكوتهم عليه مع تمكّنهم من إزالته و دفعه بالجهاد و الجدل.

و بالجملة فالمراد أنكم ترون عهود الله التي أخذها على العباد باتيان الواجبات و ترك المنهيات منقوضه فلا تنكرونها و تسكتون عليه (و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون) و تستكفون، و لا ريب أنَّ السكوت عن انكار تلك المنكرات مع الاستتكاف عن نقض ذمم الآباء يدلّ على أنَّ عهود الله سبحانه أهون و أضعف عندهم من عهود آبائهم، و هو في حدّ الكفر.

(و كانت امور الله عليكم ترد و عنكم تصدر و إليكم ترجع) قال العلامة المجلسي (ره) أي أنتم المخاطبون بالأوامر و النواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيام الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم موارد الامور و مصادرها مطيعين له منكرين للمنكرات، و كان المراد بالورود السّؤال و بالصدور الجواب و بالرجوع التحاكم. و يمكن تعميم المراد بالورود و الصّيدور، فالمراد بالرجوع رجوع النفع و الضرر في الدارين.

و قال الشّارح المعتزلي: كانت الأحكام الشرعيه إليكم ترد منّي و من تعليمي إياكم و تثقيفي (١) لكم، ثمّ يصدر عنكم إلى من تعلّمونه إياها من أتباعكم و تلامذتكم، ثمّ يرجع إليكم بأن يتعلّمها بنوكم و إخوتكم من هؤلاء الاتباع و التلامذه.

ص: ٢٧٢

(ف) فررتم من الزحف لما أغارت جيوش الشام عليكم و (مكنتم الظلمه من منزلتكم) بتخاذلكم عن جهادكم (و ألقيتم إليهم أزمّتكم) كالذابه التي زمامها بيد راکبها یوجهها أين شاء و يتصرّف فيها كيف یشاء (و أسلمتم أمور الله فی أیدیهم) اى جعلتم امور الله و أحكامه الجاریه فی بلاده و عباده مسلّمه مفعّوضه إليهم موكوله إلى آرائهم، و كلّ ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم.

(یعملون فی) التكاليف الشرعيه و الأحكام الالهيه با (الشبهات) الفاسده و الآراء الکاسده یزعمونها حججا باهره و براهین ساطعه (و یسرون فی الشهوات) النفسانيه و ینهمکون فیها.

ثمّ أخبر بمآل حال بنی امیه المشار إليهم بالظلمه تحذیرا لهم و إنذارا بقوله: (و ایم الله لو فرّقوكم تحت كلّ کوكب) و بدّدوكم فی البلاد (لجمعکم الله لشرّ یوم لهم) و ینتقم بسوء أعمالهم عنهم، و کئی بشرّ الیوم عن ظهور المسوره من أهل العراق و خراسان و انتقامهم من بنی امیه و أهل الشام، و یحتمل أن یكون إشاره إلى ظهور إمام الزّمان علیه السّلام و جمعهم فی الرّجعه، و المراد جمع صنفهم و الله ولیّ التّوفیق.

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه شریفه در خطاب بأصحاب خود و توبیخ و ملامت ایشان بتقصیر از جهاد أهل شام و أتباع معاویه بی ایمان است می فرماید:

و بتحقیق که رسیدید شما از کرامت و نوازش حضرت عزّت مر شما را که عبارتست از مشرف نمودن شما بشرف اسلام بمنزله و مقامی که گرامی داشته می شود بسبب آن منزلت کنیزهای شما، و پیوند می شود أشخاصی که در امان شما می باشند از أهل ذمه و معاهدین، و تعظیم میکند شما را کسی که هیچ فضیلت و مزیتی نیست شما را بر او، و هیچ نعمتی نیست شما را در نزد او، و می ترسد از شما کسی که نمی ترسد از قهر و غلبه شما، و نیست مر شما را بر او امارت و حکومت.

و بتحقیق می بینید شما عهدهای خداوند شکسته شده پس غضب نمی کنید

و متغیر نمی شوید و حال آنکه شما از برای شکستن عهدهای پدران خود استنکاف دارید، و بود آمرهای خدا بر شما وارد می شد و از شما صادر می گردید و بشما راجع بود.

پس تمکین دادید ظالمین را از بنی امیه و بنی مروان و سایر اهل شام بمنزل خودتان، و بیفکندید بسوی ایشان جلو خودتان، و مطیع و منقاد شدید بایشان و سپردید کارهای خدا را در دست ایشان عمل میکنند آنها بشبههای باطله، و سیر میکنند در شهوات و خواهشات نفسانیه، و بخدا سوگند اگر پراکنده کنند ایشان شما را در زیر هر آخری هر آینه جمع کند شما را خدا برای بدترین روزی که از برای ایشانست، که عبارتست از روز ظهور امام زمان علیه السلام.

و من خطبه له علیه السلام فی بعض ایام صفین و هی المأه

اشاره

و السادسة من المختار فی باب الخطب

و قد رأیت جولتکم و انحیازکم عن صفوفکم، تحوزکم الجفاه الطغام، و أعراب أهل الشام، و أنتم لهامیم العرب، و یأفیخ الشرف، و الأنف المقدم، و السینام الأعظم، و لقد شفی و حاوح صدری أن رأیتکم بآخره تحوزونهم کما حازوکم، و تزیلونهم عن مواقفهم کما أزالوکم، حسا بالنضال، و شجرا بالرماح، ترکب أولیهم أخراهم کالابل الهمیم المطروده، ترمی عن حیاضها، و تذاذ عن مواردھا.

ص: ۲۷۴

(جال) الفرس فى الميدان يجول جوله و جولانا قطع جوانبه، و جال القوم جوله انكشفوا ثم كزوا و (انحاز) الرجل إلى القوم بمعنى تحيز إليهم، قال تعالى: أو متحيزا إلى فئة، أى مائلا إلى جماعه من المسلمين، و فى القاموس انحاز القوم تركوا مراكزهم و (حزت) الشئ جمعته و ضمته و حزته أيضا غلبته و (الجفاه) جمع جاف و هو الغليظ من الناس و (الطغام) بالطاء المهمله و الغين المعجمه و زان سحاب الأوغاد من الناس، و هى جمع وغد و هو الأحمق الضعيف الرذل الدنى.

و (العرب) محرکه خلاف العجم مؤنث و هم سكان الأمصار أو عام و الأعراب منهم سكان البادية لا واحد لها و يقال للواحد أعرابى و (اللهميم) جمع اللهموم بالكسر كالقنديل و القناديل و هو السابق الجواد من الناس و الخيل أو جمع اللهموم بالفتح كاليعسوب و اليعاسيب و هى الناقه الغزيره و السحابه الغزيره القطر و (اليافيخ) جمع يافوخ و هو ملتقى عظم مقدم الرأس و مؤخره و يقال لمعظم الشئ أيضا و (الواحوح) جمع الوحوحه و هو صوت معه بحح و (الحس) القتل قال تعالى: إذ تحسونهم باذنه، و (الشجر) الطعن و (الهميم) من الابل العطاش.

الأعراب

جمله و أنتم لهايم العرب فى محلّ النصب على الحال من مفعول تحوز، و قوله أن رأيتم على التأويل بالمصدر فاعل شفى، و حسا و شجرا منصوبان على المصدر

المعنى

اعلم أنه قد تقدّم فى شرح الكلام الخامس و الستين روايه هذه الخطبه عن نصر بن مزاحم عن زيد بن وهب باختلاف لما هنا و ظهر لك ثمه أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبه لما انهزم ميمنه أهل العراق ثم عادت إلى موقفها و اجتمعت إلى الأشتر

و حمل الأشر معهم على صفوف أهل الشام و كشف من بازائهم فخطبهم أمير المؤمنين بهذا الكلام فقال:

(وقد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم) أى انكشافكم و ميلكم عن صفوفكم و هو كناية عن هزيمتهم و هربهم عدل عليه السلام فى التعبير عن اللفظ المنفر الى لفظ غير منفر قال الشارح المعتزلى: و هو باب من أبواب البيان لطيف و هو حسن التوصل بايراد كلام غير مزعج عوضا عن لفظ يتضمّن تقرّيعا.

(تحوزكم) أى تغلبكم (الجفاه الطغام) أى الغلاظ الأوغاد (و أعراب أهل الشام) و الإتيان بلفظ الاعراب إمّا بيان للواقع أو تبكيت لأصحابه و توبيخ لهم بأنه لا يليق بمثلهم فى الشرف و السؤدد أن يحوزه أراذل العرب و البدوى منهم و ربما يشعر بذلك قوله عليه السلام (و أنتم لهاميم العرب) و ساداتها (و يآفيخ الشرف) تشبيههم باليآفيخ لكونهم فى علوّهم و شرفهم بالنسبة إلى العرب كاليآفيخ بالنسبة إلى الأبدان (و) كذلك التشبيه بالانف المقدم و السنام الأعظم (و استعاره لفظي الأنف و السنام لهم باعتبار العزّ و الشرف، فإنّ الأنف أعزّ الأعضاء و أشرفها و متقدّم عليها و حسن الوجه به قال الشاعر:

قوم هم الأنف و الأذنان غيرهم و من يساوى بأنف الناقه الذنبا

و هكذا السنام فى عزّته و علوّه بالنسبة إلى باقى أعضاء الجمل (و لقد شفى و حاوح صدرى) و هى كناية عن تألّمه و حرقة قلبه الناشى عن غلبه العدو (أن رأيتكم بآخره) أى آخر الأمر (تحوزونهم كما حازوكم و تزيلونهم عن مواقفهم) و مراکزهم (كما أزالوكم حسّيا بالنضال و شجرا بالزّماح) أى تقتلونهم قتلا بالمراماه، و تطعنونهم طعنا بالزّماح حالكونهم (تركب اوليهم اخرجهم) أى الكتيبة الاولى منهم الكتيبة الاخرى مولّين مدبرين (كالابل الهيم) العطاش المجتمعه على الحياض للشرب (المطروده) بعد اجتماعها (ترمى) بالسهام و تدفع (عن حياضها و تذاذ) و تطرد (عن مواردّها) فإنّ طردها على ذلك الاجتماع يوجب ركوب بعضها بعضا و وقوع بعضها على بعض و كذلك تلك الكتائب.

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار و سید ابرار است در بعض ايام صفين که خطاب نموده بأصحاب خود در وقتی که شکست خوردند و در مقابل اهل شام فرار را برقرار اختیار کردند، پس در مقام تعرض ملامت ایشان فرمود که:

بتحقیق دیدم جولان کردن و هزیمت نمودن و شکست خوردن شما را در صفهای خودتان که جمع می کردند و بهم می چسباندند شما را مردمان زبر و خشن و رذل و عربهای بادیه نشین اهل شام، و حال آنکه شما جوانمردان عربید و سرهای شرف و ادب و بینی و پیشی گرفته بر دیگران و کوهان بزرگتر از همه.

و بتحقیق شفا داد آوازهای سینه مرا آنکه دیدم شما را در آخر کار جمع می کردید و بهم می چسبانید ایشان را چنانچه آنها جمع و حیازت می کردند شما را، و زایل می کردید ایشان را از محلها و مقامهای خودشان چنانچه ایشان شما را زایل می کردند می کشتید و مستأصل می نمودید ایشان را کشتنی با تیر اندازی، و طعن می کردید بایشان طعنه با نیزه ها در حالتی که برهم می نشستند اول ایشان بآخر ایشان مثل شتران تشنه رانده شده که انداخته شده باشند از حوض های خود، و دفع کرده شده باشند از مواضع ورود بر آب.

و من خطبه له علیه السلام و هی من خطب الملاحم و الماء

اشاره

و السابعة من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

الحمد لله المتجلی لخلقه بخلقه، و الظاهر لقلوبهم بحجّته، خلق

ص: ۲۷۷

الخلق من غير رويّه إذ كانت الرّويّات لا تليق إلّا بذوى الضّمائر و ليس بذى ضمير فى نفسه، خرق علمه باطن غيب السّترات، و أحاط بغموض عقايد السّيريرات. منها فى ذكر النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اختاره من شجره الأنبياء، و مشكوه الضّياء، و ذوابه العلياء، و سرّه البطحاء، و مصابيح الظّلمه، و ينابيع الحكمة. منها: طيب دّوار بطّبه، قد أحكم مراهمه، و أحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجه إليه، من قلوب عمى، و آذان صمّ، و ألسنّه بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفله، و مواطن الحيره، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبه، فهم فى ذلك كالأنعام السّائمه، و الصّخور القاسيه، قد انجابت السّرائر، لأهل البصائر، و وضحت محجّه الحقّ لخابطها، و أسفرت السّاعه عن وجهها، و ظهرت علامه لمتوسّمها، ما لى أراكم أشباحا بلا أرواح، و أرواحا بلا أشباح و نسّاكا بلا صلاح، و تجّارا بلا أرباح، و أيقاظا نوّما، و شهودا غيّبا، و ناظره عميا، و سامعه صمّا، و ناطقه بكما.

قد مضى تفسير الملحمة بأنها الحرب و القتال و الوقعه العظيمه فيها و موضع القتال مأخوذه من اشتباك الناس فيها كاشتباك لحمه الثوب بالسدى و (ضمير) الانسان قلبه و باطنه و ما يضمه من الصور، و جمع على الضمائر تشبيها بالسريه و السرائر لأن باب فعيل إذا كان اسما لمذكر يجمع على أفعله و فعلان كرغيف و أرغفه و رغفان و (الستره) بالضم ما استترت به كائنا ما كان و (السريه) كالسر هو ما يكتم و (المشكاه) كوه غير نافذه يجعل فيها المصباح أو عمود القنديل الذى فيه الفتيله أو القنديل.

و (الدوابه) بالضم مهموزا الناصيه أو منتهاها من الرأس أو الطائفه من شعر الرأس و (العليا) بالفتح و المدّ كل مكان مشرف و السماء و رأس الجبل و (السره) ما تقطعه القابله و سرّه الوادى أفضل مواضعه و (البطحاء) و الابطح مسيل واسع فيه زقاق الحصى و (المراهم) جمع المرهم و هو دواء مركّب و طلاء لين يطلى به القروح و الجروح قيل إنّه مأخوذ من الراهمه بالكسر و هو المطر الضعيف و (المواسم) كالمياسم جمع الميسم و هو المكواه و الحديد الذى يوسم به الخيل و غيرها.

و (قدح) بالزندرام الايراء به و استخراج النار منه، و الزند الذى يقدح به النار و هو الأعلى و السّفلى الزنده بالهاء و الجمع زناد كسهم و سهام و (ثقت) النار اتقدت و الكواكب أضاءت و (السائمه) من الأنعام خلاف المعلوفه و (القاسيه) الشديده الغليظه و (انجابت) السّحابه انكشفت و (المحجّه) بالفتح جادّه الطريق و (الخابط) السائر على غير هدى و (سفر) الصبح و أسفر أضاء، و أسفرت المرأه عن وجهها كشفت النقاب عنه و (الشبح) محرّكه سواد الانسان و غيره تراه من بعيد و (النوم) و (الغيب) وزان رّكع و سجّد جمع نائم و غايب و (العمى) و (الصمّ) و (البكم) كلّها بالضمّ.

قال الطبرسى فى تفسير قوله سبحانه:

«صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ».

الأصمّ الذى ولد كذلك و كذلك الأبكم و هو الذى ولد أخرس، و أصل الصمّ السدّ فالصمم سدّ الأذن بما لا يقع منه سمع، و أصل البكم الاعتقال فى اللسان، و هو آفه يمنع من الكلام، و أصل العمى ذهاب الإدراك بالعين، و العمى فى القلب مثل العمى فى العين آفه تمنع من الفهم و يقال: ما أعماه من عمى القلب و لا- يقال ذلك فى العين و إنما يقال ما أشدّ عماء و ما يجرى مجراه.

الأعراب

قوله و ليس بذى ضمير فى نفسه، الجار و المجرور متعلّق بمقدر صفه لضمير أى كائن فى نفسه، و يحتمل على بعد أن يجعل فى بمعنى على و يكون الظرف متعلّقاً بمقدّر حالاً من اسم ليس، أى ليس هو بصاحب ضمير مستقرّاً أو متمكّناً على نفسه، و الأوّل أظهر و أصحّ لاحتياج الثانى إلى تكلف و ابتناؤه على إعمال الفعل الناقص أعنى ليس فى الحال و هو خلاف المشهور.

و قوله عليه السّلام طيب دوّار، الظاهر أنه خبر محذوف المبتدأ أو مذكور فى أصل الكلام و أسقطه السيّد (ره) حين الالتقاط، و يحتمل أن يكون مبتدأ لكونه نكرة موصوفة، و جملة يضع آه، خبره، و جملة قد أحكم، حال من فاعل دوّار، و على الاحتمال الأوّل أعنى جعل طيب خبراً يجوز جعل جملة يضع استينافاً بيانياً و الاشارة بلفظ ذلك إلى طّبه.

و حيث، ظرف مكان ليضع مبيّته على الضمّ للزوم إضافتها إلى الجمل اسميه أو فعلية نحو جلست حيث زيد جالس و حيث جلس زيد، قال ابن مالك فى منظومه النحو:

و ألزموا إضافه إلى الجمل حيث و إذ و إن ينوّن يحتمل

و الحاجه، بالضمّ كما فى أكثر النسخ مرفوع على الابتداء، و خبره محذوف أو فاعل

الفعل محذوف أى حيث كان الحاجه إليه أو حيث الحاجه إليه حاصله و الجملة مجروره المحل باضافه حيث إليها، و فى بعض النسخ بجزّ الحاجه و الأوّل أظهر، لأنّ إضافه حيث إلى المفرد شاذّه كما قال فى قوله: ألا ترى حيث سهيل طالعا بجزّ سهيل على إضافه حيث إليه و ربما قيل: بأنّ سهيل مرفوع على الابتداء و خبره محذوف فحيث مضافه إلى الجملة و التقدير حيث سهيل مستقرّ طالعا و متّبع، خبر لمبتدأ محذوف، و جملة لم يستضيئوا منصوبه المحلّ على الحاليه من مفعول متّبع، و قوله: مالى أريكم أشباحا، استفهام توبيخى، و لا، فى قوله بلا أرواح و بلا أشباح، زايده كما فى قولهم جئت بلا زاد و غضبت من لا شىء و معنى الزيادة أنها وقعت بين شيئين متطالين لا أنها لو اسقطت لم يخلّ المعنى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الفصل الثانى من هذه الخطبه الشريفه فى ذكر الملاحم و الاشاره إلى الوقايح العظيمه و الخطوب التى تكون بعده، و هذا الفصل الذى نحن بصدد شرحه مداره على امور ثلاثه.

الأوّل تحميد الله سبحانه و تمجيده باعتبار نعوته الجلاليه و الجماليه.

و الثانى تبجيل النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و تعظيمه و ترجيحه على الأنبياء و الرّسل.

و الثالث الاشاره إلى بعض كمالات نفسه و كرامات ذاته و أتبعه بتوبيخ الجاهلين من المخاطبين و غيرهم الغافلين عن اقتباس أنواره و اكتساب فيوضاته

اما الاول

فهو قوله (الحمد لله المتجلّى لخلقه بخلقه) أى الظاهر المنكشف لمخلوقاته بواسطه ايجاده و ابداعه المخلوقات بقدرته الشامله و حكمته الكامله، و يجوز أن يكون المصدر الثانى أيضا بمعنى المفعول، فالمعنى أنه سبحانه تجلّى للخلق و أجال معرفته لقلوب عباده بما أوجده من المصنوعات و الموجودات حتّى اشبهت كلّ ذرّه منها مرآه ظهر فيها لهم فهم يشاهدونه على قدر قبولهم لمشاهدته و تفاوت مراتب المشاهده بحسب تفاوت أشعه ابصار البصائر.

وقد تقدّم فى شرح الخطبه الرابعه و الستين فى بيان معنى قوله: و كلّ ظاهر غيره غير باطن «آه» تحقيق أنه تعالى أظهر الأشياء و أجليها و أنّ منتهى ظهوره صار سببا لخفائه فليراجع ثمّه، فإنّ هناك فوايد جمّه.

(و الظاهر لقلوبهم بحجّته) أى الواضح وجوده لقلوب المّذين أنكروه بأوهامهم و ألسنتهم بقيام حجّته الباهره، و أدلّته القاهره عليهم بذلك، فإنّه سبحانه لم يحجبهم عن واجب معرفته، و قد مرّ تحقيقه فى شرح قوله: فهو الذى تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود، فى الخطبه التاسعه و الأربعين.

(خلق الخلق من غير رويّه) و فكر فى كيفيه خلقه لأنّ الفكر عباره عن حرّكه القوّه المفكّره فى تحصيل المطالب من المبادئ و انتقالها منها و اليها، و هى محال عليه سبحانه.

أما أولا فلما أشار اليه بقوله:(اذ كانت الرّويات لا تليق إلّا بذوى الضّماير) و القلوب و المشاعر البدنيه (و ليس بذى ضمير فى نفسه) فليس له سبحانه رويه و أما ثانيا فلأنّ فايده الرويه هو تحصيل المطالب المجهوله من المعلومات و الجهل محال على الله سبحانه، و قد تقدّم ذلك فى شرح الفصل الثالث من خطبه الاشباح و هى الخطبه التسعون.

(خرق علمه باطن غيب السّترات) أى نفذ علمه فى كلّ مستتر و غايب بحيث لا يحجبه ستر و لا يستره حجاب (و أحاط بغموض عقايد السّريات) أى بمادقّ و خفى من عقايد أسرار القلوب كما قال تعالى:

«وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى» و قد مرّ بيان علمه بالسّرائر فى شرح الخطبه الخامسه و الثمانين

و أما الثانى منها

و هو الذى فى ذكر النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و تبجيله و تعظيمه فهو قوله (اختاره من شجره الأنبياء) استعار عليه السّلام لفظه الشجره لصنف الأنبياء باعتبار أنّ هذا الصنف له فروع و أثمار و أوراق كالشجره، ففروعه أشخاص الأنبياء و آحادهم

و أثماره العلوم و الكمالات و الكرامات التى لهم، و أوراقه المؤمنون و المخلصون من امهم (و مشكاه الضياء) قال البحرانى (ره) استعار عليه السلام لفظ المشكاه لآل إبراهيم و وجه المشابهه أن هؤلاء قد ظهرت منهم الأنبياء و سطع من بينهم أنوار النبوه و الهدايه كما يظهر نور المصباح من المشكاه.

أقول: هذا مبنى على كون المشكاه بمعنى القنديل أو الكؤه و على كونها بمعنى عمود القنديل الحامل للفتيله فوجه المشابهه هو أن هؤلاء محال أنوار النبوه باعتبار أن أكثر الأنبياء فيهم كما أن المشكاه محلّ النور.

(و ذوابه العلياء) قال الشارح: و يشبه أن يشير به إلى قريش، و وجه المشابهه تدليهم فى اغصان الشرف و العلو عن آبائهم كتدلى ذوابه الشعر عن الرأس أقول: و هو مبنى على كون الذوابه طايفه من الشعر و أما على كونها بمعنى الناصيه فوجه المشابهه بروز شرفهم و ظهور علوهم و فضيلتهم، كما أن الناصيه بارزه ظاهره و لها تفضيل على ساير الأعضاء فى العزه و الجلاء.

(و سرّه البطحاء) أى أوسطها من باب استعمال المقيد فى المطلق كالمشفر فى شفه الانسان أو أفضلها، و على كل تقدير فالمراد بالبطحاء مكه للمسيل الواسع الذى فيه و يسمّى بالأبطح، قال الشارح المعتزلى: و بنو كعب بن لوى يفتخرون على بنى عامر بن لوى بأنهم سكنوا البطاح و سكنت عامر بالجبال المحيطة بمكه و سكن معها بنو فهر بن مالك رهط أبى عبيده بن الجراح و غيره قال الشاعر:

فحللت منها بالبطاح و حلّ غيرك بالظواهر

و قال بعض الطالبين:

و أنا بن معتلج(١) البطاح اذا غدا غيرى و راح على متون ظواهر

يفترّ عني ركنها و حطيمها كالجنن يفتح عن سواد الناظر

كجبالها شرقى و مثل سهولها خلقى و مثل طبائهنّ مجاورى

ص: ٢٨٣

(و مصابيح الظلمه و ينابيع الحكمة) استعار عليه السلام لفظ المصابيح و الينابيع للأنبياء الأدلاء على الحق باعتبار أنهم يهتدى بهم من ظلمه الجهالة و يروى ربيهم من غلل (١) الضلاله.

و أما الثالث منها

فهو قوله عليه السلام (طبيب دؤار بطبه) استعار عليه السلام لفظ الطبيب لنفسه الشريف باعتبار كونه معالجا لأسقام الأرواح كمعالجه الأطباء لأمراض الأبدان، و ذكر الدوار ترشيح للاستعاره، و وصفه به إشاره إلى كماله لأن الدوار أكثر تجربه و حذاقه من غيره، و رشحها أيضا بقوله (قد أحكم مراهمه) أى أتقنها و منعها من الفساد، و بقوله (و أحمى مواسمه) أى أسخنها و هيأها ليكوى بها، و يمكن أن يكونا من باب الاستعاره التمثيليه فيكون المراد باحكام المراهم البشاره بالثواب أو الأمر بالمعروف، و باحماء المواسم الانذار من العقاب أو النهى عن المنكر.

و قوله عليه السلام (يضع من ذلك) أى من طبه أو من كل مراهمه و مواسمه (حيث) كانت (الحاجه إليه من قلوب عمى) فيفتح عماها باعدادها لقبول أنوار العلم و الهدايه (و آذان صم) فيشفى صممها و يعدّها لقبول المواعظ و النصايح (و ألسنه بكم) فيعالجها و يعدّها للتكلم بالحقّ و القول بالصدق.

(متتبع بدوائه مواضع الغفله و مواطن الحيره) و هى قلوب الجهّال و ضماير الضلال، هذا.

و لا- يخفى عليك أنّه لو كان الاشاره بلفظه ذلك في قوله عليه السلام: يضع من ذلك، إلى المراهم و المواسم لا بدّ أن يكون قوله، قد أحكم مراهمه و أحمى مواسمه، من باب التمثيل على سبيل الاستعاره، إذا المراهم و المواسم بمعناها الحقيقي لا ينفعان للقلوب المتّصفه بالعمى، فلا- معنى لوضعها فيها، و لو كان المشار إليه به الطبّ كان جمله يضع و ما يتلوها إلى قوله: و مواطن الحيره، من باب التجريد، فيكون كلامه جامعا بين الاستعاره التحقيقيه و الترشيح و التجريد، حيث ذكر لفظ الطّبيب و أراد

ص: ٢٨٤

نفسه، و هو استعاره تحقيقه و قرننها بما يلايم المستعار منه أعنى قوله:دوّار إلى قوله:مواسمه،و هو الترشيح، ثم قرننها بما يلايم المستعار له أعنى قوله:يضع، إلى آخر الكلام، و هو التجريد، و مثله قول الشاعر:

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم

حيث استعار الأسد للرجل الشجاع و وصفه بشاكي السلاح و هو تجريد لملايمه المستعار له، و رشحه بذكر اللبد و الأظفار لمناسبه المستعار منه فافهم ذلك و اغتنم.

ثم لا يخفى عليك أنّ وصفه عليه السّلام القلوب بالعمى باعتبار أنّ القلب جار مجرى العين و غريزه العقل فيه جاريه مجرى قوّه البصر فى العين و قوّه الابصار لطيفه تفقد فى العمى و يوجد فى البصير، و كذلك القوّه العقلانيه فى القلب الجاهل دون العاقل فنسبه البصيره الباطنه إلى القلب كنسبه الابصار إلى البصر إلّا أنّه لا مناسبه بينهما فى الشرف لأنّ القلب بمنزله الفارس و البدن بمنزله الفرس و عمى الفارس أضّرّ عليه من عمى الفرس، و لموازنه البصيره للبصر الظاهر سمّاه الله تعالى باسمه فقال:

«ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى».

سمّى إدراك الفؤاد رؤيه كما سمّى عدم إدراكه عمى فى قوله:

«فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» و فى قوله «مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا».

و لما كان عمى القلب أضّرّ على الانسان من عمى البصر، و معالجته أهمّ أثر القلوب على الأبصار و قال: و قلوب عمى، و لم يقل و أبصار عمى، و قد استفيد من كلامه عليه السّلام أنّ القلوب و الآذان و الألسنه الموصوفه بالأوصاف المذكوره كلّها مريضه محتاجه إلى الطبيب.

و هو كذلك، فإنّ كلّ عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاصّ به و مرضه أن يتعدّر عليه فعله الذى خلق لأجله حتّى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه بنوع من الاضطراب.

فمرض اليد أن يتعدّر عليها البطش، و مرض الاذن أن يتعدّر عليها السّماع و مرض العين أن يتعدّر عليها الابصار، و مرض اللسان أن يتعدّر عليه التكلّم، و مرض القلب أن يتعدّر عليه فعله الخاص الذى خلق لأجله و هو العلم و الحكمه و المعرفة و حبّ الله و عبادته و التلذذ بذكره و إثارة ذلك على غيره و الاستعانة بجميع الأعضاء عليه كما قال:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» ففي كلّ عضو فايده مخصوصه، و فائده القلب الحكمه و المعرفة و خاصيه النفس التى للآدمى ما يميّز بها عن البهائم، فانه لم يميّز عنها بالقوه على الأكل و الوقاع و الابصار و نحوها، بل بمعرفه الأشياء على ما هى عليه و أصل الأشياء و موجدتها و مخترعها هو الله سبحانه، فلو عرف كلّ شىء و لم يعرف الله تعالى فكأنه لم يعرف شيئاً، و هو علامه لمرض قلبه كما أنّه لو لم يؤثّر المواعظ و النصايح فى اذنه، و العبر و الآيات فى نظره و لم يجرى الحقّ على لسانه عرف بذلك أنّ هذه الجوارح منه مريضه، لكونها علامات لمرضها يستدلّ بها عليها فلا بدّ له من معالجتها و الخلاص من ألمها.

و ربّما يحصل له الغفله عن مرضه فلا- يمكن له العلاج- بنفسه، فيلزم حينئذ وجود طبيب حاذق دوّار بطّبه ليبتّيه على مرضه و يداوى له، و ليس ذلك إلّا أمير المؤمنين عليه السّلام و الطيّبون من أولاده، فإنّ غيرهم من الأطباء أعنى سائر العلما قد استولى عليهم المرض، و الطبيب إذا كان بنفسه مريضاً كيف يعالج غيره، فهو طبيب الهى متتبع بدوائه مواضع الغفله و مواطن الحيره معالج لأمراض القلوب و أسقام الأرواح و النفوس و آفات الأعضاء و المشاعر.

و قد روى بعض القدماء فى أصل له عن الرضا عليه السلام مسندا عن عمار بن ياسر قال: بينا أنا أمشى بأرض الكوفة إذ رأيت أمير المؤمنين عليه السلام جالسا و عنده جماعه من الناس، و هو يصف لكل انسان ما يصلح له، فقلت له: يا أمير المؤمنين أ يوجد عندك دواء الذنوب؟ فقال عليه السلام: نعم اجلس، فجثوت على ركبتى حتى تفرّق عنه الناس، ثم أقبل علىّ و قال: خذ دواء أقول لك، قال: قلت: قل يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: عليك بورق الفقر، و عروق الصبر، و هليلج الكتمان، و بليج الرضا، و غاريقون الفكر، و سقمونيا الأحزان و اشربه بماء الأجفان، و أغله فى تبخير الغلق، و دع تحت نيران الفرق، و صفّه بمنخل الأرق، و اشرب على الحرق، فذاك دواؤك و شفاؤك يا عليل.

و روى فى الاحتجاج عن أبى محمّد العسكرى عن علىّ بن الحسين زين العابدين عليهم السلام أنه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام قاعدا ذات يوم فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدعين للفلسفه و الطبّ، فقال له: يا أبا الحسن بلغنى خبر صاحبك و أنّ به جنونا و جئت لاعالجه فلحقته قد مضى لسبيله و فاتنى ما أردت من ذلك، و قد قيل لى: إنّك ابن عمّه و صهره و أرى بك صفارا قد علاك و ساقين دقيقين و ما اريهما تقلانك(١) فأما الصّيفار فعندى دوائه، و أما السّاقان الدّقيقان فلا حيله لتغليظهما و الوجه أن ترفق بنفسك فى المشى تقلله و لا تكثره و فيما تحمله على ظهرك و تحتضنه بصدرك أن تقللها و لا تكثرهما، فإنّ سايك دقيقان لا يؤمن عند حمل ثقيل انقصافهما(٢) و أما الصّفار فدواؤه عندى و هو هذا.

و اخرج دواء و قال: هذا لا يؤذيك و لا يخيسك و لكنه يلزمك حميه من اللّحم أربعين صباحا ثم يزيل صفارك.

فقال له علىّ عليه السلام: قد ذكرت نفع هذا الدّواء الصّفارى فهل تعرف شيئا يزيد فيه و يضرّه؟ فقال الرّجل: بلى حبه من هذا و أشار الى دواء معه، و قال: إن تناول الانسان و به صفار أماته من ساعته و إن كان لاصفار به صار به صفار حتى يموت فى يومه.

ص: ٢٨٧

١- (١) أى تحملاّنك من اقلّته أى حملته.

٢- (٢) القصف الكسر

فقال عليه السّلام له فأرني هذا الضارّ، فأعطاه إياه فقال له عليه السّلام كم قدر هذا؟ قال قدر مثقالين سمّ نافع قدر كلّ حبه منه يقتل رجلا، فتناوله علىّ عليه السّلام فقمحه و عرق عرقا خفيفا و جعل الرّجل يرتعد في نفسه و يقول: الآن اوخذ بابن أبي طالب و يقال قتلته و لا يقبل مني قولي انه هو الجاني على نفسه، فتبسّم علىّ عليه السّلام و قال: يا عبد الله أصحّ ما كنت بدنا الآن لم يضرني ما زعمت أنه سمّ ثمّ قال عليه السّلام: فغمّض عينيّك فغمض ثمّ قال: افتح عينيّك ففتح و نظر إلى وجه علىّ عليه السّلام فاذا هو أبيض أحمر مشرب الحمرة فارتعد الرجل لما رآه، فتبسّم علىّ عليه السّلام و قال: أين الصّفار الذي زعمت أنه بيّ؟ فقال: والله لكأنّك لست من رأيت قبل كنت مصفارا و أنت الآن مورّد فقال علىّ عليه السّلام: فزال عني الصّفار بسمّك الذي تزعم أنه قاتلي.

و أمّا ساقاي هاتان و مدّ رجليه و كشف عن ساقيه، فأنّك زعمت أنّي احتاج إلى أن ارفق ببدني في حمل ما احمل عليه لئلا ينقصف السّاقان و أنا اريك أنّ طبّ الله عزّ و جلّ طبّ خلاف طبّك، و ضرب بيده إلى اسطوانه خشب عظيمه على رأسها سطح مجلسه الذي هو فيه و فوقه حجرتان احدهما فوق الاخرى و حرّكها فاحتملها فارتفع السّطح و الحيطان و فوقهما الغرفتان.

فغشى على اليوناني فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: صبّوا عليه ماء فصبّوا عليه ماء فأفاق و هو يقول: و الله ما رأيت كاليوم عجبا، فقال له، علىّ عليه السّلام هذه قوّه السّاقين الدّقيقين و احتمالهما أفي طبّك هذا يا يوناني.

فقال اليوناني: أمثلك كان محمّدا؟ فقال علىّ عليه السّلام: و هل علمي إلّا من علمه، و عقلي إلّا من عقله و قوّتي إلّا من قوّته، لقد أتاه الثّقفي و كان أطبّ العرب فقال له صلّى الله عليه و آله و سلّم: إن كان بك جنون داويتك، فقال له محمّد صلّى الله عليه و آله أتحبّ أن اريك آيه لتعلم بها غناى عن طبّك و حاجتك إلى طبّي؟ فقال: نعم، قال: أى آيه تريد؟ قال:

تدعو إلى ذلك العذق(١) و أشار الى نخله سحوق فدعاها فانقلع أصلها من الأرض

ص: ٢٨٨

١- (١) العذق بالفتح النخلة بحملها و السحوق من النخلة الطويله، ق

و هي تخذ الأرض خذاً حتى وقفت بين يديه، فقال عليه السلام له: أكفاك؟ قال: لا، قال: فتريد ما ذا؟ قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت منه و تستقر في مقرها الذي انقلعت منه، فأمرها، فرجعت و استقرت في مقرها.

فقال اليوناني لأمر المؤمنين عليه السلام: هذا الذي تذكره عن محمد غايب عني، و أنا أقتصر منك على أقل من ذلك، أنا أتباعك فادعني و أنا لا أختار الاجابه، فان جئت بي إليك فهو آيه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا إنما يكون آيه لك وحدك لأنك تعلم من نفسك أنك لم ترده و إنني لازلت اختارك من غير أن باشرت مني شيئاً أو ممن أمرته بأن يباشرك، أو ممن قصد إلى اجبارك و ان لم امره إلا ما يكون من قدره الله القاهرة و أنت يا يوناني يمكنك ان تدعى و يمكن غيرك أن يقول اني و اطاعتك على ذلك، فاقترح ان كنت مقترحا ما هو آيه لجميع العالمين.

قال اليوناني إن جعلت الاقتراح إلى فأنا أقترح أن تفصل أجزاء تلك النخلة و تفرقها و تباعد ما بينها ثم تجمعها و تعيدها كما كانت.

فقال علي عليه السلام: هذه آيه و أنت رسولي إليها يعني إلى النخلة فقل لها: إن وصي محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يأمر أجزائك أن تفرق و تباعد.

فذهب فقال لها: فتفاصلت و تهافت و تناثرت و تصاغرت أجزائها حتى لم ير لها عين و لا أثر حتى كأن لم تكن هناك نخلة قط.

فارتعدت فرائض اليوناني و قال: يا وصي محمد رسول الله قد أعطيتني اقتراحي الأول فاعطني الآخر فأمرها أن تجتمع و تعود كما كانت.

فقال علي عليه السلام: أنت رسولي إليها فعد فقل لها: يا أجزاء النخلة إن وصي محمد رسول الله يأمرك أن تجتمعي و أن تعودي كما كانت.

فنادى اليوناني فقال ذلك: فارتفعت في الهواء كهيئة الهباء المنثور ثم جعلت تجتمع جزء جزء منها حتى تصور لها القضبان و الأوراق و اصول السعف و شماريخ الأعذاق ثم تألفت و جمعت و استطالت و عرضت و استقر أصلها في مستقرها و تمكن

عليها ساقها و ترفت على الساق قضبانها و على القضبان أوراقها و فى اكمتها أعذاقها و كانت فى الابتداء شماريخها متجّده بعدها من أوان الرطب و البسر و الخلال.

فقال اليونانى: و اخرى احبّ أن تخرج شماريخها خلالها و تقلّبها من خضره إلى صفره و حمره و ترطيب و بلوغ أناه لتأكل و تطعمنى و من حضرك منها فقال علىّ عليه السّلام: أنت رسولى إليها بذلك فمرها به.

فقال لها اليونانى يأمرك أمير المؤمنين عليه السّلام بأن تظهرى لنا رطباً فأخلت، و أبسرت و اصفرت و احمرت و ترطبت و ثقلت اعذاقها برطبها.

فقال اليونانى: و اخرى احبّها أن تقرّب من بين يدى أعذاقها أو تطول يدى لتناولها و احبّ شىء إلى أن تنزل إلى إحداها و تطول يدى إلى الاخرى التى هى اختها.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: مد اليد التى تريد أن تناولها و قل يا مقرّب البعيد قرّب يدى منها، و اقبض الاخرى التى تريد أن ينزل العذق إليها و قل يا مسهلّ العسير سهّل لى تناول ما يبعد منها، ففعل ذلك و قاله: فطالت يمناه فوصلت إلى العذق، و انحطت الاعذاق الاخر فسقطت على الأرض و قد طالت عراجينها ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنك إن أكلت منها و لم تؤمن بمن أظهر لك عجايبها عجل الله عليك من العقوبه التى يبتليك بها ما يعتبر به عقلاء خلقه و جهّالهم.

فقال اليونانى: إنى إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت فى العناد و تناهيت فى التعرّض للهلاك، أشهد أنّك من خاصه الله صادق فى جميع أقوالك عن الله فأمرنى بما تشاء أطعتك.

قال على عليه السّلام: آمرك أن تفرد الله بالوحدانيه و تشهد له بالجود و الحكمة و تنزّهه عن العبث و الفساد، و عن ظلم الاماء و العباد، و تشهد أنّ محمّداً الذى أنا وصيّهُ سيّد الأنام، و أفضل رتبه اهل الاسلام «دار السلام خ»، و تشهد أنّ عليّاً الذى أراك ما أراك، و أولاك من النعم ما أولاك خير خلق الله بعد محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أحقّ

خلق الله بمقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعده و بالقيام لشرايعه و أحكامه، و تشهد أنّ أوليائه أولياء الله و أعدائه أعداء الله، و أنّ المؤمنين المشاركين لك فيما كلفتك المساعدين لك على ما به أمرتك خير أمّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و صفوه شيعته.

و آمرک أن تواسى اخوانك المطابقين لك على تصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم و تصديقي، و الانقياد له ولى ممّا رزقك الله و فضلك على من فضلك به منهم، تسدّ فافتهم، و تجبر كسرهم، و خلّتهم، و من كان منهم فى درجتك فى الايمان ساويته فى مالك بنفسك و من كان منهم فاضلا عليك فى دينك أثرته بمالك على نفسك حتى يعلم الله منك أنّ دينه أثر عندك من مالك، و إنّ أوليائه أكرم عليك من أهلك و عيالك.

و آمرک ان تصون دينك و علمنا الذى أودعناك و أسرارنا التى حملناك و لا تبد علومنا لمن يقابلها بالعناد و يقابلك من أجلها بالشتيم و اللعن و التناول من العرض و البدن و لا تفش سرّنا إلى من يشنع علينا و عند الجاهلين بأحوالنا و يعرض أوليائنا لبوادر الجهال.

و آمرک أن تستعمل التّقيه فى دينك فإنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» و قد أذنت لك فى تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه، و فى إظهار البراءة منا إن حملك الوجل عليه، و فى ترك الصلاه المكتوبات إذا خشيت على حشاشتك الآفات و العاهات، فإنّ تفضيلك أعدائنا علينا عند خوفك لا ينفعهم و لا يضرّنا، و إنّ إظهار براءتك ممّا عند تقيتك لا- يقدح فينا و لا- ينقصنا، و لأنّ تتبرّء ممّا ساعه بلسانك و أنت موال لنا بجانك لتبقى على نفسك روحها التى بها قوامها و مالها الذى به قيامها و جاهها الذى به تماسكها و تصول من عرف بك و عرفت به من أوليائنا و إخواننا و أخواتنا من بعد ذلك بشهور و سنين إلى ان يفرّج الله تلك الكربه و تزول تلك النعمه فإنّ ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك، و تنقطع به عن عمل فى الدّين و صلاح

و إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَتَرَكَ التَّقِيَّةَ الَّتِي أَمَرْتَكُ بِهَا، فَانْكَ شَايِطُ بَدْمَكَ وَ دِمَاءُ إِخْوَانِكَ، مَعْرُضٌ لِنَعْمِكَ وَ نَعْمَتِهِمْ عَلَى الزَّوَالِ، مِثْلُ لَكَ وَ لَهُمْ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ دِينِ اللَّهِ، وَ قَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِاعْزَازِهِمْ، فَانْكَ إِذَا خَالَفْتَ وَصِيَّتِي كَانَ ضَرْرُكَ عَلَى نَفْسِكَ وَ إِخْوَانِكَ أَشَدَّ مِنْ ضَرْرِ النَّاصِبِ لَنَا الْكَافِرِ بِنَا.

وَ قَدْ ذَكَرْتُ الرِّوَايَةَ بِتَمَامِهَا عَلَى طَوْلِهَا لِاشْتِمَالِهَا عَلَى مَنَاقِبِ دُثْرِهِ وَ فَوَائِدِ جَمِّهِ، وَ تَضَمَّنَهَا تَوْضِيحُ الطَّبِ الْإِلَهِيِّ.

ثُمَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِدَوْرَانِهِ بِطَبِّهِ وَ تَتَبَعَهُ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، وَ تَفَقَّدهَ حَالَ مَرْضَاءِ الْقُلُوبِ وَ الْأَفْعَدَةِ أَرَدَفَهُ بِتَوْبِيخِ الْغَافِلِينَ الْحَائِرِينَ الْجَاهِلِينَ الْمُفْتُونِينَ بِعَدَمِ رَجْوِهِمْ إِلَيْهِ وَ تَدَاوِيهِمْ بِهِ وَ اهْتِدَائِهِمْ بِأَنْوَارِهِ وَ أَخَذَهُمْ مِنْ عُلُومِهِ وَ حُكْمِهِ وَ بَقَائِهِمْ عَلَى مَرْضِهِمْ وَ ابْتِلَائِهِمْ بِالْآلَامِ وَ الْأَسْقَامِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحُكْمِ) أَيْ لَمْ يَكْتَسِبُوا شَيْئًا مِنْ أَنْوَارِ الْعُلُومِ وَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ (وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ) أَيْ لَمْ يَسْتَخْرِجُوا الْمَطَالِبَ الْحَقَّةَ بِالْعُلُومِ الْمُضِيئَةِ اسْتِخْرَاجَ النَّارِ بِالزِّنَادِ (فَهُمْ فِي ذَلِكَ) الْمَعْنَى أَيْ فِي عَدَمِ الْاسْتِضَاءِ وَ الْقُدْحِ (كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ) فِي الْغَفْلَةِ وَ الْإِنْخِرَاطِ فِي سَلَكِ الْغَضَبِ وَ الشَّهْوَةِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (وَ الصَّخُورُ الْقَاسِيَةُ) فِي الْقِسَاوَةِ وَ عَدَمِ اللَّيْنِ بِسَمَاعِ الْآيَاتِ الْحَقَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعِيدِ ذَلِكُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَدْ انْجَابَتِ السَّيَرَاتُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ) أَيْ انْكَشَفَتْ، قَالَ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ (رَه): وَ الْمُرَادُ بِالسَّرَائِرِ مَا أَضْمَرَهُ الْمَعَانِدُونَ لِلْحَقِّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ اطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَ هَدْمِ أَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ، وَ قَالَ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ: إِشَارَةٌ إِلَى انْكَشَافِ مَا يَكُونُ بَعْدَهُ لِنَفْسِهِ الْقُدْسِيَّةِ وَ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ مِنْ اسْتِيلَاءِ بَنَى أَمِيهِ وَ عَمُومِ ظَلَمِهِمْ أَوْ انْكَشَافِ أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ لِأَهْلِهَا.

(وَ وَضَحَتْ مَحَجَّةَ الْحَقِّ لِخَاطِبِهَا) أَيْ لِمَنْ سَارَ فِيهَا عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَ لَعَلَّ

المراد به الاشارة إلى عدم العذر للخابطين في خبطهم و جهالاتهم مع وضوح معالم الدين و التنبيه على أنّ ضلالهم ليس لخفاء الحق، بل للاصرار على الشقاق و النفاق.

(و أسفرت الساعه عن وجهها) و هذه الفقره و ما يتلوها وارده في مقام التحذير و الانذار بقرب القيامه و شبهها بانسان مقبل و أثبت لها الوجه الذى هو من خواص المشبه به على سبيل الاستعاره التخييليه، فإنّ أول ما يبدو من الشخص المقبل وجهه و ذكر الاسفار ترشيح.

(و ظهرت علامه لمتوسّيها) أى لمتفرّسها قال المجلسي (ره): و المراد باسفار الساعه و ظهور علامه قرب القيامه بعدم بقاء نبى ينتظر بعثته و ظهور الفتن و الوقايع التى هى من أشراتها.

(ما لى أراكم أشباحا بلا- أرواح و أرواحا بلا- أشباح) هذا الكلام يفسّر بوجوه أحدها أنّ المراد بالفقره الأولى تشبيههم بالجمادات و الأموات فى عدم انتفاعهم بالعقل و عدم تأثير المواعظ فيهم كما قال تعالى: «كَانَتْهُمْ حُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ»، و بالفقره الثانيه التنبيه على خفتهم و طيشهم.

الثانى أنّ المراد الاشاره إلى قصورهم عما يراد بهم من القيام بأمر الجهاد و التنبيه على أنّ بعضهم بمنزله الميت و الجماد و كجسد بلا- روح و بعضهم له عقل و فهم و لكن لا قوّه له على الحرب كروح بلا جسد، فإنّ الروح غير ذات الجسد ناقصه عن الاعتماد و التحريك اللذين كانا من فعلها، حيث كانت تدبّر الجسد فالمقصود أنّ الجميع عاطلون عمّا يراد منهم.

الثالث أنّه كناية عن عدم نهوض بعضهم إلى الحرب دون بعض إذا دعوا إليه كما يقوم البدن بدون الروح و الروح بدون البدن.

الرابع أنّ المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم و طارت ألبابهم و كانوا كأجسام بلا أرواح، و إذا آمنوا تركوا الاهتمام بأمورهم كأنهم أرواح لا تعلّق لها بالأجسام.

(و نسّاكا بلا صلاح) أى عبّادا ليست عبادتهم على وجه الخلوص و بالوجه المأمور به مقرونه بالشرايط المعبره، فإنّ منها معرفه الامام و طاعته.

(و تجارا بلا- أرباح) لعدم ترتب الثواب أو المنفعه على أعمالهم (و أيقاظا نوما) أى أيقاظا بأجسامهم و نوما بنفوسهم فى مراقده الطبعه و مهاد الغفله (و شهودا غيبا) أى شاهدین بأبدانهم غائبین بعقولهم عن التفتن للمطالب الحقه و التلقى لأنوار الهدایه (و ناظره عمیا) أى ناظره الأبصار عمیا بالبصایر (و سامعه صمّا) أى سامعه بالأذان صمّا بالقلوب (و ناطقه بکما) أى ناطقه بالألسن الظاهر بکما بالمشاعر الباطنه.

و استعاره لفظ العمی و الصمّ و البکم لهم مع توصیفهم بأضدادها باعتبار تقصیرهم و قصورهم عن النظر فى آیات الله و السماع لنداء الله و القول بكلام الله فهؤلاء حیث لم ینتفعوا بالأبصار و الألسن و الآذان صاروا بمنزله: صمّ بکم عمی فهم لا یعقلون.

الترجمه

و از جمله خطب شریفه آن امام مبین و حبل الله المتین است، و آن از جمله خطبها ئیست که ذکر فرموده در آن حوادث روزگار و فتنهای خونخوار را چنانچه فرموده:

حمد بقیاس معبود بحق را سزااست که ظاهر است و هویدا بخلق خود بسبب ایجاد فرمودن مخلوقات خود، و آشکار است از برای قلوب منکرین با دلیلهای روشن و متین خود، خلق کرد مخلوقات را بدون فکر و رویه از جهت این که فکرها لایق نیست مگر بصاحبان قلبها و نیست خداوند متعال صاحب قلب در نفس خود، و نافذ شد و درید علم او باطن آنچه که غایب است از امور مستوره، و اجاطه کرد به پنهانی عقیدههای غیر ظاهره.

بعض دیگر از این خطبه در ذکر اوصاف حضرت خاتم الأنبیاء علیه آلاف التحیه و الثنا است چنانچه می فرماید:

اختیار نمود حضرت عزّت آن جناب را از شجره طیبه پیغمبران، و از چراغدان روشنی و از چنین مکان عالی و از نافه مکه معظمه و از چراغهای تاریکی و ظلمت و از

بعض دیگر از این خطبه اشاره است بفضایل خود و ملامت اصحاب می فرماید طیبی است حاذق که بسیار گردنده است با طب خود در حالتی که محکم نموده مرهم های خود را، و گرم نموده آلهای داغ خود را می گذارد آن طیب طب خود را بمحلی که حاجت بوده باشد بآن از قلبهای کور و گوشهای کر و زبانهای کنک، تتبع کننده است آن طیب بدوای خود محلّهای غفلت و موطنهای حیرت را کسب روشنی نکرده اند ایشان بروشنیهای حکمت و عرفان، و آتش نیفروخته اند بآتش زنه های علمهای درخشان، پس ایشان در این ظلمت و غفلت مانند چهارپایان چرا کننده هستند، و مثل سنگهای سخت می باشند.

بتحقیق که منکشف ظاهر شد سرها بجهه اهل بصیرت ها، و واضح و روشن گردید جاّده حق از برای خبط کننده گمراه، و کشف نقاب نمود قیامت از روی خود، و ظاهر گشت علامت قیامت از برای دریابنده آن بفراست.

چیست مرا که می بینم شما را قالبهای بی روح، و روحهای بی غالب، و عبادت کنندگان بیصلاحیت، و تجارت کنندگان بی منفعت، و بیداران خواب رفته، و حاضران غایب شونده، و بینایان کور، و شنوندگان کر، و گویندگان لال، یعنی شما بحسب مشاعر ظاهره بیدار و حاضر و بصیر و سمیع و ناطق می باشید، و بملاحظه مشاعر باطنه در خواب و غایب و کور و کر و لال هستید.

الفصل الثانی

اشاره

رایه ضلاله قد قامت علی قطبها، و تفرقت بشعبها، تکیلکم بصاعها، و تخبطکم بباعها، قائدها خارج من المله، قائم علی الضله، فلا یبقی یومئذ منکم إلا ثفاله کثفاله القدر، أو نفاضه کنفاضه

العكم، تعر ككم عرك الأديم، و تدوسكم دوس الحصيد، و تستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّ البطينه من بين هزيل الحبّ. أين تذهب بكم المذهب، و تنيه بكم الغياهب، و تخذعكم الكواذب، و من أين تؤتون، و أنى تؤفكون، و لكلّ أجل كتاب، و لكلّ غيبه إياب، فاستمعوه من ربّانيكم، و أحضروه قلوبكم، و استيقظوا إن هتف بكم، و ليصدق رائد أهله، و ليجمع شمله، و ليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرز، و قرفه قرف الصّمع، فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، و ركب الجهل مراكبه، و عظمت الطّاغيه، و قلّت الدّاعيه، و صال الدّهر صيال السّبع العقور، و هدر فنيق الباطل بعد كظوم، و تواخى النّاس على الفجور، و تهاجروا على الدّين، و تحابّوا على الكذب، و تباغضوا على الصّدق.

فإذا كان ذلك كان الولد غيظا، و المطر قيظا، و تفيض اللّثام فيضا و تغيض الكرام غيضا، و كان أهل ذلك الزّمان ذئابا، و سلاطينه سباعا، و أوساطه أكالا، و فقراءه أمواتا و غار الصّيدق، و فاض الكذب، و استعملت المودّه باللسان، و تشاجر النّاس بالقلوب، و صار الفسوق نسبا، و العفاف

اللغة

(القطب) حديده تدور عليها الرّحى و ملاك الأمر و مداره، و سيد القوم و (الشعب) بضم الأوّل و فتح الثّانى جمع شعبه كغرفه و غرف و هى الطائفه من الشّىء، و من الشجره الغصن المتفرّع منها، و فى بعض النسخ لشعبها بفتح الأوّل و سكون الثّانى وزان فلس و هى القبيله العظيمه.

و (الخط) بالفتح ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، و خبط البعير الأرض بيده ضربها و (الباع) قدر مدّ اليدين و (ثقاله) القدر بالضمّ ما سفل فيه من الطبخ و الثقل ما استقرّ تحت الشّىء من الكدر و (النفاضه) بالضمّ ما سقط من المنفوض من نفّض الثوب حرّكه لينتفض و (العكم) بالكسر العدل و نمط تجعل فيه المرأه ذخيرتها.

و (داس) الرّجل الحنطه دقّها ليخرج الحَبّ من السّنبِل و (البطينه) السّمينه و (الهزيل) ضدّ البطين و (تاه) يتيه تيهها بالفتح و الكسر تحيّر و (الغيب) الظلمه و الشديّد السّواد من الليل و (تؤتون) بالبناء على المفعول و (الرّبانى) منسوب إلى الرّبّ و فسّر بالمتألّه العارف باللّه، أو الذى يطلب بعلمه وجه اللّه، أو العالم العامل المعلمّ و (الرائد) الذى يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء و مساقط الغيث و (الفلق) الشّقّ و (الخرزه) محرّكه الجوهريّ و ما ينظم و (قرفت) الشّىء قرفا من باب ضرب قشرته.

و (الصمغ) ما ينحلب من شجر العضا و نحوها و فى القاموس و لكلّ شجر صمغ و الصمغ العربى غراء القرظ و الواحد صمغه و الجمع صموغ مثل تمر و تمره و تمر فى المثل، و تركته على مثل مقرّف الصمغه، و يروى مقلع لأنّ الصمغه إذا قرفت لم يبق لها أثر.

و (الهدر) ترديد الصوت فى الحنجره من غير شقشقه و (الفنيق) بتقديم النون على الياء وزان أمير الفحل المكرّم لا يؤذى لكرامته على أهله و لا يركب و (الكظوم) الامسك و السكوت و (القيظ) بالطاء صميم الصيف و فى بعض النسخ فيضا بالضاد أى كثيرا.

و (اكّالا) بالضّم و التّشديد جمع آكل مثل طلاب و قال الشّارح المعتزلى بعد روايته أكالا بفتح الهمزه و تخفيف الكاف يقال ما ذقت أكالا أى طعاما، ثم قال:

و فى هذا الموضع اشكال لأنه لم ينقل هذا الحرف إلّا- فى الجحد خاصه كقولهم ما بها صافر فالأجود الزوايه الاخرى و هى آكالا بمدّ الهمزه على افعال جمع أكل و هو ما اكل كقفل و أقفال، و قد روى أكالا بضم الهمزه على فعال و قالوا إنه جمع أكل كعرق و عراق و ظئر و ظوار إلّا- أنّه شاذّ عن القياس و وزن واحدهما مخالف لوزن اكال لو كان جمعا و (غار) الماء فى الأرض ذهب و (فاض) أى كثر حتى سال.

الاعراب

قوله رايه ضلاله خبر لمبتدأ محذوف، و جمله تعر ككم، إمّا صفه لرايه أو حال من فاعل قامت، و الباء فى قوله عليه السّلام اين تذهب بكم المذاهب، للتعديه، و كذا فى قوله تنيه بكم، و إن، فى قوله عليه السّلام إن هتف بكم، بكسر الهمزه شرطيه و فى بعض النسخ بالفتح فيكون مصدرية أى لتهافه بكم، و فاعل فلق راجع إلى الرائد، و الطّاغيه فاعل عظمت و هو مصدر بمعنى الطّغيان و قيل إنه صفه لمحذوف أى الفئه الطّاغيه، و كذا الداعيه تحتل الوجهين.

المعنى

أعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام منقطع عمّا قبله التقطه السيّد (ره) من كلامه و أسقط ما قبله على ما هو عادته فى الكتاب و لعلّه إشاره إلى ما يأتى و يحدث فى آخر الزمان من الفتن كظهور السفينانى و غيره و لما كان المخبر به محقق

الوقوع لكونه مأخوذاً من معدن الرسالة متلقى من الوحي الالهي بدء الكلام بالجمله الماضويّه مقرونه بحرف التحقيق فقال عليه السلام (رايه ضلاله) أى هذه رايه ضلاله (قد قامت على قطبها) و هو كناية عن انتظام أمرها (و تفرّقت بشعبها) أى بطوايفها فيكون كناية عن انتشار فتنها فى الآفاق و تولّد فتن اخرى عنها أو بفروعها فيكون استعاره تشبيها لها بالشجره ذات الأغصان المتفرّعه عنها.

و فى شرح المعتزلى ليس التفرّق للرّايه نفسها بل لنصارها و أصحابها، فحذف المضاف و معنى تفرّقهم أنهم يدعون إلى تلك الدّعوه مخصوصه فى بلاد متفرّقه أى تفرّق ذلك الجمع العظيم فى الأقطار و اعين إلى أمر واحد انتهى.

أقول: هذا المعنى مبنيّ على روايه شعبها بسكون العين، و على ذلك فلا حاجه إلى تقدير المضاف إذ نصّ معنى الكلام على ذلك أنه تفرّقت رايه الضلاله بقييلتها.

و قوله: (تكيلكم بصاعها) بصيغه المضارع جريا على الأصل لكون المخبر به من الامور المستقبله، و هو استعاره بالكنايه، و المراد به أنها تأخذكم للاهلا-ك زمره زمره كالكيال يأخذ ما يكيل جمله جمله، أو أنه يقهركم أربابها على الدخول فى أمرهم و يتلا-عبون بكم يرفعونكم و يضعونكم كما يفعل كيال البرّ به إذا كاله بصاعه، أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما فى قوله تعالى: و إذا كالوهم، أى تحملكم على دينها و دعوتها و تعاملكم بما يعامل به من استجاب لها، أو تفرز لكم من فتنها شيئا و يصل إلى كلّ منكم نصيب منها.

(و تخبطكم بباعها) أى تضربكم بيدها كالضارب للشجر بعصاه أو البعير الضارب بيده الأرض و على الوجهين يفيد الذلّه و الانقهار، و التعبير بالباع دون اليد لكونه أبلغ فى افاده قوّه الخبط.

(قائدها خارج عن المله) أى ملّه الاسلام (قائم على الضلّه) أى مصرّ على الضلال (فلا يبقى يومئذ) أى يوم قيامها على قطبها و تفرّقها بشعبها (منكم) إلّا ثفاله كثفاله القدر) و استعار لفظ الثفاله للبقية منهم باعتبار عدم الخير و المنفعه فيهم

و بملاحظه كونهم من الأرذال ليس لهم ذكر بين الناس و لالهم شهره و لا يعتنى بقتلهم كما لا يعتنى بثقاله القدر و لا يلتفت إليها.

و كذلك الكلام فى قوله (أو نفاضه كنفاضه العكم) و المراد بها ما يبقى فى العدل بعد التخليه من غبار أو بقيه زاد لا يعبأ بها فينتفض (تعرككم عرك الأديم) أى تدلككم و تحككم كما يدللك الجلد المدبوغ و يحكك، و أراد به تغليب الفتن لهم و تذللهم بها (و تدوسكم دوس الحصيد) أى تدقكم دق الزرع المحصود المقطوع و أشار به إلى منتهى ذلتهم و اهانتهم.

(و تستخلص المؤمن) أى تشخصه لنفسه (من بينكم) مثل (استخلاص الطير الحب البطينه) السمينه (من بين هزيل الحب) و الغرض به أنها شخص المؤمن بالقتل و الأذى و ايقاع المكروه به و تستخلصه من بين ساير الناس بشده النكايه و الأذيه.

ثم استفهم عليه السلام عنهم على سبيل التقريع لهم و التوبيخ ببقائهم على ضلالتهم و قال (اين تذهب بكم المذاهب) أى الطرق المنحرفه عن الحق، و المراد بها العقائد الفاسده، و اسناد الازهاب إليها على المجاز مبالغه (و تتيه بكم الغياهب) أى تجعلكم ظلمات الجهالات تائها متحيرا فى بواى الضلال (و تخذعكم الكواذب) أى تمكر بكم الامنيات الكاذبه و الأوهام الباطله التى لا أصل لها.

«كَسْرَابٍ بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا».

(من أين تؤتون) أى من أى جهه و طريق يأتىكم من يضللكم من الشياطين أو تأتىكم تلك الأمراض المزمنه (و أنى تؤفكون) أى كيف (١) تصرفون عن قصد

ص: ٣٠٠

١- (١) هذه التفاسير مبنيه على الاختلاف فى معنى أنى الاستفهاميه فقليل انها بمعنى كيف و قليل بمعنى اين و قليل بمعنى متى و الى كل ذهب فريق فى قوله تعالى: نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم و بذلك اختلف آراء الفقهاء فى مسئله جواز الوطى فى الدبر، منه.

السبيل أو أين تقلبون و تذهبون، أو متى يكون انصرفكم عن الغفلة و الجهالة.

و قوله (فلكلّ أجل كتاب و لكلّ غيبه إياب) يحتمل أن يكون منقطعاً عمّا قبله و يكون بينه و بين ما قبله ما يربطه به فأسقط السيد (ره) على مجرى عادته و أن يكون متّصلاً به، فانه لما استفهم عن تيههم و انخداعهم و تقلّبهم توبيخاً و تقرّيعاً و تنبيهاً على غفلتهم عن الحقّ أردفه بذلك توكيداً لما أراد و أشار به الى أنهم ليسوا بمهملين، بل كلّ ما عملوه فى زمان الغفلة محفوظ مكتوب و أنهم ليسوا فى الدّنيا بباقيين، و سوف يخرجون منها و ينزعون فيكون تهديداً لهم بالاشارة إلى قرب الموت و أنهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم، و المعنى أنه لكلّ أمد و وقت حكم مكتوب على العباد، و لكلّ غيبه إياب و رجوع.

ثمّ أكّده ثانياً بقوله (فاستمعوا من ربّائكم) اى اصغوا الحكم و المواعظ و ما ينجيكم من الرّدى و يدلّكم على الرّشاد من المتألّه العارف بالله المبتغى بعلمه وجه الله سبحانه، و أراد به نفسه الشريف (و أحضروه قلوبكم) أراد إقبالهم بكلّهم إليه لا الغيبه بالقلوب و الحضور بالأبدان فقط (و استيقظوا ان هتف بكم) أى استيقظوا من نوم الغفلة إن ناداكم و تتبّوها من رقد الضلّه إن دعاكم (و ليصدق رائد أهله) أى وظيفه الرائد أن يصدق، و فى المثل: الرائد لا يكذب أهله.

و لعلّ المراد بالرائد نفسه أى وظيفتى الصدق فيما اخبركم به ممّا تردون عليه من الامور المستقبلة فى الدّنيا و الآخرة، كما أنّ وظيفتكم التوجّه و الاستماع و احضار القلب (و ليجمع شمله) أى ما تشّتت من أمره، و المراد به الأفكار و العزائم أى يجب علىّ نصحكم و تذكيركم بقلب فارغ من الخطرات و الوسوس، و التوجّه إلى هدايتكم و إرشادكم باقبال تامّ، و يجوز أن يراد بالشّمّل من تفرّق من القوم فى فيافى الضّلاله (و ليحضر ذهنه) فيما يقول و يتفوّه به.

(فلقد فلق) الرائد (لكم الأمر فلق الخرز) أى أوضح لكم أمر الدّين و ما جهلتموه من أحكام الشرع المبين، أو أمر ما يحدث من الفتن ايضاحاً تامّاً، فأظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرز بعد شقّها.

(و قرفه قرف الصمغه) أى ألقاه بكليته اليكم و لم يدخر شيئا عنكم كما أنّ قارف الصمغه لا يترك منها شيئا إذا قرفها و لا يبقى منها أثر بعد قرفها.

و قوله عليه السلام:(فعند ذلك) قال الشارح البحرانى متّصل بقوله من بين هزيل الحبّ. فيكون التشويش من السيّد (ره)، و فى البحار و يمكن أن يكون إشاره إلى كلام آخر سقط من البين.

أقول: و الأظهر أن يكون الاشاره به إلى ما سبق من الأمور المذكوره، أى عند ما قام رايه الضلال على قطبها، و تفرّقت بشعبها، و عركتكم عرك الاديم، و استخلصت المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّ البطين (أخذ الباطل مأخذه) أى ثبت و استحکم (و ركب الجهل مراكبه) أى قوى سلطانه و ظهر شوكته (و عظمت الطاغيه) أى الطغيان و الضلال أو الفتنة الطاغيه (و قلت الداعيه) أى الدّعوه إلى الحقّ أو الفرقة الداعيه إلى الهدى.

(و صال الدّهر) و حمل على أهله(صيال السّبع العقور) تشبيه الدّهر بالسبع فى الصّيال باعتبار كونه منشأ لتلك الشرور و المفسد (و هدر فنيق الباطل بعد كظوم) تشبيه الباطل بالفنيق باعتبار كونه مكرما عند أهله، و ذكر الهدر و الكظوم من باب ترشيح التشبيه و أراد بهما ظهوره بعد خفائه و خمول أهله فى زمان ظهور الحقّ و قوّته.

(و تواخى الناس على الفجور) أى كان محبّه بعضهم لبعض و اتّصال أحدهم بالآخر على الفجور و اتباع الأهواء (و تهاجروا على الدّين) أى كان مهاجرة بعضهم عن بعض من جهة كون المهجور عنه صاحب معرفه و دين (و تحابّوا على الكذب) و هو من شئون التواخى على الفجور (و تباغضوا على الصّدق) و هو من شئون التّهاجر على الدّين.

(فاذا كان ذلك) و حدثت تلك الامور (كان الولد غيظا) على والده عاقا له أو مبغوضا لوالده لاشتغال كلّ امرء بنفسه من شدّه تلك البليه فيتمنى أن لا يكون له ولد (و المطر قيظا) قد مرّ أنّ القيظ هو صميم الصّيف قال فى البحار فيحتمل

أن يكون المراد تبدل المطر بشده الحر أو قلّه المطر أو كثرته في الصيف دون الربيع و الشتاء، أو المراد أنه يصير سببا لاشتداد الحر لكثرته في الصيف إذ يثور به الأبخرة و يفسد الهواء أو يصير على خلاف العاده سببا لشده الحر، و عن النهايه بعد تفسيره القبط بما ذكرناه قال: و منه حديث أشراط الساعه أن يكون الولد غيظا و المطر قيظا، لأن المطر إنما يراد للنبات و برد الهواء و القبط ضد ذلك هذا و على ما في بعض النسخ من روايه فيضا بالضاد فالمقصود كونه كثيرا مجاوزا عن الحد، لكونه حينئذ مفسدا للزرع و الثمار كما هو المشاهد بالتجربه و العيان (و تفيض اللثام) أى تكثر (فيضا و تفيض الكرام) أى تقل (غيضا) ثم قسم أهل ذلك الزمان بقوله (و كان أهل ذلك الزمان ذئابا و سلاطينه سباعا و أوساطه أكالا و فقراؤه أمواتا) قال البحراني (ره): أهل كل زمان ينقسمون إلى ملوك و أكابر و أوساط و أداني، فإذا كان زمان العدل كان أهله في نظام سلكه فيفيض عدل الملوك على من يليهم، ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهي إلى أداني الناس، و إذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطين سباعا ضاربه مفترسه لكل ذي سمن و كان أهل ذلك الزمان و أكابره ذئابا ضاربه على أوساط الناس، و كانت الأوساط أكالا لهم، و كانت الفقراء أمواتا لانقطاع مادّه حياتهم ممّن هو أعلى منهم رتبه، و تجوز بلفظ الأموات عن غايه الشده و البلاء لكون الموت غايه ذلك إطلاقا لاسم السبب الغائي على مسببه.

(و غار الصديق) أى قلّ و ذهب كالماء الغائر في الأرض (و فاض الكذب) أى كثر و ظهر كالماء الفايض السائل (و استعملت المودّه باللسان و تشاجر الناس بالقلوب) لكثرة التّفاق و غلبه الشقاق (و صار الفسوق نسباً) أى يحصل انسابهم من الزنا، و قيل أى يصير الفاسق صديقا للفاسق حتى يكون ذلك كالنسب بينهم (و) صار (العفاف عجباً) لقلّه وجوده بينهم و ندرته.

(و لبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا) الموجود في النسخ رفع الاسلام على أنه فاعل لبس فيكون من باب المجاز العقلي، و المقصود أنهم لبسوا الاسلام كلبس

الفرو و المقلوب، قال المحدث العلامة المجلسي (ره): الظاهر أنّ المراد به تبدیل شرایع الاسلام و قلب أحكامه و اظهار النيات و الأفعال الحسنه و إبطان خلافها، و فی شرح البحرانی: لما كان الغرض الأصلي من الاسلام أن يكون باطنا ينتفع به القلب و يظهر فيه منفعته، فقلب المنافقون غرضه و استعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم أشبه قلوبهم له لبس الفرو إذا كان أصله أن يكون خمله ظاهرا لمنفعه الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا، و الله وليّ التوفيق.

الترجمه

این رایه رایت گمراهی است که قایم شده بر مدار خود، و پراکنده شده با فرعها و شاخهای خود، کیل کند شما را بصاع خود، و فرو کوبد شما را با دست خود، کشنده آن رایت خارجست از دین ایستاده است بر گمراهی.

پس باقی نمی ماند در آن روز از شما مگر دردی واپس مانده دیک، یا خورده ریز ته مانده مثل خورده ریز ته مانده جوال، بمالد شما را آن رایت مثل مالیدن چرم، و بکوبد شما را مانند کوفتن زرع درویده در خرمن، و برگزیند مؤمن را از میان شما بجهه انداختن در بلا مثل برگزیدن مرغ دانه چاق و فربه را از میان دانه لاغر.

کجا می برد شما را راههای کج، و متحیر می سازد شما را ظلمتهای جهالت، و فریب می دهد شما را آرزوهای کاذبه، و از کجا آورده می شوید، و چه طور برگردانیده می شوید از جاده حق، پس مر هر أجلیرا از آجال کتابیست، و هر غیبت را باز گشتی است.

پس گوش کنید و بشنوید نصیحت را از ربانی خودتان یعنی از کسی که اهل الله است و عارفست بأحكام الله و مراد خود نفس نفیس آن بزرگوار است، و حاضر نمائید بسوی آن ربانی قلبهای خود را، و بیدار شوید از خواب غفلت اگر صدا کند

شما را و باید که راست گوید مرشد قوم باهل خود، و باید که جمع کند آن مرشد تفرقه خواطر خود را، و باید که حاضر سازد ذهن خود را.

پس بتحقیق که شکافت از برای شما کار دین را، و واضح نمود مثل شکافتن مهره که ظاهر شود باطن آن، و مقشّر نمود آن کار را مثل مقشّر نمودن صمغ از درخت، یعنی تمام أمر را بجهه شما القاء نمود و هیچ چیز از آن فرو نگذاشت چنانچه کسی که از درخت صمغ را باز گیرد تمامی آن را باز گیرد که هیچ چیز از آن باقی نمی گذارد.

پس نزد آن حال فرا گیرد باطل محلّ فرا گرفتن خود را، و سوار شود جهالت بر مرکب های خود، و بزرگ شود طغیان، و کم شود دعوت بسوی حق، و حمله آورد روزگار هم چه حمله حیوان درنده گزنده، و آواز دهد شتر نر باطل بعد از سکوت و خاموشی، و مواخاه و آشتی کنند مردمان بر فعل ناشایست، و مهاجرت میکنند و دوری میکنند از یکدیگر بر دین، و دوستی میکنند با یکدیگر بر دروغ، و دشمنی کنند بر راستی.

پس زمانی که حال بر این منوال باشد میباشد فرزند سبب خشم پدر و باران سبب گرمائی و حرارت، و بسیار شوند لئیمها بسیار شدنی، و کم شوند کریمها کم شدنی، و میباشد اهل آن زمان گرگان و پادشاهی آن زمان درندگان و مردمان میانه آن زمان طعمه های ستمکاران، و فقرای آن زمان مردگان، و نقصان پذیرد و فرو می رود راستی، و زیاد می شود دروغ و ناراستی، و استعمال کرده می شود دوستی بزبان، و تشاجر و تنازع می کنند مردمان بقلبها در آن اوان، و بگردد فسق فجور نسب و اصل ایشان، و پاکدامنی و عفت مایه شکفت و تعجب و می پوشد اسلام لباس پوستین را در حالتی که بوده باشد آن پوستین پشت رو کرده شده، و این کنایه است از تقلب احوال دین و تبدل احکام شرع مبین، و الله العالم بحقایق کلام ولیه.

اشاره

فى باب الخطب

و شرحها فى ضمن فصول:

الفصل الاول

اشاره

كلّ شىء خاضع له، و كلّ شىء قائم به، غنى كلّ فقير، و عزّ كلّ ذليل، و قوّه كلّ ضعيف، و مفزع كلّ ملهوف، من تكلم سمع نطقه، و من سكت علم سرّه، و من عاش فعليه رزقه، و من مات فإليه منقلبه، لم ترك العيون فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك، لم تخلق الخلق لوحشه، و لا- استعملتهم لمنفعه، و لا- يسبقك من طلبت، و لا- يفلتك من أخذت، و لا- ينقص سلطانك من عصاك، و لا يزيد فى ملكك من أطاعك، و لا يردّ أمرك من سخط قضاءك، و لا تستغنى عنك من تولى عن أمرك، كلّ سرّ عندك علانيه و كلّ غيب عندك شهاده، أنت الأبد لا- أمد لك، و أنت المنتهى لا محيص عنك، و أنت الموعد لا منجا منك إلاّ إليك، بيدك ناصيه كلّ دأبه، و إليك مصير كلّ نسمة، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك، و ما أصغر عظمه فى جنب قدرتك، و ما أهول ما نرى من

ملكوتك، و ما أحقر ذلك في ما غاب عنا من سلطانك، و ما أسبغ نعمك في الدنيا، و ما أصغرها في نعم الآخرة. منها: من ملائكه أسكنتهم سمواتك، و رفعتهم عن أرضك، هم أعلم خلقك بك، و أخوفهم لك، و أقربهم منك، لم يسكنوا الأصلاب، و لم يضمّنوا الأرحام، و لم يخلقوا من ماء مهين، و لم يشعبهم ريب المنون، و إنهم على مكانهم منك، و منزلتهم عندك و استجماع أهوائهم فيك، و كثره طاعتهم لك، و قلّه غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك، لحقروا أعمالهم، و لزروا على أنفسهم، و لعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك، و لم يطيعوك حقّ طاعتك.

اللغة

(لهف) لهفا من باب فرح حزن و تحسّر، و اللّهُوف و اللّهُيف و اللّهُفان و اللّهُف المظلوم المضطرّ يستغيث و يتحسّر و (أفلت) الطائر و غيره إفلاتا تخلص و أفلته اذا أطلقته و خلّصته يستعمل لازما و متعدّيا، و فلت فلتا من باب ضرب لغه و فلته أنا يستعمل أيضا لازما و متعدّيا.

و(الناصيه)الشعر المسترسل في مقدّم الراس أى شعر الجبهه و قال الأزهريّ منبت الشعر و اطلاقها على الشعر مجاز من باب تسميه الحالّ باسم المحلّ و (ماء مهين) أى ضعيف حقير و هى النطفه و (انشعبت) أغصان الشجره و تشعبت تفرّقت و (المنون) الدّهر من مننت الشىء قطعته، لأنه يقطع الأعمار و (زرى) عليه زريا من باب رمى

و زريه و زرايه بالكسر عابه و استهزء به قال أبو عمر الشيباني: الرّأى على الانسان هو الذى ينكر عليه و لا يعدّه شيئاً.

الاعراب

قوله: لم ترك العيون فتخبر عنك، فى بعض النسخ تخبر بالنصب و هو الأظهر و فى بعضها بالجزم، و الأوّل مبنى على كونه منصوباً بان مضمره وجوباً بعد الفاء السببيّه المسبوقه بالنفى، و الثانى مبنى على جعل الفاء لمجرّد عطف ما بعدها على ما قبلها، فيكون ما بعدها شريكاً لما قبلها فى الاعراب.

قال فى التصريح: و لك فى نحو ما تأتيني فاعلمك أن تقدّر الفاء لمجرّد عطف لفظ الفعل على لفظ ما قبلها فيكون شريكه فى اعرابه فيجب هنا الرفع لأنّ الفعل الذى قبلها مرفوع و المعطوف شريك المعطوف عليه و كأنّك قلت ما تأتيني فما اكرمك فهو شريكه فى النفى الداخلى عليه.

و إن تقدّر الفاء أيضاً لعطف مصدر الفعل الذى بعدها على المصدر المؤلّ ممّا قبلها، و لكن تقدّر النفى منصّباً على المعطوف عليه و ينتفى المعطوف لأنّه مسبّب عنه و قد انتفى، و المعنى ما يكون منك اتيان فكيف يكون منى إكرام.

و قوله عليه السّلام: لا يفلتك، من باب الحذف و الايصال أى لا يفلت منك على حدّ قوله:

استغفر الله ذنبا لست محصيه ربّ العباد اليه الوجه و العمل

أى من ذنب، و قوله: سبحانهك ما اعظم ما نرى، سبحانهك منصوب على المصدر و عامله محذوف وجوباً، أى أسبح سبحانا فحذف الفعل لسدّ المصدر مسدّه و تبعه اللام أيضاً فى الحذف تخفيفاً فاضيف المصدر إلى كاف الخطاب، و هذه اللفظه وارده فى هذا المقام للتعجب كما فى قوله صلى الله عليه و آله و سلّم فى روايه أبى هريره: سبحان الله إنّ المؤمن لا ينجس، صرح به فى التوضيح، و معنى التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، و لهذا قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب، و يشترط أن يكون المتعجب منه عادم النظر أو قليل النظائر، فما يكثر نظائره فى الوجود لا يستعظم

فلا يتعجب منه.

قوله عليه السلام ما اعظم ما نرى، تأكيد للتعجب، فإن ما فى ما أعظم تعجبه أيضا و ماء الثانيه موصوله، و قد طال التشاجر بين علماء الأديته فى ماء التعجب و صيغه أفعال بعدها بعد اتفاقهم على اسميتها و كونها مبتدأ، فالمحكى عن سيبويه و جمهور البصريين أنها نكره تامه بمعنى شىء و ابتداء بها على نكارتها لتضمنها معنى التعجب.

قال الرضى (ره): فإن التعجب كما ذكرنا إنما يكون فيما يجهل سببه فالتنكير يناسب معنى التعجب، فكان معنى ما أحسن زيدا، فى الأصل شىء من الأشياء لا أعرفه جعل زيدا حسنا، ثم انتقل إلى إنشاء التعجب و انمحي عنه معنى الجعل فجاز استعماله فى التعجب عن شىء يستحيل كونه جعل جاعل، نحو ما أقدر الله و ما أعلمه، و ذلك لأنه اقتصر من اللفظ على ثمرته و هى التعجب من الشىء سواء كان مجعولا- و له سبب أولا، فما مبتداء و أفعال فعل ماض خبره و فيه ضمير راجع إلى ما هو فاعله و المنصوب بعده مفعوله، فعلى ذلك يكون فتحه أفعال فتحه بناء فاعراب ما أحسن زيدا مثل اعراب زيد ضرب عمرا حرفا بحرف (١).

و قال الأخفش فى أحد قوله إن ما موصوله بمعنى الذى و ما بعدها من الجمله الفعلية صله لها لا محل لها من الاعراب، أو نكره موصوفه بمعنى شىء و ما بعدها صفه لها، فمحلها رفع تبعا لمحل ما، و على التقديرين فالخبر محذوف وجوبا أى الذى أحسن زيدا أو شىء أحسن زيدا موجود أو شىء عظيم.

و استبعدوه بأن فيه التزام وجوب حذف الخبر مع عدم ما يسد مسدّه، و بأنه ليس فيه معنى الابهام اللايق بالتعجب، و أيضا إذا تضمن الكلام افهاما و ابهاما فالمعتاد تقدّم الابهام، و فيما ذكره يكون الأمر بخلاف ذلك إذ فيه تقديم الافهام بالصيغه أو الصفه و تأخير الابهام بالتزام حذف الخبر.

ص: ٣٠٩

١- (١) و مذهب السيبويه ضعيف من وجه و هو أن استعمال ماء نكره غير موصوفه نادر نحو فنعماهى على قول و لم يسمع مع ذلك مبتداء، شرح الرضى

و ذهب الفراء و ابن درستويه و ربما عزى إلى الكوفيين إلى أنّ ما استفهاميه ما بعدها خبرها.

قال نجم الأئمة و هو قوّى من حيث المعنى، لأنّه كان جهل سبب حسنه فاستفهم عنه، و قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب نحو: ما أدراك ما يوم الدين و أ تدرى من هو، و لله درّه أى رجل كان قال و لله غتيا خيرا أيما فتى.

و ربما يضعف بأنّ فيه نقل من الاستفهام إلى التعجب و النقل من انشاء إلى انشاء مما لم يثبت، هذا.

و بقى الكلام فى أفعل و قد ظهر من كلام البصريين أنه فعل ماض و فتحته فتحه بناء للزومه مع ياء المتكلم نون الوقايه نحو ما أفقرنى إلى رحمه الله و ما أحوجنى إليها، و قال الكوفيون غير الكسائي(١) إنه اسم و فتحته فتحه اعراب كفتحته عندك فى زيد عندك، و يؤيد قولهم تصغيرهم اياه(٢) فى نحو ما احيسنه و ما اميلحه قال الشاعر:

يا ما اميلح غزلانا شددن لنا

و اعتذروا عن فتحه الخبر بأنّ مخالفه الخبر للمبتدأ تقتضى نصبه و أحسن إنّما هو فى المعنى وصف لزيد لا لضمير ما، فلذلك كان منصوبا، بيان ذلك. أنّ الخبر إذا كان فى المعنى هو المبتدأ كالله ربّنا أو مشبه به نحو: أزواجه أمّهاتهم، ارتفع ارتفاعه، و إذا كان مخالفا له بحيث لا يحمل عليه حقيقه أو حكما خالفه فى الاعراب كما فى زيد عندك، و الناصب له عندهم معنوى و هو معنى المخالفه التى اتّصف بها، و لا- حاجه على قولهم إلى شىء يتعلّق به الخبر، و اما انتصاب زيدا فلمشابهه المفعول به، لأنّ ناصبه وصف قاصر فأشبهه نصب الوجه فى قولك زيد حسن الوجه هكذا قال فى التوضيح و شرحه.

ص: ٣١٠

١- (١) فانه وافق البصريين فى القول بكونه فعلا، منه.

٢- (٢) و اجيب بأنّ التصغير فى افعال شاذ و وجه تصغيره انه اشبه الاسماء عموما لجموده و انه لا مصدر له و اشبه افعال التفضيل خصوصا بكونه على وزنه و بدلالته على الزيادة، منه

وقال نجم الأئمة بعد حكاية هذا المذهب أعنى مذهب الكوفيّ في أفعّل و كونه اسما كأفعل التفضيل: و لو لا انفتاح أفعّل التعجّب و انتصاب ما بعده انتصاب المفعول به لكان مذهبهما جديرا بأن ينصر.

و قد اعتذروا لفتح آخره بكونه متضمنا لمعنى التعجّب الذى كان حقيقا بأن يوضع له حرف كما مرّ فى بناء اسم الاشاره، فبنى لتضمنه معنى الحرف و بنى على الفتح لكونه أخفّ.

و اعتذروا لنصب المتعجّب منه بعد افعّل بكونه مشابها للمفعول لمجيئه بعد افعّل المشابه لفعل مضمر فاعله فموقعه موقع المفعول به فانتصب انتصابه فهو نحو قوله:

و لدنا بعده بذناب(١) عيش أجبّ الظهر ليس له سنام

بنصب الظهر، و هو ضعيف، لأنّ النَّصْب فى مثل أجبّ الظهر و حسن الوجه توطئه لصحه الاضافه إلى ذلك المنسوب و لا يضاف أفعّل إلى المتعجّب منه هذا.

و قوله عليه السّلام لم يخلقوا من ماء مهين، حرف من ابتدائيّه نشويّه، و قوله:

و أنّهم على مكانهم، جمله مستأنفه و خبر إنّ الجملة الشرطيه الآتيه أعنى قوله:

لو عاينوا آه، و على فى قوله: على مكانهم، للاستعلاء المجازى، و المعنى أنّهم حالكونهم مستقرّين على مكانهم المعين لهم منك و منزلتهم الموجوده لهم عندك لو عاينوا ما خفى عليهم لحقّروا أعمالهم.

المعنى

قال الشارح المعتزلى: من أراد أن يتعلّم الفصاحه و البلاغه و يعرف فضل الكلام بعضهم على بعض فليتأمل هذه الخطبه، فإنّ نسبتها إلى كلّ فصيح من الكلام عدا كلام الله و رسوله نسبه الكواكب المنيره الفلكيه إلى الحجاره المظلمه الأرضيه، ثمّ لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء و الجلاله و الرواء

ص: ٣١١

١- (١) ذناب كل شيء عقبه و الجبّ القطع و بعير أجبّ بين الجبب أى مقطوع السنام

و الدِّيَابِجِه و ما يحدثه من الروعه و الرهبه و المخافه و الخشيّه، حتى لو تليت على زنديق ملحد و مصمم على اعتقاد نفى البعث و النشور، لهدت قواه و رعبت قلبه، و أصعقت على نفسه و زلزلت اعتقاده.

فجزى الله قائلها عن الاسلام أفضل ما جرى به وليا من أوليائه، فما أبلغ نصرته له تاره بيده و سيفه، و تاره بلسانه و نطقه، و تاره بقلبه و فكره.

إن قيل جهاد و حرب فهو سيد المجاهدين و المحاربين، و إن قيل وعظ و تذكير فهو أبلغ الواعظين و المذكرين، و إن قيل فقه و تفسير فهو رئيس الفقهاء و المفسرين و إن قيل عدل و توحيد فهو إمام أهل العدل و الموحدين، و ليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

ثم نعود إلى الشرح فنقول: افتتح عليه السلام كلامه بالتوحيد و التنزيه و الاجلال و ذكر نعوت الجمال و الجلال، و عقبه بالموعظه و التذكير و الانذار و التحذير فقال (كلّ شيء خاشع له) أو خاضع له كما في بعض النسخ، أى متذلّل معترف بالفاقه إليه سبحانه و الحاجه الى تخليقه و تكوينه، و إن من شيء إلاّ يسبح بحمده.

فالمراد بالخشوع الخضوع التكويني و الافتقار الذاتى اللازم للمهيئه الممكن مثل نفس الامكان، هذا.

و قال الشارح البحراني (ره): الخشوع هنا مراد بحسب الاشتراك اللفظى إذ الخشوع من الناس يعود إلى تطامنهم و خضوعهم لله، و من الملائكه دؤبهم فى عبادتهم ملا حظّه لعظمته سبحانه و من ساير الممكنات انفعالها عن قدرته و خضوعها فى رِقّ الامكان و الحاجه اليه، و المشترك و إن كان لا يستعمل فى جميع مفهوماته حقيقه فقد بينّا أنّه يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينه، و هى هنا اضافته لكلّ شيء، أو لأنه فى قوّه المتعدّد كقوله تعالى: إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبىّ فكانه قال: الملك خاشع له و البشر خاشع له، انتهى.

أقول: و أنت خبير بما فيه أمّا أولاّ فلاّن كونه من المشتركات اللفظيه ممنوع، بل المستفاد من كلام أكثر

اللّغويين أنّه موضوع لمطلق الخضوع أعنى الذلّ والاستكانه، وربما يفرّق بينه وبين الخضوع كما فى مجمع البحرين وغيره بأنّ الأوّل فى البدن والبصر والقلوب والثانى فى البدن، وقال الفيومى خشع خشوعاً خضع وخشع فى صلاته ودعائه أقبل بقلبه، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت، وقال خضع خضوعاً ذلّ واستكان، والخضوع قريب من الخشوع إلا أنّ الخضوع أكثر ما يستعمل فى الاعناق والخشوع فى الصوت، وقال الفيروز آبادى الخشوع الخضوع أو قريب منه أو هو فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر، وقال خضع خضوعاً تطامن وتواضع وقريب من ذلك كلام سائر أهل اللّغة.

و على قولهم فهو إما من باب الاشتراك المعنوى فيكون استعماله فى الانسان والملك وغيرها من باب استعمال العام فى افراده.

و إما من باب الحقيقة والمجاز إن خصصناه بذوات الأبدان والابصار، فيكون إطلاقه على غيرها مجازاً واستعماله فى الجميع بعنوان عموم المجاز، وعلى أى تقدير فالقول بكونه مشتركاً لفظياً وتوهم تعدّد الوضع فيه باطل.

و أمّا ثانياً فلا بدّ تجويز استعمال اللفظ المشترك فى معانيه المتعدّده و لو بالمجاز والقرينه خلاف ما عليه المحقّقون من الاصوليين، وقد حقّقناه فى ديباجه هذا الشرح و فى حواشينا على قوانين الاصول بما لا مزيد عليه.

نعم لا بأس بجواز استعماله فى معنى عام شامل للمعاني المتعدّده بعنوان عموم الاشتراك كاستعمال لفظ الأمر فى مطلق الطلب الشامل للوجوب والندب على القول بكونه حقيقة فيهما، كما لا ريب فى جواز استعمال اللفظ فى معنى عام شامل لمعناه الحقيقى والمجازى ويسمى بعموم المجاز كالمثال الذى ذكرناه على القول بكون الأمر حقيقة فى الوجوب مجازاً فى الندب، و لا يمكن حمل مراد الشّارح على ذلك، لمنافاته بقوله: والخشوع هنا مراد بحسب الاشتراك اللفظى فافهم.

و أمّا ثالثاً فلا بدّ جعل خاشع بمنزله المتعدّد بالعطف قياساً بقوله يصلّون فى الآيه الشريفه فاسد، فإنّ يصلّون فى الآيه لفظ جمع و خاشع لفظ مفرد و كون الأوّل فى قوّه المتعدّد لا يدلّ على كون الثّانى كذلك مع امكان منع أصل

الدَّعوى فى الآيه أيضا لاحتمال حذف الخبر فيها أى إِنَّ اللَّهَ يَصَلَّى و ملائكته يَصَلُّون على حدِّ قوله: نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف أو كونها من باب عموم الاشتراك بأن يكون معنى يَصَلُّون يعتنون باظهار شرف النبىِّ صَلَّى اللَّهُ عليه و آله و سلم و تعظيمه كما فسرها به الطبرسى و البيضاوى و غيرهما على ما مرَّ تفصيلا و توضيحا فى ديباجه الشرح.

و هذا كله مبنى على التنزّل و المماشاه و إلّا فنقول: إنّ كون الآيه بمنزله المفرد المتكرّر المتعدّد لا يوجب الحاقها به فى جميع الأحكام، فإنّ المفرد المتكرّر شىء، و ما بمنزله شىء آخر، فاطلاق المكرّرات و إرادته المعانى المتعدّده منها لا يوجب جواز إرادته المعانى المتعدّده مما هو بمنزلتها كما لا يخفى.

فقد وضح و اتّضح بما ذكرنا كلّهُ أنّ الآيه الشريفه لا دلالة فيها على جواز استعمال اللفظ المشترك فى أكثر من معنى، و أنّ كلام الامام عليه السّلام ليس من هذا القبيل فافهم ذلك و اغتتم.

(و كلّ شىء قائم به) لأنّ جميع الممكنات إمّا جواهر أو أعراض، و ليس شىء منها يقوم بذاته فى الوجود أمّا الأعراض فظاهر، لظهور حاجتها إلى المحلّ الجوهرى، و أمّا الجواهر فلائنّ قوامها فى الوجود انما هو بعقلها، و تنتهى إلى المبدأ الأوّل و علّه العلل جلّت عظمتها فهو إذا الفاعل المطلق الذى به قوام وجود كلّ موجود، هكذا قال الشارح البحرانى، ثمّ قال: و اذ ثبت أنّه تعالى غنى عن كلّ شىء فى كلّ شىء ثبت أنّ به قوام كلّ شىء فثبت أنّه القيوم المطلق اذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره، فكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف.

(غنى كلّ فقير) قال الشارح: و يجب أن يحمل الفقير على ما هو أعمّ من الفقر المتعارف و هو مطلق الحاجه ليعمّ التمجيد كما أنّ الغنى هو سلب مطلق الحاجه و اذ ثبت أنّ كلّ ممكن فهو مفتقر فى طرفيه منته فى سلسله الحاجه إليه و أنّه تعالى المقيم له فى الوجود ثبت أنّه تعالى رافع حاجه كلّ موجود بل كلّ ممكن، و هو المراد بكونه غنى له و اطلق عليه تعالى لفظ الغنى و إن كان الغنى به مجازا إطلاقا لاسم السّبب على المسبّب.

(وَعَزَّ كُلَّ ذَلِيلٍ) يعنى أنه سبحانه سبب عزّه كلّ من كان به ذلّه، لأنّه العزيز المطلق الذى لا يعادله شىء ولا يغلبه شىء، فكلّ عزّه لكلّ موجود منتهيه إليه سبحانه، وقد سبق تفسير العزيز فى شرح الخطبه الرابعه و الستين.

(وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ) معنى هذه الفقره كسابقتها، وقد مرّ تفسير القوى من أسمائه سبحانه فى شرح الخطبه الرابعه و الستين أيضا، و روى أنّ الحسن عليه السلام قال: واعجبا لنبيّ الله لوط إذ قال لقومه:

«لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ».

أترأه أراد ركنا أشدّ من الله، و فى المجمع عن الصادق عليه السلام لو يعلم أىّ قوّه له، و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم رحم الله أخى لوطا لو يدرى من معه فى الحجره لعلم أنّه منصور حيث (حين خ ل) يقول، لو أنّ لى بكم قوّه أو آوى الى ركن شديد، أى ركن أشدّ من جبرئيل معه فى الحجره و رواه فى عقاب الأعمال عن أبى جعفر عليه السلام مثله.

(و مَفْزَعٌ كُلِّ مَلْهُوفٍ) يعنى أنه تعالى ملجأ كلّ مضطّرّ محزون حال حزنه و اضطرابه فيفزع همّه و يكشف ضرّه و يرفع اضطرابه كما قال تعالى:

«أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ» و قال: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْزُّونَ».

و هذا العطف يستلزم عموم قدرته و شمول علمه تعالى بشهادته فطره المضطّرّ بنسبه جميع أحوال وجوده إلى جوده و شهادته فطرته أيضا بعلمه بحاله و اطلاعه على ضرورته و وجوه اللهف و الاضطراب غير معدوده، و جهات الحاجه و الافتقار غير محصوره، و لا يقدر الاجابه لها على كثرتها إلّا الحقّ و القادر المطلق، و أما غيره سبحانه فانما يكون مفزعا و ملجئا لمضطّرّ لا لكلّ مضطّرّ فكونه مفزعا مجاز لا حقيقه و اتصافه به اضافى لا حقيقى.

فمفزع جميع العباد في الداهيه و النايويه (١) ليس إلا- الله الحي القيوم السميع البصير العالم القادر الخبير المجيب الدّعات الكاشف للكربات المنجح للطلبات المنفّس لكلّ حزن و همّ المفرّج من كلّ ألم و غمّ و قال تعالى:

«وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ».

يعنى إذا كنتم فى البحر و خفتم الغرق ذهب عن خواطركم كلّ من تدعون فى حوادثكم إلا- إياه وحده، فلا- ترجون هناك النجاه إلا من عنده.

روى فى التوحيد انه قال رجل للصادق عليه السلام يابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم دلّنى على الله ما هو فقد أكثر علىّ المجادلون و حيرونى، فقال عليه السلام: يا عبد الله هل ركب سفينه قطّ؟ قال: بلى، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينه تنجيك و لا سباحه تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشىء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجى و على الاغاثة حيث لا مغيث.

و (من تكلم سمع نطقه و من سكت علم سرّه) يعنى أنه سبحانه سميع عليم محيط بما أظهره العبد و أبداه، خبير بما أسرّه و أخفاه فى حالتي نطقه و سكوته، و هو إشاره إلى عموم علمه و إحاطته سبحانه و عدم التفاوت فيه بين السرّ و الاعلان، و الاظهار و الكتمان و قد مضى تحقيق الكلام فى هذا المعنى فى شرح الفصل السادس و السّابع من الخطبه الاولى و فى شرح الخطبه الرابعه و السّتين.

(و من عاش فعليه رزقه و من مات فاليه منقلبه) يعنى أنه مرجع العباد الأحياء منهم و الأموات، و به قيام وجودهم حالتى الحياه و الممات، و تقدّم تحقيق الكلام فى الرزق فى شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبه التسعين.

(لم تركّ العيون فيخبر عنك) التّبقات من الغيبه إلى الخطاب، يعنى امتنع الرؤيه من العيون لك فامتنع اخبارها عنك، و قد تقدّم بيان وجه امتناع الرؤيه فى

ص: ٣١٦

شرح الخطبه التاسعه و الأربعين، و فى اسناد الاخبار إلى العيون توسّع، و المراد نفى امكان الاخبار المستند إلى المشاهده الحسيّه عنه تعالى.

(بل كنت قبل الواصفين من خلقك) أى بالذات و العليه، و هو وارد فى مقام التعليل لنفى الرؤيه.

قال الشارح المعتزلى: فان قلت فأى منافاه بين هذين الأمرين أليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له، و مع ذلك يدرك بالابصار إذا خلق خلقه ثم يصفونه رأى عين قلت بل ههنا منافاه ظاهره و ذلك لأنه إذا كان قديما لم يكن جسما و لا عرضا و ما ليس بجسم و لا عرض يستحيل رؤيته فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهده (لم تخلق الخلق لوحشه) لاستحاله الاستيحاش كالاستيناس فى حقّه سبحانه حسب ما عرفت تفصيلا فى شرح الفصل السادس من فصول الخطبه الاولى (و لا استعملتهم لمنفعه) تعود اليك و إنما هى عايده اليهم لنقصانهم فى ذاتهم و لو كانت عايده اليه سبحانه لزم نقصه فى ذاته و استكمالها بغيره و هو محال، و قد تقدّم توضيح ذلك فى شرح الخطبه الرابعه و الستين و (لا يسبقك من طلبت) أى لا تطلب أحدا فيسبقك و يفوتك (و لا يفلتك من أخذت) أى من أخذته لا يفلت منك بعد أخذه، و الغرض بهذين الوصفين الاشاره إلى كمال قدرته و تمام ملكه، فإنّ ملوك الدّنيا أيّهم فرضت ربما يفوت منهم هارب و ينجو من قيد اسرهم المأخوذ بحيله و نحوها، و أما الله العزيز القادر القاهر فلا يمكن فى حقّه ذلك.

(و لا ينقص من سلطانك من عصاك و لا يزيد فى ملكك من أطاعك) و هو تزيد له سبحانه عن قياس سلطانه و ملكه بسلطانه ملوك الزّمان، فإنّ كمال سلطان أحدهم إنما هو بزيادة جنوده و كثره مطيعيه و قلّه مخالفيه و عصاته، و نقصان سلطانه إنما هو بعكس ذلك، فأما الحقّ تعالى فلما كان سلطانه بذاته لا لغيره مالك الملك يعطى الملك من يشاء و ينزع الملك ممّن يشاء و يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء لم

يتصوّر خروج العاصي بعصيانه عن كمال سلطانه حتّى يؤثر في نقصانه، ولا طاعه المطيع في ازدياد ملكه حتى تؤثر في زيادته.

و محصل ذلك كلّ أنّه تعالى كامل من جميع الجهات في ذاته و صفاته بذاته و لذاته و لا حاجة له في عزّه و سلطانه إلى الغير، و لا تأثير للغير في ملكه و سلطنته بالنقصان و الزيادة، و إلّا لزم نقصه في ذاته استكمالاً بغيره، و هو باطل.

(و لا يردّ أمرك من سخط قضائك) المراد بالأمر هنا الأمر التكويني المشار إليه بقوله سبحانه:

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

و اريد الأمر لكونه بارتفاع الوسائط لا بدّ فيه من وقوع المأمور به لا محاله من غير احتمال تمرد و عصيان و أما الأمر التشريعي كما في قوله:

«فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» و قوله: «وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ».

و نحوهما فهو لكونه بالواسطة و على ألسنة الرسل و الملائكة، فيمكن فيه العصيان و عدم الطاعة فمعنى قوله: انه لا يردّ أمرك الملزم أى المقدّرات الحادثه على طبق العلم الأزلى من سخط قضائك و كرهه، و قد مرّ في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى ماله ربط بتوضيح المقام، و فى هذه الفقرة أيضا دلالة على كمال قدرته و عموم سلطانه لافادته أنّ كلّ ما علم وجوده فلا بدّ من وجوده، سواء كان محبوبا للعبد أو مبغوضا له كما قال تعالى:

«وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» و قال «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ».

و تخصيص الساخط للقضاء بالعجز عن ردّ الأمر لأنّ من شأنه أن لو قدر على ردّ الأمر و القدر لفعل.

(و لا يستغنى عنك من تولّى عن أمرك) أراد به الأمر التشريعي، و من المعلوم

أَنَّ من تمرّد عن أمره و خالفه اشدّ افتقارا و حاجه إلى غفرانه و رحمته ممن قام بوظائف الطاعة و العباده، و الأظهر أن يراد به الأعمّ من ذلك، و يكون المعنى أنّ من أدبر و تولّى عن حكمه و لم يرض بقضائه و قدره لا يمكن استغنائه عنه و انقطاع افتقاره منه.

و يوضح ذلك ما رواه الصّدوق في التّوحيد باسناده عن سعد الخفاف عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام لرجل: ان كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه، و إن كنت و اليت عدوّه فاخرج من ملكه، و إن كنت غير قانع بقضائه و قدره فاطلب ربّا سواه.

(كلّ سرّ عندك علانيه و كلّ غيب عندك شهاده) و هما إشارتان إلى عموم علمه و إحاطته، و قد مرّ ذلك في شرح الفصل السّابع من الخطبه الاولى و نقول هنا مضافا إلى ما مرّ: أنّ واجب الوجود سبحانه مجرّد غايه التجرّد، و الغيبه و الخفاء إنّما يتصوّران بالنسبه إلى القلوب المحجوبه بحجب الطّبيع و سترات الهيآت البدنيه و الأرواح المستولى عليها نقصان الامكان الحاكم عليها بجهل أحوال ما هو أكمل منها، و الواجب تعالى لتجرّده و بساطته و منتهى كماله لا يحجبه شيء عن شيء و فوق كلّ شيء ليس فوقه شيء حتى يقصر عن إدراكه.

(أنت الأبد فلا- أمد لك) أى أنت الدّائم فلا غايه لك يقف عندها وجودك و ذلك لاستلزام وجوب الوجود امتناع العدم و الانتهاء إلى الغايه، و يمكن ان يكون إطلاق الأبد عليه سبحانه من باب المجاز مبالغه فى الدّوام، و الأصل أنت ذو الأبد على حدّ قوله: فانما هى إقبال و إدبار، و قوله: فأنت طلاق، و هذا المجاز شائع فى عرف العرب.

(و أنت المنتهى فلا محيص عنك) أى إليه مصير الخلائق و وقوفهم عنده و إليه انتهاؤهم و إيابهم فيجزى كلّ أحد ما يستحقّه من الثواب و العقاب، فلا محيد عن حكمه و لا مهرب عن أمره و لا معدل يلجئون إليه كما قال تعالى:

«وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ» وقال «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» (و أنت الموعد فلا منجى منك إلا إليك) و معناها قريب من سابقتها أى لا مخلص و لا ملجأ لأحد منه سبحانه إلا إليه، و لا عاصم من عذابه إلا هو عزّ و جلّ فيعصم منه و يرفعه عنه إما بالتوبه و الانابه، أو بالمنّ و الرّحمه.

(بيدك ناصيه كلّ دابّه) أى أنت مالك لها قادر عليها تصرفها كيف تشاء غير مستعصيه عليك، فإنّ الأخذ بالناصيه تمثيل لذلك قال المفسّرون فى تفسير قوله سبحانه:

«مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا».

هو تمثيل لغايه التسخير و نهايه التدليل، و كان العرب إذا اسر الأسير فأرادوا إطلاقه و المنّ عليه جزوا ناصيته فكان علامه لقهره.

و قال الشارح البحرانى: و انما خصت النّاصيه لحكم الوهم بأنّه تعالى فى جهه فوق فيكون أخذه بالناصيه، و لأنها أشرف ما فى الدابه فسلطانه تعالى على الأشرف يستلزم القهر و الغلبه و تمام القدره.

أقول: و الأظهر أنّ تخصيصها من جهه جريان العاده بأنّ الممسك للدابه و المرید لتسخيرها إنّما يستمسك و يقبض ناصيتها بيدها، فأجرى كلامه تعالى و كلام وليّه عليه السّلام على ما هو المتعارف المعتاد.

(و اليك مصير كلّ نسمة) أى مرجع كلّ نفس ثمّ نزهه سبحانه و قدّسه عن أحكام الأوهام بكونه تعالى مشابها لمدركاتنا فقال: (سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك و ما أصغر عظمه فى جنب قدرتك) و هو تعجّب فى معرض التمجيد من عظم ما يشاهد من مخلوقاته تعالى من الأرض و السّماء و الجوّ و الهواء و النبات و الماء و الشجر و الحجر و الشّمس و القمر و الانسان و الحيوان و البرّ و البحر و اللّيل و النّهار و السّحاب و الغمام و الضّياء و الظّلام إلى غير هذه مما لا ينتهى إلى حدّ و لا يستقصى بعدّ ثمّ من حقاره هذه كلّها بالنسبه إلى ما تعتبره العقول من مقدوراته و ما يمكن فى

كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهيه و من البين أنّ قياس الموجود على الممكن و نسبته إليه فى العظم و الكثره يستلزم صغره و حقارته ثم قال (و ما أهول ما نرى من ملكوتك و ما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك) و هو تعجب من هول ما وصلت إليه العقول من عظمه ملكوته ثم من حقارته بالنسبه إلى ما غاب عنها و خفى عليها مما هو محتجب تحت أستار القدره و حجب العزه من بدايع الملاء الأعلى و عجائب العالم العلوى و سكان حظائر القدس.

ثم قال (و ما اسبح نعمك فى الدنيا و ما أصغرها فى نعم الآخره) و هو تعجب من سبوح نعمه على عباده فى الدنيا بما لا تحصى ثم من حقارتها بالقياس إلى نعم الآخره و ما أعدّه للمؤمنين فيها من الجزاء الأوفى، فإنّ نسبتها إليها نسبته المتناهى إلى ما لا يتناهى كما هو ظاهر لا يخفى.

ثم إنّ سلام الله عليه و آله لما افتتح كلامه بذكر أوصاف العظمه و الكبرياء للرب العزيز تبارك و تعالى عقبه بذكر حالات ملائكه السماء و أنّهم على ما هم عليه من القدس و الطهاره و الفضائل الجمّه و الكمالات الدثره الّتى فضّلوا بها على الاشباح و الأقران و تميزوا بها عن نوع الانسان، و من العلم و المعرفه الّتى لهم بخالقهم، و الخوف و الخشيه الّتى لهم من بارئهم، و الخضوع و الخشوع الّذى لهم لمعبودهم لم يعبدوه حقّ عبادته و لم يطيعوه حقّ طاعته.

فقال (من ملائكه أسكنتهم سماواتك و رفعتهم عن أرضك) هذا محمول على الأغلب أو المراد أنّ مسكنهم الأصلي هو السماء، فلا ينافى كون بعضهم فى الأرض لاقتضاء المصلحه و التدبير مثل الكرام الكاتبين و المجاورين بمرقد الحسين عليه السلام و نظرائهم.

(هم أعلم خلقك بك) لتجرّدهم و بعد علومهم من منازعه النفس الأماره الّتى هى مبدء الشّهو و النسيان و الغفله، فيكونون أبلغ معرفه و أكمل علما (و أخوفهم لك) لأنّ العلم كلما كان أكمل كان الخوف آكد و الخشيه أشدّ كما قال تعالى:

«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ».

قال الطبرسى أى ليس يخاف الله حقّ خوفه ولا يحذر معاصيه خوفا من نقمته إلا العلماء الذين يعرفونه حقّ معرفته وإنما خصّ العلماء بالخشية لأنّ العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل، حيث يختصّ بمعرفه التوحيد والعدل ويصدق بالبعث والحساب والجنة والنار.

(و أقربهم منك) أى من حيث الشرف والرتبه لا- بالمكان والمنزله، لتزّهه سبحانه عن المحلّ والمكان وتقدّسه من لوازم الامكان، وغير خفى أنّ تفضيلهم على غيرهم فى القرب والشرف إنما هو إضافي لا حقيقي فقد قدّمنا فى شرح الفصل الخامس من فصول الخطبه التسعين أنّ بعض أفراد البشر كالنبيّ والأئمه عليهم السّلام أفضل منهم وأشرف، وقد تقدّم فى الفصل المذكور شرح حالات الملائكه مستوفا، وكذلك فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

وقوله (لم يسكنوا الأصلاب) وما يتلوه من الجملات الثلاث السّلبيه إشاره إلى ارتفاعهم عن النقائص البشريه، أى لم يسكنوا أصلاب الآباء (و لم يضمّنوا الأرحام) أى أرحام الأمّهات يعنى لم يخالطوا المحالّ المستقذره (و لم يخلقوا من من ماء مهين) أى ضعيف حقير (و لم يشعبهم ريب المنون) أى لم يفرّقهم حوادث الدهر، وهو إشاره إلى سلامتهم من الأمراض والأسقام البدنيه العارضه للموادّ العنصريه المانع من الاستغراق التام، والتّوجه الكلى لشهود أنوار الحضرة الرّبوبيه.

(و أنّهم على مكانهم منك و منزلتهم عندك) يعنى أنّهم على ما هم عليه من القرب والزلفى (و استجماع أهوائهم فيك) أى كمال محبّتهم لك و رغبتهم و شوقهم اليك (و كثره طاعتهم لك) بحيث لا يفترون عن تسبيحك ولا يسئمون عن تقديسك (و قلّه غفلتهم عن أمرك) التعبير بقلّه الغفله لمحض المشاكلة والمقابله بكثرة الطاعه، وإلا فلا يتصوّر فى حقّهم الغفله كما يدلّ عليه قوله سبحانه:

«فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ».

و فی دعاء الصّیحه العلویّه السّجّادیه علی صاحبها آلاف الصّیلاه و السّلام و التّحیّه فی الصّلاه علی حمله العرش: اللّهمّ و حمله عرشک الذی لا یفترون من تسبیحک و لا یسأمون من تقدیسک و لا یستحسرون عن عبادتک و لا یؤثرون التقصیر علی الجّد فی امرک و لا یغفلون عن الوله الیک.

فانّ المقصود ذلک کلّه الاشاره الی کمال مراتبهم فی صنوف العبادات و التّأکید لاستغراقهم فی مقام المعرفه و المحبّه و بیان خلوّ عبودیتهم من النقصانات اللاحقه، فانّ کلاً من هذه الصّیفات المنفیّه لو وجد کان نقصاناً فیما یتعلّق به و اعراضاً عن الجّهه المقصوده.

و بالجمله فالغرض أنّ هؤلاء الملائکه الزّوجاتیات مع هذه المراتب و الکمالات الّتی لهم (لو عاینوا کنه ما خفی علیهم منک) اّی لو عرفوک حقّ معرفتک (لحقروا أعمالهم) علماً منهم بأنّها لا تلیق بحضرتک (و لزروا علی أنفسهم) اّی عابوها و عاتبوها لمعرفتهم بکونهم مقصّیرین فی الّقیام بوظایف عبودیّتک (و لعرفوا أنّهم لم یعبدوک حقّ عبادتک و لم یطیعوک حقّ طاعتک) لظهور أنّ العباده و الطاعه إنّما هی علی قدر المعرفه و کلاً کان المعرفه أكمل کان العباده أكمل، فعبادتهم الحالیه علی قدر معرفتهم الموجوده، فلو ازدادت المعرفه ازدادت العباده لا محاله.

الترجمه

از جمله خطب فصیحّه آن سرور عالمیان و مقتدای آدمیانست در ذکر صفات کمال و نعوت جلال خداوند متعال و اوصاف فرشتگان و غرور بندگان بمتاع این جهان و بیان حشر و نشر انسان و ذکر صفات پیغمبر آخر الزّمان علیه و آله افضل الصّلاه و السّلام چنانچه فرموده:

هر چیز فروتنی کننده بر حضرت عزّت، و هر چیز قایم است در وجود بجانب احدیت او، توانگری هر فقیر است، و عزّت هر ذلیل و حقیر، و قوّت هر ضعیف و ناتوان، و پناهگاه هر مضطّرّ و محزون، هر کس تکلم نمود شنود او گفتار او را،

و هر که خاموش شد دانست اُسرار او را، و هر که زندگانی نماید بر او است روزی او، و هر که وفات نماید بسوی اوست باز گشت او، ندید تو را چشمها تا خبر دهد از تو صاحبان دیده‌ها، بلکه بودی تو پیش از وصف کنندگان از خلائق خودت، نیافریدی خلق را از جبهه ترس و وحشت، و طلب عمل نمودی از ایشان بجهه جلب منفعت، پیشی نمی‌گیرد بتو کسی که طلب کردی تو او را، و خلاصی نیافت از تو کسی که اُخذ نمودی تو او را، و کم نمی‌نماید پادشاهی تو را کسی که معصیت تو را نمود، و زیاد نمی‌کند در ملک تو کسی که اطاعت تو را کرد، و ردّ نمی‌کند اُمر تو را کسی که ناخوش دارد حکم تو را، و مستغنی نمی‌باشد از تو کسی که روگردان شود از فرمان تو، هر نهانی در نزد تو آشکار است، و هر غایبی در نزد تو حاضر، توئی صاحب دوام پس هیچ نهایی نیست تو را، و توئی محلّ نهایت خلائق پس هیچ گریز گاهی نیست از تو، و توئی وعده گاه همه پس جای نجاتی نیست از تو مگر بسوی تو، در دست قدرت تست موی پیشانی هر جنبنده، و بسوی تست باز گشت هر نفس تنزیه میکنم تو را تنزیه کردنی چه بزرگست آنچه که می‌بینیم از مخلوقات، و چه کوچکست بزرگی آن در جنب قدرت تو، و چه هولناکست آنچه که مشاهده می‌کنیم از پادشاهی تو، و چه حقیر است این در جنب آنچه که پنهانست از مادر سلطنت تو، و چه وافر است نعمتهای تو در دنیا، و چه کوچکست این نعمتها در جنب نعمتهای آخرت.

بعض دیگر از این خطبه در صفت فرشتگان فرموده:

از ملائکه که ساکن نمودی ایشان را در آسمانهای خود، و برداشتی ایشان را از زمین خود، ایشان داناترین مخلوقات تو است بتو، و ترسنده ترین خلائق است مر تو را، و مقرب ترین ایشان است از تو، ساکن نشده اند ایشان در پشت پدران، و نهاده نشده اند در رحمهای مادران، و آفریده نشده اند از نطفه که ضعیف است و بی مقدار، و پراکنده نساخته است ایشان را حوادث روزگار.

و بدرستی که ایشان در مکان قربی که ایشان را است از تو، و منزلت و مرتبتی که

ایشان را است نزد تو، و کمال خواهشهایست که ایشان را است در تو، و کثرت عبادتی که ایشان را است بتو، و کمی غفلتی که ایشان را است از امر تو اگر مشاهده کنند پایان آنچه که پنهانست برایشان در معرفت، هر آینه حقیر می شمارند عملهای خودشان را و هر آینه عتاب می نمایند بر نفسهای خود، و هر آینه می دانند که ایشان نپرسیده اند تو را حق پرستش، و فرمان نبرده اند تو را همچنان که لایق فرمان برداری تست.

الفصل الثانی

اشاره

سبحانک خالقاً و معبوداً، بحسن بلائک عند خلقک، خلقت داراً و جعلت فیها مآدبه، مشرباً، و مطعماً، و أزواجاً، و خدماً، و قصوراً، و أنهاراً، و زروعاً، و ثماراً، ثم أرسلت داعياً يدعو إليها، فلا الداعي أجابوا، و لا فيما رغبتم إليه رغبوا، و لا إلى «على خ ل» ما شئتم إليه اشتاقوا، أقبلوا على جيفه قد افتضحوا بأكلها، و اصطلحوا على حبها، و من عشق شيئاً أعشى بصره، و أمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، و يسمع باذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، و أماتت الدنيا قلبه، و ولهت عليها نفسه، فهو عبد لها، و لمن في يديه شيء منها، حيثما زالت زال إليها، و حيثما أقبلت أقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر، و لا يتعظ منه بواعظ، و هو يرى المأخوذین على الغرّه، حيث لا إقاله و لا رجعه، كيف نزل بهم ما كانوا

يجهلون، و جاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، و قدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون. فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكره الموت، و حسره الفوت، ففترت لها أطرافهم، و تغيّرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجا، فحيل بين أحدهم و بين منطقته، و إنه لبين أهله، ينظر ببصره، و يسمع باذنه، على صحه من عقله، و بقاء من لبه، يفكر فيم أفنى عمره، و فيم أذهب دهره، و يتذكر أموالا جمعها، أغمض في مطالبها، و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، و أشرف على فراقها، تبقى لمن ورائه، ينعمون فيها، و يتمتعون بها، فيكون المهناء لغيره، و العبء على ظهره، و المرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعصّ يده ندامه على ما أصحر له عند الموت من أمره، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، و يتمنى أن الذي كان يغبطه بها، و يحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده، حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله، لا ينطق بلسانه، و لا يسمع بسمعه، يردّد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، و لا يسمع رجع كلامهم، ثم ازداد

الموت التياطا، فقبض بصره كما قبض سمعه، و خرجت الروح من جسده، فصار جيفه بين أهله، قد أوحشوا من جانبه، و تباعدوا من قربه، لا يسعد باكيا، و لا يجيب داعيا، ثم حملوه إلى مخطّ من الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله، و انقطعوا عن زورته.

اللغة

(المأدبه) بفتح الهمزة و ضمّها وزان مسعده و مكرمه طعام صنع لدعوه أو عرس من أدب فلان أدبا من باب ضرب إذا عمل مأدبه و (و له) الرّجل من باب ضرب و منع و حسب إذا تحيّر من شدّه الوجد و فى بعض النسخ و لهت بالتضعيف و نصب نفسه على المفعول و (الغزّه) بكسر الغين المعجمه الاغتزار و الغفله يقال اغتزّه فلان أى أتاه على غزّه منه و (أطراف) البدن الرأس و اليدان و الرّجلان و (ولج) يلج ولوجا أى دخل و (المصرّح) خلاف المشتبه و هو الظاهر البيّن و (التبعات) جمع التبعه و هو الاثم، و (المهنأ) المصدر من هنا الطعام يهنأ و هنوء يهنوء بالكسر و الضم إذا صار هنيئا و (العبء) الثقل و (أصحر) أى ظهر و انكشف و اصله من أصحر القوم اذا برزوا من المكمن الى الصحرا و (رجع) الكلام ما يتراجع منه و (الالتياط) الالتصاق و (الاسعاد) الاعانه و (المخطّ من الأرض) بالخاء المعجمه كناية عن القبر يخطّ أولا ثم يحفر، و فى بعض النسخ بالخاء المهمله و هو المنزل من حطّ القوم إذا نزلوا.

الاعراب

خالقا و معبودا منصوبان على الحال من كاف الخطاب فى سبحانه، و العامل فيهما هو المصدر لتضمّنه معنى الفعل و يحتملان الانتصاب على التميز.

قال الشارح المعتزلى: و الباء فى قولهبحسن بلائك،للتعليل كقوله تعالى:

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ»، أى لأنهم، فتكون متعلّقه بما فى سبحانك من معنى الفعل أى اسبحك لحسن بلائك، و يجوز أن تتعلّق بمعبود أى يعبد لذلك، انتهى.

و الأظهر أن تكون متعلّقه بقوله خلقت، و تقديمها عليه للتوسّع، و المعنى خلقت دارا بسبب حسن بلائك كما تقول ضربت زيدا بسوء أدبه، و قوله مأدبه قال الشارح البحرانى: المأدبه هنا الجنّه، و المنصوبات الثمانيه مميّزات لتلك المأدبه أقول: و هو غلط إذ المأدبه سواء اريد به معناه الاصلى أو المجازى أعنى الجنه لا ابهام فيه حتى يحتاج إلى التميز، بل الظاهر أنّ المراد به فى المقام مطلق ما يصنع لدعوه من طعام أو غيره.

و انتصاب المنصوبات الثمانيه إما على أنّها عطف بيان كما هو مذهب الكوفيين و جماعه من البصريين من علماء الأدبيّه حيث جوّزوا عطف البيان فى النكرات و جعلوا منه قوله سبحانه: «أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينَ»، فيمن نَوّن كفّاره.

و إما على البدل كما هو مذهب جمهور البصريين حيث خصّوا عطف البيان بالمعارف زعما منهم أنّ البيان بيان كاسمه، و النكره مجهوله و المجهول لا يبين المجهول.

و فيه أنّ بعض النكرات قد يكون أخصّ من بعض و الأخصّ يبيّن غير الأخصّ كما فى كلام الامام عليه السّلام، و قوله: و لا فيما رغبت رغبوا، الظرف متعلّق برغبوا، و رغبت صله ما، و العايد محذوف بقرينه المقام و دلالة الكلام أى فيما رغبت فيه، و جمله أقبلوا، استئناف بيانى، و نفسه بالضمّ فاعل و لهت، و لمن فى يديه، عطف على لها.

و جمله و هو يرى، منصوبه المحلّ على الحال من فاعل يتعظّ، و قوله: فغير موصوف ما نزل بهم، غير بالرفع خبر مقدّم على مبتدئه أعنى ماء الموصوله لافاده الحصر و الدّلاله على أنّ غير ما نزل قابل لأن يوصف كما فى قوله سبحانه: لا فيها

غول، أى ليس غول فى خمر الجنه بخلاف خمر الدنيا و ايراد المسند اليه بلفظ الموصول للتفخيم و التهويل كما فى قوله: فغشيه من اليم ما غشيه.

و وصل جملة اجتمعت لسابقتها لما بينهما من كمال الاتصال و كون الثانيه أو فى بتمام المراد و اقتضاء المقام الاعتناء بشأنه لكونه فظيحا فى نفسه و نظيرها قوله سبحانه:

«أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ وَجَنَاتٍ وَ عُيُونٍ».

فان المراد التنبيه على نعم الله، و الثانيه أو فى بتاديته لدلالاتها عليها بالتفصيل، فالجملة الثانيه فى المقامين منزله منزله بدل البعض، و كذلك وصل جملة يفكر لسابقتها لما بينهما من كمال الاتصال أيضا لكونها من سابقتها بمنزله التأكيد المعنوى مثل: لا ريب فيه، فى قوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ»، و وزانهما وزان جائى زيد نفسه، و هذا كله من محسنات البيان و إنما تبهنا عليه مع عدم مدخله فى الاعراب اشاره إلى بعض وجوه الحسن فى كلامه عليه السلام.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه تحذير للمتمردين العصاه و المذنبين الغواه، و تنفير لهم عن الركون إلى الدنيا و إلى زخارفها و ما فيها، و تذكير لهم بما يحلّ بساحتهم من سكرات الموت و ينزل بفنائهم من حسرات الفناء و الفوت.

و افتتح بتسبيحه تعالى و تقديسه فقال: (سبحانك خالقاً و معبوداً) أى أنزهك تنزيها عن الشركاء و الأمثال فى حاله خلقك و معبوديتك لا موجد غيرك و لا معبود سواك (بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا) أى خلقت دارا بسبب ابتلاء عبادك و امتحاناً لهم و تميزاً بينهم و تفرقه بين السعداء أعنى الطالبين المشتاقين إلى تلك الدار، و بين الأشقياء و هم الراغبون المعرضون عنها، و المراد بالدار دار الآخرة،

ص: ٣٢٩

و ما فى شرح البحرانى منأن لفظ الدار مستعار للاسلام باعتبار أنه يجمع أهله و يحميهم كالدار، لا يخفى بعده و الأظهر ما ذكرناه، و يشعر به قوله سبحانه:

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

و يؤيده قوله (و جعلت فيها مأدبه) فإنه لو أريد بالدار الاسلام لا بد من حمل الظرف أعنى قوله: فيها، على المجاز بخلاف ما لو اريد بها الآخرة و الأصل فى الكلام الحقيقة، و المراد بالمأدبه الجنة التى هيأت للمتقين و دعى اليها عباد الله الصالحون، و أعد الله سبحانه لهم فيها ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و ما تشتهيهم أنفسهم.

(مشربا و مطعما) أى شرابا و طعاما (و أزواجا) من الحور العين (و خدما) من الولدان المخلدين (و قصورا) عاليه (و أنهارا) جاريه (و زروعا) زاكيه (و ثمارا) طيبه (ثم أرسلت داعيا يدعو) الناس (اليها) إى إلى هذه الدار أو المأدبه، و أراد بالداعى محمدا صلى الله عليه و آله و سلم أو إياه مع ساير الأنبياء.

(فلا الداعى أجابوا و لا فيما رغبت اليه) من الدار الآخرة الباقية و نعيمها (رغبوا و لا إلى ما شوقت اليه) من حور الجنة و قصورها و أنهارها و ثمارها و ساير ما أعد فيها.

(اشتاقوا اقبلوا على جيفه قد افتضحوا بأكلها) استعار عليه السلام لفظ الجيفه للدنيا باعتبار نفره طباع أهل البصيره. و المعرفه عنها و كونها مستقذره فى نظر أرباب اليقين و أولياء الدين كالجيفه الممتنه التى ينفر عنها الناس و يفرّون منها، أو باعتبار اجتماع أهلها عليها و فرط رغبتهم إليها و كون هم كل واحد جذبها إلى نفسه بمنزله جيفه منبوذه تجتمع عليها الكلاب و يجذبها كل إليه قال الشاعر:

و ما هى إلا جيفه مستحيله عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجتنبها كنت سلما لأهلها و ان تجتذبها نازعتك كلابها

و أما افتضاحهما بأكلافها فلا تها بعد ما كانت بمنزله الجيفه يكون آكلها مفتضحا بأكلافها لا محاله، و هو ترشيح للاستعاره.

و قوله عليه السلام (و اصطالحوا على حبها) أى اتفقوا على محبتها و توافقوا عليها، فإن أصل الصلح هو التراضى بين المتنازعين و تجوز به عن التوافق و الاتفاق للملازمه بينهما (و من عشق شيئا) أى كان مولعا به شديد المحبه له، فإن العشق هو الافراط فى الحب و التجاوز عن حد الاعتدال.

قال جالينوس الحكيم العشق من فعل النفس و هى كامنه فى الدماغ و القلب و الكبد، و فى الدماغ ثلاث مساكن التخيل فى مقدمه، و الفكر فى وسطه، و الذكر فى آخره فلا- يكون أحد عاشقا حتى اذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله و فكره و ذكره فيمتنع من الطعام و الشراب باشتغال قلبه و كبده من النوم باشتغال الدماغ بالتخيل و الذكر و الفكر للمعشوق، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، و متى لم يكن كذلك لم يكن عاشقا.

و كيف كان فالمراد أن من أفرط فى محبه شىء (اغشى) ذلك الشىء (بصره و أمرض قلبه) أى يكون فرط حبه لذلك الشىء مانعا عن توجيهه الى ما يلزمه التوجه إليه و حاجبا عن النظر إلى مصالحه و ما يلزمه الاشتغال به فيكون غافلا عما عداه، صارفا أوقاته بكليته إلى هواه، و يكون(1) عشقه مانعا عن ادراكه العقول، و يكون عشقه ايضا مانعا عن ادراكه لعيوب المعشوق، و عن التفاته الى مساويه، و من هنا قيل:

و عين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدى المساويا

و غرضه عليه السلام أن أهل الدنيا لكثرت حبه لها و فرط رغبتهم إليها قصرت أبصارهم عن النظر إلى اخراهم، و مرضت قلوبهم عن التوجه إلى عقابهم، و صرفوا

ص: ٣٣١

١- (١) قال ارسطو لعشق عمى الحس عن ادراك عيوب المحبوب و هو من الامراض المعروفة من انواع المايلخوليا الذى هو تشويش الظنون و الفكر الى الفساد و الخوف و عن الامالى عن المفضل بن عمر قال سألت الصادق (عليه السلام) عن العشق فقال (عليه السلام) قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حب غيره، منه

أوقاتهم بكليتها إليها و إلى زخارفها وقناتها، غافلين عن ادراك عيوباتها و مساوئها و لم يعرفوا أنها غداره مكاره، غزاره يونق منظرها و يوبق مخبرها، و لم تف إلى الآن لأحد من عشاقها، و لم تصدق ظن أحد من طالبها و راغيبها (فهو ينظر بعين غير صحيحة و يسمع باذن غير سميعه) لغفلته عما سوى المحبوب و عدم تنبهه بما فيه من العيوب فلا ينظر اليه بنظر البصيره و الاعتبار حتى يبصر ما فيه من المفاسد و المضار، و لا يستمع إلى المواعظ و الزواجر و النواهي و الأوامر حتى يأخذ عدته ليوم تبلى السرائر.

(قد خرقت الشهوات عقله) شبه العقل بالثوب اذ كما أن الثوب زينه الانسان و وقايه للبدن من الحرّ و البرد فكذلك العقل زينه للمرء و وقايه له من حرّ نار الجحيم يعبد به الرحمن و يكتسب به الجنان، و جعل عقل الرجل الموصوف بمنزله ثوب خلق و رشح الاستعاره بذكر الخرق إذا الثوب إذا كان خرقا خلقا ممزقا لا ينتفع به صاحبه فكذلك العقل إذا كان مفرقا بالشهوات الباطله مصروفا في اللذات العاجله لا ينتفع به فيما خلق لأجله البتة و في الحقيقه هذه القوه نكر أو شيطنه و ليست بالعقل و إنما هي شبيهه بالعقل.

(و أمات الدنيا قلبه) فلا انتفاع له به كميت لا نفع له (و ولهت عليها نفسه) أى صار فى فرط محبته للدنيا بمنزله الواله عليها و المفتون بها (فهو عبد لها و لمن فى يديه شىء منها) لأنه اذا كانت همته مصروفه اليها و أوقاته مستغرقه فى جمعها و جبايتها صار زمام أمره بيدها (حيثما زالت زال اليها و حيثما أقبلت أقبل عليها) كعبد دائر فى حركاته و سكنااته مدار مولاه بل عبوديته لها أشدّ و أحسن من عبوديه العبد لسيدّه، إذ طاعه العبد و انقياده لسيدّه ربما يكون قسّريا و خدمه ذلك لدنياه عن وجه الشوق و الرغبه و الرضاء و المحبه و فى هذا المعنى قال الشاعر:

ما الناس إلّا مع الدنيا و صاحبها فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخوا الدنيا فان و ثبت يوما عليه بما لا يشتهى و ثبوا

(لا ينزجر من الله بزاجر و لا يتعظ منه بواعظ و هو يرى) الكتب الالهيه و الصحف

السَّـمَـاويَّةِ و الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ المشحونه بذمِّ الدُّنْيَا النَّاهِيه عن الرُّكُونِ اليهَا و الاعتماد عليها، مضافا إلى رؤيته المخرجين عن الدُّنْيَا بجبر و قهر، و المقلعين عنها بكره و قسر (المأخوذون على الغَرَّة) و حاله الاغترار و الغفله المشغولين بالدُّنْيَا و شهواتها الغافلين عن هادم اللذات و سكراته (حيث لا اقاله) لهم عن ذنوبهم (و لا رجعه) لهم إلى الدُّنْيَا ليتداركوا سيئات أعمالهم.

(كيف نزل بهم) من شدايد الأحوال (ما كانوا يجهلون و جاءهم من فراق الدُّنْيَا ما كانوا يأمنون و قدموا من) عقبات (الآخرة على ما كانوا يوعدون) فانه لو تفكَّر في ذلك و تذكَّر ذلك يوشك أن يؤثر فيه و يقلَّ فرحه بالدُّنْيَا و شعفه بها.

لأنه بعد ما لاحظ أحوال هؤلاء الماضين و تصوَّر تبدُّد أجزائهم في قبورهم، و محو التراب حسن صورهم، و أنهم كيف ارمَلوا نسائهم و ايتَموا أولادهم و ضيَّعوا أموالهم، و خلت عنهم مجالسهم و مدارسهم، و انقطعت عنهم آثارهم و معالمهم، و عرف أنَّه عن قريب كائن مثلهم انقلع لا محاله عن هواه و ارتدع عن حبِّ دنياه

تفانوا جميعا فما مخبرو ماتوا جميعا و مات الخبر

تروح و تغد و بنات الثريفتمحو محاسن تلك الصُّور

فيا سائلي عن اناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

لا سيَّما لو عمق نظره في ما حلَّ بالأموات بعد موتهم، و ما نزل بساحتهم حين موتهم، لكان ندمه أشدَّ و حسرته أكد.

(ف) انه (غير موصوف ما نزل بهم) من الشَّدائد و الآلام، و يحتمل أن يكون ضمير بهم راجعا إلى الذين لم يجيوا الدَّاعى المقدم ذكرهم بقوله: فلا- الدَّاعى أجابوا و لا- فيما رغبت إليه رغبوا (اجتمعت عليهم سكره الموت و حسره الفوت ففترت لها أطرافهم و تغيَّرت لها ألوانهم) و ذلك لأنَّ ألم النزع يسرى جميع اعضاء البدن و يستوعب الأطراف و يوجب ضعفها و فتورها.

قال الغزالي: و اعلم أنَّ شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقه

إلا- من ذاقها، و من لم يذوقها فانما يعرفها بالقياس إلى الآلام التي أدركها، بيان ذلك القياس أنّ كلّ عضو لا روح فيه فلا يحسّ بالألم، فاذا كان فيه فالمدرّك للألم هو الرّوح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم، و المؤلم يتفرّق على اللحم و الدم و سائر الأجزاء فلا يصيب الرّوح إلّا بعض الألم، فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح و لا يلاقى غيره، فما اعظم ذلك الألم و ما أشدّ، و النزاع عبارته عن مؤلم نزل بنفس الرّوح، فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء المنتشر في أعماق البدن إلّا و قد حلّ به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنّما يجرى في جزء من الرّوح يلاقى ذلك الموضوع الذي أصابته الشوكة، و إنّما يعظم أثر الاحتراق لأنّ أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا و باطنا إلّا- و تصيبه النّار، فتحسر الأجزاء الرّوحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم، و أمّا الجراحه فأنّما تصيب الموضوع الذي مسّه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزاع يهجم على نفس الرّوح و يستغرق جميع أجزائه، فإنّه المنزوع المجذوب من كلّ عرق من العروق و عصب من الأعصاب و جزء من الأجزاء و مفصل من المفاصل و من أصل كلّ شعره و بشره من الفرق إلى القدم حتّى قالوا إنّ الموت لأشدّ من ضرب بالسّيف و نشر بالمناشير و قرض بالمقاريض، لأنّ قطع البدن بالسيف إنّما يولمه لتعلّقه بالرّوح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح، و إنّما يستغيث المضروب و يصيح لبقاء قوّته في قلبه و في لسانه، و إنّما انقطع صوت الميّت و صياحه مع شدّه ألمه لأنّ الكرب قد بالغ فيه و تصاعد على قلبه و بلغ كلّ موضع منه، فهذه كلّ قوّه و ضعف كلّ جارحه، فلم يترك له قوّه الاستغاثه.

و إلى ذلك أشار بقوله (ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين أحدهم و بين منطقه) و استعار لفظ الولوج لما يتصوّر من فراق الحياه بعضو عضو، فأشبه ذلك دخول جسم في جسم آخر، و المقصود بذلك شدّه تأثير الموت في أبدانهم و ايجابه لضعف اللّسان عن قوّه النطق و التكلّم.

نعم فى روايه الكافى باسناده عن زرارہ عن أبى جعفر عليه السّلام قال: الحياه و الموت خلقان من خلق الله فاذا جاء الموت فدخل فى الانسان لم يدخل فى شىء إلا و خرج منه الحياه.

فانّ ظاهر هذه الروايه مفيده لكون الولوج فى كلامه مستعملا فى معناه الحقيقى اللهم إلا أن يرتكب المجاز فى ظاهر هذه أيضا فافهم.

(و انه لبين أهله ينظر) اليهم (ببصره و يسمع) كلامهم (بأذنه) و لا- يتمكّن من اظهار ما فيه من الشدّه و الحسره عليهم لمكان ضعفه و عجزه مع أنه (على صحّحه من عقله و بقاء من لبه) فهو راغب عن الدّنيا مقبل إلى الآخره، مشغول بحاله محاسب على نفسه، متحسّر على ما قدّمت يداه، نادم على ما فرّط فى جنب مولاه.

(يفكر فيم أفنى عمره و فيم أذهب دهره) و يتأثّر على غفلته فى أيام مهلته (و يتذكّر أموالا جمعها) و استغرق أوقاته فيها (أغمض فى مطالبتها) و تساهل فى اكتسابه أيامه و ذلك لعدم مبالاته بأنّها من حلال أو حرام (و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها) أى من وجوه مباحه و ذوات شبهه.

كما اشير إليه فى النبوى المعروف قال عليه السّلام إنما الامور ثلاثه: أمر بين رشده فيتّبع، و أمر بين غيّه فيجتنب، و شبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجى من المحرّمات و من أخذ بالشّبهات وقع فى المحرّمات و هلك من حيث لا يعلم.

(قد لزمته تبعات جمعها) و آثام جبايتها (و أشرف على فراقها تبقى لمن ورائه ينعمون فيها و يتمتّعون بها) و هم إما أهل طاعه الله فسعدوا بما شقى، و إمّا أهل معصيته فكان عوناً لهم على معصيتهم (فيكون المهنأ لغيره و العبؤ على ظهره) أى يكون هنائه تلك الأموال أى كونها هنيئه لغيره، و وزرها و ثقلها على ظهره.

و فى الحديث النبوى صلّى الله عليه و آله و سلّم المروى عن ارشاد القلوب قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا حمل الميت على نعشه رفر ف روحه فوق النعش و هو ينادى: يا أهلى و ولدى لا تلعبنّ بكم الدّنيا كما لعبت بى، جمعته من حلّ و غير حلّ و خلّفته لكم فالمهنأ لكم

و التعب على فاحذروا مثل ما قد نزل بى، و نعم ما قيل:

يمرّ أقاربى جنات قبرى كأنّ أقاربى لم يعرفونى

و ذو الميراث يقتسمون مالى و ما يألون أن جحدوا ديونى

و قد أخذوا سهامهم و عاشوا فيالله أسرع ما نسونى

و قوله عليه السّلام (و المرء قد غلقت رهونه بها) قال الشارح المعتزلى: معناه أنه لما كان قد شارف الرّحيل و أشفى على الفراق صارت تلك الأموال التى جمعها مستحقّه لغيره و لم يبق له فيها تصرّف، و أشبهت الرّهن الذى غلق على صاحبه، فخرج عن كونه مستحقا له و صار مستحقا لغيره و هو المرتهن.

و اورد عليه بأنه و إن كان محتملا إلّا أنه يضيع فائده قوله: بها، لأنّ الضمير يعود إلى الأموال المجموعه، و هو إشاره إلى المال الذى انغلق الرّهن به فلا نكون هى نفس الرّهن.

و قال الشارح البحرانى: ضربه عليه السّلام مثلا لحصول المرء فى تبعات ما جمع و ارتباطه بها عن الوصول إلى كماله و انبعائه الى سعادته بعد الموت، و قد كان يمكنه فكّاكها بالتوبه و الأعمال الصالحه، فأشبه ما جمع من الهيآت الرّديّه فى نفسه عن اكتساب الأموال، فارتفعت بها بما على الراهن من المال.

أقول: و يتوجّه عليه أنّ الراهن على ذلك التوجيه هو نفس المراد و لو كان مراده عليه السّلام ذلك لقال و المرء قد صار رهينا بها كما قال تعالى: كلّ نفس بما كسبت رهينه.

و الذى يلوح على النّظر القاصر هو أن يقال: إنّه من باب الاستعاره التمثيليه و الغرض تشبيه حال هذا المرء المحجوب عن الترقى إلى مدارج الكمال الغير المتمكّن من الوصول إليها بجمع تلك الأموال بحال من غلقت عليه أمواله المرهونه فى مقابل دين المرتهن فى عدم امكان وصوله اليها و محجوريته عنها، أو أنّ رهونه استعاره لبعض ما فعله من الأعمال الصالحه و ذكر الغلق ترشيح، و تشبيه تلك الأعمال

بالزهن باعتبار عدم تمكنه من الانتفاع بها و محجوبيته عنها بما جمعه من الأموال فصارت تلك الأموال حاجبه مانعه عن انتفاعه بها بمنزله دين المرتهن المانع عن تصرف الراهن في العين المرهونه الموجب لحجره عنها و عن استفادته بها، وإنما صارت تلك الأموال سببا للحجب و المنع عن الانتفاع، لكون حق الناس مقدما على حق الله، و لذلك كان أول عقبات قيامه موضوعه للحكم بين الناس و أخذ المظالم، هذا ما يخطر بالخطر القاصر، و الله العالم بحقايق كلام وليه عليه السلام (فهو يعصّ يده ندامه على ما أصحر له عند الموت من أمره) و انكشف له حينئذ من تفريطه كما يعصّ يوم القيامة إذا عاين العقاب و شاهد طول العذاب قال سبحانه:

«وَيَوْمَ يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي.»

قال في التفسير أى يعصّ على يديه ندما و أسفا، قال عطا: يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين ثم تنبتان لا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلهما ندامه على ما فعل، هذا فغصّ اليد في الآية مستعمل على التفسير المذكور في معناه الحقيقى، و فى كلامه عليه السلام كناية عن الندم و التحسّر على ما فرط فى جنب الله و قصر فى امتثال أمر مولاه (و يزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره) من الأموال التى جمعها و خلفها لغيره (و يتمنى أن الذى كان يغبطه بها و يحسده عليها قد حازها دونه) لما ظهر له من تبعاتها و سوء عاقبتها.

(فلم يزال الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه فصار بين أهله لا) يقدر أن (ينطق بلسانه ولا) أن (يسمع بسمعه) لانقطاع مادّه الحياه عن السمع

و اللسان (يردّد طرفه بالنظر فى وجوههم) أى مخاطباتهم و (يرى حركات ألسنتهم و لا يسمع رجع كلامهم) أى ما يتراجعونه من الكلام لبطلان قوّته السّامعه و بقاء قوّته الباصره بعد.

(ثمّ ازداد الموت التياطا به) أى التصاقا (فقبض بصره كما قبض سمعه و خرجت الرّوح من جسده) و ظاهر هذا الكلام بملاحظه ما سبق من قوله: ثمّ ازداد الموت فيهم و لوجا فحيل بين أحدهم و بين منطق آه، و ما سبق أيضا من قوله: فلم يزل الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه، يفيد لبطلان آله النطق فى الانسان قبل آلتى السمع و البصر، ثمّ بطلان آله البصر و إنّما تبطل مع خروج الرّوح و مفارقتها عن البدن.

قال الشارح البحرانى: و ليس ذلك مطلقا بل فى بعض الناس و أغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعى لآلاته و الّا فقد تعرض الآفه لقوّه البصر و آله قبل آله السّمع و آله النطق، و الذى يلوح من اسباب ذلك أنه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحراره الغريزيه عن فناء الرّطوبه الأصلية التى منها خلقنا، و كان فناء تلك الرطوبه عن عمل الحراره الغريزيه فيها التجفيف و التحليل، و قد تعينها على ذلك الأسباب الخارجيه من الأهويه و استعمال الأدوية المجففه و سائر المجففات، كان كلّ عضو أيبس من طبيعته و أبرد أسرع إلى البطلان و أسبق إلى الفساد.

إذا عرفت ذلك فنقول: أما أنّ آله النطق أسرع فسادا من آله السمع، فلاّنّ آله النطق مبنيّه على الأعصاب المحركه و مركبه منها، و آله السمع من الاعصاب المفيده للحسّ و اتفق الأطباء على أنّ الأعصاب المحرّكه أيبس و أبرد، لكونها منبعثه من مؤخر الدماغ دون الأعصاب المفيده للحسّ، فإنّ جلّها منبعث من مقدّم الدّماغ فكان لذلك أقرب إلى البطلان، و لأنّ النطق أكثر شروطا من السّماع لتوقفه مع الآله و سلامتها على الصّوت و سلامه مخارجه و مجارى النفس، و الأكثر شرطا أسرع إلى الفساد.

و أما بطلان آله السمع قبل البصر فلائذ منبت الأعصاب التى هى محلّ القوّه السامعه أقرب إلى مؤخر الدّماغ من منابت محلّ القوّه الباصره، فكانت أيبس و أبرد و أقبل لانطفاء الحراره الغريزيه، و لأنّ العصب المفروش على الصّيماخ الذى رتبت فيه قوه السيّمع احتاج أن يكون مكشوفاً غير مسدود عنه سبيل الهواء بخلاف العصب الذى هو آله البصر، فكانت لذلك أصلب و الأصلب أيبس و أسرع فساداً، هذا مع أنّه قد يكون ذلك لتحلّل الروح الحامل للسيّمع قبل الرّوح الحامل للبصر أو لغير ذلك، و الله اعلم.

و قوله عليه السّلام (فصار جيفه بين أهله) لا- يخفى ما فى هذا التعبير من النكته اللّطيفه، و هو التنفير عن التعلّق بهذا البدن العنصرى و النهى عن التعرّز بهذا الهيكل الجسمانى، فإنّ من كان أوّله جيفه و آخره جيفه و هو فى الدّنيا حامل الجيف كيف يجوز له الاغترار بوجوده، و التعرّز و التّكبر بذاته لا سيّما بعد ملاحظه كون آخره جيفه أقدر من ساير الجيف حتّى جيفه الكلب و الخنزير، حيث إنّ ساير الجيف لا- توجب على من لامسها الغسل بخلاف ميتة الانسان فإنّ ملامستها توجب غسل المسّ خصوصاً لو لاحظ أنّ أقرب النّاس إليه و آنسهم به من الآباء و الاخوان و البنات و الولدان:

(قد أوحشوا من جانبه و تباعدوا من قربيه) مع كمال انسهم به و محبّتهم له، و جهه استيحاشهم منه حكم أوهامهم السخيفه على قواهم المتخيله بمحاكات حاله فى نفس المتوهم و عزل العقل فى ذلك الموضع، و لذلك أنّ المجاور لميت فى موضع ظلمانى منفرد يتخيل أنّ الميت يجذ به إليه و يصيره بحاله المنفوره عنها طبعاً.

و بالجملة فالمرء إذا خرجت روحه من جسده تنافر النّاس عنه و يبقى فريداً وحيداً (لا يسعد باكياً) على بكائه (و لا يجيب داعياً) على دعائه.

(ثمّ حملوه) أى حفده الولدان و حشده الاخوان (الى محطّ من الأرض) أى قبره الذى يحطّ و ينزل فيه و على ما فى بعض النسخ من روايه مخط بالخاء المعجمه تكون كناية عن القبر لكونه يخطّ أولاً ثمّ يحفر أو عن اللحد لكونه كالخطّ فى الدّقه

(فأسلموه فيه إلى عمله و انقطعوا عن زورته) و وجد ما عمله محضرا فان كان العمل صالحا فنعم المونس و المعين، و إن كان سيئا فبئس المصاحب و القرين و العدو المبين أقول: لو كان كلام يؤخذ بالأعناق في الترهيد عن الدنيا و الترغيب الى الآخرة لكان هذا الكلام الذى فى هذا الفصل، و ما أبعد غوره و اجزل قدره، فانَّ عمده ما أوجب رغبة الراغبين إلى الدنيا و الزاكين إليها و المغترّين بها إنما هي امور ثلاثه احدها حبّ المال و الثانى حبّ الوجود و الثالث حبّ الأولاد و البنين و الأزواج و الأقربين، فزهد عليه السّلام عن كلّ ذلك بأحكم بيان و أوضح برهان.

أما عن المال فبأنه عن قريب يفارقه و ينتقل عنه و يكون لذّته و مهناؤه لغيره و يبقى وزره و تبعته عليه.

و أمّا عن وجوده و نفسه فبأنّه سينمحي أعضاؤه و جوارحه و يبطل قواه و آلاته و يكون بالآخره جيفه منبوذه بين أهله.

و أمّا عن الأولاد و الابناء و الاخوان و الأقرباء فبأنهم سيفارقونه و يتنفّرون عنه و يستوحشون منه، فمن كان مآل ما أحبه ذلك فكيف يغترّ بذلك مع علمه بأنّ كلّ ذلك واقع لا محاله و اعتقاده بأنّ الموت لا يمكن الفرار منه البتّه.

قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: عجب كلّ العجب لمن أنكر الموت و هو يرى من يموت كلّ يوم و ليله، و العجب كلّ العجب لمن أنكر النشأ الآخرة و هو يرى النشأ الاولى و قال الله سبحانه:

«أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ».

روى الأعمش عن خثيمه قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود على نبينا و آله و عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر اليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىّ كأنه يريدنى، قال عليه السّلام: فما ذا تريد؟ قال: اريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتّى تحملنى إلى أقصى الهند، ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان عليه السّلام لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا:

رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى، قال: نعم كنت أتعجب منه، لأنى كنت

أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعه قريبه و كانت عندك فتعجبت من ذلك.

و في الكافي عن علي بن إبراهيم عن عمرو بن عثمان عن مفضل بن صالح عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبرني جبرئيل أنّ ملكا من ملائكة الله كانت له عند الله منزله عظيمه فتعّتب عليه فأهبطه من السماء إلى الأرض، فأتى إدريس عليه السلام فقال: إنّ لك من الله منزله فاشفع لى عند ربك، فصلّى ثلاث ليال لا يفتر و صام أيامها لا يفطر، ثمّ طلب الى الله في السحر في الملك، فقال الملك: إنك قد اعطيت سؤالك و قد اطلق لى جناحي و أنا احبّ أن اكافيك فاطلب إليّ حاجه قال: ترينى ملك الموت لعلّى آنس به فانه ليس يهنئنى مع ذكره شىء، فبسط جناحه ثمّ قال: اركب، فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا، فقليل له: اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعه و الخامسه فقال الملك: يا ملك الموت ما لى أراك قاطبا؟ قال:

العجب انى تحت ظلّ العرش حيث امرت أن أقبض روح آدمى بين السماء الرابعه و الخامسه، فسمع إدريس عليه السلام بها فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، و قال الله عزّ و جلّ: و رفعناه مكانا عليّا و نعم ما قيل:

إنّ الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب و لا حرس

فكيف تفرح بالدنيا و لذتها يا من يعدّ عليه اللفظ و النفس

أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا و أنت دهرك في اللذات منغمس

لا يرحم الموت ذا جهل لغزته و لا الذى كان منه العلم يقتبس

كم أخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس

قد كان قصر ك معمورا به شرف فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

إيقاظ

فى ذكر بعض ما ورد فى وصف الموت و حالات الميّت.

فأقول: قال الغزالي: روى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لو أنّ شعره من شعر الميت وضعت على أهل السماوات و الأرض لماتوا باذن الله، لأنّ فى كلّ شعره الموت و لا يقع الموت بشىء إلاّ لمات، قال: و يروى لو أنّ قطره من

ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت، قال: وقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ العبد ليعالج كرب الموت و سكرات الموت و أَنَّ مفاصله يسلم بعضها على بعض تقول:

عليك السلام تفارقني و افارقك الى يوم القيامة.

و فى الكافى باسناده عن جابر قال قال على بن الحسين عليهما السلام ما ندرى كيف نصنع بالناس، إن حدّثناهم بما سمعنا من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ضحكوا، و إن سكتنا لم يسعنا، قال: فقال ضمّره بن معبد: حدّثنا فقال: هل تدرون ما يقول عدوّ الله إذا حمل على سريره؟ قال: فقلنا: لا، قال عليه السلام: فانه يقول لحملته ألا تستمعون إني أشكو إليكم عدوّ الله خدعنى و أوردنى ثم لم يصدرنى، و أشكو اليكم اخوانا و اخيتهم فخذلونى، و أشكو اليكم أولادا حاميت عليهم فخذلونى «فأسلمونى خ» و أشكو اليكم دارا أنفقت فيها حريتي فصار سكرانها غيرى، فارقوا بى و لا تستعجلونى قال: فقال ضمّره يا أبا الحسن إن كان هذا يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يشب بجهد على أعناق الذين يحملونه؟ قال: فقال على بن الحسين عليهما السلام: اللهم إن كان ضمّره هزاء من حديث رسولك فخذّه أخذ أسف، قال: فمكث أربعين يوما ثم مات، فحضره مولى له قال: فلما دفن أتى على بن الحسين عليهما السلام فجلس إليه فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: من جنازه ضمّره فوضعت وجهى عليه حين سوى عليه فسمعت صوته و الله أعرفه كما كنت أعرفه و هو حىّ يقول: و يلك يا ضمّره بن معبد اليوم خذلك كلّ خليل، و صار مصيرك إلى الجحيم، فيها مسكنك و مبيتك و المقيّل قال: فقال على ابن الحسين عليهما السلام: أسأل الله العافيه هذا جزاء من يهزء من حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن قوله الله عز و جلّ:

«وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ».

قال: فإنّ ذلك ابن آدم إذا حلّ به الموت قال: هل من طيبب إنه الفراق أيقن بمفارقة الأحبه قال، و التفت الساق بالساق التفت الدنيا بالآخره، ثم إلى ربك يومئذ المساق قال: المصير إلى رب العالمين.

و عن عبد الله بن سليم العامري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام و كان سأل ربه أن يحييه له، فدعا فأجابه و خرج إليه من القبر، فقال له ما تريد مني؟ فقال له: أريد أن تونسنى كما كنت في الدنيا، فقال له يا عيسى ما سكنت عنى حراره الموت و أنت تريد أن تعيدنى إلى الدنيا و تعود على حراره الموت، فتركه فعاد إلى قبره.

و عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن يزيد الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فتية من أولاد ملوك بنى إسرائيل كانوا متعبدين، و كانت العباده فى أولاد ملوك بنى إسرائيل و أنهم خرجوا يسرون فى البلاد ليعتبروا، فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سقى عليه السيافى ليس منه إلا اسم، فقالوا: لودعونا الله سياعه فينشر لنا صاحب هذا القبر فساءلناه كيف وجد طعم الموت، فدعوا الله و كان دعائهم الذى دعوا به: الله أنت إلهنا يا ربنا ليس لنا إله غيرك و البدىء الدائم غير الغافل الحى الذى لا يموت لك فى كل يوم شأن تعلم كل شىء بغير تعليم، انشر لنا هذا الميت بقدرتك، قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس و اللحية ينفذ رأسه من التراب فزعا شاخصا بصره إلى السماء، فقال له: ما يوقفكم على قبرى؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت فقال لهم: قد سكنت فى قبرى تسعه و تسعون «تسعين خ ل» سنه ما ذهب عنى ألم الموت و كربه، و لا خرج مراره طعم الموت من حلقى فقال له: مت يوم مت و أنت على ما نرى أبيض الرأس و اللحية؟ قال: لا- و لكن لما سمعت الصيحه اخرج اجتمعت تربى عظامى إلى روحى و بقيت فيه فخرجت فزعا شاخصا بصرى مهطعا إلى صوت الداعى فابيض لذلك رأسى و لحيتى.

و فى عقايد الصدوق (ره) قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال عليه السلام:

على الخير سقطتم هو أحد امور ثلاثه يرد عليه: إما بشاره بنعيم الأبد، و إما بشاره بعذاب الأبد و إما تخويف و تهويل و أمر مبهم لا يدري من أى الفرق هو، أمّا ولينا و المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، و أما عدونا و المخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد

و أما المبهم أمره الذى لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤل إليه حاله، يأتيه الخبر مبهما مخوفا ثم لن يشوبه الله عزّ وجلّ بأعدائنا ولكن يخرج من النار بشفاعتنا، فاعملوا و أطيعوا و لا تتكلموا و لا تستصغروا عقوبه الله، فإنّ من المسرفين من لا يلحقه شفاعتنا إلّا بعد عذاب الله بثلاثمأة ألف سنة قال: و سئل عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ما الموت الذى جهلوه؟ فقال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، و أعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا من جنتهم إلى نار لا تبيد و لا تنفد.

قال: و قيل لعليّ بن الحسين عليهما السّلام: ما الموت؟ قال: للمؤمن كنز ثياب و سخره قمله أو فكّ قيود و أغلال ثقيله و الاستبدال بأفخر الثّياب و أطيبها روائح و أوطى المراكب و آنس المنازل، و للكافر كخلع ثياب فاخره و النقل عن منازل أنيسه و الاستبدال بأوسخ الثّياب و أخشنها و أوحش المنازل و أعظم العذاب.

قال: و قيل للصادق عليه السّلام: صف لنا الموت، فقال: هو للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينفس لطيبه فيقطع التعب و الألم كلّ عنه، و للكافر كلسع الأفاعى و لدغ العقارب و أشدّ، قيل له: فإنّ قوما يقولون هو أشدّ من نشر بالمناشير و قرص بالمقاريض و رضخ بالحجاره و تدوير قطب ارحيه فى الأحداق، فقال: هو كذلك على بعض الكافرين و الفاجرين، ألا ترون من يعاين تلك الشدائد، فذلكم الذى هو أشدّ من هذا و هو أشدّ من عذاب الدّنيا، قيل: فما لنا نرى كافرا يسهل عليه النزاع فينطفئ و هو يتحدّث و يضحك و يتكلّم، و فى المؤمنين من يكون أيضا كذلك، و فى المؤمنين و الكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال عليه السّلام: ما كان راحه للمؤمن فهو من عاجل ثوابه، و ما كان من شدّه فهو تمحيصه من ذنوبه ليرد إلى الآخرة تقيا طاهرا نظيفا مستحقا لثواب الله ليس له مانع دونه، و ما كان هناك من سهوله على الكافرين فليستوفى أجر حسناته فى الدّنيا ليرد إلى الآخرة و ليس له إلّا ما يوجب عليه العذاب، و ما كان من شدّه على الكافرين هناك فهو ابتداء عقاب الله تعالى عند نفاد حسناته، ذلك بأنّ الله عزّ وجلّ عدل لا يجور.

و روى عن الصادق عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ما بالي لا أحب الموت؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ألك مال؟ قال: نعم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: قدمته أمامك قال: لا، قال صلى الله عليه وآله وسلم: فمن ثم لا تحب الموت.

قال: و جاء رجل إلى أبي ذر رحمه الله و قال ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتُم الدّنيا و خرّبتُم الآخره فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب، و قيل له كيف ترى قدومنا على الله تعالى؟ فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على اهله، و أما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه و هو منه خائف، قيل: و كيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تعالى حيث يقول:

«إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» قال رجل «الرجل ظ» فأين رحمه الله؟ قال:

«إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ».

تنبيه

أحببت أن أورد هنا الزوايه المتضمنه لتكلم الميت مع سلمان الفارسي رضى الله عنه و ما أخبره به من حالات سكرات الموت و ما بعدها من الشدائد و الدواهي لأن فيها تنبيها للغافلين و تذكره للجاهلين.

فأقول: روى غير واحد من أصحابنا أنار الله برهانهم عن أبي الفضل سديد المله و الدين شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمي في الجزء الثاني من كتابه كتاب الفضائل عن أبي الحسن بن علي بن محمد المهدى بالاسناد الصّحيح عن الأصبغ ابن نباته أنه قال: كنت مع سلمان الفارسي و هو أمير المدائين في زمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و ذلك أنه قد ولّاه المدائين عمر بن الخطاب فقام إلى أن ولي الأمر علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الأصبغ فأتيته يوما و قد مرض مرضه الذي مات فيه، قال: فلم أزل أعوده

فى مرضه حتّى اشتدّ به الأمر و أيقن بالموت، قال: فالتفت إلى و قال لى: يا أصبغ عهدى برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول يا سلمان سيكلمك ميّت إذا دنت وفاتك و قد اشتهيت أن أدري وفاتى دنت أم لا، فقال الأصبغ: بماذا تأمرنى يا سلمان يا أختى؟ قال له ان تخرج و تأتىنى بسرير و تفرش لى عليه ما يفرش للموتى ثمّ تحملنى بين أربعة فتأتون بى الى المقبره.

فقال الاصبغ: حبا و كرامه، فخرجت مسرعا و غبت ساعه و أتيت به بسرير و فرشت عليه ما يفرش للموتى، ثمّ أتيت به بقوم حملوه إلى المقبره، فلما وضعوه فيها قال لهم:

يا قوم استقبلوا بوجهى القبلة، فلما استقبل بوجهه القبلة نادى بأعلى صوته:

السّلام عليكم يا أهل عرصه البلاء، السّلام عليكم يا محتجين عن الدّنيا قال: فلم يجبه أحد فنادى ثانيه، السّلام عليكم يا من جعلت المنايا لهم غذاء، السلام عليكم يا من جعلت الأرض عليهم غطاء، السّلام عليكم يا من القوا أعمالهم فى دار الدّنيا، السّلام عليكم يا منتظرين النفخه الاولى سألتكم بالله العظيم و النّبىّ الكريم إلّا أجابنى منكم مجيب فأنا سلمان الفارسى مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فانه قال لى:

يا سلمان إذا دنت وفاتك سيكلمك ميّت، قد اشتهيت أن أدري دنت وفاتى أم لا.

فلما سكت سلمان من كلامه فاذا هو بميّت قد نطق من قبره و هو يقول:

السّلام عليك و رحمه الله و بركاته، يا أهل البناء و الفناء المشتعلون بعرصه الدّنيا و ما فيها، نحن لكلامك مستمعون، و لجوابك مسرعون فسل عمّا بدا لك يرحمك الله تعالى.

قال سلمان: أيّها الناطق بعد الموت و المتكلّم بعد حسره الفوت أمن أهل الجنه بعفوه أم من أهل النار بعدله؟ فقال: يا سلمان أنا ممن أنعم الله تعالى عليه بعفوه و كرمه، و أدخله الجنه برحمته.

فقال له سلمان: الآن يا عبد الله صف لى الموت كيف وجدته و ما ذا لقيت منه و ما رأيت و ما عاينت؟ قال: مهلا يا سلمان فوالله إنّ قرضا بالمقاريض و نشرا بالمناشير لأهون علىّ من غصّه من غصص الموت، و تسعين ضربه بالسّيف أهون من نزع

فقال سلمان: ما كان حالك في دار الدنيا؟ قال: اعلم أني كنت في دار الدنيا ممن ألهمني الله تعالى الخير والعمل به و كنت أوْدَى فرائضه و أتلو كتابه، و كنت أحرص في برِّ الوالدين و أجتنب الحرام و المحارم و أنزع من المظالم و اكّد الليل و النهار في طلب الحلال خوفا من وقعه السؤال، فبينما أنا في لذّ العيش و غبطه و فرح و سرور إذ مرضت و بقيت في مرضى أياما حتى انقضت من الدنيا مدّتي و قربت موتي، فأتاني عند ذلك شخص عظيم الخلقه فظيع المنظر فوقف(١) مقابل وجهي لا إلى السماء صاعدا و لا إلى الأرض نازلا، فأشار إلى بصرى فأعماه، و إلى سمعي فأصمه، و إلى لساني فأخرسه فصرت لا ابصر و لا اسمع و لا انطق، فعند ذلك بكى أهلي و اخواني و ظهر بخبري إلى اخواني و جيرانى.

فقلت له عند ذلك: من أنت يا هذا الذى أشغلتنى عن مالى و أهلى و ولدى فقد ارتعدت فرايصى من مخافتك.

فقال: أنا ملك الموت أتيتك لقبض روحك و لأنقلك من دار الدنيا إلى دار الآخرة، فقد انقضت مدّتك من الدنيا، و جاءت ميّتك.

و بينا هو كذلك يخاطبني إذا أتاني شخصان و لهما منظر أحسن ما يكون و ما رأيت من الخلق أحسن منهما، فجلس أحدهما عن يميني و الآخر عن شمالي فقالا:

السّلام عليك أيها العبد و رحمه الله و بركاته، قد جئناك بكتابك فخذ الآن و انظر ما فيه

ص: ٣٤٧

١- (١) لعلّ هذا الرجل قد كان عليه من الذنوب ما أراد الله تمحيصها عنه عند الموت و لذا رأى ملك الموت على تلك الصورة كما ترى انه ما ذكر حضور الوصى (عليه السلام) عند موته و قد قامت به الضرورة و في الامالى من صام أربعة و عشرين يوما من رجب فاذا نزل به ملك الموت ترائى له في صورته شاب عليه حله من ديباج اخضر على فرس من افراس الجنان و بيده حرير اخضر ممثلا بالمسك الاذفر و بيده قدح من ذهب مملو من شراب الجنان فسقاه اياه عند خروج نفسه يهون عليه سكرات الموت الخبر. نفس الرحمن.

فقلت لهما: من أنتما يرحمكما الله و أئى كتاب لى أنظره و أقرء؟ فقالا: نحن الملكان اللذان كنا معك فى دار الدنيا على كتفيك نكتب مالک و ما عليك فهذا كتاب عملک، فلما نظرت فى كتاب حسناتى بيد الرقيب فسر لى ما فيه و ما رأيت من الخير و فرحت و ضحكت عند ذلك و فرحت فرحا شديدا، و نظرت إلى كتاب السيئات و هو بيد العتيد فسأنى ما رأيت و أبكاني، فقالا لى: ابشر فلك الخير.

ثم دنى منى الشخص الأول فجذب الروح فليس من جذبه يجذبها إلا و هى تقوم مقام كل شدة من السماء إلى الأرض، فلم يزل كذلك حتى صارت الروح فى صدرى، ثم أشار الى بجذبه لو أنها وضعت على الجبال لذابت، فقبض روحى من عرين أنفى فعلا من اهلى عند ذلك الصراخ و ليس من شىء يقال أو يفعل إلا و أنا به عالم.

فلما اشتد صراخ القوم و بكاءهم جزعا على التفت اليهم ملك الموت بغيض و حنق و قال: معاشر القوم مم بكائكم فو الله ما ظلمناه فتشكون و لا اعتدينا عليه فتصيحون و تبكون و لكن نحن و أنتم عبيد رب واحد و لو امرتم فينا كما امرنا فيكم لا مثلتم فينا كما امتثلنا فيكم، و الله ما أخذناه حتى فنى رزقه و انقطعت مدته و صار إلى رب كريم يحكم فيه ما يشاء و هو على كل شىء قدير فان صبرتم أو جرتم و إن جزعتم أثمتكم كم لى من رجعه إليكم آخذ البنين و البنات و الآباء و الأمهات.

ثم انصرف عند ذلك عنى و الروح معه فعند ذلك أتاه ملك آخر فأخذها منه و طرحها فى ثوب أخضر من الحرير و صعد بها و وضعها بين يدى الله فى أقل من طبقه جفن.

فلما حصلت الروح بين يدى ربى سبحانه سألها عن الصغيره و الكبيره، و عن الصلاه و الصيام فى شهر رمضان و حج بيت الله الحرام و قراءه القرآن و الزكاه و الصدقات و ساير الأوقات و الأيام و طاعه الوالدين و عن قتل النفس بغير الحق

و أكل مال اليتيم و مال الرّبا و الزّنا و الفواحش و عن مظالم العباد، و عن التهيج بالليل و النَّاس نيام و ما يشاكل ذلك، و ما بعد ذلك رَدّت الرّوح إلى الأرض باذن الله تعالى.

فعند ذلك أتاني الغاسل فجَرَدني من أثوابي و أخذ في تغسيلي، فنادته الرّوح بالله عليك يا عبد الله رفقا بالبدن الضعيف فو الله ما خرجت من عرق إلّا انقطع و لا من عضو إلّا انصدع فو الله لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميتا أبدا.

ثمّ أنّه أجرى علىّ الماء و غسّلني ثلاثه أغسال و كَفَّنني في ثلاثه أثواب و حنّطني بحنوط و هو الزّاد الذي خرجت به الى الآخره، ثمّ جذب الخاتم من يدي اليمنى فدفعه إلى أكبر أولادي و قال: آجرك الله في أبيك و أحسن لك الاجر و العزاء.

ثمّ أدرجني في الكفن و لفّني و نادى أهلي و جيراني و قال هلمّوا إليه بالوداع فقاموا عند ذلك لو داعي.

فلمّا فرغوا من وداعي حملت على سرير خشب و حملوني على أكتاف أربعة، و الرّوح عند ذلك بين وجهي و كفي واقفه على نعشي و هي تقول: يا أهلي و أولادي لا تلعب بكم الدّنيا كما لعبت بي، فهذا ما جمعت من حلّ و من غير حلّ و خلّفته بالهناء و الصّحه فاحذروني فيه.

و لم أزل كذلك حتى وضعت للصّلاه فصلّوا علىّ، فلما فرغوا من الصّلاه و حملت إلى قبري ادليت فيه ثمّ رفعت روحي بين كتفي و وجهي ادنيت من قبري و طرحت على شفير القبر، فعانيت هو لا عظيما.

يا سلمان يا عبد الله لما وضعت في قبري خيل لي أنّي سقطت من السّماء إلى الأرض في لحدي، و شرج علىّ اللّبن و حتّى علىّ التراب و زاروني «و اروني ظ» و انصرفوا، فرجعت الرّوح إلى فأخذت في التّدم فقلت: يا ليتني كنت مع الراجعين.

فعند ذلك سلبت الرّوح من اللّسان و انقلبت السّمع و البصر فلما نادى المنادي بالانصراف أخذت في الندم و بكيت من القبر و ضيقه و ضغطته و كنت قلت: يا ليتني كنت مع الراجعين لعملت عملا صالحا فجاوبني مجيب من جانب القبر:

«كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

فقلت من أنت يا هذا الذى تكلمنى و تحدّثنى؟ قال: أنا متّبه، قلت: و ما متّبه؟ قال: أنا ملك و كلنى الله بجميع خلقه لأتّبههم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدى الله.

ثمّ إنّه جذبنى و أجلسنى و قال لى: اكتب عملك و مالك و ما عليك فى دار الدّنيا، قلت: انى لا احصيه و لا أعرفه، قال: أو ما سمعت قول ربّيك: أحصيه الله و نسوه؟ ثمّ قال لى: اكتب الآن و أنا أملى عليك، فقلت: أين البياض؟ فجذب جانباً من كفى فاذا هو رقّ فقال: هذه صحيفتك، فقلت: من أين القلم؟ قال: سبّابتك، فقلت: من أين المداد؟ فقال: ريقك.

ثمّ أملى علىّ جميع ما فعلته فى دار الدّنيا من أوّل عمرى إلى آخره، فلم يبق من أعمالى صغيره و لا كبيره، ثمّ تلى علىّ: «لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا».

ثمّ إنّه أخذ الكتاب و ختمه بخاتم و طوّقه فى عنقى فخيّل لى أنّ جبال الدّنيا جميعاً قد طوّقها فى عنقى، فقلت له: يا متّبه و لم تفعل بى هكذا؟ قال:

ألم تسمع قول ربّيك «وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا».

فهذا ما تخاطب به يوم القيامة و يؤتى بك و بكتابك بين عينيك منشوراً لتشهد به على نفسك.

ثمّ انصرف عنى فبقيت أبكى على نفسى على حسره الدّنيا و أقول: يا ليتنى

عملت خيرا حتى لا يكتب عليّ شر.

فبينما أنا كذلك و إذا أنا بملك منكر أعظم منظرا و أهول شخصا ما رأيته في الدّنيا، و معه عمود من الحديد لو اجتمعت عليه الثقلان ما حرّكوه، فراعني و أفزعني و هدّدي و دنا منّي فجذبني بلحيتي، ثم انه صاح بي صيحه لو سمعها أهل الأرض لماتوا جميعا ثم قال لي: يا عبد الله أخبرني من ربّك و من نبيّك و ما دينك و ما كنت عليه في دار الدّنيا؟ فاعتقل لساني من فزعه و تحيّرت في أمرى و ما أدري ما أقول و ليس في جسمي عضو إلّا فارقتني من الفزع و انقطعت أعضائي و أوصالي من الخوف.

فأتتني رحمه من ربّي فأمسك بها في قلبي و شدّ بها ظهري و اطلق بها لساني و رجع إليّ ذهني فقلت له عند ذلك: يا عبد الله لم تفزعني و أنا أشهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّدا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنّ الله ربّي و محمّد نبيّ و الاسلام ديني و القرآن كتابي و الكعبة قبلتي و عليّ امامي و بعده أولاده الطاهرون أئمتي، و المؤمنون اخواني و أنّ الموت حقّ و السّؤال حقّ و الصّراط حقّ و الجنة حقّ و النّار حقّ و أنّ السّاعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور فهذا قولي و اعتقادي و عليه القى ربّي في معادي.

فعند ذلك قال لي: يا عبد الله ابشر بالسلامه فقد نجوت منّي فتم نومه العروس ثم مضى عنّي.

ثم أتاني شخص أهول منه يعرف بنكير، فصاح صيحه هائله أعظم من صيحه الاولى، فاشتبكت أعضائي بعضها في بعض كاشتباك الأصابع، ثم قال لي: هات الآن عملك يا عبد الله و ما خرجت عليه من دار الدّنيا و من ربّك و من نبيّك و ما دينك؟ فبقيت حائرا متفكّرا في ردّ الجواب لا أعرف جوابا و لا انطق بخطاب لما رأيت و سمعت منه.

فعند ذلك صرف الله عنّي شدّه الزّوع و الفزع و ألهمني حجّتي و حسن التوفيق و اليقين فقلت: ارفق بي و لا ترعجنني يا عبد الله و امهل عليّ حتى أقول لك، فقال: قل

فقلت: انى خرجت من شهاده أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أن أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب و الأئمه الطاهرين من ذريته أئمتى و أن الموت حقّ و القبر حقّ و الصّراط حقّ و الميزان حقّ و الحساب حقّ و مسائله منكر و نكير حقّ، و أن الجنّه و ما وعد الله فيها من النّعيم حقّ و أن النّار و ما وعد الله من العذاب حقّ، و أن السّاعه آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور.

ثمّ قال لى: يا عبد الله ابشر بالنّعيم الدّائم و الخير المقيم ثمّ إنّه أضجعى و قال: نم نومه العروس، ثمّ انه فتح لى بابا من عند رأسى إلى الجنّه و بابا من عند رجلى الى النار ثمّ قال لى: يا عبد الله انظر إلى ما صرت إليه فى الجنّه و إلى ما نجوت منه من نار الجحيم، ثمّ سدّ الباب التّى من عند رجلى و ابقى الباب الذى هو من عند رأسى فجعل يدخل علىّ من روح الجنّه و نعيمها و أوسع لحدى مدّ البصر(1) و اسرج لى سراجا أضوء من الشمس و القمر و خرج عنى.

فهذه صفتى و حديثى و ما لقيت من شدّه الأهوال، و أنا أشهد بالله أن مراره الموت فى حلقى إلى يوم القيامة، فراقب الله أيّها السائل من رفعه المسائل، و خف من هول المطّلع و ما قد ذكرته، هذا الذى لقيت و أنا من الصّالحين ثمّ انقطع عند ذلك كلامه عن سلمان.

فقال سلمان للأصمغ و من كان معه: هلمّوا إلّى و احملونى، فلمّا وصل إلى منزله قال: حطونى رحمكم الله، فلمّا حططناه إلى الأرض و شهدناه فقال:

اسندونى، ثمّ رمق بطرفه إلى السّماء و قال: يا من بيده ملكوت كلّ شيء و إليه يرجعون و هو يجير و لا يجار عليه بك آمنت و عليك توكلت و بنبيك أقررت و بكتابك صدقت، و قد أتانى ما وعدتنى يا من لا يخلف الميعاد فلقنى جودك، و أقبضنى إلى رحمتك، و أنزلنى إلى دار كرامتك فانى اشهد الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

ص: ٣٥٢

١- (١) و مضى عنى و انا يا سلمان لم اجد عند الله شيئا يحبّه الله اعظم من ثلاثه: صلاه الليله شديده البرد، و صوم يوم شديده الحرّ، و صدقه يمينك لا يعلم بها شمالك «خ ل»

و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، و أنّ عليّا أمير المؤمنين و الأئمّه من ذرّيته أئمّتى و ساداتى فلما أكمل شهادته قضى نحبّه و لقي ربّه رضى الله تعالى عنه.

فقال بينما نحن كذلك إذ أتا رجل على بعله شهباء متلثما فسلم علينا فرددنا السّلام عليه فقال: يا أصبغ اجهدوا فى أمر سلمان، فأخذنا فى أمره فأخذ معه حنوطا و كفنا فقال: هلمّوا فإنّ عندى ما ينوب عنه، فأتيناه بماء و مغسل، فلم يزل يغسله بيده حتّى فرغ و كفّنه و صلّى عليه فصلينا خلفه، ثمّ إنّ دفنه بيده فلما فرغ من دفنه همّ بالانصراف تعلقنا به و قلنا له: من أنت يرحمك الله؟ فكشف لنا عن وجهه فسطع النور من ثنياه كالبرق الخاطف فاذا هو أمير المؤمنين فقلت له يا أمير المؤمنين كيف كان مجيئك و من أعلمك بموت سلمان؟ قال: فالتفت إلّى و قال: آخذ عليك يا أصبغ عهد الله و ميثاقه و أنّك لا تحدّث به أحدا ما دمت حيّا فى دار الدّنيا، فقلت يا أمير المؤمنين أموت قبلك فقال: لا يا أصبغ بل يطول عمرى، قلت له: يا أمير المؤمنين خذ علىّ عهدا و ميثاقا فأنّى لك سامع مطيع انى لا احّدث به حتّى يقضى الله من أمرى ما يقضى و هو على كلّ شىء قدير.

فقال: يا أصبغ بهذا عهدنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فانى قد صلّيت هذه السّاعه بالكوفه و قد خرجت اريد منزلى فلما وصلت إلى منزلى اضطجعت، فأتانى آت فى منامى و قال: يا على إنّ سلمان قد قضى نحبّه فركبت بغلتى و أخذت معى ما يصلح للموتى فجعلت أسير فقرب الله لى البعيد كما ترانى، و بهذا أخبرنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم انه دفنه و واره فلم أر أصدع إلى السّماء أم فى الأرض نزل، فأتى الكوفه و المنادى ينادى بصلاه المغرب فحضر عندهم (١).

و هذا ما كان من حديث وفاه سلمان الفارسى (ره) على التمام و الكمال و الحمد لله حقّ حمده و قد رويت الخبر على طوله لاقتضاء المقام ذلك من حيث اشتماله على

ص: ٣٥٣

١- (١) هذه الروايه كما ترى صريحه فى أنّ وفات سلمان رضى الله عنه كان أيام خلافه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفه و المستفاد من الروايات الاخر أنّ وفاته كان عند كونه (عليه السلام) بالمدينه و لعلنا نشير الى تلك فى أواخر الشرح ان ساعدنا التوفيق انشاء الله، منه

کثیر من أحوال المیت و أهوال البرزخ المسوق لها هذا الفصل من كلامه عليه السّلام، و أوردت ذيله مع خروجه عن مقتضى المقام لأنّی إن ساعدنی التوفیق إنشاء الله اورد فی شرح باب الکتب و الوصایا مبدء أمر سلمان و کیفیّه اسلامه و بعض مناقبه فأحببت أن اورد هنا مآل أمره و منتهاه لیطلع النّاطر فی الشرح علی بدایه حاله و نهايته مع ما فيه من اعجاز عجیب لأمیر المؤمنین سلام الله علیه و علی آله الطّیین هذا.

و لا يخفی ما فی هذه الرّوايه من الکفایه للمهتدی الطالب للرّشاد، بما فیها من التّنبیه و الايقاظ من الغفله و الرقاد، فإنّ هذا المیت مع کونه ممّن ألهمه الله الخیر و الصّلاح و کونه من أهل السّعاده و الفلاح إذا کان حاله ذلک، و مصیر أمره کذلک فکیف بنا و نحن المنهمکون فی الشّهوات و المستغرقون فی بحار السّیئات.

تروّ عنا الجنائز مقبلات و نلهوحن تذهب مدبرات

کروعه ثلّه لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

اشتغلنا ببدوات الخواطر، و نسینا الله و الیوم الآخر، و غفلنا عن أخذ الزاد لیوم المعاد، و لا سبب لهذه الغفله إلاّ قسوه القلوب بکثره المعاصی و الذّنوب، فلیس لنا خلاص و مناص، و لا معاذ و لا ملاذ، و لا مطمع و لا رجاء إلاّ فی بحر الکرم و الجود، و التّفضل من واجب الوجود

و لما قسى قلبی و ضاقت مذاهی جعلت رجائی نحو عفوک سلّما

تعاضمنی ذنبی فلما قرنته بعفوک ربّی کان عفوک أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذّنّب لم تزل تجود و تعفو منه و تکرّما

الترجمه

تنزیه میکنم تو را تنزیه کردنی در آن حال که آفریننده مخلوقات و معبود موجودات بسبب حسن امتحان خود در حین آفریدن، آفریدی خانه را که عبارت است از خانه آخرت و مهیا نمودی در آن مهمانی را: شرابی و طعامی و زنانی و خدمتگذارانی و غرفه های رفیع و نهرهای لطیفه و زراعت های خوب و میوه های

مرغوب، بعد از آن فرستادی دعوت کننده را که می خواند مردمان را بسوی آن پس این مردمان نادان نه دعوت کننده را اجابت نمودند، و نه در آنچه ترغیب نمودی راغب شدند، و نه بسوی آنچه که مشتاق نمودی بسوی آن شایق گشتند.

روی آوردند بر جیفه دنیای غدار در حالتی که مفتضح و رسوا شدند بسبب خوردن آن، و اتفاق و آشتی کردند بر دوستی آن، و هر که عاشق گشت به چیزی پرده کشید آن چیز چشم او را، و ناخوش گردانید قلب او را، پس او نظر می کند با چشم نا صحیح، و می شنود با گوش ناشنوا، در حالتی که دریده و پاره کرده شهوات دنیویه عقل او را، و کشته دنیای دنی قلب او را، و واله و شیفته شده بر دنیا نفس او.

پس آن محب دنیا بنده دنیا است و بنده کسیست که در دستهای آن چیز است از متاع دنیا، هر کجا که گردید دنیا گردید آن شخص بسوی آن، و هر کجا که روی آورد دنیا روی نهاد او بر آن در حالتی که منزجر نمی شود از خدا بزجر کننده و متعظ نمی شود از حق تعالی بموعظه نماینده، و حال آنکه می بیند کسانی را که گرفتار شدند در حالت غفلت و مغروری در مکانی که نیست هیچ فسخ و اقاله مرایشان را و نه رجوع و بازگشتی در حق ایشان، چگونه نازلشد بایشان چیزی که جاهل بودند بآن، و آمد مالشان در مفارقت دنیا چیزی که خاطر جمع بودند از آن، و آمدند از آخرت بر آنچه که بودند که وعده داده می شدند بآن.

پس قابل وصف و تعریف نیست چیزی که نازلشد به آنها، جمع شد برایشان سختی و شدت مرگ و حسرت و پشیمانی وفات، پس سست گشت از جبهه سكرات موت اعضاء ایشان، و تغییر یافت از جبهه آن رنگهای ایشان.

بعد از آن افزون شد مرگ در ایشان از حیثیت دخول، پس حایل شد میان هر یک از ایشان و میان سخن گفتن او، و بدرستی که او در میان اهل خود نگاه میکند بدیده خود و می شنود بگوش خود بر صحت عقل خود و باقی بودن ادراک خود، تفکر می کند که در چه چیز فانی کرد عمر خود را، و در چه چیز گذرانید روزگار خود را، و بیاد می آورد مالهایی را که جمع نمود آنها را، و اغماض نمود در مواضع طلب آنها، و أخذ

نمود آنها را از جاهائی که واضح و روشن بود حلیّت آن، و از جاهای شبهه ناک آنها بتحقیق که لازم شد او را گناههای جمع آوری آنها، و مشرف شد بر مفارقت آنها باقی ماند آنها از برای پس ماندگان او در حالتی که منعم میشوند بر آنها، و متمتع می باشند به آنها، پس باشد گوارائی آن اموال از برای غیر او، و بار گران و وزر و بال آنها بر پشت او، و حال آنکه آن مرد بسته شده گروههای او بسبب آن مالها، پس او گزند دندان خود را از روی ندامت و پشیمانی بر آنچه که ظاهر شد باو در حین مرگ از امر خود، و ترک رغبت میکند در آنچه که راغب بود در آن در مدّت عمر خود، و آرزو میکند این که کاشکی آن شخصی که غبطه می نمود باو بسبب آن اموال و حسد می برد بر او در آنها آن شخص حیازت نمودی و جمع می کردی آنها را نه او.

پس همیشه مرگ ثابت بود مبالغه می کرد در بدن او تا آنکه آمیخته شد بقوّه ناطقه او سامعه او، پس گردید در میان اهل خود بحیثیتی که قادر نبود سخن بگوید با زبان خود، و نه بشنود با گوش خود در حالتی که گرداند چشم خود را بنگاه کردن در رویهای ایشان، بیند حرکتهای زبانهای ایشان را، و نمی شنود تردید سخنان و جواب باز دادن ایشان را.

پس از آن زیاده می شود مرگ در حیثیت چسبیدن باو، پس أخذ کند چشم او را همچنان که قبض نمود گوش او را، و خارج شود روح از تن او، پس گردد جیفه و مرداری در میان اهل خود در حالتی که وحشت کنند از جانب او و دوری جویند از نزدیکی او، و موافقت نمی کند گوینده خود را، و جواب نمی تواند بدهد برخواننده خود.

پس از آن بردارند او را بسوی منزل او در زمین پس سپارند او را در آن منزل بعمل خودش و بریده شوند از زیارت کردن او. شارح فقیر کثیر التقصیر می گوید که مخفی نماند کفایت این کلام بلاغت نظام در مقام وعظ و تذکیر و انذار و تحذیر و هدایت سرگشتگان بادیه ضلالت

و نجات دادن غرق شدگان دریای غفلت را، و لنعم ما قیل:

دلا یکدم از خواب بیدار شو ز سر مستی کبر هشیار شو

بعبرت نظر کن سوی رفتگان که فردا شوی عبرت دیگران

بزرگی که سودی بگردون سرش نگه کن که چون خاک شد پیکرش

ز دور زمان نگذرد اندکی که خواهی تو هم بود از ایشان یکی

الفصل الثالث

اشاره

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَ الْأَمْرَ مُقَادِيرَهُ، وَ الْحَقَّ آخِرَ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يَرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّيِّئِ جَاءَ وَ فُطِرَها، وَ أَرْجَ الْأَرْضِ وَ أَرْجَفَها، وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَها، وَ دَكَّ بَعْضُها بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالِهِ، وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَ أَخْرَجَ مِنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ وَ جَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يَرِيدُ مِنْ مَسَائِلَتِهِمْ: عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ، وَ خَبَايَا الْأَفْعَالِ، وَ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ. فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ، فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ، وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النَّزَالُ، وَ لَا يَتَغَيَّرُ لَهُمُ الْحَالُ، وَ لَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْرَاعُ، وَ لَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَ لَا تُعْرَضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَ لَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ، وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَ قَرَنَ

التَّوَصَّى بِالْأَقْدَامِ، وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَائِيلَ الْقَطْرَانِ، وَ مَقْطَعَاتِ النَّيْرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَ بَابٌ قَدْ أَطْبَقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارِ لَهَا كَلْبٌ وَ لَجِبٌ، وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ، وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مَقِيمَهَا، وَ لَا يَفَادِي أُسِيرَهَا، وَ لَا تَفْصِمُ كَبُولَهَا، لَا مَدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنِي، وَ لَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى.

اللغة

(الكتاب) بمعنى المكتوب من كتب بمعنى حكم و قضى يقال كتب القاضي بالثقة و (ماد) يمد ميدا و ميدانا تحرك و أماده حرّكه، و في بعض النسخ أمار، و الموران الحركة (و أَرَجَّ) الأرض زلزلها أَرَجَّتْ الأرض و أَرَجَّها الله يستعمل لازما و متعديا و في بعض النسخ و رَجَّ الأرض بغير همز و هو الأفصح المطابق لقوله تعالى إذا رَجَّتْ الأرض رَجًّا و (الرَّجْفَةُ) الزَّلْزَلَةُ الشَّديده و (نسفها) قلعها من اصولها.

و قوله (بعد اخلاقهم) في بعض النسخ بفتح الهمزة و في بعضها بالكسر من خلق الثوب بالضم اذا بلى فهو خلق بفتحيتين و أخلق الثوب بالالف لغه و أخلقته يكون الرباعي لازما و متعديا هكذا في المصباح، و قال الطريحي: و ثوب اخلاق اذا كانت الخلق فيه كَلَّةً و (ظعن) ظعننا و ظعننا من باب نفع سار و ارتحل، و يتعدى بالهمزة و بالحرف يقال أظعننته و ظعننت به و (الاضطار) جمع الخطر محرّكه كاسباب و سبب و هو الاشراف على الهلاك و خوف التلف.

و (شخص) يشخص من باب منع خرج من موضع إلى غيره و يتعدى بالهمزة فيقال أشخصته و (السَّيربال) القميص و (القطران) بفتح القاف و كسر الطاء و بها قرأ السبعة في قوله تعالى سرايلهم من قطران، و ربما يكسر القاف و يسكن الطاء

و هو شيء أسود لزج منتن يطلى به الابل.

و (المقطعات) الثياب التى تقطع و قيل: هى قصار الثياب و (الكلب) محرّكه الشدّه و يقال كلب الدّهر على أهله اذا ألحّ عليهم و اشتدّ و (اللّجب) بالتحريك أيضا الصّوت و (القصيف) الصّوت الشديده و (تفصم) بالفاء من انفصم و هو كسر الشيء من غير إبانة، و فى بعض النسخ بالقاف و هو الكسر مع إبانة و (الكبول) جمع الكبل كفلس و فلوس و هو القيد يقال كبلت الأسير و كبلته إذا قيدته فهو مكبول و مكبل قال الشّاعر:

لم يبق إلا أسير غير منقلب و موثق فى عقال الاسر مكبول

الاعراب

قوله: فأما أهل الطّاعه فأثابهم بجواره، أما حرف شرط و تفصيل و توكيد أما أنها شرط فبديل لزوم الفاء بعدها، و أما أنها تفصيل فلكونها مكرّره غالباً قال تعالى: و أمّا السّيفينه فكانت لمساكين، و أمّا الغلام، و أمّا الجدار، الآيات، و أما أنها مفيدة للتوكيد فقد أفصح عنه الزمخشري حيث قال: فايده أمّا فى الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك و أنه لا محاله ذاهب و أنه بصدد الذهاب و أنه منه على عزيمة تقول: أمّا زيد فذاهب، و لذلك قال سيبويه فى تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، فهذا التفسير مفيد لفائدتين: بيان كونه تأكيداً، و أنه فى معنى الشرط.

و قوله: حيث لا- يظعن النزال، حيث ظرف مكان بدل من قوله فى داره، و هى من الظّروف الواجبه الاضافه الى الجمل و مبيته على الضّمّ أمّا بناؤها فلأنها مضافه فى المعنى إلى المصدر الذى تضمّنته الجملة إذ معنى جلست حيث جلس زيد جلست مكان جلوسه و إن كانت فى الظّاهر مضافه إلى الجملة فاضافتها إليها كلا اضافه فشابهت الغايات المحذوف ما اضيفت اليه فلهذا بنيت على الضّمّ كالغايات.

قال نجم الأئمة الرّضى: و اعلم أنّ الظرف المضاف إلى الجملة لما كان ظرفاً

للمصدر الذى تضمّنته الجملة على ما قرّرنا لم يجر أن يعود من الجملة اليه ضمير فلا يقال آتيك يوم قدم زيد فيه، لأنّ الرّبط الذى يطلب حصوله من مثل هذا الضمير حصل باضافه الضمير الى الجملة و جعله ظرفا لمضمونها، فيكون كأنك قلت يوم قدوم زيد فيه، أى فى اليوم و ذلك غير مستعمل و إنما وجب الرّبط لما لم يكن الظرف مرتبطا بأن كان منوّنا نحو يوما قدم فيه زيد، قال تعالى: يوم تسوّد وجوه و قد يقول العوام: يوم تسوّد فيه الوجوه و نحوه، و هو شاذّ و بذلك ظهر عدم الحاجة الى الضمير فى قوله حيث لا يظعن النزال، فإنّ معناه مكان عدم ظعن النزال فافهم ذلك فإنّه ينفعك فى كثير من المقامات الآتية.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن لبيان حال العباد فى المعاد و كيفيّة محشرهم و منشرهم و بعثهم و جمعهم و إثابة المطيعين منهم و عقاب العاصين و أكثر ما أورده عليه السّلام هنا مطابق لآيات الكتاب الكريم و القرآن الحكيم حسبما تطلع عليه فيما يتلى عليك فأقول: قوله: (حتّى اذا بلغ الكتاب أجله و الأمر مقاديره) أراد بالكتاب ما كتبه الله تعالى سبحانه و قضاه فى حقّ النّاس من لبثهم فى القبور إلى يوم الحشر و النشور و بالأمر (1) الامورات المقدّره الحادثه فى العالم السفلى المشار اليها بقوله تعالى:

«وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ».

فالمعنى أنّه إذا بلغ المقضى فى حقّ العباد غايته و نهايته فى الامورات المقدّره مقاديرها المعلومه و حدودها المعينه التى اقتضت الحكمه الالهيه و التدبير الأزلى بلوغها اليها (و الحق آخر الخلق بأوله) أى انتزعوا جميعا عن الدّنيا و أحاط بهم الموت و الفنا و اجتمعوا فى القبور بعد سكنى القصور (و جاء من أمر الله) و حكمه (ما يريده من

ص: ٣٦٠

١- (١) و قد تقدّم فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى فى بيان معنى قوله (عليه السلام) و مختلفون بقضائه و أمره، ما ينفعك ذكره فى المقام فليراجع، منه

تجديد خلقه) أى بعثهم و حشرهم (أما السماء و فطرها) أى حرّكها و شقّها، و هو اشاره إلى خراب هذا العالم.

و به نطق قوله سبحانه: يوم تمور السماء مورا، أى تضطرب و تموج و تتحرّك، و فى سورة المزمل: السماء منفطر به و كان وعده مفعولاً قال الطبرسى: المعنى أنّ السماء تنفطر و تنشقّ فى ذلك اليوم من هو له، و فى سورة الانفطار: إذا السماء انفطرت، قال الطبرسى تشققت و تقطعت، (و أرجّ الأرض و أرجفها) أى حرّكها و زلزلها كما قال تعالى فى سورة الواقعة: إذا رجّت الأرض رجاً، قال الطبرسى أى حركت حركه شديده، و قيل زلزلت زلزالا شديدا، و قيل معناه رجّت بما فيها كما يرجّ الغراب بما فيه فيكون المراد ترجّ باخراج من فى بطنها من الموتى، و فى سورة التازعات: يوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه، قيل أى تضطرب الأرض اضطرابا شديدا و تحرّك تحرّكا عظيما يعنى يوم القيامة تتبعها الرادفه أى اضطرابه اخرى كائنه بعد الاولى فى موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى يفنى كلّها.

(و قلع جبالها و نسفها) و هو موافق لقوله تعالى فى سورة طه:

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا».

قال الطبرسى أى و يسألك منكر و البعث عند ذكر القيامة عن الجبال ما حالها فقل:

يا محمّد ينسفها ربّي نسفا، أى يجعلها ربّي بمنزله الزمل، ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذريه الطعام من القشور و التراب فلا يبقى على وجه الأرض منها شيء و قيل يصيرها كالهباء، و قيل إنّ رجلا من ثقيف سأل النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله يسوقها بأن يجعلها كالزّمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرّقها، فيذرها، اى فيدع أما كنها من الأرض إذا نسفها، قاعا، أى أرضا ملساء، و قيل منكشفه، صفصفا، أى أرضا مستويه ليس للجبل فيها أثر،

لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، أى ليس فيها منخفض و لا مرتفع و فى سورة الواقعة:

«وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَتًّا».

أى فتت فتاً أو كسرت كسرا، فكانت غبارا متفرقا كالذى يرى من شعاع الشمس اذا دخل من الكوة و فى سورة المزمل:

«يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا».

قال الطبرسى: أى رملا سائلا مستأثرا عن ابن عباس و قيل: المهيل الذى اذا وطأه القدم زلّ من تحتها و إذا اخذت أسفله انهار أعلاه، عن الضحاك، و المعنى أنّ الجبال تنقلع من اصولها فتصير بعد صلابتها كالزمل السائل و دلّ بعضها بعضا من هيبة جلاله و مخوف سلطنته، و يشهد به قوله سبحانه فى سورة الحاقة:

«إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَهُ وَاحِدَةً وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيُومِئِدُ وَ قَعَتِ الْوَادِعَةُ».

أى رفعت الأرض و الجبال من اماكنها و ضرب بعضها بعض حتى تفتت الجبال و سفتها الرياح و بقيت الأرض شيئا واحدا لا جبل فيها و لا رايه، بل تكون قطعه مستويه، و قال على بن إبراهيم القمى فى تفسيرها: قد وقعت فدك بعضها على بعض، و قال الطبرسى أى كسرتا كسره واحده لا تشنى حتى يستوى ما عليها من شىء مثل الأديم الممدود.

(و اخرج من فيها فجددهم بعد اخلاقهم) أى بعد كونهم خلقا باليا أو بعد جعله لهم كذلك (و جمعهم بعد تفريقهم) يحتمل أن يكون المراد به جمع اجزائهم بعد تفتتهم و تأليف أعضائهم بعد تمزيقهم و جمع نفوسهم فى المحشر بعد تفرقهم فى مشارق الأرض و مغاربها و الثانى أظهر (ثم ميزهم لما يريد من مسائلتهم عن خفايا الأعمال و خبايا الأفعال) أى أعمالهم التى فعلوها فى خلواتهم (و جعلهم فريقين أنعم على هؤلاء و انتقم من هؤلاء) كما قال تعالى:

«إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» و في سورة الرعد:

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ».

و اليه أشار بقوله (فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ) و السَّعَادَةِ (فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ) و قربه (و خَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ) الاضافه للتشريف و التكريم و فيها تشويق و ترغيب الى هذه الدَّار لا سَيِّمًا و انها دار خلود (حيث لا يظعن النزال) أى لا يرتحل النازلون فيها عنها و لا يجوز عليهم الانتقال (و) دار سلامه و استقامه (لا- يتغيّر لهم الحال و) دار أمن و كرامه (لا- تنوبهم الأفراع و) دار صحه و عافيه (لا تنالهم الأسقام و) دار سرور و لذه (لا تعرض لهم الأخطار و) دار استراحه (لا تشخصهم الأسفار) و في هذه كلّها اشاره إلى سلامه أهل الجنان من الهموم و الأحزان، و آفات الأجساد و الأبدان، و طوارق المحن و البلاء العارضه لأهل الدُّنيا، و فيها حسبما اشرنا اليه حثّ و ترغيب اليها و إلى المجاهده في طلبها.

فتتبّه أيّها المسكين من نوم الغفله، و استيقظ من رقدّه الجهاله، و عليك بالمجاهده و التقوى، و نهى النفس عن الهوى لتصل إلى تلك النعمه العظمى و تدرك الجنّه التي عرضها الأرض و السموات العلى، و تفكّر في أهلها و ساكنيها «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ».

جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر متّكئين على أرائك منصوبه على أطراف أنهار مطرده بالخمّر و العسل محفوفه بالغلمان و الولدان مزينه بالهور العين من الخيرات الحسان، كأنهنّ الياقوت و المرجان لم يطمئنّ انس قبلهم و لا جانّ، يمشين في درجات الجنان

و اذا اختالت احديهنّ فى مشيها حمل اعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرايف الحرير ما تتخيّر فيه الأبصار مكلّلات بالتيجان المرصّيه باللؤلؤ والمرجان مشكلات غنجات عطرات امنات من الهرم والبوس و حوادث الزّمان مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثمّ يطاف عليهم و عليهنّ بأكواب و أباريق و كأس من معين بيضاء لذّه للشاربين، و يطوف عليهم ولدان مخمّدون كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، فى مقام أمين فى جنّات و نهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، لا يرهقهم قتر و لا ذلّه بل عباد مكرمون لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و من ريب المنون آمنون، خالدون فيها و يأكلون من أطعمتها و يشربون من أنهارها لبنا و خمرا و عسلا مصفّى، و أىّ أنهار أراضيتها من فضّه بيضاء و حصبائها مرجان، و يمطرون من سحب من ماء النسرین على كثران الكافور و يجلسون على أرض ترابها مسك أذفر، و نباتها زعفران.

فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها، و يوقن بأنّه لا يموت أهلها و لا تحلّ الفجائع بمن نزل بساحتها، و لا تنظر الأحداث بعين التّغيير إلى أهلها، كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها، و نودى بالرحيل قطانها، و الله لو لم يكن فيها الاّ سلامه الأبدان مع الأمن من البلاء و الموت و ساير الحداث، لكان جديرا بأن يهجر الدّنيا بسببها، و لا تؤثر عليها مع كون التّغصّ و التصرّم من ضروراتها، فإنّ نعم الدّنيا زايله كلّها فانيه، و نعم الجنّه دائمه باقيه، و أهل الدّنيا كلّهم متنّعون هالكون، و أهل الجنّه منعمون آمنون.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ينادى مناديا أهل الجنه انّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدا، و انّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، و انّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدا و انّ لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا، فذلك قول الله عزّ و جلّ: «و نُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

(و أمّا أهل المعصيه) و الشّقاوه (فأنزلهم شرّ دار) و بئس القرار (و غلّ الأيدى إلى

الأعناق) بأغلال و سلاسل من نار قال سبحانه:

«إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ» و في سورة يس: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ».

قال الطبرسي: يعنى أيديهم، كنى عنها و ان لم يذكرها لأن الأعناق و الأغلال تدلان عليها، و ذلك انّ الغلّ انما يجمع اليد الى الذقن و العنق و لا يجمع الغلّ العنق الى الذقن، و روى عن ابن عباس و ابن مسعود انهما قرءا انا جعلنا فى أيماهم أغلالا، و قرأ بعضهم فى أيديهم، و المعنى فى الجميع واحد، لأنّ الغلّ لا يكون فى العنق دون اليد و لا فى اليد دون العنق، و قوله: فهم مقمحون(1)، أراد أنّ أيديهم لما غلّت الى أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رؤوسهم صعدا فهم مرفوع و الرأس برفع الأغلال أيها «و جعلنا من بين أيديهم سداً و من خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون».

اشاره الى ضيق المكان فى النار بحيث لا يجدون متقدما و لا متأخرا إذ سدّ عليهم جوانبهم فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون فى النار.

(و قرن التواصى بالأقدام) بالأغلال و الأصفاد كما قال تعالى فى سورة الرحمن «يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاهُمُ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ».

قال الطبرسي فى تفسير: تأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم و أقدامهم بالغلّ

ص: ٣٦٥

١- (١) المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه و يقال قمح البعير اذا رفع رأسه و لم يشرب الماء، مجمع البيان.

ثمَّ يسحبون في النَّارِ و يقذفون فيها(و ألبسهم سراويل القطران) كما قال عزّ من قائل في سورة إبراهيم:

«وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سِرَافِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ» قال المفسّر و هو ما يطلّى به الابل الجربى فيحرق الجرب و الجلد، و هو شيء أسود لزج متين يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم ليكون أسرع اليهم و أبلغ في الاشتعال و أشدّ في العذاب، و قيل السّربال من قطران تمثيل لما يحيط بجوهر النَّفس من المهلكات الرّديه و الهيآت الموحشات المؤلمه (و مقطّعات النيران) قيل: المقطّعات كلّ ثوب يقطع كالقميص و الجبّه و نحوهما لا ما لا يقطع كالآزار و الرّداء، و لعلّ السّرّ في كون ثياب أهل النار مقطّعات كونها أشدّ في العذاب لاشتغالها على جميع البدن، و في مجمع البيان في تفسير قوله:

«فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ» قال ابن عباس: حين صاروا إلى جهنّم لبسوا مقطّعات النيران، و هي الثياب القصار و قيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار و هي أشدّ ما تكون حمى، و قيل أنّ النّار تحيط بهم كاحاطه الثياب التي يلبسونها (في عذاب قد اشتدّ حرّه و باب قد اطبق على أهله) لكونهم في العذاب مخلّدين، و في النار محبوسين، و من خروج الباب ممنوعين، فالأبواب عليهم مغلقه، و أسباب الخروج بهم منقطعه قال سبحانه:

«كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ».

قال الحسن: أنّ النار ترميهم بلهبها حتّى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهو و فيها سبعين خريفا، فاذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرّون ساعه فذلك قوله: كلّما أرادوا الآيه، و أمّا أهل الجنّه فأبوا بها عليهم مفتوحه كما قال تعالى:

«وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَنَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ».

(فى نار لها كلب و لجب و لهب ساطع) أى لها شدة و صوت و اشتعال مرتفع (و قصيف هائل) أى صوت شديد مخوف (لا يظعن مقيمها) بل كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون (و لا ينادى أسيرها) أى لا يؤخذ عنه الفديه فيخلص كأسراء الدنيا (و لا تفصهم كبولها) و قيودها بل هى و ثيقه محكمه (لا مده للدار فتفى و لا أجل للقوم فيقضى) بل عذابها أبدى سرمدى.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة و النار، و يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، و يا أهل النار خلود بلا موت.

فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المؤذنه بالزوال و الانقضاء، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه و اصرف الفكر الى موردك و مصيرك و قد اخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل:

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا».

فانت من الورود على يقين و من النجاه فى شك، فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاه منه، و تأمل فى حال الخلايق و قد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها و أهوالها وقوا ينتظرون حقيقه أنبائها، اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب و أظلت عليهم نار ذات لهب، و سمعوا لها زفيرا و جرجره تفصح عن شدة الغيظ و الغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالهلاك و العطب، و جثت الامم على الركب، حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب، و خرج المنادى من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل

المضيق عمره فى سوء العمل، فيبادرونه بمقامع من حديد، و يستقبلونه بعظام التهديد و يسوقونه الى العذاب الشديد، و ينكسونه فى قعر الجحيم، و يقولون له: ذق إنك أنت العزيز الكريم.

فاسكنوا دارا ضيقه الأرجاء، مظلمه المسالك، مبهمه المهالك يخلد فيها الأسير، و يوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، و مستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، و الهاويه تجمعهم، أمانهم فيها الهلاك، و مآلهم منها فكاك، قد شددت أقدامهم إلى النواصي، و اسودت وجوههم من ظلمه المعاصي.

ينادون من أكنافها، و يصيحون فى أطرافها، يا مالک قد حق علينا الوعيد يا مالک قد أثقلنا الحديد، يا مالک قد نضجت منا الجلود، يا مالک اخرجنا منها فأننا لا نعود، فتقول الزبانية لا ت حين أمان، لا خروج لكم من دار الهوان، فاحسبوا فيها و لا تكلمون، و لو اخرجتم لکنتم الى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون و على ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون، و لا يغنيهم الأسف و لا ينجيهم الندم، اذ زلت بهم القدم، بل يكون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم، و النار من تحتهم، و النار عن أيمنهم، و النار عن شمائلهم. فهم غرقى فى النار، طعامهم و شرابهم نار، و لباسهم نار، و مهادهم نار.

فهم بين مقطعات النيران، و سراويل القطران، و ضرب المقامع، و ثقل السلاسل، و هم يتجلجلون فى مضايقتها، و يتحطمون فى دركاتها، و يضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور، و يهتفون بالويل و العويل و الثبور، و مهما دعوا بذلك صب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما فى بطونهم و الجلود، و لهم مقامع من حديد، تهشم بها جباههم، فيتفجر الصديد من أفواههم، و تنقطع من العطش اكبادهم، و تسيل على الخدود أحداقهم و يسقط من الوجنات لحومها، و يتمعظ (1) من الأطراف جلودها، و كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها

ص: ٣٤٨

قد عريت من اللحم عظامهم، فبقيت الأرواح منوطه بالعروق و علايق العصب، و هي تنش في نفخ تلك النيران و هم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون.

فكيف بك لو نظرت اليهم و قد اسودّت و جوههم أشدّ سوادا من الحميم، و اعميت ابصارهم، و ابكمت ألسنتهم، و قصمت ظهورهم، و كسرت عظامهم. و جدعت آذانهم، و مزّقت جلودهم، و غلّت أيديهم إلى أعناقهم، و جمع بين نواصيهم و أقدامهم و هم يمشون على النار بوجوههم و يطؤون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم، و حيّات الهاويه و عقاربها متشبّته بطواهر أعضائهم.

قال أبو الدرداء: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يلقي على أهل النار الجوع حتّى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن و لا يغنى من جوع، و يستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصّه فيذكرون أنّهم كانوا يجيزون «يجرعون» الغصص في الدنيا فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلايب الحديد فاذا ادنت من وجوههم شوت و جوههم، فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون: ادعوا اخزنه جهنم، قال: فيدعون فيقولون: ادعوا ربّكم يخفّف عنا يوما من العذاب، و يقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا و ما دعاء الكافرين إلّا في ضلال، قال فيقولون ادعوا مالكا، فيدعون، فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربّك، قال فيجيبهم إنّكم ما كثون.

قال الاعمش انبئت أنّ بين دعائهم و بين اجابه مالك إيّاهم ألف عام قال:

فيقولون: ادعوا ربّكم، فلا أحد خير من ربّكم فيقولون:

«رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ».

قال: فيجيبهم: احسنوا فيها و لا تكلّمون، قال: فعند ذلك يسوا من كلّ خير، و عند ذلك اخذوا في الزّفير و الحسره و الويل.

و عن زيد بن أسلم في قوله تعالى:

«سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ».

قال صبروا مأثمه سنه ثم جزعوا مأثمه سنه ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا.

وقال محمّد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عزّ وجلّ في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلّموا بعدها أبداً يقولون:

«رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ» فيقول الله تعالى مجيباً لهم: «ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ» ثم يقولون: «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً» فيجيبهم الله تعالى: «أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ» فيقولون:

«رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» فيجيبهم الله تعالى:

«أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» ثم يقولون: «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ» فيجيبهم الله تعالى «اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ».

فلا- يتكلّمون بعدها أبداً، وذلك غاية شدّة العذاب، وهذه بعض أحوال أهل النار اجمالاً، وأمّا تفصيل غمومها و أحزانها و محنها و حسراتها فلا نهايه لها، فالعجب

كُلَّ الْعَجَب لِي وَلَا مِثَالِي نَضْحَكَ وَ نَلْهُو وَ نَشْتَغِلُ بِمَحْقَرَاتِ الدُّنْيَا وَ قِيَنَاتِهَا، وَ لَا نَدْرِي أَنَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ فِيهَا مَنْعُمُونَ، أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَ فِيهَا مَعَذَّبُونَ، وَ كَيْفَ لَنَا بِالْجَنَّةِ مَعَ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَ غُرُورِهَا، وَ لَا رَجَاءَ بَلْ لَا طَمَعَ إِلَّا بِرَحْمَةِ الْغَفَّارِ وَ شَفَاعَةِ الشُّفَعَاءِ الْأَطْهَارِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ غَضَبِ الْجَبَّارِ.

الترجمه

تا این که زمانی که برسد مکتوب در حقّ بندگان بنهایه خود، و امورات مقدّره بغایه خود، و لا حق گردانیده شود آخر مردمان بأوّل ایشان، و بیاید از فرمان خدای متعال آنچه اراده کرده باشد آنرا از تازه کردن خلق خود، بحرکت بیاورد آسمان را، و بشکافد آنرا، و حرکت دهد زمین را، و بجنباند آنرا، و برکند کوههای زمین را، و پراکنده گرداند اجزای آنها را مثل ریک، و بکوبد بعضی از آنها بعضی را از هیبه جلال پروردگار، و ترس سطوت خداوند قهار، و بیرون بیاورد هر کس که باشد در بطن زمین، پس تجدید نماید ایشان را بعد از کهنه بودن ایشان، و جمع کند ایشان را بعد از پراکنده نمودن ایشان، بعد از آن تمیز می دهد در ما بین ایشان از برای آنچه که اراده نموده باشد از نوال کردن از عملهای نهان و فعلهای پنهان، و بگرداند ایشان را دو فرقه انعام بفرماید بر این فرقه و انتقام بکشد از آن فرقه.

پس أما اهل طاعت و صلاح پس جزا می دهد ایشان را بجوار رحمت خود و جاوید گرداند ایشان را در سرای خود، در مکانی که کوچ نکند فرود آیندگان و متغیر نشود بایشان احوال، و نرسد بایشان خوفها، در نیاید بایشان ناخوشیها، و عارض نمی شود بایشان خطرها، و از جای بجائی نفرستد ایشان را.

و أما اهل معصیت و شقاوت پس نازل میکند ایشان را در بدترین سرا، و ببندد دستهای ایشان را بسوی گردنها، و پیوست گرداند پیشانی ایشان را بقدّمها، و بپوشاند برایشان پیراهن های قطران جامهای آتش سوزان، در عذابی که سخت

باشد گرمی آن، و در میان دری که بهم آورده باشد بروی أهل آن، در آتشی که باشد او را شدّه و صدا و زبانه بلند شده و او را سخت ترساننده که کوچ نکند اقامه کننده در آن، و فدیّه گرفته نشود از اسیران، و شکسته نشود قیدهای آن، مدّت و نهایت نباشد آن سرا را تا فانی شود، و وقت معینی نباشد آن قوم را تا بآخر برسد.

الفصل الرابع

اشاره

منها فی ذکر النبی صلی الله علیه و آله قد حقّر الدّنيا و صغّرها، و أهونها و هونها، و علم أنّ الله زویها عنه اختیارا، و بسطها لغيره احتقاراً، فأعرض عنها بقلبه، و أمات ذکرها عن نفسه، و أحبّ أن تغیب زینتها عن عینه، لکیلا یتخذ منها ریاشا، أو یرجو فیها مقاما، بلغ عن ربّه معذرا، و نصح لامّته منذرا، و دعا إلى الجّنه مبشّرا، نحن شجره التّبوه، و محطّ الرّساله، و مختلف الملائکة، و معادن العلم، و ینابیع الحکم، ناصرنا و محبّنا ینتظر الرّحمه، و عدوّنا و مبغضنا ینتظر السّطوه.

اللغه

(هان) الشیء هونا و هوانا ذلّ و حقر فهو هین بالتّشدید و هین بالسیکون و یتعدی بالهمزه فیقال أهنته و بالتّضعیف فیقال هونته
أی أذلّته و فی بعض النّسخ أهون بها بدل أهونها ای لم یعتدّ بها و لم تکن عزیزه علیه و (زواه) زیّا و زویما نحاه

و زوى المال عن صاحبه طواه و (الزيش) و الرياش واحد و هو ما ظهر من اللباس الفاخر و (السطوه) القهر و الذله.

الاعراب

اختيارا منصوب بنزع الخافض و يحتمل الحال من فاعل زوى أو من ضمير عنه على تاويله بالمشتق أى مختارا، و احتقارا إما منصوب على المفعول له أو حال من فاعل بسط على التأويل بالمشتق أيضا و معذرا و منذرا و مبشرا منصوبات على الحال

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن لأمرين: أحدهما وصف زهد النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم و فيه تعريض على ذمّ الدّنيا و زخارفها، و الثانى افتخاره و مباهاته عليه السّلام بكمالاته النفسانيّه و اختصاصه الخاصّ الذى كان له برسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم المستلزم سبقه على غيره و تقدّمه على الكلّ.

اما الامر الاول

فهو ما أفصح عنه بقوله عليه السّلام (قد حقّر الدّنيا و صغّرها) التشديد للتكثير فيقتضى زياده تحقيره و تصغيره صلّى الله عليه وآله و سلّم، و هو أبلغ فى الثناء عليه (و أهونها و هوّنها) أى عدّها هيّنه ذليله فى نظره و لم يعتدّ بها (و علم أنّ الله زويها) أى صرفها و طويها (عنه اختيارا) أى مختارا بصيغه الفاعل و باختيار منه سبحانه زويها و حقّه أو اختيار منه صلّى الله عليه وآله و سلّم ذلك لنفسه و رضاه (و بسطها لغيره احتقارا) أى محتقرا بالكسر أو لحقارتها عنده سبحانه.

و يشهد بذلك كلّ ما رواه فى الكافى باسناده عن عبد الله بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إذا أراد الله بعبد خيرا زهّده فى الدّنيا و فقّهه فى الدّين و بصر عيوبها و من اوتيهنّ فقد اوتى خير الدّنيا و الآخرة.

و عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: خرج النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم و هو محزون فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض فقال يا محمّد هذه مفاتيح خزائن الأرض

يقول لك ربك افتح و خذ منها ما شئت من غير أن ينقص شيئا عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا دار من لا دار له و لها يجمع من لا عقل له، فقال الملك و الذي بعثك بالحق لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح.

و عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجدي أسك ملقى على مزبله ميتا فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حيا لم يساو درهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: و الذي نفسى بيده الدنيا أهون على الله من هذا الجدى على أهله.

و فى احياء العلوم للغزالي قال: قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ربّى عزّ و جلّ عرض علىّ أن يجعل لى بطحاء مكه ذهابا فقلت: لا- يا ربّ أجوع يوما و أشبع يوما، فأمرّيا اليوم الذى أجوع فيه فأتضرّع اليك و أدعوك، و أمرّيا اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك و اثنى عليك.

و يأتى انشاء الله فى فصول الخطبه المأه و السابعة و الخمسين أخبار اخر مناسبة للمقام.

(فأعرض عنها بقلبه و أمات ذكرها عن نفسه و أحبّ أن تغيب زيتتها عن عينه) قال الغزالي: روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ فى أصحابه بعشار من النوق حصل و هى الحوامل و كانت من أحبّ أموالهم اليهم و أنفسهم عندهم، لأنها تجمع الظهر و اللحم و اللبن و الوبر، و لعظمها فى قلوبهم قال الله تعالى: و إذا العشار عطّلت، قال:

فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و آله و سلم و أغمض بصره، ف قيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر إليها؟ فقال: قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى:

«وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» - الآية.

(كيلا يتخذ منها ريشا) أى لباسا فاخرا (أو يرجو فيها مقاما) أى اقامه مع الايمان و الاسلام و الشرائع و الأحكام (بلغ عن ربّه معذرا) أى مزيلا للعدر عن

النَّيَّاسَ لثَلَاثًا- يَكُونُ لِلنَّيَّاسِ عَلَى اللَّهِ حَاجَةٌ وَ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ وَ لثَلَاثًا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (وَ نَصَحَ لَأُمَّتِهِ مِنْذِرًا) لَهُمْ عَنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَ شَدِيدِ الْعِقَابِ (وَ دَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مَبْشِرًا) بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَ حَسَنِ الْمَآبِ.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي

فَهُوَ قَوْلُهُ (نَحْنُ شَجَرُهُ النَّبَوَّةِ) أَرَادَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ وَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَ وَ زَوْجَتَهُ الصَّيِّدِيَّةَ وَ أَوْلَادَهُ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَ بِهِ فَسَّرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: كَشَجَرِهِ طَيِّبِهِ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فُرْعَاهَا فِي السَّمَاءِ الْآيَةِ، وَ قَدْ مَضَى تَوْضِيحُهُ فِي شَرْحِ الْكَلَامِ السَّادِسِ وَ السَّتِينَ، وَ شَرْحِ الْخُطْبَةِ الثَّالِثَةِ وَ التَّسْعِينَ فَتَذَكَّرْ.

(وَ مُحِطَ الرِّسَالَةِ) لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعًا رَسَلِ اللَّهُ جَعَلَهُمْ مُحَالَ الرِّسَالَةِ وَ مَوْضِعَهَا كَمَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُ الْغَلَاةِ وَ زَعَمُوا أَنَّ الْأَثْمَةَ يُوحَى إِلَيْهِمْ كَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ قَدْ كَذَبُوا لِعَنْهُمْ اللَّهُ وَ إِنَّمَا هُمْ مُحَدَّثُونَ مَفْهُومُونَ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ قَبِيلَتَهُمْ مُحَلَّ نَزُولِ الرِّسَالَةِ أَوْ نَزَلَتْ فِي بَيْتِهِمْ، أَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ جَمِيعٌ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ وَ وَصَلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ أَوْلَادِهِ الطَّاهِرِينَ فَهُمْ مَوْضِعُ الرِّسَالَةِ وَ مُحِطُهَا بِهَذَا الْمَعْنَى.

وَ يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَا فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ حَمْرَانَ بْنِ أَعِينٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ جَبْرِئِيلَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِرِّمَانَتَيْنِ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِحْدَاهُمَا وَ كَسَرَ الْآخَرَى بِنِصْفَيْنِ فَأَكَلَ نِصْفًا وَ أَطْعَمَ عَلِيًّا نِصْفًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَا أَخِي هَلْ تَدْرِي مَا هَاتَانِ الرِّمَانَتَانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَّا الْأُولَى فَالنَّبَوَّةُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ، وَ أَمَّا الْآخَرَى فَالْعِلْمُ فَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهِ، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَكُونُ شَرِيكُهُ فِيهِ؟ قَالَ: لَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عِلْمًا إِلَّا وَ أَمْرُهُ أَنْ يَعْلَمَهُ عَلِيًّا وَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ، نَزَلَ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِرِّمَانَتَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ فَلَقَاهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا هَاتَانِ الرِّمَانَتَانِ اللَّتَانِ فِي يَدَيْكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا هَذِهِ فَالنَّبَوَّةُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ، وَ أَمَّا هَذِهِ فَالْعِلْمُ،

ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله نصفها ثم قال: أنت شريكى فيه وأنا شريكك فيه وقال عليه السّلام فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرفا مما علمه الله إلا وقد علمه عليا عليه السّلام، ثم انتهى العلم إلينا ثم وضع يده على صدره وبالجملة فالمراد أنّهم مخزن علم الرسالة وأسرارها (و مختلف الملائكة) أى محلّ اختلافهم وترددهم ومجيئهم وذهابهم مرّة بعد أخرى، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظاهر، وأما الأئمة عليهم السّلام فلاّتهم ينزلون اليهم مرّة بعد أولى وطائفه بعد أخرى لزيارتهم والتشرف بهم وإنزال الأخبار اليهم.

و يدلّ عليه ما فى الكافى باسناده عن مسمع كردين البصرى قال: كنت لا أزيد على اكله بالليل والنّهار فرّبما استأذنت على أبى عبد الله وأجد المائدة قد رفعت لعلّى لا أراها بين يديه فاذا دخلت دعابها فاصيب معه من الطعام ولا أتأذى بذلك و اذا عقت بالطعام عند غيره لم أقدر على أن أقرّ ولم أنم من النفخه، فشكوت ذلك إليه عليه السّلام وأخبرته بأنّى اذا أكلت عنده لم أتأذبه، فقال: يا با سيار إنّك تأكل طعام قوم صالحين تصافحهم الملائكة على فرشهم، قال: قلت: و يظهرون لكم قال، فمسح يده على بعض صبيانه فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم.

و عن الحسين بن أبى العلا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال يا حسين و ضرب بيده إلى مساور فى البيت: مساور طال ما اتّكت عليها الملائكة وربّما التقطنا من زغبها و المساور جمع المسوره و هو المتكأ، و الزّغب محرّكه صغار الريش و لينه.

و فيه عن أبى حمزه الثمالى قال: دخلت على على بن الحسين عليهما السّلام فاحتبست فى الدار ساعه ثم دخلت البيت و هو يلتقط شيئا و أدخل يده من وراء الستر فناوله من كان فى البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذى أراك تلتقطه أى شىء هو؟ فقال:

فضله من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا نجعله سبحا لأولادنا، فقلت جعلت فداك و أنّهم ليأتونكم؟ فقال: يا با حمزه أنّهم ليزاحموننا على تكاتنا و السبح بالباء الموحده النّوم و السّكون، و فى بعض النسخ سيحا بالياء المشناه التحتائيه و هو الكساء المخطط، و فى البحار عن بصائر الدّرجات سحابا بدله

و هو ككتاب خيط ينظم فيه خرز و يلبسه الصبيان و الجوارى، و التَّكَاهُ كهمزه ما يَتَّكَا عليه.

و فى الكافى أيضا عن على بن أبى حمزه عن أبى الحسن قال: سمعته يقول:

ما من ملك يهبطه الله فى أمر ما يهبطه إلا بدء بالامام فعرض ذلك عليه، و أن مختلف الملائكة من عند الله تبارك و تعالى إلى صاحب هذا الأمر.

و فى البحار من بصائر الدرجات عن أحمد عن الحسين عن الحسن بن بره الأصم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنَّ الملائكة لتنزل علينا فى رحالنا و تنقلب على فرشنا و تحضر موائدنا و تأتينا من كل نبات فى زمانه رطب و يابس، و تقلب أجنتها على صبياننا، و تمنع الدواب أن تصل إلينا و تأتينا فى وقت كل صلاة لتصلّيها معنا، و ما من يوم يأتى علينا و لا ليل إلا و أخبار أهل الأرض عندنا، و ما يحدث فيها، و ما من ملك يموت فى الأرض و يقوم غيره إلا و تأتينا بخبره، و كيف كان سيرته فى الدنيا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة، و فى ما ذكرناه كفايه، و قد عقد العلامة المجلسى (ره) فى المجلد السابع من البحار بابا فى أن الملائكة تأتيتهم و تطاء فرشهم و أنهم يرونهم صلوات الله عليهم أجمعين.

(و معادن العلم) أى مستقرّه و محلّه و قد مضى بيان ذلك فى التذييل الثالث من الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى، و فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الثانيه.

(و ينابيع الحكم) أى منهم عليهم السلام يخرج الأحكام إلى العباد يجرى إلى المواد القابله على حسب الاستعداد حسبما يجرى المياه من مجاريها و منابعها فتربط الجاش و تسقى العطاش كما يروى الماء للغليل و يقوى للليل، و المراد بالحكم إمّا الأحكام الشرعيه أو فصل الخطاب أعنى القضاء و قطع الخصومات بالصواب فى كل باب على ما مضى تحقيقه و تفصيله فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الثانيه، و شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثالثه هذا.

و يحتمل أن يراد بالحكم الحكمه كما فسّره قوله سبحانه: «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»، قال الباقر عليه السلام في روايه الكافى: مات زكريّا فورثه ابنه يحيى الكتاب و الحكمه و هو صبى صغير، ثم تلى هذه الآيه و يؤيد هذا الاحتمال ما فى بعض النسخ من ضبط الحكم بكسر الحاء و فتح الكاف و هو جمع الحكمه و الحكمه هو الفهم و العقل و به فسّره الكاظم عليه السلام فى قوله سبحانه: و لقد آتينا لقمان الحكمه و فى مجمع البيان أى أعطينا العقل و العلم و العمل به و الاصابه فى الامور، و كيف كان فلا غبار على كون الأئمه متّصفين بالحكم بأى معنى يراد، و هم الحاكمون بين العباد بالحقّ و الصواب و السداد.

ثم اعلم أنّ الشّارح المعتزلى قد أورد فى شرح المقام بعض الأخبار الدّالّه على غزاره علم أمير المؤمنين عليه السّلام و قال بعد ذلك: و بالجملة فحالّه عليه السّلام فى العلم رفيعه جدا لم يلحقه أحد فيها و لا قاربه و حقّ له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم و ينباع الحكم فلا أحد أحقّ به منها بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم.

أقول: و بعد الاعتراف بسبقه على غيره فى العلم و الحكم و أنّه لم يدانيه فى ذلك أحد و لم يقاربه فيه، كيف يجوز أن يقسّم غيره عليه و يؤتمّ به دونه «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظْلُمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَظْلُمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ وَ لَا الظُّلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ وَ لَا الظِّلُّ وَ لَا الْحُرُورُ وَ مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

ثمّ إنّّه لما أشار إلى بعض فضائله و مناقبه الجميله عقّب ذلك بذكر ما لعلّه هو الغرض الأصلى من ذكر هذه المناقب و هو الحثّ و الترغيب فى نصرته ببشرى ناصريه بالثّواب، و التحذير و التنفير عن عداوته بانذار مبغضيه من العقاب و هو قوله:

(ناصرنا و محبنا ينتظر الرّحمه و عدونا و مبغضنا ينتظر السّطوه) لما كان

نزول الرّحمه فى حقّ ناصريه و السّـيـخـط و العقوبه فى حقّ معانديه معلوما محقق الوقوع لا- محاله، جعل كلا من الفريقين بمنزله المنتظرين لما يستحقّه من الأمرين كمن أيقن بشيء فانتظره و إلّا- فلا- انتظار للمعاندين حقيقه و أمّا المحبّون و الأنصار فلهم الانتظار حقيقه برحمه الله الغفّار و شفاعه الشفعاء الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب الليل و النّهار.

و يدلّ على ما ذكر ما فى البحار من أمالى الشيخ باسناد أخى دعل عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى «قرء ظ» الآية: لا يستوى أصحاب النّار و أصحاب الجنّه، أصحاب الجنّه هم الفائزون. فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم أصحاب الجنّه من أطاعنى و سلّم لعلّى بن أبى طالب بعدى و أقرّ بولايته، فليل و أصحاب النّار قال من سخط الولايه و نقض العهد و قاتله بعدى.

و من امالى الصّدوق باسناده عن عباد الكلبيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن فاطمه الصغرى عن الحسين بن عليّ عن أمّه فاطمه بنت محمّد صلوات الله عليهم قالت خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عشيه عرفه فقال: إنّ الله تبارك تعالى باهى بكم و غفر لكم عامّه و لعلّى خاصّه، و إنّى رسول الله إليكم غير محاب(1) لقرايتى، هذا جبرئيل يخبرنى أنّ السّعيد كلّ السّعيد حقّ السّعيد من أحبّ عليّا فى حياته و بعد موته، و أنّ الشقى كلّ الشقى حقّ الشقى من أبغض عليّا فى حياته و بعد وفاته.

و من العيون باسناده عن الرّضا عليه السّلام قال: قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لعلّى عليه السّلام من أحبّك كان مع النّبين فى درجتهم يوم القيامة، و من مات و هو يبغضك فلا يبالى مات يهوديا او نصرانيا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره جدا و قد تقدّم فى التذنيب الثّالث من تذييلات الفصل الرّابع من فصول الخطبه الاولى روايات مناسبه للمقام.

ص: ٣٧٩

١- (١) غير محاب بتخفيف الباء أى لا أقول فيهم ما لا يستحقونه محاباه لهم و المحاباه الميل و المحبه

بعض دیگر از این خطبه در ذکر حضرت رسالت‌آب و وصف زهد آن جناب است که فرموده:

بتحقیق که حقیر شمرد و کوچک گردانید آن بزرگوار دنیای غدار را در نظر خود، و اعتنا نفرمود بآن و خوار نمود آن را در نزد خود، و دانست بعلم یقین که خداوند سبحانه دور نمود و پیچیده کرد دنیا را از او از جهت برگزیدن او سبحانه دوری آن را در حق او، و بسط کرد آن را در حق غیر او از برای خوار داشتن آن پس اعراض نمود رسول مختار از دنیا بقلب خود، و میرانید یاد دنیا را از نفس خود و دوست داشت آنکه غایب شود زینت دنیا از چشم او تا این که أخذ نماید از زینت آن لباس فاخر یا این که امید بدارد در آن اقامه و آسایش را تبلیغ نمود از جانب پروردگار شریعت و احکام را در حالتی که زایل کننده بود عذر را از خلقان و نصیحت فرمود بامت خود در حالتی که ترساننده بود ایشان را، و دعوت کرد بسوی بهشت در حالتی که بشارت دهنده بود بمزدمان.

ما درخت نبوت هستیم و موضع نزول رسالت می باشیم، و محلّ تردد فرشتگان و معدنهای علم و عرفان و سرچشمه های احکام، نصرت کننده و دوست دارنده ما منتظر می باشد رحمت پروردگار را، و خصم و دشمن دارنده ما منتظر می باشد قهر و سطوت کردگار را.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و التاسعه من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و هی ملتقطه من خطبه طویلہ معروفه بالدیباچ رواها حسن بن علی ابن شعبه فی تحف العقول حسبما تطلع علیه بعد شرح ما فی المتن و هو قوله:

ص: ۳۸۰

إنَّ أفضل ما توَسَّل به المتوسِّلون إلى الله سبحانه الإيمان به و برسوله، و الجهاد في سبيله، فإنَّه ذروه الإسلام، و كلمه الإخلاص فإنَّها الفطره، و إقام الصَّيِّموه فإنَّها المَلَّة، و إيتاء الزَّكوة فإنَّها فريضة واجبه، و صوم شهر رمضان فإنَّه جنَّه من العقاب، و حجَّ البيت و اعتماره فإنَّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذَّنْب، و صله الرِّحم فإنَّها مثراه في المال و منسأه في الأجل، و صدقه السَّيْر فإنَّها تكفِّر الخطيئه، و صدقه العلانيه فإنَّها تدفع ميتة السَّوء، و صنایع المعروف فإنَّها تقى مصارع الهوان. أفيضوا في ذكر الله فإنَّه أحسن الذكر، و ارغبوا فيما وعد المتَّقين فإنَّ وعده أصدق الوعد، و اقتدوا بهدى نبيِّكم فإنَّه أفضل الهدى، و استنوا بسنَّته فإنَّها أهدى السنن، و تعلّموا القرآن فإنَّه أحسن الحديث، و تفقَّهوا فيه فإنَّه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنَّه شفاء الصُّدور، و أحسنوا تلاوته فإنَّه أنفع القصص، فإنَّ العالم العامل بغير علمه، كالجاهل الحائر العدى لا يستفيق من جهله، بل الحجَّه عليه أعظم، و الحسره له ألزم، و هو عند الله ألوم.

(و سل) الى الله توسيلا عمل عملا تقرب به الله كتوسل و(الايمان)إفعال من الأمن المذى هو خلاف الخوف ثم استعمل بمعنى التصديق، فالهمزه فيه إمّا للّصيروره كان المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذباً، أو للتعديه كأنه جعل المصدق هنا من التكذيب و المخالفه، و يعدى بالباء لاعتبار معنى الاقرار و الاعتراف كما فى عبارته، و نحوه قوله: يؤمنون بالغيب، و باللام لاعتبار معنى الاذعان نحو قوله تعالى: و ما أنت بمؤمن لنا، و قد اجتمعا فى قوله تعالى: يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين.

(ذروه) الشىء أعلاه و (الجَنّه) بالضمّ كلّ ما وقى و (و اعتمر) الرّجل زار البيت و المعتمر الزائر و منه سميت العمرة عمره لأنها زيّاره البيت يقال اعتمر فهو معتمر أى زار و قصد، و فى الشرع زيّاره البيت الحرام بشروط مخصوصه مذكوره فى محالها و (رحض) الثوب و نحوه بالحاء المهمله و الضاد المعجمه من باب منع غسله كأرحضه فهو رحيض و مرحوض و (ثرى) المال ثرا كثر و نَمى، و الثروه كثره العدد من الناس و المال، و هذا مثراه للمال بهمز و غيره تكثره و (المنسأه) بالهمز و غيره أيضا كمثراه وزان مفعله بالفتح فالسكون محلّ النساء يقال نسأت التى نسأ آخرته و منه الحديث: صله الرّحم تنسئ الأجل أى تؤخره و (صرعه) كمنعه طرحه على الأرض و المصارع وزان مقعد موضع الصّيرع و (الافاضه) الاندفاع و منه افاض الناس من عرفات أى اندفعوا و قيل اسرعوا منها الى مكان آخر قوله تعالى إذ تفيضون فيه، أى تدفعون فيه بكثره و (الهدى) بالضمّ الرّشاد مصدر يقال هداه الله هدى و هدايه أرشده، و بالفتح وزان تمر الهيئه و السيره و الطريقه و منه قولهم:

هدى هدى فلان أى سلك مسلكه و (الحائر) المتحير.

الاعراب

قوله: إلى الله سبحانه لفظ سبحانه منصوب على المصدر محذوف عامله وجوبا

بإضافته إلى الضمير، والمعنى اسبحك سبحانا لك، و لنجم الأئمة الرضى فى حذف عوامل المصادر تحقيق نفيس أحببت إirاده.

قال فى شرح قول ابن الحاجب: وقد يحذف الفعل لقيام قرينه جوازا كقولك لمن قدم خير مقدم و وجوبا سماعا نحو سقيا و رعا و خيه و جدعا و حمدا و شكرا و عجباً: أقول: الذى أرى أنّ هذه المصادر و أمثالها إن لم يأت بعدها ما يبينها و يعين ما تعلقت به من فاعل أو مفعول إما بحرف جرّ أو بإضافه المصدر إليه فليست مما يجب حذف فعله بل يجوز نحو سقاك الله سقيا و رعاك الله رعا فأمّا ما يبين فاعله بالاضافه نحو كتاب الله و سنه الله و وعد الله، أو يبين مفعوله بالاضافه نحو ضرب الرقاب و سبحان الله و ليبيك و سعديك و معاذ الله، أو يبين فاعله بحرف الجرّ نحو بؤسا لك و سحقا لك أى بعدا، أو يبين مفعوله بحرف جرّ نحو عقرا لك أى جرحا و شرا لك و حمدا لك و عجباً منك، فيجب حذف الفعل فى جميع هذا قياسا.

و المراد بالقياس أن يكون هناك ضابط كلى يحذف الفعل حيث حصل ذلك الضابط، و الضابط ههنا ما ذكرنا من ذكر الفاعل أو المفعول بعد المصدر مضافا إليه أو بحرف الجرّ.

و إنّما وجب حذف الفعل مع هذا الضابط لأنّ حقّ الفاعل و المفعول به أن يعمل فيهما الفعل فيتصلا به، و استحسن حذف الفعل فى بعض المواضع إما إبانة لقصد الدوام و اللزوم بحذف ما هو موضوع للحدوث و التجدد أى الفعل فى نحو حمدا لك و شكرا لك و عجباً منك و معاذ الله و سبحان الله، و إمّا لتقدّم ما يدلّ عليه كما فى قوله تعالى: كتاب الله عليكم، و صبغه الله، و وعد الله، أو لكون الكلام ممّا يستحسن الفراغ منه بالسرعه نحو لبيك و سعديك، فبقى المصدر مبهما لا يدرى ما تعلق به من فاعل أو مفعول فذكر ما هو مقصود المتكلم من أحدهما بعد المصدر ليختصّ به، فلمّا بينها بعد المصدر بالاضافه أو بحرف الجرّ قبح اظهار الفعل بل لم يجر فلا يقال كتاب الله و وعد وعد الله و اضربوا بضرب الرقاب و اسبح سبحان الله و أحمد حمدا لك و عقر الله عقرا لك.

و ذلك لما ذكرناه من أنّ حقَّ الفاعل و المفعول أن يتصلا بالفعل معمولين له، فلما حذف الفعل لأحد الدواعي المذكوره و بين المصدر إمّا بالاضافه أو بحرف الجرّ فلو ظهر الفعل رجع الفاعل أو المفعول إلى مكانه و مركزه متصلا بالفعل و معمولاً له.

فاحفظ ذلك فانه ينفعك في كثير من الموارد و اعراب ساير الفقرات واضح.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه للارشاد إلى بعض أسباب القرب و الوسائل التي يتوسل بها إلى الله سبحانه، و للأمر بالافاضه إلى ذكر الله، و ببعض ما يدرك به رضوان الله حسبما تطلع على تفصيله انشاء الله، و لما كان

أسباب الزلفى و التقرب

اشاره

كثيره

خصّ أفضلها بالبيان و هو على ما ذكره عشره:

اولها الايمان كما أشار اليه بقوله:

(إنّ أفضل ما توّسل به المتوسّلون الى الله سبحانه الايمان به و برسوله) و تقديمه على غيره لكونه أصلاً بالنسبه اليه، و المراد به هنا التصديق المجرّد عن الاقرار و العمل بقرينه ذكر كلمه الاخلاص التي هو الاقرار و ساير العبادات التي هو من باب الأعمال بعده، و تحقيق المقام يحتاج إلى بسط في المقال و بيان الفرق بين الاسلام و الايمان.

فأقول: إنك قد عرفت المعنى اللّغوى للايمان و أنه التّصديق، و أما الاسلام فمعناه لغه هو التّسليم و الانقياد، و أمّا في لسان الشرع فقد يستعملان على التساوق و الترادف كما في قوله تعالى:

ص: ٣٨٤

«فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

و لم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد و قال تعالى:

«يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ» و قال تعالى: «يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ».

و ربما استعملا على التقابل كما فى قوله تعالى:

«قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ».

فقد نفى عنهم الايمان مع اثبات وصف الاسلام و المستفاد من كلام أكثر الأصحاب و معظم أخبار الأئمة الأطهار الأطياب أن الاسلام أعم من الايمان.

قال الصادق عليه السلام فى روايه الفضيل بن يسار عنه عليه السلام: الايمان يشارك الاسلام و الاسلام لا يشارك الايمان.

و فى روايه سماعه بن مهران قال: سألته عن الايمان و الاسلام قلت: أفرق بين الاسلام و الايمان؟ قال: فأضرب لك مثله قال: قلت أريد «أورد خ» ذلك قال: مثل الايمان و الاسلام مثل الكعبه الحرام من الحرم، قد تكون فى الحرم و لا تكون فى الكعبه و لا تكون فى الكعبه حتى تكون فى الحرم، و قد يكون مسلما و لا يكون مؤمنا و لا يكون مؤمنا حتى يكون مسلما.

و فى روايه أبى الصباح الكناني قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أيهما أفضل الايمان أو الاسلام؟ فإن من قبلنا يقولون إن الاسلام أفضل من الايمان، فقال: الايمان أرفع من الاسلام، قلت: فاوجدنى ذلك، قال: ما تقول فيمن أحدث فى المسجد الحرام

متعمداً؟ قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً، قال: أصبت فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟ قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أنّ الكعبة أفضل من المسجد وأنّ الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان.

فإنّ الاستفادة من هذه الروايات و أمثالها أنّه كلما وجد الإيمان وجد الإسلام لا بالعكس و ذلك.

أما من جهة أنّ الإسلام عبار عن التصديق بالظاهر أعني الاعتراف باللسان و الإيمان عباره عن التصديق بالباطن، و الأول غير مستلزم للثاني و لذلك كذب الله سبحانه الأعراب بقوله: قل لم تؤمنوا، في دعويهم وصف الإيمان لأنفسهم، حيث قالوا آمنا، و ذلك لأجل أنهم لم يكونوا مصدّقين بالباطن و لم يكونوا على ثقة و طمأنينه فيما أقروا به ظاهراً، و أثبت لهم وصف الإسلام بقوله: و لكن قولوا أسلمنا باعتبار شهادتهم بالتوحيد و الرّسالة و اعترافهم ظاهراً.

و يدلّ على ما ذكرنا ما رواه في الكافي باسناده عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: أخبرني عن الإسلام و الإيمان أهما مختلفان؟ فقال عليه السّلام: إنّ الإيمان يشارك الإسلام و الإسلام لا يشارك الإيمان فقلت: فصفهما لي، فقال عليه السّلام:

الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله و التصديق برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم به حققت الدماء و عليه جرت المناكح و المواريث و على ظاهره جماعه الناس، و الإيمان الهدى و ما يثبت في القلوب من صفه الإسلام و ما ظهر من العمل به، و الإيمان أرفع من الإسلام بدرجه، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، و الإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، و ان اجتماعاً في القول و الصفه.

و نحوه رواه فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ الإيمان يشارك الإسلام و لا يشاركه الإسلام، إنّ الإيمان ما و قر في القلوب، و الإسلام ما عليه المناكح و المواريث و حقن الدماء، و الإيمان يشارك الإسلام، و الإسلام لا يشارك الإيمان.

فان قلت: إذا جعلت الايمان عبارته عن التصديق بالباطن فلا بد أن تكون النسبه بينهما عموما من وجه إذ كما أن التصديق ظاهرا لا يستلزم التصديق بالباطن كلياً، فكذلك العكس، إذ ربّما يذعن المرء بالله و برسوله من دون أن ينطق بكلمتى الشهاده، بأن يصدّق بالقلب و لا يساعده من العمر مهله النطق، نعم لا يحكم بايمانه إلاّ بعد النطق و الكلام، لكون اللسان ترجمان القلب، لكنه لا يقدح فيما ذكرنا لأنّ الكلام فى منع الملازمه بين نفس الايمان و الاسلام لا فى الحكم بكون الرجل مسلماً و مؤمناً، فافهم.

قلت: التصديق بالباطن ملازم عادته للتصديق بالظاهر و إن لم يكن ملازماً له عقلاً كما فيما ذكرته من المثال، فإنّ العرف و العاده قاضيه بأنّ من كان مصدّقاً بالباطن يكون لا محاله مصدّقاً بالظاهر، و المثال المذكور فرد نادر نعم لو قيل بأنّ الايمان عبارته عن التصديق بالجنان و الاقرار باللسان و العمل بالأركان أعنى مجموع الثلاثه ارتفع الاشكال رأساً، و كذا على مذهب من يعتبر فيه الاقرار باللسان فقط شطراً كما عزى إلى المحقق الطوسى حيث قال: بأنه مركب من الاقرار و التصديق، أو شرطاً كما نسب الى المتكلمين من الخاصّه و بعض العامه.

و اما من جهة أنّ الاسلام عبارته عن الشّهاده بالتوحيد و الرساله مع التصديق الباطنى و بدونه، سواء كان معه الاقرار بالولايه و الازعان بها أم لا، و الايمان يعتبر فيه ذلك.

و يرشد إليه ما رواه ثقه الاسلام الكلينى باسناده عن سفيان بن السمط قال:

سأل رجل أبا عبد الله عليه السّلام عن الاسلام و الايمان ما الفرق بينهما فلم يجبه ثمّ سأله فلم يجبه، ثمّ التقيا فى الطريق و قد أزف من الرجل الرحيل فقال له أبو عبد الله عليه السّلام:

كأنه قد أزف منك رحيل، فقال: نعم، فقال: فالتقى فى البيت فلقاه فسأله عن الاسلام و الايمان ما الفرق بينهما؟ فقال عليه السّلام: الاسلام ما هو الظاهر الذى عليه الناس شهادته أن لا إله إلا الله و أنّ محمّداً رسول الله و إقام الصّلاه و ايتاء الزكاه و حجّ البيت و صيام شهر رمضان

فهذا الاسلام، و قال: الايمان معرفه هذا الأمر مع هذا، فان أقرّ بها و لم يعرف هذا الأمر كان مسلما و كان ضالا.

و عن عجلان بن أبى صالح قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: أوقفنى على حدود الايمان، فقال: شهاده أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الاقرار بجميع ما جاء من عند الله و صلاه الخمس و أداء الزكاه و صوم شهر رمضان و حجّ البيت و ولايه ولينا و عداوه عدونا و الدخول مع الصادقين.

فإنّ المراد بالدّخول مع الصادقين الدّخول فى زمرة آل محمّد سلام الله عليهم و الكون معهم كما قال: يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصادقين، على ما تقدّم تفصيله فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السادسة و الثمانين.

و اما من جهة أنّ الايمان يعتبر فيه العمل دون الاسلام أعنى العمل بما يقتضيه ذلك التّصديق.

و يدلّ عليه ما فى الكافى عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السّلام قال: الايمان إقرار و عمل و الاسلام إقرار بلا عمل.

فإنّ الظاهر أنّ قوله: و الاسلام إقرار بلا عمل هو أنّ العمل غير معتبر فيه لا أنّ عدمه فيه معتبر، و يدلّ عليه أخبار آخر.

و فيه أيضا باسناده عن عبد الرّحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبى عبد الله عليه السّلام أسأله عن الايمان ما هو، فكتب الىّ مع عبد الملك بن أعين: سألت رحمك الله عن الايمان، و الايمان هو الاقرار باللسان و عقد فى القلب و عمل بالاركان، و الايمان بعضه من بعض، و هو دار و كذلك الاسلام دار و الكفر دار، فقد يكون العبد مسلما قبل أن يكون مؤمنا و لا- يكون مؤمنا حتى يكون مسلما، فالاسلام قبل الايمان و هو لا يشارك الايمان فاذا أتى العبد كبيره من كبائر المعاصى أو صغيره من صغائر المعاصى التى نهى الله عزّ و جلّ عنها كان خارجا من الايمان ساقطا عنه اسم الايمان و ثابتا عليه اسم الاسلام، فان تاب و استغفر عاد إلى دار الايمان و لا يخرجّه إلى الكفر إلاّ الجحود و الاستحلال، أن يقول للحلال هذا حرام، و للحرام هذا حلال، و دان بذلك فعندها يكون خارجا من الاسلام و الايمان، داخلا فى الكفر، و كان بمنزله من

دخل الحرم ثم دخل الكعبة و أحدث في الكعبة حدثا فاخرج عن الكعبة و عن الحرم فضربت عنقه و صار إلى النار فقد ظهر لك مما ذكرنا كله أنّ الاسلام يصدق على مجرد الاقرار باللسان من غير تصديق، و على الاقرار و التصديق مجردا عن الولاية، و على جميع ذلك مجردا من العمل، و الايمان يعتبر فيه ذلك، فيكون الايمان أخص لكن الانصاف أنّ العمل ليس داخلا في مفهوم الايمان حقيقه و إن كان شرطا في كماله.

أما أنّه غير داخل في حقيقته فللتبادر و عدم صحّح السلب و لقوله تعالى:

«وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» و قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» و قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ».

دلّ اقتران الايمان بالمعاصي فيها على أنّ العمل غير داخل في حقيقته و قوله تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ».

دلّ على التّغاير و أنّ العمل ليس بداخل فيه لأنّ الشئ لا يعطف على نفسه و لا الجزء على كله و مثله كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام و أمّا أنه شرط في كماله فللخبرين السابقين.

لا يقال: إنّ ظاهرهما كون العمل داخلا في مفهومه لا شرطا في كماله.

لأننا نقول: بعد تسليم الظهور لا بدّ من حملهما على ما ذكرنا بمقتضى الجمع بينهما و بين الأدلّة التي قدّمناها آنفا فان قلت: ما الدليل على هذا الجمع؟ قلت: الدليل على ذلك ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم بن بريد قال: حدّثنا أبو عمر الزبيرى عن أبي عبد الله عليه السلام

قال: قلت له: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: و ما هو؟ قال: الايمان بالله الذى لا إله إلا هو أعلى الأعمال درجة و أشرفها منزله و أسناها حظا قال: قلت: ألا تخبرني عن الايمان أقول هو و عمل أم قول بلا- عمل؟ فقال: الايمان عمل كله و القول بعض ذلك العمل بفرض من الله بين فى كتابه واضح نوره ثابتة حجته يشهد له به الكتاب و يدعوه اليه قال: قلت له: صفه لى جعلت فداك حتى أفهمه، قال: الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل: فمنه التام المنتهى تمامه، و منه الناقص البين نقصانه، و منه الراجح الزايد رجحانه قلت: إن الايمان ليتّم و ينقص و يزيد؟ قال: نعم، قلت: كيف ذاك؟ قال: لأنّ الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحه إلا و قد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به اختها، فمنها قلبه الذى به يعقل و يفقه و يفهم، و هو أمير بدنه الذى لا ترد الجوارح و لا تصدر إلا عن رأيه و أمره، و منها عيناه اللتان يبصر بهما، و اذناه اللتان يسمع بهما و يدها اللتان يبطش بهما و رجلاه اللتان يمشى بهما، و فرجه الذى الباه من قبله «قلبه خ» و لسانه الذى ينطق به، و رأسه الذى فيه وجهه فليس من هذه جوارحه إلا و قد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به اختها بفرض من الله تبارك و تعالى اسمه، ينطق به الكتاب لها و يشهد به عليها، ففرض على القلب غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على اللسان، و فرض على اللسان غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، و فرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فاما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار و المعرفة و العقد و الرضا و التسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهها واحدا لم يتخذ صاحبه و لا ولدا و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلوات الله عليه و آله، و الاقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الاقرار و المعرفة و هو قول الله عزّ و جلّ:

«إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَيْدراً» وقال: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» وقال: «الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» وقال: «إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ».

فذلك ما فرض الله عزّ وجلّ على القلب من الاقرار و المعرفة و هو عمله و هو رأس ايمان.

و فرض الله على اللسان القول و التعبير عن القلب بما عقد عليه و أقرّ به قال الله تبارك و تعالى اسمه:

«وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» وقال: «قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

فهذا ما فرض الله على اللسان و هو عمله.

و فرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله و أن يعرض عمّا لا يحلّ له مما نهى الله عزّ وجلّ عنه و الاصغاء إلى ما اسخط الله عزّ وجلّ فقال في ذلك:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ».

ثم استثنى الله عزّ وجلّ موضع النسيان فقال:

«وَإِمَّا يَنْسِيَ لَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» وقال: «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ»

«الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أَوَلَّيْكَ هُمْ أَوَّلُوا الْأَبَابِ » و قال عزّ و جلّ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صِلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ » و قال: «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ » و قال: «وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ».

فهذا ما فرض الله على السّمع من الايمان أن لا يصغى إلى ما لا يحلّ له و هو عمله و هو من الايمان.

و فرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم الله عليه و أن يعرض عني نهى الله عنه مما لا يحلّ له و هو عمله و هو من الايمان فقال تبارك و تعالى:

«قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ».

فنهيههم عن أن ينظروا إلى عوراتهم و أن ينظر المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه و قال:

«وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ».

من أن ينظر احديهنّ إلى فرج اختها و تحفظ فرجها من أن تنظر اليها و قال عليه السّلام كلّ شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّنا إلا هذه الآية فإنّها من النظر ثمّ نظم ما فرض الله عزّ و جلّ على القلب و اللّسان و السّمع و البصر في آيه اخرى فقال:

«وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا جُلُودُكُمْ».

يعنى بالجلود الفروج و الافخاذ و قال:

«وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا».

فهذا ما فرض الله على العينين من غَضِّ البصر عما حَرَّمَ الله و هو عملهما و هو من الايمان و فرض على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حَرَّمَ الله و أن يبطش بهما إلى ما أمر الله عزَّ و جلَّ و فرض عليهما من الصَّيدقه و صله الرِّحم و الجهاد فى سبيل الله و الطَّهور للصلوات فقال:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » و قال: «فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » فهذا ما فرض الله على اليدين لأنَّ الضَّرب من علاجهما.

و فرض على الرّجلين أن لا يمشى بهما إلى شىء من معاصى الله و فرض عليهما المشى إلى ما يرضى الله عزَّ و جلَّ فقال:

«وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا » و قال: «وَ أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ».

و قال فيما شهدت الأيدي و الأرجل فى أنفسهما و على أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزَّ و جلَّ به و فرضه عليهما:

«الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» فهذا أيضا مما فرض الله عزّ وجلّ على اليدين و على الرجلين و هو عملهما و هو من الايمان.

و فرض على الوجه السجود له بالليل و النهار فى مواقيت الصلاه فقال:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

و هذه فريضه جامعه على الوجه و اليدين و الرجلين و قال فى موضع آخر:

«أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».

و قال فيما فرض على الجوارح من الطهور و الصلاه بها و ذلك أنّ الله عزّ وجلّ لما صرف نبيه صلى الله عليه و آله و سلم إلى الكعبه عن بيت المقدس أنزل الله عزّ وجلّ:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» فسَمَّى الصَّيْلَةَ إيمانا فمن لقي الله عزّ وجلّ حافظا لجوارحه موفيا كلّ جوارحه من جوارحه ما فرض الله عزّ وجلّ عليها لقي الله عزّ وجلّ مستكملا لايمانه و هو من أهل الجنّة، و من خان فى شىء منها أو تعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ فيها لقي الله عزّ وجلّ ناقص الايمان قلت: قد فهمت نقصان الايمان و تمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ «وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» و قال: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ

«

«بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى».

و لو كان كلّ واحد لا زياده فيه و لا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر و لاستوت النعم فيه، و لاستوى الناس و بطل التفضيل و لكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّه، و بالزياده فى الايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، و بالنقصان دخل المفرطون النار.

فان صدر هذه الروايه الشريفه أعنى قوله عليه السّلام: الايمان عمل كلّ، و إن كان موهما فى بادى الرأى كون العمل داخلا فى مفهوم الايمان، إلّا- أنّ ذيلها أعنى قوله: لقي الله عزّ و جلّ مستكملا لايمانها، إلى قوله: لقي الله عزّ و جلّ ناقص الايمان، إلى آخر الروايه نصّ صريح فى كونه شرطاً فى كماله لاجزاء من مفهومه و قد استفيد منها أيضا كونه قابلا للزياده و النقصان كما هو مذهب المحقّقين من الفريقين.

و أمّا ما توهمه كثير من المتكلّمين من أنه إن كان الايمان هو التصديق فلا- يقبلهما، لأنّ الواجب هو اليقين، و هو غير قابل للتفاوت لا- بحسب ذاته و لا- بحسب متعلّقه أمّا بحسب الذات فلاّ أنّ التفاوت باعتبار احتمال النقيض و لو بأبعد وجه و هو ينافى اليقين و لا- يجامعه، و أمّا بحسب المتعلّق فلاّ أنّ متعلّقه جميع ما علم مجىء الرّسول به و الجميع من حيث هو جميع لا يتصوّر فيه تعدّد، و إلّا لم يكن جميعا، و إن كان هو العمل وحده أو مع التصديق فيقبلهما و هو ظاهر، و ما وردت فى الكتاب و السّنة ممّا يدلّ على قبوله إيّاهما فباعتبار الأعمال فيزيد بزيدها و ينقص بنقصانها ففيه منع ذلك أمّا باعتبار الذات فلاّ أنّ التصديق من الكيفيات النفسانيّه المتفاوته قوّه و ضعفا فيجوز أن يكون التفاوت فيه بالقوّه و الضّعف، فانّ عين اليقين أعلى مرتبه و أقوى من علم اليقين، و للفرق الظاهر بين ايمان النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأئمه و آحاد الرعيّه، قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و أمّا باعتبار المتعلّق فلاّ أنّ التصديق التّفصيلى فى أفراد ما علم

مجيء الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم به جزء من الايمان يشاب عليه، مضافا إلى ثوابه على تصديقه بالاجمال فكان قابلا للزياده، والله الهادى إلى المنهج القويم، والصراط المستقيم.

(و) الثانى من الوسائل إلى الله سبحانه (الجهاد فى سبيله فانه ذروه الاسلام) لما كان ذروه كل شىء عباره عن أعلاه جعل الجهاد ذروه الاسلام باعتبار رفعتة و علوّ رتبته فيه و تقدّمه على ساير العبادات البدنيّه باعتبار اقتضائه قوّه التصديق و اليقين بما جاء به خاتم النبيين ما لا يقتضيه ساير الطاعات و القربات و إلّا لما ألقى المجاهد نفسه إلى المهالك مع غلبه ظنّه بأنه عاطب هالك و لو لا سيف المجاهدين لما اخضرّ للاسلام عود و لا قام له عمود و قد تقدّم فى الخطبه السابعة و العشرين انه باب من أبواب الجنّه فتحه الله لخاصّه أوليائه إلى آخر ما ذكره من فضائله و بيّنا فى شرحها ما فيه كفايه لمن له علم و درايه.

(و) الثالث (كلمه الاخلاص) أى الكلمه المتضمّنه لاخلاص الله تعالى و تنزيهه عن الشركاء و الأنداد و هى كلمه التوحيد أعنى لا إله إلاّ الله و قد تقدّم فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثانيه فضائل تلك الكلمه الطيبه المباركه و فوايدها و علل عليه السلام كونها من أفضل القرب بقوله (فانها الفطره) أى الفطره المعهوده الوارده فى الكتاب العزيز المأمور باتّباعها بقوله:

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» و أصلها الخلقه من الفطر بمعنى الخلق ثم جعلت للخلق القابله لدين الحقّ على الخصوص، و ربما تطلق على التوحيد و المعرفه و به فسّرت الآيه الشريفه و فسّر قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: كلّ مولود يولد على الفطره حتّى يكون أبواه هما اللذان يهودانه و ينصرّانه و يمجّسانه، قال فى مجمع البيان أى اتبع فطره الله و هى التوحيد التى

فطر النَّاسَ أى خلق النَّاسَ عليها و لها و بها، أى لأجلها و التمسك بها فيكون كقوله: و ما خلقت الجنَّ و الانس إلا ليعبدون، و هو كما يقول القائل لرسوله:

بعثتك على هذا و لهذا و بهذا، و المعنى واحد.

و عن الصدوق فى التوحيد فى أخبار كثيره عن الصادق عليه السلام قال: فطرهم على التوحيد و باسناده عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله:

«حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ».

و عن الحنيفة فقال: هى الفطره التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، قال:

فطرهم الله على معرفه قال زراره و سألته عن قول الله عزَّ و جلَّ:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ» - الآية.

قال عليه السلام أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذَّرَّ فعرفهم و أرادهم و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: كل مولود يولد على الفطره بأنَّ الله عزَّ و جلَّ خالقه فذلك قوله تعالى:

«وَ لَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ».

و قد تقدّم فى شرح الفصل الرابع عشر من فصول الخطبه الاولى أخبار آخر فى هذا المعنى هذا.

و لما كانت كلمه الاخلاص متضمّنه للفطره التى هى التوحيد و المعرفه دالاً عليها جعلها نفس الفطره تسميه للدّال باسم مدلوله.

(و) الرابع (إقام الصّلاه فإنّها المله) و قال الطّريحي المله فى الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنه الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله و يستعمل فى جملة الشرائع دون آحادها و لا يكاد توجد مضافه إلى الله و لا إلى آحاد امه النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بل يقال مله محمّد صلى الله عليه و آله و سلم

قال تعالى: مله أبيكم إبراهيم، أى دينه.

أقول: لما كان الصلاه هو الركن الأعظم من الدين اطلق اسمه عليها و أتى بالمله معرفه بلام الجنس قصدا للحصر مبالغه من باب زيد الأمير و نحوه الحديث النبوى صلى الله عليه و آله و سلم قال صلى الله عليه و آله و سلم: الصلاه عماد الدين، فانه لما كان قوام الدين و ثباته بها جعلها عمادا له كما صرح بذلك فى روايه اخرى قال صلى الله عليه و آله و سلم: مثل الصلاه مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبتت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء، و فى روايه اخرى عنه صلى الله عليه و آله و سلم، الصلاه عماد الدين فمن ترك صلاته متعمدا فقد هدم دينه و كيف كان فالآيات و الروايات فى فضلها و عقوبه تاركها فوق حد الاحصاء قال تعالى:

«أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا» و فى سورة النساء: «فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» و فى سورة مريم: «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسِيئُونَ يَلْقَئُونَ غِيًّا» و فى سورة العنكبوت: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» و فى سورة أرايت: «قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ».

أى غافلون غير مباليين بها قال على بن إبراهيم القمى: عنى به تاركون لأن كل انسان يسهو فى الصلاه، و فى المجمع عن الصادق عليه السلام هو الترك لها و التوانى عنها، و عن الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام: ليس عمل أحب إلى الله عز و جل من الصلاه فلا يشغلکم عن أوقاتها شيء من امور الدنيا، فإن الله عز و جل ذم أقواما فقال:

الذين هم عن صلاتهم ساهون، يعنى أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.

و فى الكافى باسناده عن معاويه بن وهب قال سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم و أحبّ ذلك إلى الله عزّ و جلّ ما هو؟ فقال عليه السّلام: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلاه، ألا ترى أنّ العبد الصّالح عيسى بن مريم قال: و أوصانى بالصّلاه و الزّكاه ما دمت حيّاً.

و عن زيد الشّحام عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعت يقول: أحبّ الأعمال إلى الله عزّ و جلّ الصّلاه، و هى آخر وصايا الأنبياء عليهم السّلام فما أحسن الرّجل يغتسل أو يتوضّأ فيسبغ الوضوء ثمّ يتنحّى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه و هو راكع أو ساجد، إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا و عصيت و سجدوا و أبيت، و نحوه فى الفقيه إلّا أنّ فيه فيشرف الله عليه.

و عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا قام العبد المؤمن فى صلاه نظر الله إليه أو قال أقبل الله عليه حتى ينصرف، و أظلمته الرّحمه من فوق رأسه إلى افق السماء و الملائكه تحفّه من حوله إلى افق السّماء، و وكلّ الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول: أيّها المصلّى لو تعلم من ينظر إليك و من تناجى ما التفتّ و لا زلت من موضعك أبداً.

و عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: الصّلاه قربان كلّ تقىّ.

و عن حفص بن البختري عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: من قبل الله منه صلاه واحده لم يعذّبه و من قبل منه حسنه لم يعذّبه.

و عن الحسين بن سيف عن أبيه قال: حدّثنى من سمع أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف و ليس بينه و بين الله ذنب.

و فى الفقيه قال الصّيدوق: قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما من صلاه يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي النّاس: أيّها النّاس قوموا إلى نيرانكم الّتى أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم.

قال: و قال الصادق عليه السلام: أول ما يحاسب به العبد الصّلاه فاذا قبلت منه قبل سائر عمله، و إذا ردّت عليه ردّ عليه سائر عمله
قال: و قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم: إنّما مثل الصّلاه فيكم كمثل البرى و هو النهر على باب أحدكم يخرج إليه فى اليوم
و اللّيله يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدّرن على الغسل خمس مرّات، و لم يبق الذّنوب على الصّلاه خمس مرّات.

و فى جامع الأخبار قال: قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم: لا تضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حشره الله تعالى مع
قارون و فرعون و هامان لعنهم الله و أخزاهم و كان حقا على الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على
صلاته.

قال: و قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم: من ترك الصّلاه حتّى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله، ثمّ قال: بين العبد و بين
الكفر ترك الصّلاه.

و عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم من ترك الصّلاه لا يرجو ثوابها و لا يخاف عقابها فلا ابالى يموت يهوديا أو نصرانيا أو
مجوسيا.

و قال صلّى الله عليه وآله و سلّم: من أعان تارك الصّلاه بلقمه أو كسوه فكأنّما قتل سبعين نبيا أولهم آدم و آخرهم محمّد
صلّى الله عليه وآله و سلّم هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره جدا و فيما أوردناه كفايه للمهتدى المسترشد و إنّما المهمّ الاشاره إلى علّه وجوب الصلوات
الخمس و بعض أسرارها.

اما علّه وجوبها فقد روى فى الفقيه عن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام أنّه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله
فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سألّه أنه قال له: أخبرنى عن الله لأىّ شىء فرض الله عزّ و جلّ هذه الخمس الصّلوات فى
خمسّه مواقيت على امتّك فى ساعات اللّيل و النّهار؟ فقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم إنّ الشمس عند الزّوال لها حلقة (١)
تدخل فيها فاذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كلّ شىء دون العرش بحمد ربّى جلّ جلاله و هى السّاعه التى يصلّى

ص: ٤٠٠

فيها على ربّي ففرض الله عليّ و على امتي فيها الصّلاه و قال:

«أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ» (١).

و هي السّاعه التي يؤتى فيها بجهنّم يوم القيامة فما من مؤمن يوافق تلك السّاعه أن يكون ساجدا أو راکعا أو قائما إلّا حرّم الله جسده على النّار.

و أمّا صلاه العصر فهي السّاعه التي اكل آدم فيها من الشجره فأخرجه الله من الجنّه فأمر الله ذريته بهذه الصّلاه إلى يوم القيامة و اختارها لامّتي فهي من أحبّ الصّلوات إلى الله عزّ و جلّ و أوصاني أن أحفظها من بين الصّلوات.

و أمّا صلاه المغرب فهي السّاعه التي تاب الله على آدم عليه السّلام و كان بين ما اكل من الشجره و بين ما تاب الله عليه ثلاثمأه سنه من أيّام الدّنيا و في أيّام الآخره يوم كآلف سنه (٢) ما بين العصر إلى العشاء فصلّى آدم ثلاث ركعات و ركعه لخطيئته و ركعه لخطيئته حوّا، و ركعه لتوبته فافترض الله هذه الثلاث ركعات على امتي و هي السّاعه التي يستجاب فيها الدّعا فوعدني الله أن يستجيب لمن دعاه فيها و هي الصّلاه التي أمرني ربّي بها في قوله:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ».

و أمّا صلاه العشاء الآخره فإنّ للقبر ظلمه، و ليوم القيامة ظلمه أمرني الله بهذه الصّلاه و امتي لتتورّ الصّور و ليعطني و امتي التّور على الصّراط، و ما من قدم مشت الى صلاه العتمه (٣) إلّا حرّم الله جسدها على النّار و هي الصّلاه التي اختارها الله للمرسلين قبلّي.

ص: ٤٠١

١- (١) غسق الليل منتصفه لا ظلمه اوله كما قال بعض اللّغويين، مفتاح الفلاح

٢- (٢) أى يوم واحد من أيّام الآخره كآلف سنه من أيّام الدنيا و قوله ما بين العصر الى العشاء اى كان ثلاث مأه سنه من أيّام الدنيا ما بين العصر الى العشاء من أيّام الآخره، حاشيه فقيه

٣- (٣) العتمه محرّكه ثلث الليل الاول بعد غيوبه الشفق او وقت صلاه الآخره، حاشيه فقيه

و أما صلاه الفجر فانّ الشّمس إذا طلعت تطلع على قرن شيطان، فأمرني الله أن اصليّ قبل طلوع الشّمس صلاه الغداه و قبل أن يسجد لها الكافر لتسجد امتي لله عزّ و جلّ و سرعتها أحبّ الى الله و هي الصّلاه التي يشهدها ملائكه اللّيل و ملائكه النّهار و عله اخرى لذلك و هو ما رواه في الفقيه أيضا عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السّلام أنه قال: لما هبط آدم عليه السّلام من الجنّه ظهرت به شامه سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه و بكأؤه على ما ظهر به، فأتاه جبرئيل فقال له: ما يبكيك يا آدم؟ فقال: لهذه الشامه التي ظهرت بي، قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الاولى، فقام فصلّى فانحطت الشامه إلى عنقه، فجاءه في الصّلاه الثانيه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثالثه، فقام فصلّى فانحطت الشامه إلى سرقته، فجاءه في الصّلاه الثالثه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثالثه فقام فصلّ فانحطت الشامه إلى ركبتيه، فجاء في الصّلاه الرابعه فقال: يا آدم قم فصلّى فهذا وقت الصّلاه الرابعه، فقام فصلّى فانحطت الشامه إلى قدميه، فجاءه في الصّلاه الخامسه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الخامسه، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد الله و أثنا عليه فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصّلاه كمثلك في هذه الشّامه، من صليّ من ولدك في كلّ يوم و ليله خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامه، و يأتي لها عله ثالثه انشاء الله في شرح الخطبه المأه و الحاديه و التسعين.

و أما أسرار الصلاه فهي كثيره لا يمكن استقصاؤها و إنّما نشير إلى نبذ منها مما اشير إليها في الروايات و وصل إلينا من أولى الأبواب و الدّرايات و أرباب المعرفه و الاشارات فنقول و بالله التوفيق:

إنّ الصّلاه الكامله قد خصّصت من بين ساير العبادات بأنّها بمنزله انسان كامل مشتمل على روح و جسد، منقسم إلى ظهر و بطن و سرّ و علن، و لروحه و سرّه أخلاق و صفات، و لجسده و علن أعضاء و أشكال، فروح الصّلاه أهل معرفه الحقّ و العبوديّة له بالاخلاص و التوحيد.

أمّا أخلاقها و صفاتها الباطنه فيجمعها امور و هي: حضور القلب، و التفهّم و التعظيم، و الهيبة، و الرجاء، و الحياء، و هذه ستّ خصال شريفه و حالات كريمه و ملكات عظيمه لا يوجد جميعها إلّا في مؤمن امتحن الله قلبه بنور الايمان و العرفان اما حضور القلب فهو تفرّغ القلب عن غير ما هو ملابس له و متكلم به و صرفه إلى ما يتلبس به من الأفعال و يتكلم به من الأقوال، و لا يحصل ذلك إلّا بعد معرفه المصلّى بأنّ الغرض المطلوب منه هو الايمان و التصديق بأنّ الآخره خير و أبقي، و أنّ الصلاه وسيله إليها، فاذا اضيف إلى تلك المعرفه العلم بحقاره الدّنيا و خسّيتها و زوالها انصرف القلب عن مهمّات الدّنيا لا محاله و توجّه إلى صلاته الموصله و إلى سعادات الآخره و هو معنى حضور القلب.

روى إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: إنّني لأحبّ الرّجل المؤمن منكم إذا قام في صلاه فريضه أن يقبل بقلبه إلى الله تعالى و لا يشغل قلبه بأمر الدّنيا، فليس من عبد يقبل بقلبه في صلاته إلى الله تعالى إلّا أقبل الله إليه بوجهه، و أقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبه بعد حبّ الله إليه أيّاه.

و عن الخصال باسناده عن عليّ عليه السّلام في حديث الأربعمائه قال: لا يقومنّ أحدكم في الصّلاه متكاسلا، و لانا عسا، و لا يفكرن في نفسه، فانه بين يدي ربّه عزّ و جلّ، و إنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه.

أقول: و مرّ ذلك أنّ الصّلاه في الحقيقه معراج المؤمن و مناجاه الرّب المعبود، فلا بدّ فيه من الاقبال، لأنّ من لا يقبل عليك لا يستحقّ اقبالك عليه، كما لو حاربك من تعلم غفلته من محاربتك و إعراضه عن محاورتك، فانه يستحقّ إعراضك عن خطابه و اشتغالك بجوابه.

قال الصّادق عليه السّلام من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر منزله الله عنده، فإنّ الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد إليه من نفسه.

و أما التفهّم فهو التّدبر في معنى اللفظ، و هو أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ و لا يكون حاضرا مع معنى اللفظ، فاشتغال القلب

القلب على العلم بمعنى اللفظ هو المراد بالتفهم، وقد ذمَّ الله أقواما على ترك التدبّر حيث قال:

«أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا».

و روى سيف بن عمير عمّن سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: من صَلَّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف و ليس بينه و بين الله ذنب إلا غفر له.

ثمّ الناس فى هذا المقام أى مقام التفهّم متفاوتون، إذ ليس يشترك الجميع فى تفهّم معانى القرآن و التّسليمات، و كم من معانى لطيفه يفهمها المصلّى فى أثناء الصّلاه و لم يكن خطر بقلبه قبل ذلك، و من هذا الوجه كانت الصّلاه تنهى عن الفحشاء و المنكر، فإنّما يفهم امورا هى مانعه من الفحشاء لا محاله.

روى يونس بن ظبيان عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه قال: اعلم أنّ الصّلاه حجزه الله فى الأرض فمن أحبّ أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته فليُنظر، فإن كانت صلاته حجزته عن الفواحش و المنكر فإنّما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز، و من أحبّ أن يعلم ماله عند الله فليعلم ما لله عنده و اما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب و الفهم، فربما يخاطب الرّجل عبده بكلام و هو حاضر القلب فيه و متفهم لمعناه، و لا- يكون معظما له، فالتعظيم أمر زايد عليهما، و هو حاله للقلب منشأها معرفه جلال الرّب سبحانه و كبريائه و عظمته مع معرفه حقاره النّفس و خسيّتها و كونها عبدا مسخّرا مربوبا، فيتولّد من هاتين المعرفتين الاستكانه و الانكسار و الخشوع لله سبحانه، فيعبّر عنه بالتعظيم.

روى الحلبيّ عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إذا كنت فى صلاتك فعليك بالخشوع و الاقبال على صلاتك، فإنّ الله تعالى يقول: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، ثمّ الخشوع كما يكون فى القلب كذلك يكون فى الجوارح، و يدلّ عليه ما رواه الطّبرسى فى مجمع البيان أنّ النّبى رأى رجلا- يعبث بلحيته فى صلاته فقال صلى الله عليه و آله و سلّم: أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

و اما الهييه فأمر زايد على التعظيم، و هى عبارته عن خوف منشاه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمّى هايبا، و المخافه من العقرب و الحيه و ساير الموزيات و من العقوبه و سوء خلق العبد و ما يجرى مجرى ذلك من الأسباب الخسيه لا تسمّى مهابه، فالهييه خوف مصدره الاجلال، و هى متولده من معرفه بقدره الله و سطوته و نفوذ أمره و مشيئه فيه مع قلّه مبالاته به، و أنّه بحيث لو أهلك الأولين و الآخرين لم ينقص من ملكه مثقال ذره، لا سيّما إذا انضمّ إلى ذلك ملاحظه ما جرى على الأنبياء و الأولياء من أنواع المحن و المصائب و البلاء، و كلّما زاد العلم بالله و كبريائه زادت الهييه و الخشيّه، و لأجل ذلك قال تعالى: إنّما يخشى الله من عباده العلماء.

روى فضيل بن يسار عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا قام إلى الصّلاه تغيّر لونه، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا و عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام إنى رأيت علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا قام إلى الصلاه غشى لونه لون آخر، فقال لى: و الله إنّ علىّ بن الحسين عليهما السلام كان يعرف الذى يقوم بين يديه.

و عن جهم بن حميد عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أبى: كان علىّ بن الحسين إذا قام إلى الصّلاه كأنّه ساق شجره لا يتحرّك منه شىء إلّا ما حرّكت الريح منه و قد اخرجت هذه الروايات و سابقتها من الوسائل رواها فيه باسنادها من الكافى و غيره.

و اما الرجاء فلا شك أنّه زايد على ما سبق، فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته و لا يرجو انعامه و مبرّته، و العبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما أنّه خائف بتقصيره عقاب الله، و منشأ الرّجا معرفه لطف الحقّ و كرمه و عميم جوده و احسانه و شمول رحمته و انعامه و معرفه صدقه فى وعده على الصلاه بالثواب و بشراه بالجنّه و حسن المآب، فبمجموع المعرفه بلطفه سبحانه و المعرفه بصدقته يحصل الرجاء.

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم الصَّيْلُ لاه مرضاه الله، و حبّ الملائكة، و سنّه الأنبياء و نور المعرفة، و أصل الإيمان، و اجابه الدّعاء، و قبول الاعمال، و بركه فى الرّزق و راحه فى البدن، و سلاح على الأعداء، و كراهه الشّيطان، و شفيع بين صاحبها و ملك الموت، و السراج فى القبر، و فراش تحت جنبه، و جواب منكر و نكير، و مونس فى السّراء و الضّراء، و صائر معه فى قبره إلى يوم القيامة.

و أما الحياء فزيادته على ما سبق واضحه، لأنّ مستنده استشعار تقصير و توهم ذنب، و يتصوّر التعظيم و الخوف و الرّجاء من غير حياء، حيث لا يتوهم تقصير و خطاء و منشا استشعار التقصير و توهم الذّنب علم المكلف بالعجز عن القيام بوظائف العبوديّة و التعظيم على ما يليق بحضرة الرّبوبيّته سبحانه، و يزيد ذلك بالاطلاع على كثره عيوب النّفس و آفاتهما، و فرط رغبتها فى أفعالها و حركاتها و سكناتها إلى الدّنيا و شهواتها، و قلّه اخلاصها فى طاعاتها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله و عظمتة و كبريائه، و مع معرفه بأنّه خير بصير مطلع على السرائر، عالم بالضمائر، و هذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها الحياء.

و أما اعضاء الصلاه و أشكالها فهى: القيام، و القعود، و القرائه، و التشهد و الركوع، و السجود، و ظاهرها يرتبط بظاهر الانسان، و به يكلف العوام الذين درجتهم درجه الأنعام، ليمتازوا بذلك التّعبد الظاهرى عن ساير أنواع الحيوان فى العاجل، و يستحقوا به نوعا من الثواب فى الاجل، و باطنها يلتزم بباطن الانسان ممن له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد.

أمّا صلاه الظاهر المأمور بها شرعا و المفروضه على كافه المكلفين سمعا فاعدادها معلومه، و أوقاتها مرسومه، و أركانها مضبوطة، و أحكامها فى الكتب مسطوره، لا- حاجه بنا إلى تفصيلها شهرتها، و كفايه الكتب الفقهيّه فى تعيين شرايطها و أحكامها و أمّا صلاه الباطن و صلاه أهل الخصاص فنشير إلى بعض أسرارها و يسير ممّا ينبغى لها لتكون على ذكر منها عند القيام بها، و تأتى بها على وجه البصيره و المعرفه إن كنت من أهل القرب و الطّاعه فنقول و بالله التوفيق:

اما الطهاره فاذا أتيت بها في مكانك و هو طرفك الأبعد، ثم في ثيابك و هو غلافك الأقرب، ثم في بشرتك و هو قشرك الأدنى فلا تغفل عن تطهير ذاتك و إزاله رجس الشيطان عن لبك بالتوبه و الندم على التفريط في جنب الله كما قال سبحانه:

و ثيابك فطهر و الرجز فاهجر، فطهر قلبك فإنه منظر معبودك.

و اما ستر العوره فمعناه تعطيه مقابح بدنك عن أبصار الخلق أعنى سكان عالم الأرض، فاذا وجب عليك ستر ظاهر البدن عن الخلق و هم مخلوق مثلك فما ظنك في عورات باطنك و فضايح سترك الذى هو موضع نظر معبودك و خالقك، فانها أولى بالستر و أخرى، فاحضر تلك الفضايح ببالك، و طالب نفسك بسترها بالندم و الخوف و الحياء، و نزل نفسك منزله العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء و الخوف.

و اما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك من ساير الجهات إلى جهة البيت الحرام، أفترى أنك مأمور بذلك و لست مأمورا بتوجيه قلبك إلى معبودك، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، و كما لا يمكن التوجه بالبيت إلا بالالتفات عن ساير الجهات، فكذلك لا يمكن التوجه إلى الحق، إلا بالاعراض عن كل ما عداه، و الانقطاع بكليته إلى الله.

و أما القيام فليكن على ذكرك في الحال خطر القيام بين يدي الرب المتعال في قيامه و هو المطلع في مقام العرض و السؤال حين ما أيقن أهل الجرائم بالعقاب و عاينوا أليم العذاب، فقم بين يديه سبحانه قيام عبد ذليل بين يدي ملك جليل، و عليك بخفوت أطرافك و هد و أطراقك و سكون جوارحك و خشوع أجزائك و حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وزن نفسك قبل أن توزن.

و أما النيه فاعلم أن الأعمال بالنيات و أن النيه رأس العبادات، فاجتهد في تحصيل الاخلاص، رجاء للثواب و خوفا من العقاب و طلبا للقرب إلى رب الأرباب قال الصادق عليه السلام إذا كان أول صلاته بتيه يريد بها ربّه فلا يضرب ما دخله بعد ذلك فليمض في صلاته و ليخسأ الشيطان.

و أما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك، فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله و أنت أطوع له منك لله فقد اتّخذته إلها لك و معبودا من دون الله كما قال عزّ من قائل: أرأيت من اتّخذ إلهه هويه، فقولك: الله أكبر يكون حينئذ كلاما بمجرّد اللسان من دون أن يساعد القلب و الجنان، فيشهد الله سبحانه عليك بأنك لكاذب في تكبيره و تعظيمه كما شهد على المنافقين بأنهم لكاذبون في قولهم: نشهد أنّك لرسول الله، و ما أعظم الخطر في ذلك لو لا التّدارك بالتوبه و الاستغفار.

و اما القرائه فالناس فيها على ثلاثه أقسام: السّابقون و هم المقرّبون، و أصحاب اليمين و هم أهل الجنّه، و أصحاب الشّمال و هم أهل النّار، فرجل يتحرّك لسانه و قلبه غافل عما هو فيه و يتكلّم به، بل مشغول الفكر بأغراض نفسه و معاملاته و تجاراته و خصوماته و غيرها، و رجل يتحرّك لسانه و قلبه يتبع اللّسان فيفهم و يسمع منه كأنه يسمعه من غيره و هو مقام أصحاب اليمين، و رجل يسبق قلبه إلى المعانى أولا ثمّ يخدم اللّسان القلب فيترجمه كما ربّما يخطر ببالك شيء فينبعث منك داعيه الشّوق إلى التكلّم به و فرق بين أن يكون اللّسان ترجمان القلب و بين أن يكون القلب ترجمانا تابعا للسان، و المقرّبون لسانهم ترجمان قلوبهم.

و توضيح ترجمه المعانى أنك اذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فادفع وساوس قلبك و عجب نفسك، و طهر ساحه قلبك من خطرات ابليس و أحاديث النفس ليتيسّر لك الدّخول في باب الرّحمه فيفتح لك باب الملكوت بالمغفره و باب الجبروت بالفضل و الكرامه، و إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، فانو به التبرّك باسمه، و اعلم أنّ الامور كلّها بالله و هى من فيض رحمته فى الدّنيا و الآخره فاذا كانت النعم الدّنيويّه و الاخرويّه مبدؤها وجوده و كانت كلّها من بحر كرمه وجوده كما قال عزّ من قائل: و ما بكم من نعمه فمن الله، فاعلم أنه لا يليق الحمد و الثناء إلاّ لله سبحانه، فقل: الحمد لله، فلو كنت ترى نعمه من عند غيره و تتوقّع منه

الوصول إليها و تفرع بيد السؤال بابه بزعم استقلاله فيها لا- باعتقاد أنه واسطه في ايصالها إليك و آله لوصولها إلى يديك فتشكره بذلك، ففي تسميتك و تحميدك نقصان و أنت بقدر التفاتك إلى غيره كاذب فيهما.

ثم اعلم أنك تأسيت في تحميدك لله بالملائكة المقرّبين حيث قالوا قبل أن يخلق الله سبحانه هذه النشأه: نحن نسبح بحمدك و نقّـدس لك، و بعباد الله الصّالحين، حيث إنهم بعد ما يحكم بينهم و بين المجرمين يوم الحاقه بالحقّ فيحمدون ربهم كما اخبر عنهم بقوله: و قضى بينهم بالحقّ و قيل الحمد لله ربّ العالمين، و بعد ما يعتبرون الصراط و يجدون رايحه الجنان يقولون: الحمد لله الذي هدانا لهذا، و بعد ما يتمكنون في قصور الجنّات و يجلسون وسط الرّوضات يقولون: الحمد لله الذي صدقنا وعده، و بعد ما ينالون غايه الآمال و يجزون الحسنى بالأعمال يكون آخر كلامهم حمد الرّب المتعال، و آخر دعويهم أن الحمد لله ربّ العالمين، فاذا كان بديه العالم و نهايته مبيته على الحمد فاجتهد أن يكون بدايه عملك و نهايته كذلك، و كما أنّ حمد هؤلاء المقرّبين ناش عن وجه الاخلاص و اليقين، فليكن ثناءك كذلك و إذا قلت: ربّ العالمين، فاعلم أنّه سبحانه ربّيك و مربّي ساير الخلائق أجمعين، حيث إنه خلقهم و ساق اليهم أرزاقهم و دبر امورهم و قام بمصالحهم و بدء بالآمال قبل السؤال، و أنه رباهم بعظيم ما لديه من دون جلب ربح و منفعة منهم إليه كما هو شأن ساير المرّبين و المحسنين فانهم انما يربون و يحسنون ليربحوا على ذلك و ينتفعوا بذلك إما ثواباً أو ثناء، فاذا كان تربيته كذلك فلينبعث منك مزيد شوق و رجاء إلى فضله و نواله.

و ليشتدّ ذلك الرّجاء إذا قلت: الرّحمن الرّحيم، فإنّ رحمته سبحانه لانهايه لها، فبرحمته الرّحمانيه خلق الدّنيا و ما فيها، و برحمته الرّحيميّه يجزى لمؤمنين الجزاء الأوفى، و هو الذي ينادى عبده و يشرفه بلطف الخطاب حين ما وارده في التراب، و ودّعه الأحباب و يقول: عبدى بقيت فريدا وحيدا فأنا أرحمك اليوم رحمه يتعجب الخلائق منها.

ثم لا تغتر بذلك ولا تأمن من غضبه واستشعر من قلبك الخوف، وإذا قلت:

مالك يوم الدين، فاحضر في نظرك أنواع غضبه وقهره على أهل الجرائم والجوائز واعلم أنه لا مانع ذلك اليوم من سخطه و لا راد من عقابه، لانحصار الملك يومئذ فيه، فليس لأحد لجأ يؤويه.

ثم إذا حصلت بين الخوف والرّجاء فجرد الاخلاص والتوحيد وقل: إياك نعبد، أى لا- يستحقّ العباده إلا أنت ولا معبود سواك ولا نعبد إلا إياك، وتفطن لسرّ التكلم بصيغه الجمع نكته تشريك الغير معك فى الازعان بالعبوديه، وهو أنّ من باع أمتعته كثيره صفقه بعضها صحيح وبعضها معيب فاللّازم على المشتري إمّا قبول الجميع أو ردّ الجميع، ولا يجوز له ردّ المعيب و أخذ الصحيح، فههنا قد مزجت عبادتك بعباده غيرك من الأنبياء والمرسلين والملائكه المقربين و عباد الله الصّالحين، و عرضت الجميع صفقه واحده على حضره ربّ العالمين، فهو سبحانه أجلّ من أن يرّد المعيب و يقبل الصحيح، فانه قد نهى عباده عن ذلك فلا يليق بكرمه ذلك، كما لا يليق به ردّ الجميع لكون بعضها مقبولا البتة فلم يبق إلا قبول الجميع و هو المطلوب.

ثم القيام منك بوظايف العبوديه والاتيان بلوازم الطّاعه لما لم يكن ممكنا إلا باعانه منه سبحانه وإفاضه منه الحول والقوه اليك فتضرّع إليه تعالى و اطلب منه التوفيق والاعانه و قل: وإياك نستعين، و تحقّق أنه ما تيسّرت طاعتك إلا باعانتة و أنه لولا توفيقه لكنت من المطرودين مع الشّيطان اللعين وإذا أظهرت حاجتك إليه سبحانه فى إفاضته الاعانه و التّوفيق فعين مسئولك و اطلب منه تعالى أهمّ حاجاتك و ليس ذلك إلا طلب القرب من جواره، و لا يكون ذلك إلا بالحركه و السكون نحوه و سلوك السّبيل المؤدى اليه و لا يمكن ذلك إلا بهدأيته سبحانه فقل: اهدنا الصّراط المستقيم، قال الصادق عليه السّلام يعنى أرشدنا للزوم الطّريق المؤدى إلى محبّتك و المبلغ إلى جنتك و المانع من أن نتبع أهوائنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

و زد ذلك شرحا و تفصيلا و تأكيدا بقولك: صراط الذين أنعمت عليهم، و هم الذين أنعم عليهم بالتوفيق و الطاعة لا بالمال و الصّحة و هم الذين قال الله تعالى.

«وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا».

و أمّا الذين انعم عليهم بالمال و الصّحة فربما يكونون كفّارا أو فسّاقا من الذين لعنهم الله و غضب عليهم، أو من الضّالين المكذّبين، و لذلك حسن التأكيد بأن تقول: غير المغضوب عليهم، و هم اليهود قال الله فيهم: من لعنه الله و غضب عليه، و لا الضّالّين، و هم النصارى قال الله فيهم قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيرا فاذا فرغت من قراءه فاتحه الكتاب فأقرء ما شئت من السّور، و عليك بالترتيل و تعمد الاعراب فى ألفاظ ما تقرؤها و التّفكّر فى معناها، و سؤال الرحمة و التّعوذ من النقمه عند قراءه آيتيهما، ثمّ إذا فرغت من القرائه فجّدّد ذكر كبرياء الله سبحانه و عظّمته و ارفع يديك حيال وجهك و قال: الله أكبر استجاره بعفوه عن عقابه و اتباعا لسنّه رسوله، ثمّ تستأنف له ذلّا و تواضعا بركوعك و تجتهد فى ترقيق قلبك و فى استشعار الخشوع له، و عليك بالطمأنينه و الوقار و تسويه ظهرك و مدّ عنقك.

فقد قال أبو جعفر عليه السّلام: من أتمّ ركوعه لم يدخله وحشه فى القبر.

و فى مرفوعه أبى القاسم بن سلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا ركع لوصبّ على ظهره ماء لاستقرّ، و أمّا مدّ العنق فمعناه إنّى آمنت بك و لو ضربت عنقى.

ثمّ تشهد على ربّك بالعظمه و أنّه أعظم من كلّ عظيم فتقول: سبحان ربّي العظيم و بحمده، و تکرّر ذلك على القلب و تؤكده بالتكرير، ثمّ تنتصب قائما و تقول: سمع الله لمن حمده و الحمد لله ربّ العالمين، ثمّ تهوى إلى السّجود و هو أعلى درجات التذلّل و الاستكانه حيث الصقت أعزّ جوارحك و أشرفها و هو الجبهه بأذلّ الأشياء و أخسّها و هو التراب، و قد نهيت عن السجود على الذهب و الفضة

و المطاعم و الملابس، لأنها متاع الحياه الدّنيا و السّجده زاد الآخره.

روى الصّيدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبى عبد الله عليه السّلام: أخبرنى عمّا يجوز السجود عليه و عما لا يجوز، قال: السجود لا- يجوز إلّا- على الأرض أو على ما أنبت الأرض إلّا ما أكل أو لبس، فقال له: جعلت فداك ما العلّه فى ذلك، قال: لأنّ السّجود خضوع لله عزّ و جلّ فلا ينبغى أن يكون على ما يؤكل و يلبس، لأنّ أبناء الدّنيا عبيد ما يأكلون و يلبسون، و الساجد فى سجوده فى عباده الله عزّ و جلّ فلا ينبغى أن يضع جهته فى سجوده على معبود أبناء الدّنيا الذين اغتروا بغرورها.

و أمّا تعدّد السجود فسّيره ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السّلام حيث سأله رجل ما معنى السجده الاولى؟ فقال عليه السّلام: تأويلها اللهمّ منها خلقتنا يعنى من الأرض، و تأويل رفع رأسك: و منها أخرجتنا و السجده الثانيه: و إليها تعيدنا، و رفع رأسك منها: و منها تخرجنا تاره اخرى.

أقول: و هو مأخوذ من قوله سبحانه فى سورة طه:

«مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى».

ثمّ تجلس لتشهد على يسارك و ترفع يمينك و تأويل ذلك: اللهمّ أمت الباطل و اقحم الحقّ، فتجدّد العهد لله سبحانه بالشهاده بالتوحيد و للنبيّ بالشهاده بالرساله، و تصلّى عليه و آله الذين هم وسائط الفيوضات النازله، و بهم قبول الصّلاه و ساير العبادات، و بالتقرّب اليهم يرجى نزول الرّحمه من الحقّ، لكونهم واسطه بينك و بين الرسول كما أنّه واسطه بين الله و بين الخلق.

ثمّ احضر شخصه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى قلبك و قل: السّلام عليك أيّها النّبيّ و رحمه الله و بركاته، لتدخل فى زمره المؤمنين المجيبين لنداء يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما، ثمّ سلّم على نفسك و على عباد الله الصّالحين، و تأمل أنّ الله يردّ عليك سلاما بعدد عباد الصّالحين، و أما قولك: السّلام عليكم و رحمه الله و بركاته، فتقصد بخطابك فيه الأنبياء و الملائكه و الأئمه عليهم السّلام و المؤمنين من الجنّ و الانس

و تحضرهم ببالك و تخاطبهم به، و إلا كان التسليم بصيغه الخطاب لغوا و إن كان مخرجا عن العهد، و حقيقه هذا التسليم هو الرجوع عن الحق إلى الخلق، فإن الصلاه معراج للمؤمن و مناجاه للعبد مع معبوده و حضور له مع الله و غيبته له عما سواه، فاذا انصرف منه لزم عليه تجديد العهد بالخلق و التسليم عليهم كما يسلم الغائب إذا قدم من سفره.

هذا قليل من كثير و نبد يسير من أسرار الصلاه، و المقام لا يسع الزيادة، و الله ولي التوفيق و الهدايه.

(و) الخامس من الوسائل (إيتاء الزكاه فانها فريضه واجبه) و الاتيان بالوجوب بعد الفرض لمحض التأكيد و الاشاره إلى تأكد وجوبها نظير قوله سبحانه:

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

فأنه سبحانه بعد الأمر بها بالجملة الخبرية التي هي في معنى الانشاء، عقبه بقوله: فريضه، تأكيداً للوجوب، قال الزجاج: فريضه منصوب على التوكيد، لأن قوله: إنما الصدقات لهؤلاء جار مجرى قوله: فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضه و ذلك كالزجر عن مخالفه هذا الظاهر.

قال رفاعه بن موسى: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما فرض الله على هذه الأمة أشد عليهم من الزكاه و فيها تهلك عامتهم.

أو الفريضه من الفرض بمعنى القطع و التقدير و منه قوله سبحانه: «لَا تَتَّخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْباً مَّفْرُوضاً» أي منقطعا محدودا و يطلقون الفقهاء في باب الموارث

على ذوى السهام المقدّره ذوى الفرائض باعتبار أنّ سهامهم مقدّره معيّنه فى كتاب الله سبحانه و على هذا فيكون معنى قوله عليه السّلام: أنّها فريضه واجبه أنّها شىء مقدّر منقطع متّصف بالوجوب، و كيف كان فهى من أعظم دعائم الدّين و أقوى أركان الاسلام، و الكلام فيها فى مقامين.

المقام الاول فى علّه وجوبها و فضلها و عقوبه مانعها.

أمّا فضلها و وجوبها فكفى بذلك أنّ أكثر الآيات المتضمّنه للأمر بإقامه الصّلاه متضمّنه للأمر بإيتاء الزّكاه، فجعل الزّكاه تالى الصّلاه، و الأخبار فى هذا المعنى فوق حدّ الاحصاء.

ففى الكافى باسناده عن محمّد بن مسلم و أبى بصير و بريد عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السّلام قالوا: فرض الله الزّكاه مع الصّلاه.

و عن مبارك العقروفى قال: قال أبو الحسن عليه السّلام إنّ الله عزّ و جلّ وضع الزّكاه قوتا للفقراء و توقيرا لأموالكم.

و عن أحمد بن محمّد بن عبد الله و غيره عن رجل من أهل ساباط قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام لعمّار السّاباطى: يا عمّار أنت ربّ مال كثير؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: فتؤدّى ما افترض الله عليك من الزّكاه؟ فقال: نعم، قال: فتخرج الحقّ المعلوم من مالك؟ قال: نعم، قال: فتصل قرابتك؟ قال: نعم، قال: فتصل اخوانك؟ قال: نعم، فقال عليه السّلام: يا عمّار إنّ المال يفنى و البدن يبلى و العمل يبقى و الدّيان حى لا يموت، يا عمّار إنّ ما قدّمت فلن يسبقك، و ما أخّرت فلن يلحقك. و رواه الصّدوق فى الفقيه عنه عليه السّلام مثله.

و فيه أيضا عن معتب مولى الصّيادق عليه السّلام قال: قال الصّيادق عليه السّلام: إنّما وضعت الزّكاه اختبارا للأغنياء و معونه للفقراء، و لو أنّ الثّياس ردّوا زكاه أموالهم ما بقى مسلم فقيرا محتاجا، و لا- ستغنى بما فرض الله له، إنّ الثّياس ما افتقروا و لا احتاجوا

و لا جاعوا و لا غروا إلا بذنوب الأغنياء، و حقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله، و أقسم بالذى خلق الخلق و بسط الرزق إنه ما ضاع مال في برّ و لا بحر إلا بترك الزكاه، و ما صيد في برّ و لا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم و إنّ أحبّ الناس إلى الله أسخاهم كفا، و أسخى الناس من أدّى زكاه ماله و لم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله.

و فيه أيضا أنّه كتب الرضا على بن موسى عليهما السلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب إليه من جواب مسائله: أنّ عله الزكاه من أجل قوت الفقراء و تحصين أموال الأغنياء، لأنّ الله كلّف أهل الصّحه القيام بشأن أهل الزّمانه و البلوى كما قال تعالى.

«لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ».

في أموالكم اخراج الزكاه، و في أنفسكم توطين النفس على الصبر مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله و الطمع في الزّيادة مع ما فيه من الرفاده و الرأفه و الرّحمه لأهل الضعف، و العطف على أهل المسكنه و الحثّ لهم على المواساه، و تقويه الفقراء و المعونه لهم على أمر الدّين، و موعظه لأهل الغنى، و عبره لهم ليستدلّوا على فقراء الآخره بهم و ما لهم عن الحثّ في ذلك على الشكر لله لما خولهم و أعطاهم و الدّعا و التضرّع و الخوف من أن يصير و امثلهم في امور كثيره في أداء الزكاه و الصّدقات و صله الأرحام و اصطناع المعروف.

قال الصّدوق: و قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام: من أخرج زكاه ماله تامّا فوضعها في موضعها لم يسأل من أين اكتسب ماله.

قال: و قال الصادق عليه السّلام: إنّما جعل الله الزكاه في كلّ ألف خمسه و عشرين درهما، لأنّ الله تعالى خلق الخلق فعلم غنيهم و فقيرهم و قويهم و ضعيفهم، فجعل من كلّ ألف خمسه و عشرين مسكينا لو لا ذلك لزادهم الله لأنّه خالقهم و هو أعلم بهم.

اما عقوبه تارك الزكاه و مانعها فقد قال تعالى فى سورة آل عمران:

«وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» و فى سورة البراءة: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِلْأَنفُسِ كُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ».

و لا يخفى ما فى الآيتين من وجوه الحث على الانفاق و الوعيد على الامساك.

أما الايه الاولى فجهات الانذار فيها غير خفيّه الاولى أنّه سبحانه نهى عن حسابان الممسكين إمساكهم خيرا لهم و نفعا فى حقهم و أكد ذلك بالنون المفيدة للتوكيد الثانيه أنّه وصف الممسكين بصفه البخل و هو صفه ذمّ الثالثه أنّ ما بخلوا به هو ممّا آتاهم الله فاللّازم عليهم أن يتصرّفوا فيه بما أمر الله و يصرفوه إلى ما أَرادَه الله الرابعه أنّ ذلك شرّ لهم و ضرّ فى حقهم الخامسه أنّهم يطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة.

روى الصّيدوق عن حريز عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه قال: ما من ذى ذهب أو فضه تمنع زكاه ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر(١) و سلّط عليه شجاعا أقرع(٢) يريده و هو يحيد عنه فاذا رأى أنّه لا يتخلّص منه انكسه فقضمها كما يقضم الفجل ثم يصير طوقا فى عنقه و ذلك قوله:

ص: ٤١٦

١- (١) قاع قرقر اى مستو مصباح.

٢- (٢) الاقرع من الحيات المتمطع شعر رأسه اى الابيض لكثره سمه، ق.

«سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

و ما من ذى ابل أو بقر أو غنم يمنع زكاه ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطاه كل ذات ظلف بظلفها، و ينهشه كل ذات ناب بنابها، و ما من ذى نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته إلا طوقه الله ريعه أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة.

و فى الكافى باسناده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ: سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا به يوم القيامة، فقال: يا محمد ما من أحد يمنع من زكاه ماله شيئا إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعبانا من نار مطوقا فى عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب، ثم قال هو قول الله عزّ و جلّ: سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا به يوم القيامة، يعنى ما بَخِلُوا به من الزكاه السادس أن ميراث السماوات و الأرض كلّ لله سبحانه بمعنى أنّه وحده يبقى و غيره يفنى و يبطل ملك كل مالك إلا ملكه، فاذا كان المال فى معرض الفناء و الزوال فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بالانفاق، و لا يحرص على الامساك، فيكون وزره عليه و نفعه لغيره السابعه أنّه سبحانه خبير بما يعمل المكلّفون بصير بمخالفتهم لأمره لا يعزب عن علمه بخلهم بالانفاق و منعهم عن أهل الاستحقاق، فسيذيقهم و بال أمرهم عند المساق، اذا التفت الساق بالساق.

و اما الآيه الثانيه فقد روى الطبرسى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلّم أنّه لما نزلت هذه الآيه قال صلى الله عليه و آله و سلّم: تبا للذهب و الفضة، يكررها ثلاثا، فشقّ ذلك على أصحابه فسأله عمر: أى المال تتخذ؟ فقال: لسانا ذاكرا، و قلبا شاكرا، و زوجه مؤمنه تعين أحدكم على دينه.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام ما زاد على أربعه آلاف فهو كنز أدّى زكاته أو لم يؤدّ و عن التهذيب عن الصادق عليه السلام ما أعطى الله عبدا ثلاثين ألفا و هو يريد به خيرا و قال ما جمع رجل قطّ عشره ألف درهم من حلّ و قد يجمعها لأقوام إذا أعطى القوت و رزق العمل فقد جمع الله له الدنيا و الآخرة.

و محصِّل المعنى أنَّ الذين يجمعون المال و لا- يؤدّون زكّاتهم فأخبرهم بعذاب موجه، و للتعبير عن ذلك بلفظ البشاره مبنيّ على التّهكّم، لأنّ من يكثر الذهب و الفضّه فانما يكثرهما لتحصيل الوجاهه بهما يوم الحاجه، و التوسل الى الفرج يوم الشدّه فقيل له: هذا هو الوجاهه و الفرج كما يقال تحييتهم ليس إلّا الضرب و إكرامهم ليس إلّا الشتم «يوم يحمى عليها» أى يوقد على الكنوز «فى نار جهنّم» حتى تصير نارا «فتكوى بها» أى بتلك الأموال و الكنوز التى منعوا حقوقها الواجبه «جباههم و جنوبهم و ظهورهم» و تخصيص هذه الأعضاء بالكى بوجه.

أحدها أنّ منظورهم بكسب الأموال و ترك الانفاق ليس إلّا الأغراض الدنيويّه و هو حصول الوجاهه لهم عند الناس و حصول الشّبع لهم بأكل الطّيبات فينفتح منه الجنبان و لبس ثياب فاخره يطرحونها على ظهورهم فوق الكى على هذه الأعضاء جزاء لأغراضهم الفاسده.

الثانى أنّ الجباه كناية عن مقادير البدن و الجنون عن طرفيه و الظهور عن المآخير، و المراد به أنّ الكى يستوعب تمام البدن.

الثالث أنّ الجبهه محلّ السّجود فلم يقدّم فيه بحقه و الجنب مقابل القلب الذى لم يخلص فى معتقده، و الظّهر محلّ الأوزار قال: يحملون أوزارهم على ظهورهم.

الرّابع أنّ هذه الأعضاء مجوفه و ليست بمصمته و فى داخلها آلات ضعيفه يعظم التّألم بسبب وصول أدنى أثر اليها، بخلاف سائر الأعضاء.

الخامس و هو أحسن الوجوه و ألطفها أنّ صاحب المال إذا رأى الفقير أوّلا- قبض جبهته و عبس وجهه و إذا دار الفقير يوليه جنبه و إذا دار يوليه ظهره و قوله «هذا ما كنزتم لأنفسكم» أى يقال لهم فى حاله الكى هذا هو الذى ادّخرتموه لأنفسكم، و هو تبكيت لهم بأنّ المال الذى بخلتم بانفاقه و ادّخرتموه لتتفّعوا به صار عذابكم به، فكأنّكم أكثرتموه ليجعل عقابا لكم «فذوقوا» عقاب «ما كنتم تكتزون» به لا بغيره.

قال الطبرسي صاحب التفسير قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من عبد له مال لا يؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنباه وظهره حتى يقضى الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قال وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ترك كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ينتبعه ويقول: ويلك ما أنت، فيقول أنا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقضها ثم يتبعه ساير جسده المقام الثاني في أسرار الزكاة و دقائق بذل المال و هي امور:

الاول أن المؤمن الموحّد إذا أقرّ بالتوحيد باللسان لزم إذعانه به بالجنان و معنى التوحيد إفراد المعبود بالمحبيّيه و اخلاص القلب عمّا سواه و الفراغ عن كلّ ما عداه، فإنّ المحبّه أمر لا يقبل الشركه و الأموال محبوبه عند الخلاق، لأنّها آله تمتّعهم بالدنيا، و بسببها يأنسون بهذا العالم و ينفرون عن الموت مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فجعل الله بذل المال امتحانا لهم و تصديقا لدعوتهم المحبّه له سبحانه و الناس في ذلك ثلاثة أصناف:

صنف صدقوا التوحيد و حذفوا عن ساحه قلوبهم ما سوى المعبود و بذلوا أموالهم من غير تعرّض بوجوب الزكاة و لم يدّخروا لأنفسهم دينارا و لا درهما، و لم يتركوا بعدهم صفراء و لا بيضاء، و هم الذين قال الله سبحانه في حقهم:

«وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا».

روى في الكافي باسناده عن محمّد بن سنان عن المفصل قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فسأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال عليه السّلام له: الزكاة الظاهره أم الباطنه تريد؟ فقال: أريدهما جميعا، فقال عليه السّلام: أمّا الظاهره ففي

كُلُّ أَلْفٍ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَلَا تَسْتَأْثِرُ عَلَى أَخِيكَ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْكَ.

وَصَنَّفَ دَرَجَتَهُمْ دُونَ دَرَجَةِ الصَّنْفِ السَّابِقِ وَهُمْ الْمَمْسُكُونَ أَمْوَالَهُمُ الْمَرَقِبُونَ لِمَوَاقِيتِ الْحَاجَاتِ وَ مَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ، فَيَكُونُ قَصْدُهُمْ فِي الْأَدْخَارِ الْإِنْفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ وَ عِيَالِهِ الْوَاجِبِ النِّفْقَةَ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَ صَرَفَ الْفَاضِلَ إِلَى وَجْهِ الْبِرِّ مَهْمَا ظَهَرَ، وَ هَؤُلَاءِ لَا يَقْتَصِرُونَ عَلَى مَقْدَارِ الزَّكَاةِ وَ هُمُ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ.

رَوَى فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَعَنَا بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، فَذَكَرُوا الزَّكَاةَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الزَّكَاةَ لَيْسَ يَحْمَدُ بِهَا صَاحِبُهَا، وَ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ ظَاهِرٌ إِنَّمَا حَقَّنَ بِهَادِمِهِ وَ سَمَّى بِهَا مُسْلِمًا، وَ لَوْ لَمْ يُؤَدِّهَا لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ، وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ غَيْرَ الزَّكَاةِ، فَقُلْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَ مَا لَنَا فِي أَمْوَالِنَا غَيْرَ الزَّكَاةِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تَسْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

«وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ».

قَالَ: مَاذَا الْحَقُّ الْمَعْلُومُ الَّذِي عَلَيْنَا؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الشَّيْءُ يَعْلَمُهُ الرَّجُلُ فِي مَالِهِ يَعْطُهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي الْجُمُعَةِ أَوْ فِي الشَّهْرِ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ غَيْرَ أَنَّهُ يَدُومُ عَلَيْهِ.

وَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ».

أَهُوَ سِوَى الزَّكَاةِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الرَّجُلُ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الثَّرَوَةَ مِنَ الْمَالِ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْأَلْفَ وَ الْأَلْفِينَ وَ الثَّلَاثَةَ آلَافَ وَ الْأَقْلَ وَ الْأَكْثَرَ فَيَصِلُ بِهِ رَحْمَهُ وَ يَحْمِلُ بِهِ الْكُلَّ عَنْ قَوْمِهِ.

وَ عَنْ الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ

رجلا جاء إلى أبي عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال له: أخبرني عن قوله الله عزّ وجلّ:

«وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»، ما هذا الحقّ المعلوم؟ فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: الحقّ المعلوم الشيء يخرج به الرّجل من ماله ليس من الزّكاه ولا من الصدقه المفروضين، قال: فاذا لم يكن من الزكاه ولا من الصدقه فما هو؟ فقال عليه السّلام: هو الشيء يخرج به الرّجل من ماله إن شاء أكثر وإن شاء أقلّ على قدر ما يملك، فقال له الرّجل: فما يصنع به؟ قال: يصل به رحما ويقوى به ضعيفا ويحمل به كلاً أو يصل به أخا له في الله أو لنائبه تنوبه فقال الرّجل: الله أعلم حيث يجعل رسالاته هذا.

و المحروم الرّجل الذي ليس بعقله بأس ولم ييسط له في الرزق، و رواه الكليني عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام.

و الصنف الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه و لا ينقصون منه و هي أدون الرتب، و قد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال و فرط ميلهم إليه و ضعف حبّهم للآخره.

السر الثاني من أسرار الزّكاه أنها مطهّره من صفه البخل و هي صفه مذمومه من جنود النفس قال سبحانه:

«خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» و قال: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

الثالث أنّ شكر النّعمه واجب عقلا و شرعا و هو على ما قاله العلماء عباره عن صرفها إلى طلب مرضات المنعم، فالعبادات البدنيه شكر لنعمه البدن، و العبادات الماليه شكر لنعمه المال، فيحكم العقل بوجوبها لكونها شكرا للمنعم، و ما أحسن من ينظر إلى الفقير و قد ضيق عليه الرزق و انتقع لونه من مسّ الجوع ثم لا- يسمح نفسه أن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السّؤال و إحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله.

قال الصّادق عليه السّلام في روايه سماعه بن مهران المرويّه في الكافي: و من أدى

ما فرض الله عليه فقد قضى ما عليه و أدى شكر ما انعم الله عليه فى ماله إذا هو حمده على ما أنعم الله عليه فيه بما فضله به من السعه على غيره، و لما وفقه لأداء ما فرض الله عزّ و جلّ عليه و أعانه عليه.

الرابع أنّ النفس الناطقه لها قوتان: نظريّه و عمليّه، فالقوّه النظرية كما لها فى التعظيم لأمر الله، و القوّه العمليّه كمالها فى الشفقه على خلق الله فأوجب الله الزكاه ليحصل لجوهر الزوج هذا الكمال، و هو اتصافه بكونه محسنا إلى الخلق، ساعيا فى ايصال الخيرات إليهم، دافعا للآفات عنهم.

الخامس أنّ المال سمى مالا لميل كلّ أحد إليه و هو فى معرض التلف و الزوال مهادم فى يده فهو غاد و رائح، و إذا أنفق فى مصارف الخير و وجوه الله بقى بقاء لا يزول، لأنّه يوجب الثناء الجميل فى الدنيا و الثواب الجزيل فى الآخرة، و قد مرّ فى الخطبه الثانيه و العشرين أنّ لسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال يورثه غيره، فإنّ المراد بلسان الصدق هو الذكر الجميل، قال حاتم لامرأته ماريه:

أمارى إنّ المال غاد و رائح و يبقى من المال الأحاديث و الذكر

لقد علم الأقوام لو أنّ حاتما أراد ثراء المال كان له و قر

السادس أنّ كثرة المال موجه لحصول الطغيان و الانحراف عن سبيل الرحمن كما قال عزّ من قائل:

«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ»

فأوجب الله الزكاه لتقليل سبب الطغيان و جبرا لمفسدته، إلى غير ذلك من الأسرار التى يستنبطها العقل بأدنى توجّه، و الله الهادى إلى الخيرات.

(و) السادس (صوم شهر رمضان فإنّه جنّه من العقاب) و وقايه من النار يوم الحساب،

و انما خصّه بهذه العله مع كون ساير العبادات كذلك لكونه أشدّ وقايه من غيره، بيان ذلك أنّ استحقاق الانسان للعقوبه إنّما هو بقربه من الشيطان و اطاعته له و للنفس الاماره، و بشدّه القرب و ضعفه يتفاوت العقاب شدّه و ضعفاً، و بكثره الطاعه و قلتها يختلف العذاب زياده و نقصاناً، و سبيل الشيطان على الانسان و وسيلته إليه إنّما هي الشهوات، و قوّه الشهوه بالأكل و الشرب، فبالجوع و الصوم يضعف الشهوه و ينكسر صوله النفس و ينسد سبيل الشيطان و ينجى من العقوبه و الخذلان، كما قال صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع.

و قال صلوات الله عليه و آله لعائشه: و ادمى قرع باب الجنّه، قالت: بماذا؟ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: بالجوع.

قال الغزالي فى احياء العلوم فى تعداد فوائد الجوع و يأتى إنشاء الله جميعها فى التذيل الثانى من شرح الفصل الثانى من الخطبه المائه و التاسعه و الخمسين:

«الفائدة الخامسه» و هي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلّها و الاستيلاء على النفس الاماره بالسوء، فإنّ منشأ المعاصى كلّها الشهوات و القوى و مادّه الشهوات و القوى لا محاله الأطمعه، فتقليلها يضعف كلّ شهوه و قوّه، و إنّما السعاده كلّها فى أن يملك الرّجل نفسه، و الشقاوه فى أن تملكه نفسه، و كما أنّك لا تملك الدّابه الجموح إلّا بضعف الجوع، فاذا شبت قوى و شردت و جمحت فكذلك النفس، و هذه ليست فائده واحده، بل هي خزائن الفوائد، و لذلك قيل الجوع خزانه من خزائن الله.

فقد اتّضح بذلك كون الصّوم جنّه من النّار، و وقايه من غضب الجبّار، و أنّ فيه من إذلال النّفس و قهر إبليس و كسر الشهوات ما ليس فى ساير العبادات و هو واجب بالضروره من الدّين و اجماع المسلمين و نصّ الكتاب المبين قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن»

«قِيلَ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

قال الصادق عليه السلام في هذه الآية: لئذ ما في النداء أزال تعب العباد و العناء و في قوله: لعلكم تتقون، إشاره إلى ما ذكرنا سابقا من أنَّ الصوم جَنَّة و وقايه به يتقَى من العقاب و ينجى من العذاب.

و المستفاد من الآية الشريفه أنَّ الصَّوم كان مكتوبا مفروضا على الامم السالفه كما أنه مكتوب على الامه المرحومه، و لا خلاف في ذلك، و إنّما الخلاف في أنَّ الصوم المفروض علينا بهذه الكيفيه المخصوصه في وقته و عدده هل كان في ساير الامم كذلك ذهب بعض العامه إلى ذلك على ما حكاه في مجمع البيان، حيث روى فيه عن الشعبي و الحسن أنهما قالا إنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النَّصارى، و كان يتفق ذلك في الحرِّ الشديد و البرد الشديد فحوّلوه إلى الرِّبيع و زادوا في عدده.

و ذهب آخرون إلى أن التشبيه في الآية بين فرض صومنا و فرض صوم من تقدّمنا من الامم، أى كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام، و ليس في ذلك تشبيه عدم الصوم المفروض علينا و لا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم و لا

وقته، قال الطبرسى: و هو اختيار أبى مسلم و الجبائى.

أقول: و هذا هو الأقوى و يدلّ عليه صريحا ما رواه فى الفقيه عن سليمان ابن داود المنقرى عن حفص بن غياث النخعى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الامم قبلنا، فقلت له: فقول الله عزّ و جلّ:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ».

قال عليه السلام: إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الامم، ففضّل الله به هذه الامّة و جعل صيامه فرضا على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و على امته هذا.

و الكلام بعد فى علّه وجوب الصوم و فضله و فضل صوم شهر رمضان خصوصا و الآداب التى يكون عليها الصائم.

أما علّه وجوب الصوم ففى الفقيه سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عليه السلام عن علّه الصّيام فقال عليه السلام: إنما فرض الله الصيام ليستوى به الغنى و الفقير، و ذلك إنّ الغنى لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغنى كلّما أراد شيئا قدر عليه، فأراد الله أن يسوّى بين خلقه و أن يذيق الغنى مسّ الجوع و الألم ليرقّ على الضعيف و يرحم الجائع.

و كتب أبو الحسن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: علّه الصّوم عرفان مسّ الجوع و العطش ليكون ذليلا مستكينا مأجورا محتسبا صابرا و يكون ذلك دليلا له على شدايد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشّهوات واعظا له فى العاجل دليلا على الآجل ليعلم شدّه مبلغ ذلك من أهل الفقر و المسكنه فى الدّنيا و الآخرة.

و روى عن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام أنّه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فسأله أعلمهم من مسائل فكان فيما سأله أنّه قال: لأى شيء

فرض الله الصّوم على امتك بالنّهار ثلاثين يوما و فرض على الامم أكثر من ذلك؟ فقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم: إنّ آدم عليه السّلام لما أكل من الشجره بقى فى بطنه ثلاثين يوما ففرض الله على ذريته(١) ثلاثين يوما الجوع و العطش، و الذى يأكلونه بالليل تفضّل من الله عليهم و كذلك كان على آدم ففرض الله عزّ و جلّ ذلك على امتى ثمّ تلى هذه الآيه.

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ».

قال اليهودى صدقت يا محمّد فما جزاء من صامها؟ فقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم: ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابا إلّا أوجب الله له سبع خصال: أولها يذوب الحرام من جسده و الثانيه يقرب من رحمه الله و الثالثه يكون قد كفّر خطيئته أبيه آدم عليه السّلام و الرابعه يهوّن الله عليه سكرات الموت و الخامسه أمان من الجوع و العطش يوم القيامة و السادسه يعطيه الله برائه من النّار و السابعه يطعمه الله من طيبات الجنّه، قال: صدقت يا محمّد.

و أما فضل الصوم مطلقا ففى الكافى و الفقيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بنى الاسلام على خمسهِ أشياء: على الصّلاه، و الزكاه، و الصّوم، و الحجّ، و الولاية، و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: الصّوم جنّه من النار.

و فيهما عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم قال لأصحابه: ألا أخبركم بشىء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الصوم يسود وجهه، و الصّيدقه تكسر ظهره، و الحبّ فى الله و الموازره على العمل الصّالح يقطع دابره، و الاستغفار يقطع و تينه، و لكلّ شىء زكاه و زكاه لأبدان الصّيام.

ص: ٤٢٦

١- (١) اى ذريته من امه محمد و من الانبياء السالفين دون الامم السالفه كما ظهر من روايه حفص بن غياث و يظهر من قوله فى هذه الروايه ففرض الله ذلك على امتى منه

و فيهما عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: أوحى الله إلى موسى ما يمنعك من مناجاتي؟ فقال: يا ربّ اجلّك عن المناجاة لخلوف فم الصّائم، فأوحى الله إليه يا موسى لخلوف فم الصّائم أطيب عندى من ريح المسك.

و عنه عليه السّلام للصّائم فرحتان: فرحه حين افطاره، و فرحه حين لقاء ربّه.

و قال عليه السّلام من صام الله يوما فى شدّه الحرّ فأصابه ظماء و كلّ الله به ألف ملك يمسحون وجهه و يبشرونه حتّى إذا أفطر قال الله عزّ و جلّ: ما أطيب ريحك و روحك يا ملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت له.

و فى الكافى عن أبي الصباح عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى يقول: الصوم لى و أنا اجزى عليه، و رواه فى الفقيه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مثله إلّا أنّ فيه به بدل عليه.

و تخصيصه من بين سائر العبادات مع كون جميعها لله سبحانه من جهه مزيد اختصاصه به تعالى، إمّا لأجل أنّ الصّوم عباده لم يعبد بها غير الحقّ سبحانه بخلاف سائر العبادات و الرّكوع و القيام و القربان و نحوها، فانها ربما تؤتى بها للمعبودات الباطلة كما يعبد بها للمعبود بالحقّ، و أمّا الصّوم فلم يتعبّد به إلّا لله سبحانه و تعالى، أو لأنّ الصوم عباده خفيّه بعيدة عن الرّيا و ليست مثل سائر العبادات التى تعلّقها بالجوارح و الأعضاء الظاهره غالبا، و لذلك لم تسلم من الشرك الخفى و الرياء كثيرا.

و أما فضل شهر رمضان و فضل صومه ففى الوسائل عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: اعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطها الله امه نبىّ قبلى إذا كان أوّل يوم منه نظر الله إليهم فاذا نظر الله عزّ و جلّ إلى شىء لم يعذّبه بعدها، و خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، و يستغفر لهم الملائكة كلّ يوم و ليلة منه، و يأمر الله عزّ و جلّ جنّته فيقول تزيّن لى لى عباده المؤمنين يوشك أن يستريحوا من نصب الدّنيا و اذاها إلى جنّتى و كرامتى، فاذا كان آخر ليلة منه غفر الله عزّ و جلّ لهم جميعا.

و عن عليّ بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

رجب شهر الله الأصبّ و شهر شعبان تشعب فيه الخيرات و فى أوّل يوم من شهر رمضان تغلّ المردة من الشياطين و يغفر فى كلّ ليلة لسبعين ألفا فاذا كان ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر فى رجب و شعبان و شهر رمضان إلى ذلك اليوم إلّا رجل بينه و بين أخيه شحنا، فيقول الله عزّ و جلّ انظروا هؤلاء حتّى يصطلحوا.

و عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام كان يقول: إنّ لله عزّ و جلّ فى كلّ ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف عتيق من النار كلّ قد استوجب النار، فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق مثل ما اعتق فى جميعه.

و عن الصادق عليه السّلام قال: حدّثنى أبى عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حديث قال: من صام شهر رمضان و حفظ فرجه و لسانه و كفّ أذاه عن النّاس غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها و ما تأخّر، و أعتقه من النّار، و أدخله دار القرار، و قبل شفاعته بعدد رمل عالج من مذنبى أهل التّوحيد.

و فى العيون باسناده عن حسن بن فضال عن أبيه عن الرضا عن آبائه عن عليّ عليهم السّلام إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خطب ذات يوم فقال:

أيّها النّاس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركه و الرّحمه و المغفره، شهر هو عند الله أفضل الشّهور، و أيّامه أفضل الأيام، و لياليه أفضل الليالى، و ساعاته أفضل السّاعات، و هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافه الله، و جعلتم فيه من أهل كرامه الله، أنفاسكم فيه تسييح، و نومكم فيه عبادته، و عملكم فيه مقبول، و دعاؤكم فيه مستجاب فاسألوا الله ربّكم بتيّات صادقّه و قلوب طاهره أن يوفّقكم لصيامه و تلاوه كتابه فإنّ الشقى من حرم غفران الله فى هذا الشهر العظيم، و اذكروا بجوعكم و عطشكم فيه جوع يوم القيامة و عطشه، و تصدّقوا على فقرائكم و مساكينكم، و وقّروا كباركم، و ارحموا صغاركم، و صلّوا أرحامكم، و احفظوا ألسنتكم، و غصّوا عما لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، و عما لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم و تحنّوا على أيتام النّاس يتحنّ على أيتامكم، و توبوا إلى الله من ذنوبكم، و ارفعوا اليه أيديكم

بالدعاء فى أوقات صلاتكم، فإنها أفضل الساعات ينظر الله عزّ وجلّ فيها إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه، و يلبّيههم إذا نادوه، و يعطيهم إذا سألوه، و يستجيب لهم اذا دعوه.

أيّها الناس إنّ انفسكم مرهونه بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، و ظهوركم ثقيه من أوزاركم فخففوها عنها بطول سجودكم، و اعلّموا أنّ الله أقسم بعزّته أن لا يعذب المصلّين و الساجدين، و أن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين أيّها النّاس من فطر منكم صائما مؤمنا فى هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة، و مغفرة لما مضى من ذنوبه، فقل يا رسول الله فليس كلّنا نقدر على ذلك، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: اتّقوا النّار و لو بشقّ تمره، اتّقوا النّار و لو بشربه من ماء، أيّها النّاس من حسن فى هذا الشهر منكم خلقه كان له جوازا على الصّيراط يوم تزلّ فيه الأقدام، و من خفف فى هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، و من كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، و من أكرم فيه يتيما أكرمه الله يوم يلقاه، و من وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، و من تطوّع فيه بصلاته كتب الله له برائه من النّار، و من أدّى فيه فرضا كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، و من أكثر فيه من الصلوات على ثقل الله له ميزانه يوم تخفّ الموازين، و من تلى فيه آيه من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن فى غيره من الشهور.

أيّها النّاس إنّ أبواب الجنان فى هذا الشهر مفتّحة فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، و أبواب النيران مغلقه فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، و الشياطين مغلوله فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فقامت و قلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال فى هذا الشهر؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا أبا الحسن أفضل الأعمال فى هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ، ثمّ بكى صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكى لما يستحلّ منك فى هذا الشهر، كأنّى بك و أنت تصلّى لربّك و قد انبعث أشقى الأولين

و الآخريـن شقيق عاقر ناقه ثمود، فضربك ضربه على قرنك فخضب منها لحيـتك، فقلت: يا رسول الله و ذلك في سلامه من ديني؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: في سلامه من دينك ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم: يا علي من قتلـك فقد قتلني، و من أبغضك فقد أبغضني، لأنك مني كنفسى و طينتك من طينتى و أنت وصيى و خليفتى على امتى.

و أما آداب الصوم و الحالات التى يجب أن يكون الصائم عليها فنقول: إن الصوم على ثلاث مراتب و درجات بعضها فوق بعض الاولى صوم العموم الثانى صوم الخصوص الثالث صوم الأخص.

أما صوم العموم فهو المفروض على عامه المكلفين، و هو الكف عن المفطرات من طلوع الفجر الثانى إلى الغروب الشرعى مع التـيـه، و المشهور فى المفطرات أنها عشره: الأكل، و الشرب، و الجماع، و البقاء على الجنابه عمداء، و فى حكمه النوم بعد انتباهتين، و الغبار الغليظ، و فى حكمه الدخان كذلك، و الكذب على الله سبحانه و رسوله و الأئمه عليهم السلام، و الارتماس، و الاستمناء مع خروج المنى، و الحقنه، و القىء و التفصيل مذكور فى الكتب الفقهيـه.

و أما صوم الخصوص فهو أن يكون جامعاً لشرائط الكمال مضافه إلى شرايط الصحه كما أشار إليه الامام سيّد السّاجدين و زين العابدين عليه السّلام فى دعائه عند دخول شهر رمضان حيث قال: «اللهم صلّ على محمد و آل محمد و ألهمنا معرفه فضله و اجلال حرمة و التحفّظ ممّا حظرت فيه، و أعنا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك و استعمالها بما يرضيك حتّى لا نصغى بأسماعنا إلى لغو و لا نسرع بأبصارنا إلى لهو، و حتّى لا نبسط أيدينا إلى محظور و لا نخطو بأقدامنا إلى محجور، و حتّى لا تعى بطوننا إلّا ما أحللت، و لا تنطق ألسنتنا إلّا بما مثلث، و لا نتكلّف إلّا ما يدنى من ثوابك و لا نتعاطى إلّا ما يقى من عقابك، ثمّ خـلص ذلك كلّـه من رياء المرائين و سمعه المسمعين لا نشرك فيه أحدا دونك، و لا نبغى به معبودا سواك».

و محصل شروط الكمال أن لا يكون يوم صومه كيوم فطره، و مداره

على امور:

ص: ٤٣٠

، و عن كلِّ ما يلهي النَّفس عن ذكر الله، و كذلك حفظ ساير الأعضاء عن المعاصي والآثام.

قال أبو عبيد الله عليه السَّلام في روايه الكافي: إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و شعرك و جلدك و عدد أشياء غير هذا و قال: لا يكون يوم صومك كيوم فطرك، و تقدّم ما يدلّ على ذلك، و سيأتي أيضا.

و منها حفظ اللسان عن الهذيان و الكذب و الغيبة و التّميمه و الفحش و الخصومه

بل عن مطلق التّكلّم الا بذكر الله.

روى في الكافي عن جراح المدائني عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: إنّ الصيام ليس من الطّعام و الشراب وحده ثمّ قال عليه السلام: قالت مريم: إنّني نذرت للرحمن صوما أي صمتا، فاحفظوا ألسنتكم و غَضُّوا أبصاركم و لا تنازعوا و لا تحاسدوا.

قال: و سمع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم امرأه تسبّ جاريه لها و هي صائمه، فدعى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم بطعام فقال لها: كلى، فقالت: إنّني صائمه، فقال: كيف تكونين صائمه و قد سببت جاريته، إنّ الصّوم ليس من الطّعام و الشراب.

قال: و قال أبو عبد الله عليه السَّلام إذا صمت فليصم سمعك و بصرك من الحرام و القبيح و دع المراء و أذى الخادم، و ليكن عليك و قار الصّيام، و لا تجعل يوم صومك كيوم فطرك.

و يأتي إنشاء الله في شرح الكلام المأه و الأربعين في ضمن الأخبار الوارده في حرمه الغيبه حديث الفتاتين الصّائمتين الذي رواه المحدّث الجزائري في الأنوار النعمانيه و فيه تنبيه على عظم خطر الغيبه في حال الصّيام فانتظر لما يتلى عليك و تبصّر.

و عن مسعده بن صدقه عن أبي عبد الله عليه السَّلام عن آبائه عليهم السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: ما من عبد صالح يشتم فيقول: إنّني صائم سلام عليك لا أشتمك كما تشتمني إلّا قال الرّب تبارك و تعالى: استجار عبدي بالصّوم من شرّ عبدي و قد أجرته من النار.

و عن حمّاد بن عثمان و غيره عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: لا ينشد الشعر بليل

و لا ينشد فى شهر رمضان بليل و لا نهار، فقال له إسماعيل: يا أبتاه و إن كان فينا، فقال عليه السّلام: و إن كان فينا.

و بالجمله فاللازم على الصّائم التحفظ من سقطات اللّسان و فضول البيان و المواظبه على الاستغفار و الدّعاء و تلاوه القرآن و سائر الأذكار.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: عليكم فى شهر رمضان بكثره الاستغفار و الدّعاء، فأما الدّعاء فيدفع به عنكم البلاء، و أمّا الاستغفار فتمحى به ذنوبكم.

و قال أبو عبد الله عليه السّلام و كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا كان شهر رمضان لم يتكلّم إلّا بالدّعاء و التّسبيح و الاستغفار و التّكبير فاذا أفطر قال: اللّهم إن شئت أن تفعل فعلت.

و منها ترك شَمّ الرّياحين

و لا سيّما النرجس.

و منها الكفّ عن الافطار على الشّبهات

، روى فى الوسائل عن أبى عبد الله عليه السّلام عن أبيه عليه السّلام قال: جاء قنبر مولى علىّ عليه السّلام بفطره اليه فجاء بجراب فيه سويق و عليه خاتم قال عليه السّلام: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لهو البخل تختم على طعامك قال: فضحك عليه السّلام ثمّ قال: أو غير ذلك لا أحبّ أن يدخل بطنى شىء لا أعرف سبيله.

و منها أن لا يكثر من الحلال وقت الافطار

بحيث يمتلى و يثقل فما من وعاء أبغض الى الله من بطن مملوّ.

روى فى البحار عن مجالس ابن الشّيخ (ره) باسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّلام فى حديث طويل لا بليس مع يحيى عليه السّلام قال: قال يحيى عليه السّلام: فهل ظفرت بى ساعه قطّ؟ قال: لا، و لكن فيك خصله تعجبنى، قال يحيى عليه السّلام: فما هى؟ قال: أنت رجل أكل فاذا أفطرت أكلت و بشمت، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك و قيامك بالليل، قال يحيى: فانى اعطى الله عهدا أنى لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس: و أنا أعطى الله عهدا أنى لا أنصح مسلما حتى ألقاه ثمّ خرج فما عاد اليه.

إذ لا يدري أن صومه مقبول فهو من المقرّبين أو مردود فهو من المحرومين.

مرّ بعض أصحاب العقول بقوم يوم عيدهم و هم ضاحكون مستبشرون فقال:

إنّ الله سبحانه جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته فسبق أقوام ففازوا و تخلف أقوام فخابوا فالعجب كلّ العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون و خاب فيه المبطلون(١).

و أمّا صوم أخص الخواصّ فصوم القلوب عن الهمم الدنيوية و الأغراض الدنية و كفّه عن التوجّه إلى ما سوى الله بالكليّة لدوام استغراقه بالحقّ عن الالتفات بغيره، فالفطر في هذا الصّوم الذي هو فيه هو الفكر فيما سوى الله و اليوم الآخر و صرف الهمه في غير طاعه الله و طاعه رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم من أغراض النفس و مقاصد الطبع (و) السابع (حجّ البيت و اعتماره فانّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذّنب) أي يغسلانه و يطهّرانه و قد مضى الكلام في فضل الحجّ و المشاعر العظام و فضل البيت الحرام بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثامن عشر من فصول الخطبه الاولى، و نورد هنا ما لم يسبق ذكره هناك.

فأقول: تعليل الحجّ و الاعتمار بنفى الفقر و رخص الذّنب إشاره إلى أنّ فيهما جمعا بين منفعة الدنيا و منفعة الآخرة و إلى ذلك أشار سبحانه في سورة الحجّ بقوله:

«وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ».

قال ابن عباس: يعنى بالمنافع التجارات، و قال سعيد بن المسيّب و عطية: هي منافع

ص: ٤٣٣

١- (١) هذا الذي ذكره المصنف «قد» عن بعض أصحاب العقول نسبة الفاضل النراقي أعلا الله مقامه في «جامع السعادات» الى الإمام (عليه السلام) حيث قال: روى أنّ الامام أبا محمد الحسن المجتبى (عليه السلام) مرّ بقوم يوم العيد و هم يضحكون فقال (عليه السلام) إنّ الله تعالى «إلخ» إلّا أنّ فيه «لطاغته» بدل «بطاعته» و قال في آخره: أما و الله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه و المسيء عن اسائته «المصحح»

الآخره و هى العفو و المغفره، و قال مجاهد: هى التجاره فى الدنيا و الأجر و الثواب فى الآخره.

و يشعر به المروى عن الصادق عليه السلام حيث قال فى روايه: إني سمعت الله عزّ و جلّ يقول: ليشهدوا منافع لهم فقل: منافع الدنيا أو منافع الآخره؟ فقال عليه السلام: الكلّ.

و فى الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ما من حاجّ يضخّى ملثيا حتّى تزول الشمس إلّا غابت ذنوبه معها، و الحجّ و العمره ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد و فى الكافى باسناده عن خالد القلانسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ ابن الحسين عليهما السلام: حجّوا و اعتمروا تصحّ أبدانكم و تتسع أرزاقكم و تكفون مؤنات عيالاتكم، و قال عليه السلام الحاجّ مغفور له و موجب له الجنّه و مستأنف له العمل و محفوظ فى أهله و ماله.

و عن السيّكوني عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم الحجّه ثوابها الجنّه، و العمره كفّاره لكلّ ذنب.

و عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني قد وطنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسى أو برجل من أهل بيتى بما لى، فقال عليه السلام و قد عزمت على ذلك؟ قال: قلت: نعم، قال: إن فعلت فأيقن بكثرة المال.

و عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم لا يخالف [\(١\)](#) الفقر و الحمى مدمن الحجّ و العمره.

و عن أبي محمّد الفراء قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم تابعوا بين الحجّ و العمره فانهما ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد و عن ابن الطيّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: حجج تترى و عمر تسعى يدفعن عيله الفقر و ميتة السوء.

أقول: المستفاد من هذه الروايات أنّ للحجّ و العمره بذاتهما مدخلية فى زياده المال و نفى الفقر لا من حيث التجاره حاصله فى موسم الحجّ و قيام الأسواق حينئذ كما زعمه الشارح البحرانى.

ص: ٤٣٤

(و) الثامن (صله الرّحم فانها مثره في المال و منساه في الأجل) يعنى أنها موجب له لزياده في المال و التأخير في الأجل، و محلّ لهما، و قد مرّ الكلام فيها مستوفى في شرح الفصل الثاني من الخطبه الثالثه و العشرين.

قال الشارح البحراني: كونها مثره في المال من وجهين:

أحدهما أنّ العناية الالهيه قسمت لكلّ حىّ قسطا من الرزق يناله مدّه الحياه الدّنيا و تقوم به صورته بدنه، فاذا أعدّت شخصا من التّياس للقيام بأمر جماعه و كفله بامدادهم و معونتهم و جب في العناية إفاضه أرزاقهم على يده و ما يقوم بامدادهم بحسب استعدادة لذلك، سواء كانوا ذوى أرحام أو مرحومين في نظره حتّى لو نوى قطع أحدهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلك المقطوع، و ذلك معنى كونه مثراتا للمال.

الثاني أنّ صله الرّحم من الأخلاق الحميده التي يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكلّ، فيكون ذلك سببا لامدادة و معونته من ذوى الأمداد و المعانات كالمملوك و نحوهم فكان صله الرّحم مظنّه لزياده المال.

و كونها منساه في الأجل من وجهين:

أحدهما أنّ صله الرّحم توجب تعاطف ذوى الأرحام و توازروهم و معاضدتهم لو اصلهم، فيكون عن أذى الأعداء أبعد و في ذلك مظنّه تأخيره و طول عمره.

الثاني أنّ مواصلة ذوى الأرحام توجب تعلّق هممهم بقاء و اصلهم و اعداده بالدّعاء، و يكون دعاؤهم و تعلّق هممهم ببقائه من شرائط بقاءه و نساء أجله فكانت مواصلتهم منساه في أجله.

(و) التاسع الصدقه و هى على قسمين:

أحدهما (صدقه السرّ فانّها تكفر الخطيئه) و تطفى غضب الرّبّ سبحانه، و إنّما خصّ بها بذلك مع كون سائر العبادات كذلك لكونها أبعد من الرّياء و تضمّنها

من الخلو ص و التقرب ما ليس فى غيرها.

روى فى الكافى عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

صدقه السرّ تطفى غضب الربّ تبارك و تعالى.

و عن عمار الساباطى قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام: يا عمار الصّيدقه و الله فى السّر أفضل من الصّيدقه فى العلانيه، و كذلك و الله العباده فى السّر أفضل منها فى العلانيه.

و عن معلّى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السّلام فى ليله قد رشت و هو يريد ظلّه بنى ساعده فاتّبعته فاذا قد سقط منه شىء فقال: بسم الله اللهم ردّ علينا، قال: فأتيته فسلمت عليه فقال عليه السّلام: معلّى قلت: نعم، جعلت فداك، فقال لى: التمس بيدك فما وجدت من شىء فادفعه الّى، فاذا أنا بخبز منتشر كثير فجعلت أدفع عليه ما وجدت فاذا أنا بجراب أعجز عن حملة من خبز، فقلت: جعلت فداك أحمله على رأسى «عاتقى خ» فقال: لا، أنا أولى به منك و لكن امض معى، قال: فأتينا ظلّه بنى ساعده فاذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف و الرغيفين حتى أتا على آخرهم ثم انصرفنا، فقلت: جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق؟ فقال: لو عرفوه لو اسيناهم بالّدقه و المدّقه هى الملح إنّ الله تبارك و تعالى لم يخلق شيئا إلّا و له خازن يخزنه إلّا الصدقه فإنّ الربّ يليها بنفسه و كان أبى عليه السّلام إذا تصدّق بشىء وضعه فى يد السائل ثم ارتدّه منه فقبل و شمّه ثم ردّه فى يد السائل، إنّ صدقه اللّيل تطفى غضب الربّ و تمحو الذّنب العظيم و تهوّن الحساب، و صدقه النهار تثمر المال و تزيد فى العمر، إنّ عيسى بن مريم عليهما السلام لما أن مر على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته فى الماء، فقال له بعض الحواريين يا روح الله و كلمته لم فعلت هذا و انما هو من قوتك؟ قال عليه السّلام: فعلت هذا لدابه تأكله من دوابّ الماء و ثوابه عند الله عظيم.

(و) الثّانى (صدقه العلانيه فإنّها تدفع ميتة السّوء) كالغرق و الحرق و الهدم و نحوها.

و يدلّ عليه روايات اخر مثل ما رواه ثقة الاسلام الكلينيّ عطر الله مضجعه

باسناده عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ الصَّدَقَةَ بِالْيَدِ تَقَى مِيتَةَ السَّوِّءِ وَتَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَتَفَكِّ عَنْ لَحْيِ سَبْعِينَ شَيْطَانًا كُلَّهُمْ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ.

و عن أبي ولاد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بَكُرُوا بِالصَّدَقَةِ وَارْغَبُوا فِيهَا، فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ يَرِيدُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ لِيُدْفَعَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ شَرٌّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ شَرًّا مَا يَنْزِلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

و عن السيكوني عن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيُدْفَعَ بِالصَّدَقَةِ الدَّاءُ وَالدَّبِيلَةُ (١) وَ الْحَرَقُ وَ الْغَرَقُ وَ الْهَدْمُ وَ الْجُنُونُ وَ عَدَّ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السَّوِّءِ.

و عن سالم بن مكرم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ إِنَّمَا سَلَّمَ عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ، فَقَالَ الْمَوْتُ عَلَيْكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ: وَ كَذَلِكَ رَدَدَتْ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ يَعْضُهُ أَسْوَدٌ فِي قَفَاهُ فَيَقْتُلُهُ، قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ فَاحْتَطَبَ حَطْبًا كَثِيرًا فَاحْتَمَلَهُ ثُمَّ لَمْ يَلْثَبْ أَنْ انْصَرَفَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ: ضَعِهِ، فَوَضَعَ الْحَطْبَ، فَذَا أَسْوَدٌ فِي جَوْفِ الْحَطْبِ عَاضٌ عَلَى عَوْدٍ، فَقَالَ: يَا يَهُودِيُّ أَيُّ شَيْءٍ عَمِلْتَ الْيَوْمَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا إِلَّا حَطْبِي هَذَا احْتَمَلْتُهُ وَ جِئْتُ بِهِ فَكَانَ مَعِيَ كَعَكَتَانِ فَأَكَلْتُ وَاحِدَهُ وَ تَصَدَّقْتُ بِوَاحِدِهِ عَلَى مُسْكِينٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ: بِهَا دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ، فَقَالَ: إِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوِّءِ عَنِ الْإِنْسَانِ.

و عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ الصَّيِّدَةَ لِتَدْفَعُ سَبْعِينَ بَلِيَّةً مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا مَعَ مِيتَةِ السَّوِّءِ، إِنَّ صَاحِبَهَا لَا يَمُوتُ مِيتَةَ السَّوِّءِ أَبَدًا مَعَ مَا يَدْخُرُ لِمُصَاحِبِهَا مِنَ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ.

(و) العاشر (صنایع المعروف فانها تقى مصارع الهوان) المعروف اسم لكل فعل يعرف

ص: ٤٣٧

حسنه بالعقل و الشرع كالأحسان و البرّ و الصّله و الصدقه على الناس و الرفق معهم و ساير أعمال الخير، و اصطناع المعروف لما كان مستلزما لتأليف قلوب الخلق و جامعاً لهم على محبه المصطنع لاجرم كان وقايه له، و الناس يتقون قتله و يجتنبون عن فعل ما يوجب الهوان به و ذلّته و هو ظاهر.

و نظير هذا الكلام ما رواه عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السّلام قال: صنائع المعروف تقى مصارع السوء.

و روى عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ صنائع المعروف تدفع مصارع السوء.

و هذا من جملة خواصّه فى الدّنيا و منها أيضاً زياده البركه.

روى الشّيكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ البركه أسرع إلى البيت الذى يمتار(١) منه «فيه خ» المعروف من الشفّره إلى سنام البعير أو من السّيل الى منتهاه.

و أمّا ثمراته الاخرى فكثيره اشيرت اليها فى أخبار متفرقه ففى الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أوّل من يدخل الجنه المعروف و أهله و أوّل من يرد علىّ الحوض، و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم:

أهل المعروف فى الدّنيا أهل المعروف فى الآخرة، و تفسيره انه اذا كان يوم القيامة قيل لهم: هبوا حسناتكم لمن شئتم و ادخلو الجنه، و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: كلّ معروف صدقه و الدّالّ على الخير كفاعله و الله يحبّ اغاثه اللهفان.

و قال الصّيادق عليه السّلام: أيما مؤمن أوصل الى أخيه المؤمن معروفا فقد أوصل ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قال عليه السّلام: المعروف شىء سوى الزّكاه فتقرّبوا إلى الله عزّ و جلّ بالبرّ و صله الرّحم، و قال عليه السّلام: رأيت المعروف كاسمه و ليس شىء أفضل من المعروف إلّا ثوابه، و ذلك يراد منه، و ليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف الى الناس يصنعه و ليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه و لا كلّ من يقدر عليه يوزن له فيه فاذا اجتمعت الرغبه و القدره و الاذن فهنا لك تتمّ السّعاده للطالب و المطلوب اليه.

ص: ٤٣٨

و قال الصادق عليه السلام أيضا: رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، و ستره، و تعجيله فأنك إذا صغرتَه عظمتَه عند من تصنعه اليه، و إذا سترته تَممتَه، و إذا عَجَلتَه هَنأتَه، و ان كان غير ذلك محققه و نكدته، و رواه في الكافي باسناده عنه عليه السلام نحوه، و هو إشاره إلى بعض آداب صنع المعروف.

و من جملتها أيضا ما اشير اليه في روايه مفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا مفضل إذا أردت أن تعلم الى خير يصير الرجل أم إلى شرّ انظر الى أين يضع معروفه، فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، و إن كان يضع معروفه عند غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خلاق.

هنا انتهى الجزء السابع من هذه الطبعه النفيسه القيمه، و تمّ تصحيحه و ترتيبه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفى عنه و عن و الديه و ذلك في اليوم الثالث من شهر رجب الاصب سنه ١٣٨٠ و يليه ان شاء الله الجزء الثامن، و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفاً ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱. JAVA

۲. ANDROID

۳. EPUB

۴. CHM

۵. PDF

۶. HTML

۷. CHM

۸. GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱. ANDROID

۲. IOS

۳. WINDOWS PHONE

۴. WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

